

يَتِيمَاتُ الدَّهْرِ

فِي مَحَاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ

تَأَلَّفَ

أَبِي مَنْصُورِ عَبْدِ الْمَلِكِ الشَّعَالِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ
الْمُتَوَفَّى ٤٢٩ هَجْرِيَّةً

شَرَحَ وَتَحْقِيقَ

الدُّكْتُورَ مُفِيدَ مُحَمَّدَ قَمِيحَةَ

الجزء الأول

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م

يطلب من: دار الكتب العلمية - ص ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

نيو ملكارت سنتر - الرملة البيضاء - قرب محلات سبينيز

هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٠٨٤٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« مُقَدِّمَةٌ لِلمَحَقِّقِ »

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ، فقد شهد القرن الرابع للهجرة ازدهاراً أدبياً واسعاً تجلّى بظهور عدد كبير من الكتب المتخصصة في شتى مجالات المعرفة الانسانية ، فرغم مظاهر الوهن المتعدّدة التي أثقلت جسم الدولة العباسية وجعلته ينوء تحت جموح الأطماع والأهواء والقتال ، فإنّ الأدب العربي شهد جموحاً من نوع آخر ، جموحاً نحو الابداع والكمال ، ساهم في نهضته المباركة عددٌ كبيرٌ من الأدباء الذين أغنوا الفكر العربي والاسلامي بكتابات قيمة وابتكارات رائعة ، كان لها الأثر المرجو في تعميق الفكر وخدمة الثقافة والأدب ، وأبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري ، واحدٌ من أولئك الذين ساهموا في هذه النهضة المباركة ، بحيث قدّم للعربية عدداً كبيراً من المؤلفات والمصنّفات التي تنوّعت لتشمل اغراضاً متنوعة في الآداب واللغة والفكر .

ولد أبو منصور في نيسابور عام ٣٥٠ للهجرة وإليها نمي ، وكان في أوّل حياته فراءً ، يخيّط جلود الثعالب فنسب إلى صناعته ، ومن ثمّ انتقل من حوك الفراء إلى حوك الكليم ، فاشتغل باللغة والأدب والتاريخ فنيغ واشتهر ، ولم تتحدّث كتب التراجم عن تفاصيل حياته ومراحلها وأدوارها ، إلّا أنّها أسهبت في ذكر فضله وعلمه ، فقد ذكره فريق من كبار المؤلّفين ، وأشاروا إلى مكانته ومؤلفاته التي بلغت

حدّاً لا بأس له من الكثرة والغنى والتنوع ، فقال ابن الأنباري في نزهة الألباء عنه :
« كان أديباً فاضلاً فصيحاً بليغاً ، صنّف كتباً كثيرة ، وأخذ عن أبي بكر
الحوارزمي » .

وقال ابن بسّام صاحب كتاب الذخيرة في حقه : « كان في وقته راعي تلعات
العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ، ورأس المؤلفين في زمانه ، وإمام المصنّفين
بحكم قرانه ، وسار ذكره سير المثل ، وضربت إليه آباط الأيل ، وطلعت دواوينه في
المشارك والمغارب ، طلوع النجم في الغياهب ، تأليفه أشهر مواضع وأبهر مطالع ،
وأكثر راويها وجامع ، من أن يستوفيهما حدّاً أو وصف ، أو يوفي حقوقها نظمٌ أو
رصف » .

وقال عنه البخارزمي صاحب دمية القصر : « هو جاحظ نيسابور ، وزبدة
الأحقاب والدهور ، لم ترَ العيون مثله ، ولا أنكرت الأعيان فضله ، وكيف تنكر
وهو المزن يحمد بكلّ لسان ، أو كيف يستر وهو الشمس لا تخفى بكلّ مكان » .

أما كتابه « يتيمة الدهر » الذي قمنا بشرحه وضبط نصوصه قدر الامكان فإنه
أكثر مؤلفاته شهرة وتداولاً ، كونه يقدّم فيه ترجمةً وافية لكثير من الشعراء المعاصرين له
أو السابقين لزمانه بقليل ، وهذه الترجمة تختلف عمّا عرفناه في كتب الطبقات ، لأنه
يجمع فيها كلّ جماعة من الشعراء حسب بلدهم أو إقليمهم أو البلاط الذي سلكهم
في عداده ، ومثال ذلك ما فعله بشعراء الشام ، وشعراء مصر من حيث الأقاليم ،
وبشعراء دولة بني حمدان وبلاط سيف الدولة في حلب ، وبني بويه في بغداد
وأصبهان ..

وقد بدأت فكرة الكتاب لديه في سنٍّ مبكرة إذ بدأه سنة ٣٨٤ هجرية ، ثم
رجع إليه بعد فترة من الزمن بعد أن اكتمل عوده وقوي مراسه ، ليتمّ في كهولته ما

استهله في شبابه ، وقد قسم الرجل كتابه إلى أقسامٍ أربعة وأردفه بعد مدةً بقسمٍ خامس ، لم يكن أهل الأدب واللغة قد اطلعوا عليه وقد نشر هذا القسم في طهران ، وفيه تتأت لما جاء في الأقسام السابقة له ، بحيث تضمن أبواباً ثلاثة حملت العناوين التالية : « تنمة القسم الأول في محاسن أهل الشام والجزيرة ، وتنمة القسم الثاني في محاسن أشعار أهل العراق ، وتنمة القسم الثالث في محاسن أهل الرّي وهمدان وأصفهان وسائر بلاد الجبل » وقد قدّم الثعالبي في هذه الأقسام تراجم لشعراء عدّة يظهر أنّهم كانوا أقلّ شهرةً من الذين ترجم لهم في الأقسام الأربعة السابقة فألحقهم بهذا القسم بعد أن تمكّن من الوقوف على نماذج من أشعارهم .

أمّا غاية الكتاب فهي خدمة اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم ، عن طريق الشعر الذي يرى فيه فضلاً وعلماً وتقدّم مكانة ، يقول في مقدمته « ولما كان الشعر محمّدة الأدب وعلم العرب الذي اختصوا به دون سائر الأمم ، ولبسائهم جاء كتاب الله المنزل على النبيّ فيهم المرسل ، صلوات الله وسلامه عليه ، كانت أشعار الاسلاميين أرقّ من أشعار الجاهليين وأشعار المخضرمين ، ثم كانت أشعار العصريين أجمع لنوادير المحاسن ، وأنظم للطوائف البدائع من أشعار سائر المذكورين ، ولانتهاؤها إلى أبعد غايات الحسن ، وبلوغها أقصى درجات الجودة والظرف ، تكاد تخرج من باب الاعجاب إلى الاعجاز ، ومن حدّ الشعر إلى السحر فكأن الزمان ادّخر لنا من نتائج البراعة وأوفرها نصيباً من كمال الصنعة ورونق الطلاوة » وهكذا فإن الثعالبي يتقدّم لتصنيف عمله وإتمامه مدفوعاً برغبةٍ داخلية قويّة قوامها الحبّ للعربية والإدراك العميق لأبعاد الكلمة وأثرها البعيد الغور في النفس الانسانية التي قدر لها نصيبٌ من الحسّ والرّفاهية والذوق . .

والثعالبي في اليتيمة لم يقتصر على الترجمة المحضّة والاستشهاد بالنصوص الشعرية ، بل نراه يورد آراءً نقدية قيّمة وتعليقاتٍ أدبية ممتعة تنمُّ عن ذوقٍ أدبيّ رفيع ، كما يعتمد في كثير من الأحيان إلى المقارنة والموازنة بين من يترجم له وبين غيره

من الشعراء في الفن الشعري الذي برع فيه ويكشف بلياقة وكياسة عن مدى تأثر الشاعر بغيره من السابقين والمعاصرين ويتعقب بحس أدبي وذوق مرهف صورته ومعانيه ، فيشهد له بما قدم من توليدات مبتكرة وجديدة ، ويرشد إلى ما كان فيه تابعا ومقلداً ، كما نراه أحياناً يصوب المعنى ويشير إلى الاستعمال السليم ، مثال ذلك تعليقه على بيت شعري لأبي القاسم عبد الصمد بن بابك يقول :

نشوة نفاس الأمير الذي أدرك ما شاء برغم الزمان

فيرى الثعاليبي أنه « لم يحسن في تشبيه طيب رائحة الشراب ، بنفس المددوح وهو ملك عظيم ، لأنه إنما يشبه بنفس المعشوق » وكان ينبغي أن يقول :

نسيم أفعال الأمير الذي أدرك ما شاء برغم الزمان
كما نراه يشير إلى سقطات أبي بكر محمد بن محمد الخوارزمي فيقول : « ومأزل فيه أقبح زلة قوله من قصيدة في الصاحب وقد اعتل :

نعوا إليّ نفس المجد ساعة أخبروا بما يشتكي من سقمه ويمارس
فإن في لفظة النعي ما فيها من الطيرة ؛ إذ هي مما يقع في المرثية لا في العيادة .
ويقول أيضاً عنه ومن سقطاته المنكرة قوله للصاحب :

ومهيّب كأنما أذنب لنا س إليه فهم مغشون ذلاً
وظريف كأن في كل فعل من أفاعيله بعرائس تجلى

فإن الكبراء والمحتشمين لا يوصفون بالظرف إذ هو من أوصاف الأحداث والقيان والشبان ، ولم يرض بالفرطة في هذه اللفظة حتى شبه أفاعيله بعرائس تجلى ، فلو مدح مخنثاً لما زاد .»

وفي حديثه عن أكثر الشعراء فإننا نراه يتتبع سرقاتهم ويشير إلى المعاني التي اقتبسوها من غيرهم ، ويقطع في مواضع كثيرة سرد القصيدة ليذكر سرقة بيتٍ منها ، كحديثه عن أبي سعيد الرستمي حين يقول :

بدورٌ زهتهن الملاحه أن يرى لهنّ نقابٌ فالوجوه سوافر
فيقطع الثعاليبي القصيدة ليذكر أنه سرقه من قول القائل :

ولما تنازعنا الحديث وأسفرت وجوهٌ زهاها الحسن أن تتقنعا

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحدّ ، بل نراه يورد في كتابه فصولاً خاصة يتتبع فيها سرقات الشعراء ، كما فعل في حديثه عن السريّ الرّقاء حيث عقد له فصلاً مسهباً أشار فيه إلى سرقاته الكثيرة ، وذكر النصوص التي تأثر بها وضمّنها قصائده ، كما أنه لم ينس أن يشير إلى نوع السرقة ، وهل استطاع الشاعر أن يتفوق على سابقه أم أنه قصر في بلوغ شأوه ، يقول معلقاً على بيتٍ لأبي الحسن عليّ بن هارون بن المنجم « ولقد أحسن السرقة وجوّد اللفظ وزاد في المعنى » .

أمّا حديثه عن المتنبيّ فقد طال نظراً لإعجابه الشديد بالرجل ، إلا أن هذا الإعجاب لم يمنعه من ذكر هفواته التي اعترف بها المنصفون من النقاد ، يقول الثعاليبي بهذا الصدد « ومنها إتباع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء والافصح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت وقلة التناسب، وتنافر الأطراف وتخالّف الأبيات، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ويعود لهذه العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط، فبيناه يصوغ أفرح حلي وينظم أحسن عقد وينسج أنفس وشي ويختال في حديقه ورد ، إذا به قدرمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة أو تعويض اللفظ أو تعقيد المعنى إلى المبالغة في التكلف والزيادة في التعمق والخروج إلى الافراط والإحالة والسفسفة والركاكة والتبرّد والتوحش باستعمال الكلمات الشاذة ، فمحا

تلك المحاسن وكدر صفاءها وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها واستهدف لسهام العائنين وتحكك باللسنة الطاعنين «وهكذا فإن الثعالبي لم يقتصر في اليتيمة على الترجمة الخالصة وتسجيل النصوص ، بل كان له رأي خاص يمثل ذوقه الأدبي وحسه الشعري ، وهذا الرأي مبني على خبرة واسعة واطلاع عميق استطاع بهما أن يصل إلى تعليقات موفقة لم تجانب الصواب ، بل حالفته وعمقته وأرشدت إليه في كثير من الأحيان ، إلا أنه في تعليقاته ونقداته لم يخرج عما تعارف عليه الذوق النقدي العربي القديم ، الذي كان ينظر إلى القصيدة بيتاً بيتاً وبناءً مفككاً يفصل فيه البيت عن سابقه وتاليه ، ويركز على استعمال الألفاظ واختيار المعاني ، ولا يشير إلى البناء الكلي للقصيدة ذلك البناء الذي يتحد فيه اللفظ والمعنى ليؤديان الصورة الفنية الممتعة ، فقد ظل الشعر في نظره لفظاً ومعنى لا عملاً فنياً متكاملًا تجمعه وحدة عضوية متماسكة .

بعد هذا العرض يمكننا أن نقول : إن اليتيمة كتاب هام لا غنى عنه لكل من يتعانى الأدب ويسلك دروبه لأنه يعرفنا بالنقلة التي وصل إليها الشعر في عصره ، سواء من حيث النوعية أو الكمية فضلاً عن تقديمه ترجمة وافية لكثير من شعراء العربية الذين لولا الجهد المشكور الذي بذله أبو منصور ، لظل أكثرهم في عالم المجهول والنسيان . . .

والله من وراء القصد
وهو ولي التوفيق

د . مفيد محمد قميحة

فهرس بأهم الآثار التي خلفها الثعالبي

خلف الثعالبي كتباً قيمة أربت على الثمانين كتاباً ، وقد وضع لها الأستاذ عبد الفتاح محمد فهرساً بأسائها والأماكن الموجودة فيها ، وتنوّعت هذه الكتب بين اللغة والسيرة والأخبار والبلاغة والأدب شعراً ونثراً واخترنا منها ما يلي :

- (١) أحسن كلام النبي والصحابة والتابعين ، وملوك الجاهلية وملوك الاسلام .
- (٢) أحسن ما سمعت ، وهو مختصر على عشرة أبواب ، أوله : أما بعد حمد الله على آلائه الخ . . ويعرف بالآلي والدّرر .
- (٣) أربع مسائل منتخبة من مؤلفات العلامة أبي منصور الثعالبي :

(أ) منتخبات كتاب التمثيل والمحاضرة .

(ب) المبهج .

(خ) سحر البلاغة وسرّ البراعة .

(د) النهاية في الكناية .

(٤) الاعجاز والايجاز ، أو الاجار والاعجاز .

(٥) كتاب الأمثال المسمّى بالفرائد والقلائد ، ويسمى أيضاً العقد النفيس في نزهة الجليس .

(٦) برد الأكباد في الأعداد .

(٧) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب .

- (٨) خاص الخاص ، وفيه مواضيع شعرية ونثرية ، أودع فيه من عيون الغرر ونصوص الكتب ما يكاد يخرج من حدّ الإعجاب إلى حدّ الإعجاز .
- (٩) رسالة فيما جرى بين المتنبي وسيف الدولة .
- (١٠) سرّ الأدب في مجاري لغة العرب .
- (١١) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم .
- (١٢) فقه اللغة وسرّ العربية .
- (١٣) الكناية والتعريض .
- (١٤) لطائف المعارف .
- (١٥) المؤنس الوحيد في المحاضرات ، طبع منه مختصرات .
- (١٦) اللطائف والظرائف ، في مدح الأشياء وأضدادها ، ومعه اليواقيت والمواقيت في مدح الشيء وذمّه .
- (١٧) مرآة المروءات .
- (١٨) مكارم الأخلاق .
- (١٩) من غاب عنه المطرب .
- (٢٠) والمنتحل - وهو منتخبات من فحول الشعراء العرب .
- (٢١) المقصور والممدود .
- (٢٢) نثر النظم وحلّ العقد .
- (٢٣) يتيمة الدهر .
- (٢٤) الغلمان .
- (٢٥) الشكوى والعتاب .
- (٢٦) تحفة الوزراء .
- (٢٧) لباب الأدب .
- (٢٨) طبقات الملوك .
- (٢٩) نسيم السحر .
- وغير ذلك كثير . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الصفة المختار من خلقه
أجمعين ، وعلى آله وصحبه .

وبعد ، فهذا كتاب « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » الذي يقول فيه
أبو الفتوح نصر الله بن قلافس الشاعر الإسكندري المشهور :

أبيات أشعار اليتيمة أكار أفكار قديمة
ماتوا وعاشت بعدهم فلذاك سميت اليتيمة

وهو الكتاب الذي لولاه لكانت قد « بقيت محاسن أهل عصر مؤلفه - وهي
التي معهاروا الحدائث ، ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على
كثرة النقد - غير محصورة بكتاب يضم نشرها ، وينظم شذرها ، ويشد أزرها ، ولا
مجموعة في مصنف يقيد شواردها ، ويخلد أوابدها » مع أنه « قد سبق مؤلفو
الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين
كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم ، فكم من كتاب فاخر عملوه ،
وعقد باهر نظموه ، لا يشينه إلا نبو العين من إخالق جدته ، وبلى برده ، ومج
السمع لمردداته ، وملاحة القلب من مكرراته »^(١) وهو كتاب قد جمع الكثير من غرر

(١) من مقدمة الثعالبي في كتاب اليتيمة (ص ٢٦ ج ١).

شعراء القرن الرابع وصدر القرن الخامس : ملوكهم وأمرائهم ووزرائهم وقضاتهم ، ذوي الجدم منهم وذوي المجون ، في رقعة البلاد التي كانت يد العرب مبسوطة عليها يومذاك ، من بلاد الشام والعراق وجرجان ومصر والمغرب والأندلس وغيرها ، وهذه الحقبة من الزمن - على ما كان فيها من التفرق والاضطراب السياسي - أنضرت حقب الزمان في الآداب والعلوم والفنون .

وقد بقي الكتاب - على رغم أنه طبع مرتين قبل اليوم - سراً محجوباً لرداءة عرضه وفشو الأغاليط فيه وقلة العناية بروائه ، فأردت أن أخدم العربية التي أشربت حبها من عهد الصغر بإخراجه في صورة ترضى عنها النفس وينشرح لها الصدر ، فتوفرت على مراجعته على أصوله المخطوطة ، وعلى ما تيسر لي من دواوين الشعراء ومجاميع الشعر ، حتى استقام لي نص صحيح أو قريب من الصحة ، ثم قدمته للنشر في هذه الضائقة التي غلت فيها أسعار الورق ، وشح وجود الجيد منه ، وتهافت الناس فيها على نشر دوريات قليلة الغناء ، فازدحمت بها دور الطباعة ، وأعوز الأدباء أن يجدوا للتأنيج قرائحهم مكاناً في هذا الميدان .

وهذه المطبوعة من هذا الكتاب - فيما نعتقد - خير ما يقرأ المتأدبون من نسخ الكتاب ، أصلحنا فيها الكثير مما فشا في سابقيتها من الأغاليط ، وكانت طريقنا أن نستبقي النص كما هو في أصول الكتاب ما وجدنا له محملاً من الصحة ، فإن لم نجد له ذلك ووجدناه في ديوان من دواوين الشعر على وجه آخر صحيح غيرناه إليه ، وبيننا ذلك في أسفل صفحات الكتاب أحياناً ، فإن لم نعثر على النص في كتاب آخر وظهر لنا فيه وجه صحيح غيرناه إليه والتزمنا في هذه الحال أن نبين عملنا في أسفل صحف الكتاب ، وإن لم نعثر على النص في كتاب آخر ولم يستقم لنا فيه وجه صحيح ، أشرنا إلى أنه لم يبين لنا فيه وجه يوثق به ، والله وحده الذي يعلم كم قاسينا في هذه السبيل من جهد ، وعنده وحده جزاء ذلك كله ، إنه لا يجزي على الخير سواه ، ولا يعرف خفيات الأمور غيره .

وفي الكتاب مجون كثير ، كما تجده في المختار من شعر أبي الرقعمق وأبي القاسم الواساتي وابن لنكك وأبي الحسن السلامي وابن سكرة الهاشمي وابن الحجاج وغيرهم ، وقد ترددنا كثيراً في أن نجاري بعض أدياء هذا العصر فنحذف هذا المجون ولو من بعض نسخ الكتاب ، ولكننا « لم نشأ أن نحذف شيئاً مما في هذا الكتاب من المجون - كما يفعل بعض الناشرين ، تخرجاً منهم وتأنماً زعموا ، وحرصاً على مكارم الأخلاق ظنوا - لأننا لا نؤلف كتاباً نختار فيه ما نشاء وندع ما نشاء ، وإنما نحقق نصاً قيده صاحبه في زمن كان الناس فيه أشد تخرجاً من هذا الزمن الذي نعيش فيه ، ولأننا نرى من حقنا أن نتصرف في كتب الناس ثم نبقيها منسوبة إليهم فيجيشوا يوم المعدلة يتعلقون بمن ظلمهم يجادلونه عن أنفسهم ، والله يعلم أننا لا نقل عن هؤلاء المتأدبين الذين يفسدون كتب الناس ، تخرجاً من المجون ولا حرصاً على مكارم الأخلاق » ولأن الغرض من نشر هذا الكتاب ، واحتمال الجهد الجاهد في تحقيقه ، والصبر على الكثير مما يغري بعضه بالانصراف ، إنما هو أن ندل قراء الأدب العربي على الحياة الأدبية والحياة الاجتماعية والسياسية في هذه الحقبة التي كان هؤلاء الشعراء يعيشون فيها ، وأن نضع بين أيديهم النصوص التي تدلهم على ما يتوجهون إليه من مناحي البحث ، فلو أننا سمحنا لأنفسنا بحذف شيء مما اشتمل عليه الكتاب لكنا قد أضعنا هذه الغاية ، ولكننا كمن يجهز جندياً للقتال فيضع في يده سيفاً من الخشب ، ويقعده على صهوة جواد من قصب .

هذا ، ومؤلف الكتاب نفسه يشعر بما عسى أن يقوله عنه بعض الناس ، ويصر - مع ذلك - على أن يذكر المجون ، ويعتذر عنه ، فأبي معذرة لمن يقدم على نشر كتابه وقد حذف منه هذا النوع من الكلام ، اسمع إليه يقول في مطلع حديثه عن أبي عبد الله الحسن بن أحمد بن الحجاج « هو وإن كان في أكثر شعره لا يستتر

من العقل بسجف ، ولا ييني جل قوله إلا على سخف ، فإنه من سحرة الشعر ،
وعجائب العصر ، وقد اتفق من رأيته وسمعت به من أهل البصيرة في الأدب وحسن
المعرفة بالشعر ، على أنه فرد زمانه في فنه الذي شهر به ، وأنه لم يسبق إلى
طريقته ، ولم يلحق شأوه في نمطه ، ولم يركاقداره على ما يورده من المعاني التي
تقع في طرزه مع سلاسة الألفاظ وعدوبتها ، وانتظامها في سلك الملاحاة
والبلاغة ، وإن كانت مفصحة عن السخافة ، مشوبة بشعر الخلددين والمكدين
وأهل الشطارة . ولولا أن جد الأدب جد وهزله هزل - كما قال إبراهيم بن
المهدي - لصنت كتابي هذا عن كثير من كلام من يمد يد المجون فيعرك بها أذن
الحرم ، ويفتح جراب السخف فيصفع بها قفا العقل ، ولكنه على علته تتفكه
الفضلاء بشار شعره ، وتستلمح الكبراء ببنات طبعه ، وتستخف الأدباء أرواح
نظمه ويحتمل المحتشمون فرط رفته وقذعه ، ومنهم من يغلو في الميل إلى ما
يضحك ويمتع من نوادره ، ولقد مدح الملوك والأمراء والوزراء والرؤساء ، فلم
يخل قصيدة فيهم من سفاتج هزله ، ونتائج فحشه ، وهو عندهم مقبول الجملة
غالي مهر الكلام ، موفور الحظ من الإكرام والإنعام ، مجاب إلى مقترحه من
الصلوات الجسماء « ولسنا نريد إلا أن تقرأ هذه العبارة ثم تقرأها ثم تقرأها ، ثم
احكم وكن من المنصفين .

* * *

وهذا الكتاب قد وضعه مؤلفه على أربعة أقسام يشتمل كل قسم منها على
أبواب وفصول :

القسم الأول : في محاسن أشعار آل حمدان وشعرائهم وغيرهم من أهل
الشام وما يجاورها ومصر والموصل والمغرب ، ولمع من أخبارهم .

القسم الثاني : في محاسن أشعار أهل العراق ، وإنشاء الدولة الديلمية من

طبقات الأفاضل ، وما يتعلق بها من أخبارهم ، ونوادرهم ، وفصوص من فصول المترسلين منهم .

القسم الثالث : في محاسن أشعار أهل الجبل وفارس وجرجان وطبرستان وأصفهان ، من وزراء الدولة الديلمية وكتابتها وقضاتها وشعرائها ، وما ينضاف إليها من أخبارهم وغرر ألفاظهم .

القسم الرابع : في محاسن أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدولة السامانية والغزنية ، والطارئين على الحضرة ببخارى من الآفاق ، والمتصرفين على أعمالها ، وما يستطرف من أخبارهم ، وخاصة أهل نيسابور ، والغرباء الطارئین عليها والمقيمين بها .

وقد وفي المؤلف فيه بما وعد ، فجمع فيه « من بدائع أعيان الفضل ، ونجوم الأرض من أهل العصر ومن تقدمهم قليلاً وسبقهم يسيراً ، ما لم تأخذ الكتب العتيقة غره ، ولم تفتض عذره ، ولم ينتقص قدم العهد وتطول المدة زبره » وضمنه « من نسج طباع هؤلاء وسبك أفهامهم ، وصوغ أذهانهم ، ما يشتمل على الحلل الفاخرة الفائقة ، والحلى الرائقة الشائقة ، ويتضمن من طرفهم وملحهم لطائف أمتع من بواكير الرياحين والثمار ، وأطيب من فوح نسيم الأسحار ، بروائح الأنوار والأزهار »^(١) والتزم ألا يورد في هذا الكتاب إلا « لب اللب ، وحبّة القلب ، وناظر العين ، ونكتة الكلمة ، وواسطة العقد ، ونقش الفص ، مع كلام في الإشارة إلى النظائر والأحسن والسرقات »^(٢) .

وإن يكن في هذا الكتاب نقص يصح أن يعتد به بعض الناس على صاحبه ،

(١) انظر (ص ٢٨ ج ١) .

(٢) من مقدمة المؤلف (ص ٢٩ ج ١) .

فهو أنه لم يعن بجمع أخبار من تعرض للاختيار له من الشعراء مما يتضمن نشأتهم ومواليدهم ووفياتهم وتصرف الدهر بهم ، بل إنه لم يتعرض في بعضهم إلا لاختيار عدة أبيات وقعت له أو سمعها من بعض رواتها من الأدباء ، فالكتاب - في نظر هؤلاء - ناقص وفي مسيس الحاجة إلى إتمام هذا النقص ، ولعلمهم يستوجبون على من يتعرض لتحقيقه أن يسد هذه الثلمة ، ونحن نقرر أن هذا الكتاب لم يوضع في تأريخ الأدب والشعر ، ولا كان الغرض منه تأريخ حياة الأدباء والشعراء ، ولكنه وضع في صميم الأدب ولبابه ، فهو يعني بالقول أكثر مما يعني بحال قائله ، وكثير من الشعراء الذين جرى لهم ذكر في الكتاب واختار لهم صاحبه لم يكن يعرف عنهم شيئاً ، بل لعله لم يسمع بهم ولا درى من شأنهم غير ما يرويه لهم من الشعر القليل ، ومحقق الكتاب لم يقصد من تحقيقه إلا تمكين القارئ من دراسة الأدب واستنباط ما يريد من نصوصه ، غير حافل بما جرى على أهل هذا الأدب من تصاريف الدهر ، فوق أنه لا يريد أن يتحمل عبئاً قد يشق عليه احتماله ، وقد لا يجد لبعض من تعرض لهم المؤلف ذكراً في غير هذا الكتاب ، فهو يرى أن يكفي بتحقيق النص تحقيقاً يطمئن إليه ، ويستطيع به أن يضمن لقارئه الطمأنينة ، وهذا وحده مما لا يستهين به إلا من لا يريد أن يكون من المنصفين .

* * *

على أن في هذا الكتاب عيباً لا نريد أن نغضي لصاحبه عنه ، وهو - فيما نعتقد - شر من ذلك العيب الذي قدمنا ذكره ، وليس لنا أن نغفر هذا العيب وإن كانت للثعالبي عنه معاذر أكثر من عدد الحصى ، لأن ذلك العيب يغطي على كل محمدة ، بل إنه ليشكك في كل محمدة ، وهذا العيب هو العصبية ، وتظهر هذه العصبية في ناحيتين من كتابه : أما إحدى هاتين الناحيتين ففي حديثه عن شعراء الشام حيث يعقد باباً موضوعه « فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان ، وذكر السبب في ذلك » ويستهلله بقوله « لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من

شعراء عرب العراق وما يجاورها ، في الجاهلية والإسلام ، والكلام يطول في ذكر المتقدمين منهم » ثم يعد جماعة من طبقة العتابي ومنصور النمري ، وجماعة من طبقة الرقي وكشاجم والصنوبري ، ثم يقول « فأما العصريون ففيما أسوقه من غير أشعارهم أعدل الشهادات على تقدم أقدامهم » ويستدل لذلك بقربهم من خطط العرب ، وبعدهم عن الأعاجم ، وقلة اختلاطهم بغير العرب ممن تفسد الخلطة بهم الألسنة ، وغير ذلك مما تقرأه في هذا الفصل .

فالثعالبي لم يكتف بتقديم شعراء الشام على كل من ذكرهم في كتابه ، ولم يكتف بتقديمهم على كل من ذكرهم في القسم الأول منه ، لأن التقديم الذكري لا يدل إلا على العناية ، بل يفضلهم على شعراء سائر البلدان ، ويجعل ذلك مطلع كتابه ، ثم حين يريد أن يبين السبب في ذلك يجعل المفضول هم شعراء العراق وما يجاورها ، فينسى « سائر البلدان » التي عقد الفصل عليها ، ويذكر أن قرب العراق من بلاد فارس واختلاط أهل العراق بالفرس سبب ضعف الشعراء من عرب العراق عن الشعراء من عرب أهل الشام ، ونسي قرب الشام من بلاد الروم ، واختلاط عرب الشام بالروم ، وأن هذا القرب وهذا الاختلاط قد يكونان سبباً في فساد ألسنة العرب من أهل الشام .

وأما الناحية الثانية ففي حديثه عن الشعراء من الملوك والرؤساء ، فهو يفرد لملوك كل ناحية باباً ، وهو يثنى عليهم أوفر الثناء ، وهو يستبيح أن يروي الضعيف من شعرهم في حين أنه شرط ألا يروي إلا لب اللباب ، وهو أظهر في هذه الناحية حين يتحدث عن أبي الحسن سيف الدولة على ابن عبد الله بن حمدان .

اسمع إليه يقول في مقدمة الكتاب « فإن وقع في خلال ما أكتبه البيت والبيتان مما ليس من أبيات القصائد ، ووسائط القلائد ، فلأن الكلام معقود به والمعنى لا يتم دونه ، ولأن ما يتقدمه أو يليه مفتقر إليه ، أو لأنه شعر ملك أو أمير أو وزير أو رئيس خطير ، أو إمام من أهل الأدب والعلم كبير ، وإنما ينفق مثل ذلك

بالانتساب إلى قائله ، لا بكثرة طائله «^(١) ولست أريد أن أعرض عليك ما قاله في سيف الدولة الحمداني ، ولا ما قاله في عضد الدولة البويهى ، ولا ما قاله في غيرهما من الملوك والأمراء والرؤساء والوزراء ، ولكنى أكتفي بأن أشير إلى أنه جعل لرواية ما لا يتفق مع شرط الكتاب سببين أحدهما أن يكون الجيد محتاجاً إلى غير الجيد ، وثانيهما أن يكون قائل غير الجيد رئيساً أو وزيراً .

* * *

والكتاب - بعد هذا - أوفى المراجع الأدبية لمن يريد أن يدرس الشعر العربي ، ولمن يريد أن يدرس الحالة الاجتماعية والسياسية من طريق النتاج الأدبي ، في القرن الرابع وصدور من القرن الخامس الهجري ، وقد خشى الثعالبي أن يكون للشعراء السابقين على عصره أثبات جمعها علماء الأدب من عيون الشعر وفنونه ، ولا يكون لشعراء عصره من يتصدى لمثل ذلك ، فندب نفسه للاضطلاع بهذا العبء .

رأى كتاب البارع في أخبار الشعراء الذي صنفه هارون بن المنجم ، ورأى طبقات الشعراء الذي صنفه الشاعر البارع أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز ، فأحب أن يكون لشعراء عصره كتاب مثل هذين الكتابين وغيرهما ، فصنف « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » والذي يؤخذ من مقدمته أنه صنفه مرتين ، أما المرة الأولى فقد تصدى لعمله^(٢) « في سنة أربع وثمانين وثلثمائة والعمر في إقباله ، والشباب بمائه ، فافتتحه باسم بعض الوزراء مجرياً إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب ، إلى ذوي الأخطار والرتب ، ومقيماً ثمار الورق مقام نثار الورق ، وكتبه في مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه ، ولا تتسع لتوفية شرطه ، فارتفع كعجالة الراكب وقبسة العجلان » وأما المرة الثانية فحين رأى نفسه يحاضر « بأخوات كثيرة لما فيه

(١) أنظر (ص ٧ ج ١) .

(٢) أنظر (ص ٤ ج ١) .

وقعت باخرة إليه ، وزيادات جمة عليه حصلت من أفواه الرواة لديه ، فقال : إن كان لهذا الكتاب محل من نفوس الأدباء ، وموقع من قلوب الفضلاء ، كالعادة فيما لم يقرع من قبل آذانهم ، ولم يصفح أذهانهم ، فلم لا أبلغ به الذي يستحق به حسن الإحماذ ويستوجب من الاعتداد أوفر الأعداد ، ولم لا أوسط فيه عنان الكلام ، وأرمي في الإشباع والإتمام هدف المرام ، فجعل بينه وينقضه ، ويزيده وينقصه ، ويمحوه ويثبت ، وينسخه ثم ينسخه ، وربما افتتحه ولا يختتمه ، وينتصفه فلا يستتمه ، والأيام تحجز ، وتعد ولا تنجز ، إلى أن أدرك عصر السن والحنكة ، وشارف أوان الثبات والمسكة ، فاختلس لمعة من ظلمة الدهر ، وانتهز رقدة من عين الزمان ، واغتنم نبوة من أنياب النواذب ، وخفة من زحمة الشوائب ، واستمر في تقرير هذه النسخة الأخيرة ، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة ، بعد أن غير ترتيبها ، وجدد تبويبها ، وأعاد ترصيفها ، وأحكم تأليفها ، وصار مثله فيها كمثل من يتأنق في بناء داره التي هي عشه ، وفيها عيشه ^(١) وكان من آثار هذه العناية وهذا الجهد أن رأى كتابه « يسحر العقول ، ويملك القلوب ، ويعجب الملوك كما يعجب الرعية ، ويحسن أثره على الشعراء كما يطيب ثمره للكتاب ، ويسير في الآفاق مسير الأمثال ، ويسري في البلاد مسرى الخيال ، ولقي أعيان الفضل وأفراد الدهر أطلب له من طير الماء للماء ، وأحرص عليه من المرضى على الشفاء » ^(٢) ومع هذا كله لم يكن الكتاب قد أشبع نهمته ، ولا سدّ الفراغ الذي قدر أن يسده ، وهذا شأن أهل العلم في كل عصر : ما يزال أحدهم يجد ويدأب حتى يظن أنه استولى على الغاية وأوفى على الأمد ، ثم يظهر له ما يرى معه أنه لا يزال في أول الطريق ، وهذا هو الذي وقع لأبي منصور فقد « وقع له على الأيام ما ينخرط في سلك اليتيمة ، ويصلح لللاحق به ، ولا يسوغ تأخيرها عن أخواته ، سيما وقد خلا منه مكان قوم من السادة والكبراء لا مترك لثمار خواطرهم ووسائل قلائدهم »

(١) أنظر (ص ٥٦٦ ج ١) .

(٢) من مطلع مقدمته لكتابه تمة اليتيمة (ص ١ ج ١ طبع طهران) .

وحيثئذ يتردد في أن يعود إلى النسخة الثانية من اليتيمة فيبني فيها وينقض ، ويصنع فيها ما صنعه في نسختها الأولى ، يتردد في ذلك لأن الكتاب قد سار في الأفاق وطار ذكره في الأقطار وانتسخه الأدباء والرؤساء . فما يلبث أن « يعن له حذو كتاب لطيف على تمثيله وترتيبه ، يودعه ما شذ عنه من طرزه وجنسه ، ويجريه مجرى الفرخ له والعلاوله عليه » .

* * *

ويذكر صاحب كشف الظنون من ذبول اليتيمة عدة مؤلفات :

(١) دمية القصر ، وعصرة أهل العصر ، تصنيف أبي الحسن علي بن الحسن الباخري المتوفى في عام ٤٦٧ سبعة وستين وأربعمائة ، وقد طبع في حلب .

(٢) خريدة القصر ، وجريدة أهل العصر ، تأليف عماد الدين الإصفهاني المتوفى في عام ٥٩٧ سبعة وتسعين وخمسمائة من الهجرة ، ويذكر حاجي خليفة أنه في عشر مجلدات ، وأنه يجمع من عام ٥٠٠ خمسمائة إلى عام ٥٩٢ اثنين وتسعين وخمسمائة .

(٣) زينة الدهر ، تصنيف أبي المعالي سعد بن علي الوراق المتوفى في عام ٥٦٨ ، وهو تذييل لدمية الباخري يقع في مجلد واحد .

ويذكر صاحب كشف الظنون أيضاً أن لأبي الحسن علي بن زيد البيهقي كتاباً على « يتيمة الدهر » اسمه « وشاح الدمية » كما يذكر أن لتقي الدين بن عبد القادر المصري المتوفى في عام ١٠٠٥ من الهجرة مختصراً لليتيمة في مقدار نصفها .

* * *

وقد كان ظهور كتاب « يتيمة الدهر » حافزاً لأبي الحسن علي بن بسام

الشتريني المتوفى في عام ٥٤٢ من الهجرة ، على تصنيف كتابه « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » وقد قلد ابن بسام أبا منصور في كل شيء ، فكما أن أبا منصور يجعل كتابه « في محاسن أهل العصر » يجعل ابن بسام كتابه « في محاسن أهل الجزيرة » وكما أن كتاب الثعالبي مقسم إلى أربعة أقسام يبني ابن بسام كتابه على أربعة أقسام ، وكما جعل الثعالبي فصولاً من كل قسم من أقسام كتابه للملوك والأمراء والوزراء والرؤساء ومن في حكمهم جعل ابن بسام الأمر في كتابه على هذا الوجه .

ويقول الدكتور طه حسين بك في مقدمة الجزء الأول من الذخيرة « وهو (يريد ابن بسام) قد سار سيرة الثعالبي في العناية بالملوك والأمراء والرؤساء وما يكون من تأثيرهم في الأدب ، وما يكون من إنتاجهم الأدبي الخاص ، ولكن العناية بهذه الناحية من الحياة الأدبية كانت أشد وأقوم وأجدى من عناية الثعالبي ، فهو لا يكتفي بهذا الإطراء الذي لا غناء فيه والذي تمتلىء به اليتيمة ، وهو لا يكتفي برواية مقتطفات من الآثار الأدبية للملوك والوزراء والأمراء كما فعل الثعالبي ، ولكنه يعرض تاريخهم عرضاً دقيقاً مفصلاً ، يرد آثارهم الأدبية إلى مصادرها ، بل يرد الآثار الأدبية التي أنشئت في بيئتهم إلى مصادرها . وبعض هذا الكلام مما يؤيد ما ذكرناه عن عصبية الثعالبي ، وبعضه الآخر مما قد أبنا عنه وعذرنا الثعالبي فيه ، على أن أبا منصور قدوة وابن بسام مؤتم ، ومن شأن المقتدي أن يتجنب وجوه النقص التي طرأت على من سبقه .

ومما يتصل بالكلام على فروع « يتيمة الدهر » ذلك الكتاب البديع الذي ألفه الثعالبي نفسه ، بعد أن كثر تردده على اليتيمة ، وبعد أن ملأ عينيه من النظر إليها وأشبع نفسه من التفكير فيها ، ذلك هو كتابه « سحر البلاغة وسر البراعة » فإنه كتاب جمع فيه عبارات في مواضيع كثيرة من نوع ما يسميه أساتذة الإنشاء العربي في هذا العصر بالجمل المختارة ، وقد أخرج بعض هذه الجمل « من غرر نجوم الأرض ، ونكت أعيان الفضل من بلغاء العصر في النثر » وحل بعضها الآخر « من

نظم أمراء الشعر الذين أورد ملح أشعارهم في الكتاب المترجم بيتيمة الدهر ،
فلفق جميع ذلك ونسقه ، وسرده وساقه ، وأنفق عليه جميع ما رزقه ، وعمله
بجهد الخاطر ، وكد الناظر وعرق الجبين ، وتعب اليمين . . .»^(١) .

* * *

وبعد ، فأحسب أنني أسديت إلى قراء العربية يداً لا يجحدها أحد منهم
بتحقيق نصوص هذا الكتاب ، وتقويم ما اعوج منها بفعل الناسخين والناشرين ،
وبشرح ما دعت الحاجة إلى شرحه من المفردات ، وبالإشارة أحياناً إلى المواطن
التي يجد فيها القارئ ما لم يتعرض له الثعالبي من أحوال الشعراء وترجماتهم .

وكم كنت أود أن أضبط ما يحتاج إلى الضبط منه ، بل لقد ضبطت ذلك في
أصول الكتاب التي قدمتها للنشر ، ولكن الضرورة اقتضت أن يخرج الكتاب غير
مضبوط بالشكل ، لأن دار الطباعة التي اختارها الناشر - مع الأسف المحض - لم
يكن فيها من الحروف القابلة للضبط ولا من الحركات ما يكفي للقيام بهذا العمل ،
وكان لا بد من انتظار عام كامل أو قريب منه حتى تتمكن من البدء في العمل على
الوجه الذي أحب ، وآثر الناشر أن يظهر على الوجه الذي تراه على أن يطول به أمد
الانتظار .

هذا ، وأنت غير محتاج إلى الضبط بالشكل ، لأن الشعر الذي تضمنه هذا
الكتاب ليس من الشعر العويص الذي يكثر فيه الغريب ، ولأنني ضبطت لك
بالعبارة في أسفل الصفحات ما ظننت أنك محتاج إلى ضبطه .

والأمور كلها بيد الله يصرفها كيف يشاء .

كتبه المعترف بالله تعالى

أبو رجاء

محمد محيي الدين عبد الحميد

(١) من مطلع كتاب « سحر البلاغة وسر البراعة للثعالبي » .

يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ

فِي مَحَاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ

لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي
المتوفى في عام ٤٢٩ من الهجرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خير ما بدىء به الكلام وختم ، وصلى الله على النبي المصطفى وآله وسلم^(١) .

أما بعد ، فإن محاسن أصناف الأدب كثيرة ، ونكتها قليلة ، وأنوار الأقاويل موجودة ، وثمارها عزيزة^(٢) وأجسام النثر والنظم جمّة ، وأرواحهما نزرّة^(٣) ، وقشورهما معرضة ، ولبوبهما معوزة^(٤) . ولما كان الشعر عمدة الأدب^(٥) ، وعلم العرب الذي اختصت به [عن] سائر الأمم ، ولبسانهم جاء كتاب الله المنزل ، على النبي منهم المرسل ، صلوات الله عليه وآله وسلم^(٦) ، كانت أشعار

(١) في جـ « وصلى الله على خير نبي أرسل » .

(٢) الأنوار : جمع نور - بفتح النون وسكون الواو - وهو الزهر ، أو الأبيض منه خاصة . وعزيزة : نادرة قليلة الوجود ، وفي جـ « غزيرة » ولا يوافق ما قبله ولا ما بعده .

(٣) جمّة : كثيرة . ونزرّة : قليلة .

(٤) تقول : عرضت الشيء فأعرض لي ، إذا أردت معنى أظهرته فظهر لي ويرز ، وهو من نوادر اللغة ، ونظيره كيبته فأكب . وأنت عارض والشيء معرض ، أي ظاهر بارز . واللبوب : جمع لب - بضم اللام - وهو من النخل والجوز واللوز ونحوها : ما في جوفها ، وقد غلب على ما يؤكل داخله ويرمى خارجه .

(٥) في جـ « محمّدة الأدب » .

(٦) في جـ « صلوات الله وسلامه عليه » .

الإسلاميين أرق من أشعار الجاهليين ، وأشعار المحدثين [اللطف من أشعار المتقدمين ، وأشعار المولدين أبدع من أشعار المحدثين] ، وكانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن ، وأنظم للطائف البدائع من أشعار سائر المذكورين ؛ لانتهاؤها إلى أبعد غايات الحسن ، وبلوغها أقصى نهايات الجودة والظرف ، تكاد تخرج من باب الإعجاب إلى الإعجاز ، ومن حد الشعر إلى السحر ، فكان الزمان ادخر لنا من نتائج خواطريهم ، وثمرات قرائحهم ، وأبكار أفكارهم أتم الألفاظ والمعاني استيفاء لأقسام البراعة ، وأوفرها نصيباً من كمال الصنعة ، ورونق الطلاوة .

وكذلك قد ساد النبي محمد كل الأنام وكان آخر مرسل^(١)

وقد سبق مؤلفو الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم ، فكم من كتاب فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه ، لا يشينه الآن إلا نبو العين من إخلاق جدته ، وبلى بردته ، ومع السمع لمردداته ، وملاحة القلب من مكرراته . وبقيت محاسن أهل العصر التي معهاروا الحدائة ، ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد ، غير محصورة بكتاب يضم نشرها ، وينظم شذرها^(٢) ، ويشد أزرها ، ولا مجموعة في مصنف يقيد شواردها ، ويخلد فوائدها ، وقد كنت تصديت لعمل ذلك في سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، والعمرفي إقباله ، والشباب بمائه ، فافتتحته باسم بعض الوزراء مجرياً إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب إلى ذوي الأخطار^(٣) والرتب ، ومقيماً ثمار الورق ، مقام نثار الورق ، وكتبته في مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه ، ولا تتسع لتوفية شرطه ،

(١) في م « ولذاك قد ساد » .

(٢) ينظم : يجمع . والشذر - بفتح الشين وسكون الذال - المتفرق المتبدد .

(٣) الأخطار : جمع خطر - بفتحين - وأراد به القدر العالي والمنزلة الرفيعة .

فارتفع كعجالة الراكب ، وقبسة العجلان ، وقضيت به حاجة في نفسي . وأنا لا أحسب المستعيرين يتعاورونه ، والمنتسخين يتداولونه ، حتى يصير من أنفس ما تشح عليه أنفس أدباء الإخوان ، وتسير به الركبان إلى أقاصي البلدان ، فتواترت الأخبار ، وشهدت الآثار ، بحرص أهل الفضل على غدره^(١) وعدهم إياه من فرص العمر وغرره^(٢) واهتزازهم لزهرة ، واقتفارهم لفقره^(٣) ، وحين أعرته على الأيام بصري ، وأعدت فيه نظري ، تبينت مصداق ما قرأته في بعض الكتب : أن أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه ، هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عدة ؟

ورأيتني أحاضر بأخوات كثيرة لما فيه وقعت بأخرة إلى^(٤) ، وزيادات جملة [عليه] حصلت من أفواه الرواة لدي . فقلت : إن كان لهذا الكتاب محل من نفوس الأدباء ، وموقع من قلوب الفضلاء ، كالعادة فيما لم يقرع من قبل أذانهم ، ولم يصفاح أذهانهم ، فلم لا أبلغ به المبلغ الذي يستحق حسن الإجماد ، ويستوجب من الاعتداد أوفر الأعداد ؟ ولم لا أبسط فيه عنان الكلام ، وأرمي في الإشباع^(٥) والاتمام هدف المرام ؟ فجعلت أبنيه وأنقصه ، وأزيدة وأنقصه ، وأمحوه وأثبته ، وأنتسخه ثم أنسخه ، وربما أفتحه ولا أختتمه ، وأنتصفه فلا أستتمه ، والأيام تحجز ، وتعد ولا تنجز ، إلى أن أدركت عصر السن والحكمة^(٦) ، وشارفت

(١) الغدر - بضمين - جمع غدير ، وهو ما يتركه السيل من الماء .

(٢) الغرر - بضم ففتح - جمع غرة .

(٣) اقتفارهم : تتبعهم . تقول : اقتفر فلان الأثر ، وتقفره ، إذا تبعه . والفقر : جمع فقرة - بالكسر ، وبالفتح - وأصلها ما انتظم من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب ، وتستعار للجمل من الكلام البليغ .

(٤) في م « رأيتني أحاضر بأجواب كثيرة مما ينسب فيه وقعت بأخرة الى » .

(٥) في ج « وأرمي في الاتساع والاتمام » والمعنى واحد .

(٦) الحكمة - بضم الحاء وسكون النون - التجربة والخبرة . وتقول : حنكت السن الرجل - مخففاً من بابي نصر وضرب ، وبتشديد النون - إذا أحكمته التجربة وصيره الاختبار حكماً .

أوان الثبات والمسكة^(١) ، فاختلست لمعة من ظلمة الدهر ، وانتهزت رقدة من عين الزمان ، واغتمت نبوة من أنياب النوايب ، وخفة من زحمة الشوائب ، واستمررت في تقرير هذه النسخة الأخيرة ، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة ، بعد أن غيرت ترتيبها ، وجددت تبويبها ، وأعدت ترصيفها ، وأحكمت تأليفها . وصار مثلي فيها كمثل من يتأنق في بناء داره التي هي عشه ، وفيها عيشه ، فلا يزال ينقض أركانها ، ويعيد بنائها ، ويستجدها على أنحاء عدة ، وهيئات مختلفة ، ويستضيف إليها مجالس كالطواوس^(٢) ، ويستحدث فيها كنائس كالعرائس^(٣) ثم يقورها آخر الأمر قوراء توسع العين قرّة ، والنفس مسرة . ويدعها حسناء تخجل منها الدور ، وتتقاصر عنها القصور . فإن مات فيها مغفوراً له انتقل من جنة إلى أخرى ، وورد من جنة الدنيا على جنة المأوى .

فهذه النسخة الآن تجمع من بدائع أعيان الفضل ، ونجوم الأرض من أهل العصر ، ومن تقدمهم قليلاً وسبقهم سيراً ، ما لم تأخذ الكتب العتيقة غرره ، ولم تفتض عذره^(٤) ، ولم يتقص قدم العهد وتطاول المدة زبره^(٥) وتشتمل من نسج طباعهم ، وسبك أفهامهم ، وصوغ أذهانهم ، على الحلل الفاخرة الفائقة ، والحلى الرائقة الشائقة . وتتضمن من طرفهم^(٦) وملحهم لطائف أمتع من بواكير الرياحين والثمار ، وأطيب من فوح نسيم الأسحار ، بروائح الأنوار والأزهار ، ما

(١) المسكة - بضم الميم - الرأي ، والعقل الوافر يرجع إليه .

(٢) الطواوس : جمع طاووس ، وهو طائر هندي معروف يضرب به المثل في الحسن والحالة ، والطواوس أيضاً : الرجل الجميل ، والأرض المخضرة فيها كل ضرب من النبات .

(٣) الكنائس : جمع كناس - بكسر الكاف - وهو هنا بيت الطيبي الذي يستتر فيه وسط الشجر ، على التشبيه .

(٤) العذر - بضم ففتح - جمع عذرة - بالضم - وهي البكارة .

(٥) تقول : زبرت الكتاب أزبره زبراً - من بابي ضرب ونصر - إذا كتبه .

(٦) الطرف - بضم الطاء وفتح الراء - جمع طرفة وهي الشيء الطريف . ووقع في جـ ، م « ظرفهم » .

لم تتضمنه النسخة السائرة الأولى .

والشرط في هذه الأخرى إيراد لب اللب ، وحة القلب ، وناظر العين ،
ونكتة الكلمة ، وواسطة العقد ، ونقش الفص ، مع كلام في الإشارة إلى النظائر
والأحاسن والسرقات ، وأخذ في طريق الاختصار ، ونبذ من أخبار المذكورين ،
وغرر من فصوص [فصول] المترسلين ، يميل إلى جانب الاقتصار . فإن وقع في
خلال ما أكتبه البيت والبيتان - مما ليس من أبيات القصائد ، ووسائط القلائد -
فلأن الكلام معقود به ، والمعنى لا يتم دونه^(١) ولأن ما يتقدمه^(٢) أو يليه مفتقر
إليه ، أو لأنه شعر ملك أو أمير أو وزير أو رئيس خطير ، أو إمام من أهل الأدب
والعلم كبير . وإنما ينفق^(٣) مثل ذلك بالانتساب إلى قائله ، لا بكثرة طائله .

وخير الشعر أكرمه رجالاً وشرّ الشعر ما قال العبيدُ
وإن أخرجت متقدماً فعذري فيه أن العرب قد تبدأ بذكر الشيء والمقدم غيره ،
كما قال الله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾^(٤) وقال
تعالى : ﴿ يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾^(٥) وكما قال حسان
ابن ثابت : وذكر بني هاشم [من الطويل] :

بها ليلٌ منهم جعفرٌ وابن أمّه عليٌّ ، ومنهم أحمدُ المتخيرٌ
وكما قال الصلتان العبدي [من المتقارب] :

فملّتنا أننا مسلمون على دين صديقنا والنبيِّ

(١) في جـ « لا يتم بدونه » .

(٢) في جـ « أو أن ما يتقدمه - الخ » .

(٣) في جـ ، م « ينفق » محرفاً عما أثبتناه ، وينفق - بالنون - مضارع نفقت السلعة تنفق - من باب نصر -
نفاقاً ، إذا راجت ورغب فيها .

(٤) من الآية ٢ من سورة التغابن ، وفيها تقديم الكافر في الذكر على المؤمن .

(٥) من الآية ٤٣ من سورة آل عمران ، وفيها تقديم السجود في الذكر على الركوع .

وإن قدمت متأخراً فسيبيله على ما قال إبراهيم الموصلي لمسرور ، وقد تقدمه في المسير : إن تقدمتك كنت مطرماً لك (١) ، وإن تأخرت فلحق الخدمة .

وقال أبو محمد المزني للملك نوح في مثل تلك الحال : إن تقدمت فحاجب ، وإن تأخرت فذاك واجب .

ثم إن هذا الكتاب المقرر ينقسم إلى أربعة أقسام : يشتمل كل قسم منها على أبواب وفصول :

القسم الأول : في محاسن أشعار آل حمدان ، وشعرائهم ، وغيرهم من أهل الشام وما يجاورها ومصر والموصل [والمغرب] ولمع من أخبارهم .

القسم الثاني : في محاسن أشعار أهل العراق ، وإنشاء الدولة الديلمية من طبقات الأفاضل ، وما يتعلق بها من أخبارهم ونواديرهم ، وفصوص من فصول المترسلين منهم .

القسم الثالث : في محاسن أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان [وأصفهان] من وزراء الدولة الديلمية وكتابها وقضاتها وشعرائها وسائر فضلائها ، وما ينضاف إليها من أخبارهم وغرر ألفاظهم .

القسم الرابع : في محاسن [أشعار] أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدولة السامانية والغزنية ، والطارئین على الحضرة ببخارى من الأفاق ، والمتصرفين على أعمالهم ، وما يستطرف من أخبارهم ، وخاصة أهل نيسابور

(١) طرقت لك - بتشديد الراء - فانا مطرماً لك : أي جعلت لك طريقاً . وأصله قولهم : طرقت فلان لابله .

والغرباء الطارئين عليها والمقيمين بها .

وفيما لم يقع إليّ من جنس هذا الكتاب كثرة ، ولعله يزيد على ما حصل لدي ، ومن يقدر على حصر الأنفاس وضبط بنات الأفكار ؟ وفي الزوايا خبايا ، ولا نهاية للخواطر ، ولا منقطع لمواد المحاسن ، وما على المؤلف إلا جهده ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

القسم الأول

في محاسن أشعار آل حمدان، وشعرائهم ، وغيرهم من أهل الشام ، وما
يجاورها من مصر والموصل ، ولمع من أخبارهم ، وفيه عشرة أبواب .

الباب الأول ، [من القسم الأول]

في فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان
وذكر السبب في ذلك

لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها ، في الجاهلية والإسلام ، والكلام يطول في ذكر المتقدمين منهم ، فأما المحدثون فخذ إليك منهم العتابي . ومنصوراً النمري ، والأشجع السلمي^(١) ومحمد بن زرعة الدمشقي ، وربيعة الرقي . على أن في الطائيين^(٢) اللذين انتهت إليهما الرئاسة في هذه الصناعة كفاية ، وها هما .

ومن مولدي أهل الشام المعوج الرقي ، والمريمي ، والعباسي المصيصي ، وأبو الفتح كشاجم ، والصنوبري ، وأبو المعتصم الأنطاكي ، وهؤلاء رياض الشعر، وحدائق الظرف .

فأما العصريون ففيما أسوقه من غرر أشعارهم أعدل الشهادات على تقدم أقدامهم .

والسبب في تبريز القوم قديماً وحديثاً على من سواهم في الشعر : قربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة ألسنتهم

(١) اتفقت الأصول على ذكر هذا العلم مقترناً « بال » ودخول « أل » عليه للمح أصله كدخولها في الفضل والعباس والحارث .

(٢) أراد بالطائيين : أبا تمام حبيب بن أوس وأبا عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري .

من الفساد العارض لألسنة أهل العراق لمجاورة الفرس والنبط ، ومدخلتهم إياهم ، ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ، ورزقوا ملوكاً وأمراء من آل حمدان وبنو ورقاء هم بقية العرب ، والمشغوفون بالأدب ، والمشهورون بالمجد والكرم ، والجمع بين أدوات السيف والقلم ، وما منهم إلا أديب جواد ، يحب الشعر وينتقده ، ويثيب على الجيد منه فيجزل ويفضل - انبعثت^(١) قرائحهم في الإجابة ، فقادوا محاسن الكلام بألين زمام ، وأحسنوا وأبدعوا ما شاءوا .

وأخبرني جماعة من أصحاب الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد أنه كان يعجب بطريقتهم المثلى ، التي هي طريقة البحتري في الجزالة والعدوبة . والفصاحة والسلاسة ، ويحرص على تحصيل الجديد من أشعارهم ، ويستلمي الطارئين عليه من تلك البلاد ما يحفظونه من تلك البدائع واللطائف ، حتى كسر دفترأ ضخم الحجم عليها^(٢) ، وكان لا يفارق مجلسه ، ولا يملأ أحد منه عينه غيره ، وصار ما جمعه فيه على طرف لسانه ، وفي سن قلمه ، فطوراً يحاضر به في مخاطباته ومحاوراته ، وتارة يحله أو يورده كما هو في رسائله ، فمن ذلك قول القائل [من الطويل] :

سلامٌ على تلك المعاهد إنَّها شريعة وردي أو مهبٌ شمالي^(٣)
ليالي لم نحذرُ حزون قطيعةٍ ولم نمش إلا في سهول وصال^(٤)
فقد صرت أرضى من سواكن أرضها بخلب برقٍ أو بطيف خيال^(٥)

(١) « انبعثت » هذا جواب لما في قوله « ولما جمع شعراء أهل الشام الخ » .
(٢) تقول : كسرت الكتاب على عدّة أبواب بتشديد السين - إذا كنت قد جعلته عدّة أبواب .
(٣) شريعة وردي : أي مكان ورودي الماء لنهله ، ومهبٌ شمالي : أي الريح الشمالية الباردة .
(٤) الحزون : الأرض الصعبة المسالك .
(٥) خلب برق : أي البرق اللامع الغير مصحوب بالمطر .

وقول الآخر [من الوافر] :

إذا دنت المنازل زاد شوقي ولا سيمًا إذا بدت الخيام^(١)
فلمح العين دون الحيّ شهرٌ ورجع الطرف دون السير عامٌ

وقول الآخر [من الخفيف] :

فسقى الله بلدةً أنت فيها كدموعي عند اعتراض الفراقِ
وأرائيك فالصبا قد ترقّت يا بروحي إلى أعالي التراقي^(٢)

وقول الآخر [من الطويل] :

ووالله لا فارقت عقدة ودهٍ ولا حلت ما عمّرت عن حفظ عهده^(٣)
ولا بدّ أنّ الدهر كاشف أهله ويظهر للمولى موالاة عبدهِ

وكان أبو بكر الخوارزمي في ريعان عمره ، وعنفوان أمره ، قد دوخ بلاد الشام ، وحصل من حضرة سيف الدولة بحلب في مجمع الرواة والشعراء ، ومطرح الغرباء الفضلاء ، فأقام ما أقام بها مع أبي عبد الله بن خالويه ، وأبي الحسن الشمشاطي ، وغيرهما من أئمة الأدباء ، وأبي الطيب المتنبّي ، وأبي العباس النامي ، وغيرهما من فحول الشعراء^(٤) ، بين علم يدرسه ، وأدب يقتبسه ، ومحاسن ألفاظ يستفيدها ، وشوارد أشعار يصيدها ، وانقلب عنها وهو أحد أفراد الدهر ، وأمراء النظم والنثر ، وكان يقول : ما فتق قلبي ، وشحد فهمي ، وصقل ذهني ، وأرهف حد لساني ، وبلغ هذا المبلغ بي ، إلا تلك الطوائف

-
- (١) لاسيما : هي هنا بتخفيف الياء مفتوحة مثلها في قول الشاعر وهو من شواهد النحاة في العقود والإيمان لا سيما عقد وفاء به من أعظم القرب
(٢) التراقي : جمع ترقوة وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .
(٣) لا حلت : لا تغيّرت وتراجعت .
(٤) لفحول : جمع فحل ، وأصله الذكر من كلّ حيوان ويطلق على الراوي وعلى الشاعر الذي يغلب على كلّ شاعر يعارضه أو يفضل عليه .

الشامية ، واللطائف الحلبية التي علقت بحفظي ، وامتزجت بأجزاء نفسي ،
وغصن الشباب رطيب ، ورداء الحدائة قشيب ، وما كان أكثر ما ينشدني ويكتبني
مما يضمن به على غيري من تلك الغرر التي تجري مجرى السحر والملح التي يقطر منها
ماء الظرف ، وأنا أكتبها في أماكنها من أبواب هذا القسم الأول ، بمشيئة الله
تعالى .

وممن خرجته تلك البلاد ، وأخرجته ، وكلامه مقبول محبوب ، آخذ
بمجامع القلوب : القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني ، فإنه جنى
ثمارها ، واستصحب أنوارها ، حتى ارتقى إلى المحل العلي ، وتطبع بطبع
البحثري .

* * *

الباب الثاني

١ - في ذكر سيف الدولة أبي الحسن

علي بن عبد الله بن حمدان^(١)

وسياق قطعة من أخباره ، وملح من أشعاره

كان بنو حمدان ملوكاً وأمراء أوجههم للصبحا ، وألستهم للفصاحة ، وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة ، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ، وواسطة قلاذتهم^(٢) وكان - رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه ! - غرة الزمان ، وعماد الإسلام ، ومن به سداد الثغور^(٣) ، وسداد الأمور ، وكانت وقائعه في عصاة العرب تكف^(٤) بأسها [وتنزع لباسها] وتفلّ أنيابها ، وتذل صعابها ، وتكفي الرعية سوء آدابها . وغزواته تدرك من طاغية الروم الثار ، وتحسم شرهم المثار ، وتحسن في الإسلام الآثار . وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود ، وقبلة الآمال ، ومحط الرحال ، وموسم الأدباء ، وحلبة الشعراء ، ويقال : إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك - بعد الخلفاء - ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ، ونجوم الدهر ، وإنما السلطان سوق يجلب إليها ، ما ينفق لديها . وكان أديباً شاعراً محباً لجيد الشعر ، شديد الاهتزاز لما يمدح به ،

(١) أنظر ترجمة سيف الدولة في ابن خلكان (٦٦ / ٢ النيل) .

(٢) القلاذة : العقد ، وما تضعه الفتاة في جيدها من حلي وغيرها .

(٣) سداد الثغور : حمايتها وقوتها .

(٤) تكفّ : تمنع وتدفع وتصرف .

فلو أدرك ابن الرومي زمانه لما احتاج إلى أن يقول [من الكامل] :

ذهب الذين تهزهم مدأحهم هز الكماة عوالي المران^(١)
كانوا إذا امتدحوا رأوا ما فيهم ملأريحية منهم^(٢) بمكان^(٣)
وكان كل من أبي محمد عبد الله بن محمد الفياض الكاتب ، وأبي الحسن علي
بن محمد الشمشاطي ، قد اختار من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف
بيت ، كقول أبي الطيب المتنبي [من الطويل] :

خليليّ إنني لا أرى غير شاعرٍ فلم منهم الدعوى ومني القصائد^(٤)
فلا تعجبا إنّ السيوف كثيرةٌ ولكنّ سيف الدولة اليوم واحدٌ
له من كريم الطبع في الحرب متتضٍ ومن عادة الإحسان والصفح عامد^(٥)
ولما رأيت الناس دون محله تيقنت أنّ الدهر للناس ناقد^(٦)
ومن القصيدة المرقومة :

فلم يبق إلا من حماها من الظبا لمى شفتيها والثديّ النواهد^(٧)
تبكي عليهنّ الباطريق في الدجى وهنّ لدينا ملقيات كواسد
بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قومٍ عند قوم فوائد

(١) العوالي : جمع عالية ، وهي أعلى القناة أو رأسها الذي يلي السنان ، والمران : بضم الميم وتشديد
الراء ، شجرٌ باسق أوراقه كأوراق التوت ومنه تتخذ الرماح .

(٢) ملأريحية : أراد من الأريحية ، والعرب تحذف نون من الجارة إذا اضطرت إلى ذلك في الشعر وقد
ورد ذلك في أبيات كثيرة منها :

نحن قومٌ ملجنّ في زيّ ناسٍ فوق طيرٍ لها شخوص الجبال

(٣) هذه الأبيات والتي بعدها في الديوان (١ / ٢٧١ / ٢٧٥) .

(٤) متتضٍ : انتضى السيف ، شهره واستلته من الغمد ، وغمد السيف : حيث يوضع ، قرابه ،
وجفنه .

(٥) ناقد : خبير ، يعرف من يختار للسيادة وكبار المهام .

(٦) اللّمي : سمرة محبوبة في الشفة .

ومن شرف الإقدام أنك فيهم
 وأن دماً أجرته بك فآخر
 وكل يرى طرق الشجاعة والندى
 نهبت من الأعمار ما لو حوته
 فأنت حسامُ الملك والله ضاربُ
 أحبك يا شمس الزمان وبدره
 وذلك لأن الفضل عندك باهرُ
 على القتل مرموقٌ كأنك شاكد^(١)
 وأن فؤاداً رعته لك حامد
 ولكن طبع النفس للنفس قائد
 لهنت الدنيا بأنك خالد
 وأنت لواء الدين والله عاقد
 وإن لا مني فيك السهى والفرأقد^(٢)
 وليس لأن العيش عندك بارد

وكقول السري بن أحمد الموصلِي [من الوافر] :

أعزمتك الشهاب أم النهارُ
 خلقت منيةً ومنىً فأضحت
 تحلّي الدين أو تحمي حماه
 سيوفك من شكاة الثغر برءُ
 وكفّاك الغمام الجون يسري
 ويمينٌ من سجيتها المنايا
 حضرنا والملوك له قيامُ
 وزرنا منه ليث الغاب طلقاً
 فكان لجوهر المجد انتظامُ
 أراحتك السحاب أم البحار^(٣)
 تمور بك البسيطة أو تمار^(٤)
 فأنت عليه سورٌ أو سوار
 ولكن للعدى فيها بوار^(٥)
 وفي أحشائه ماءً ونار^(٦)
 ويسري من عطيتها اليسار^(٧)
 تغضُّ نواظراً فيها انكسار
 ولم نر قبله ليثاً يُزار
 وكان لجوهر المدح انتشار^(٨)

(١) مرموق : محبوب ، والمقة : الحب ، والشاكد : المعطي .

(٢) السهى والفرأقد : النجوم والأقمار .

(٣) الراح : الكف الذي يكون به العطاء « راحة اليد » .

(٤) تمور : تموج وتضطرب .

(٥) البوار : الهلاك .

(٦) الجون : من الأضداد يطلق على الأسود والأبيض .

(٧) سجيتها : طبيعتها ، والمنايا : الحتوف ، واليسار : من اليسر .

(٨) انتظامٌ : من نظم الجواهر أي سلكتها في عقد واحد .

فعثت مخيراً لك في الأمانى
وكان على العدو لك الخيار
فضيفك للحيا المنهل ضيفاً
وجارك للربيع الطلق جاراً^(١)

وكقول أبي فراس الحارث بن سعيد [من البسيط] :

أشدة ما أراه فيك أم كرم
يا باذل النفس والأموال مبتسماً
لقد ظننتك بين الجحفلين ترى
نشدتك الله لا تسمح بنفس علاً
إذا لقيت رفاق البيض منفرداً
تفدي بنفسك أقواماً صنعتهمو
من ذا يقاتل من تلقى القتال به
تضن بالطعن عناضن ذي بخل
لا تبخلن على قوم إذا قتلوا
ألبست ما لبسوا أركبت ما ركبوا
هم الفوارس في أيديهم أسل^(٢)

تجود بالنفس والأرواح تصطلم^(٣)
أما يهولك لا موت ولا عدم؟
أن السلامة من وقع القنا تصم^(٤)
حياة صاحبها تحيا بها أمم
تحت العجاج فلم تستكشر الخدم
وكان حقهم أن يفتدوك هم^(٥)
وليس يفضل عنك الخيل والبهم^(٦)
ومنك في كل حال يعرف الكرم
أثنى عليك بنو الهيجاء دونهم
عرفت ما عرفوا علمت ما علموا
فإن رأوك فأسد والقنا أجم^(٧)

وكقول أبي العباس بن محمد النامي [من الوافر] :

خلقت كما أردتك المعالي
فأنت لمن رجاك كما يريد

(١) الحيا المنهل : المطر المتصبب .

(٢) تصطلم : تزهق ، وتقطع من أصولها .

(٣) الجحفل : الجيش الجرار ، والقنا : جمع قناة وهي من أدوات الحرب ، وتصم : مضارع وصم : أي غير .

(٤) يفضل عنك : يبقى بعد ما قتلت ، والبهم جمع بهمة وهو الفارس المتغطي بسلاحه وأدواته ، يريد : إذا كنت أنت تقتل جيش الأعداء وحدك فوارسه وأفراسه فيجيشك الذي أخرجته معك لتلقى به العدو لن يجد واحداً من فرسانه كيما يقتله .

(٥) الأسل : الرماح ، والأجم جمع أجمة ، وهي الغابة تكون مأوى السباع .

عجيبٌ أن سيفك ليس يروى وسيفك في الوريد له ورود^(١)
وأعجب منه رمحك حين يسقى فيصحو وهو نشوانٌ يميد^(٢)

وكقول أبي الفرج البيغاء [من الطويل] :

نداك إذا ضنّ الغمام غمام وعزمك إن فلّ الحسام حسام^(٣)
فهذا ينيل الرزق وهو ممنعٌ وذاك يردُّ الجيش وهو لهام^(٤)
ومن طلب الأعداء بالمال والظبا وبالسعد لم يبعد عليه مرام

وكقول أبي الفرج الوأواء [من المنسرح] :

من قاس جدواك بالسحاب فما أنصف بالحكم بين شكلين^(٥)
أنت إذا جدت ضاحكٌ أبداً وهو إذا جاد دامع العين

وكقول أبي نصر بن نباتة وهو من شعراء العراق [من البسيط] :

حاشاك أن تدعيك العرب واحدها يا من ثرى قدميه طينة العرب
فإن يكن لك وجهٌ مثل أوجههم عند العيان فليس الصفر كالذهب^(٦)
وإن يكن لك نطقٌ مثل نطقهم فليس مثل كلام الله في الكتب

وكانت غمائم جوده تفيض ، ومآثر كرمه تستفيض ، فتؤرخ بها أيام المجد ، وتخلد
في صحائف حسن الذكر .

* * *

(١) ليس يروى : أي يظلّ ظمآنًا على كثرة ما يشرب من دم الأعداء .

(٢) يميد : يتحرك ويضطرب يميناً وشمالاً .

(٣) ضنّ : بخل ، وفلّ الحسام : تكسرّ حده .

(٤) لهام : كثير ضخم .

(٥) جدواك : عطاياك .

(٦) الصفر : بضمّ وسكون الفاء : النحاس لأن لونه أصفر .

أيكم يجيز قولي ، وليس له إلا سيدي (يعني أبا فراس) [من الخفيف] :

لك جسمي تعلُّه فدمي لم تُحلِّه^(١)
لك من قلبي المكا ن فلم لا تحلُّه

فارتجل أبو فراس ، وقال :

أنا إن كنت مالكاً فلي الأمر كله

فاستحسنه وأعطاه ضيعةً بمنيج تغل ألفي دينار .

واستشهد سيف الدولة يوماً أبا الطيب المتنبي قصيدته التي أولها [من

الطويل] :

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ وتأتي على قدر الكرام المكارم

وكان معجباً بها كثير الاستعادة لها ، فاندفع أبو الطيب المتنبي ينشدها ، فلما بلغ

قوله فيها :

وقفت وما في الموت شكٌ لواقفٍ كأنك في جفن الردى وهو نائمٌ

تمرُّ بك الأبطال كلمي هزيمةً ووجهك وضاحٌ وثغرك باسمٌ

قال : قد انتقدنا عليك هذين البيتين ، كما انتقد على امرئ القيس بيتاه

[من الطويل] :

كأني لم أركبُ جواداً للذِّة ولم أتبطنُ كاعباً ذات خلخال^(٢)

ولم أسبأ الزقَّ الرويَّ ولم أقلُّ لخليي كرى كرىً بعد إجفال^(٣)

(١) تعلُّه : تمرضه ، وتحلُّه : أي تستحلُّ سفكه .

(٢) أتبطن : أعلو ، والكاعب : الفتاة الناهد .

(٣) أسبأ : اشترى ، الزق : دن الخمر ، الروي : المملوء والإجفال : الإنهزام في سرعة .

وبيتاك لا يلتئم شطراهما ، كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين ، وكان ينبغي
لامرئ القيس أن يقول :

كأنِّي لم أركب جواداً ولم أقلُ لخليسي كَرِّي كَرَّةً بعد إجحاف
ولم أسبأ الزق الروي للذِّق ولم أتبطَّنْ كاعباً ذات خلخال
ولك أن تقول :

وقفت وما في الموت شكٌ لواقفٍ ووجهك وضاحٌ وثغرك باسم
تمرُّ بك الأبطال كلمي هزيمةً كأنك في جفن الردى وهونائم

فقال : أيد الله مولانا ! إن صح أن الذي استدرك على امرئ القيس هذا
كان أعلم بالشعر منه ، فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعلم ان الثوب
لا يعرفه البراز معرفة الحائك ، لأن البراز يعرف جملته ، والحائك يعرف جميلته
وتفاريقه ، لأنه هو الذي أخرجه من الغزلية الى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة
النساء بلذة الركوب للصيد ! وقرن السماحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة
في منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى - وهو
الموت - ليجانسه ، ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ،
وعينه من أن تكون باكية ، قلت * ووجهك وضاح وثغرك باسم * لأجمع بين
الأضداد في المعنى ، وإن لم يتسع اللفظ لجمعها . فأعجب سيف الدولة بقوله ،
ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات ، وفيها خمسمائة دينار .

وكان أبو بكر وأبو عثمان الخالديان من خواص شعراء سيف الدولة ، فبعث
إليهما مرة وصيفة ووصيفا ، ومع كل واحد منهما بدرة^(١) وتخت من ثياب مصر ،
فقال أحدهما من قصيدة طويلة ، وهي [من الكامل] :

لم يغد شكرك في الخلائق مطلقاً إلاً ومالك في النّوال حبيسُ

(١) البدره : صرة أو كيس توضع فيه الدراهم .

خوگتئا شمساً وبدراً أشرت
 رشأً أتانا وهو حسناً يوسف
 هذا ، ولم تقنع بذاك وهذه
 أتت الوصيفة وهي تحمل بكرة
 وبررتنا مما أجادت حوكه
 فعدا لنا من جودك المأكول وال

فقال له سيف الدولة : أحسنت إلا في لفظه « المنكوح » ، فليست مما
 يخاطب بها الملوك ، وهذا من عجيب نقده .

حكى أبو إسحق إبراهيم بن هلال الصابي ، قال : طلب مني رسول سيف
 الدولة - وكان [قد] قدم إلى الحضرة - شيئاً من شعري ، وذكر أن صاحبه رسم له
 ذلك ، فدافعته أياماً ، ثم ألح علي وقت الخروج فأعطيته هذه الثلاثة الأبيات ،
 وهي [من الكامل] :

إن كنت خنتك في الأمانة ساعة
 وزعمت أن له شريكاً في العلا
 فذممت سيف الدولة المحمودا
 وجحدته في فضله التوحيدا
 قسماً لو أنني حالف بغموسها
 لغريم دين ما أراد مزيداً^(٤)

[وقال] فلما عاد الرسول إلى الحضرة ، ودخلت عليه مسلماً ، أخرج لي
 كيساً بختم سيف الدولة مكتوباً عليه اسمي ، وفيه ثلاثمائة دينار .

* * *

(١) الخنديس : من الخنديس ، وهو الليل الشديد الظلمة .

(٢) الوصيفة : الجارية ، والوصيف : الخادم .

(٣) بررتنا : من البر وهو المعروف والعطاء . والحوك : النسج ، تنيس : مدينة بمصر اشتهرت
 بالنسج .

(٤) الغموس : يقال الغموس النجم أي غاب وغمست الطعنة : أي اخترقت المطعون .

نُبذ من ذكر وقائعه وغزواته

حدث أبو عبد الله الحسين بن خالويه ، قال : لما كانت الشام بيد الإخشيدي محمد محمد بن طغج سار إليها سيف الدولة فافتتحها ، وهزم عساكره عن صفين ، فقال له المتنبي [من الكامل] :

يا سيف دولة ذي الجلال ومن له خير الخلائف والأنام سمي^١
أو ما ترى صفين كيف أتيتها فانجاب عنها العسكر الغربي^(١)
فكأنه جيش ابن حرب رعته حتى كأنك يا علي^٢ علي^(٢)

وقال أبو فراس من قصيدة طويلة [من الطويل] :

أتى الشام لما استذاب البهْم واغدت بها أنؤب البيداء وهي قساور^(٣)
فثقف مناداً ، وأصلح فاسدً وذلل جباراً ، وأذعر ذاعر^(٤)

وكان ظهر رجل في الغرب يعرف بالمبرقع يدعو الناس إلى نفسه ، والتفت عليه القبائل ، وافتتح مدائن من أطراف الشام ، وأسر أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان ، وهو خليفة سيف الدولة على حمص ، وألزمه شراء نفسه بعدد من الخيل وجملة من المال ، فأسرع سيف الدولة من حلب يغذ^(٥) السير حتى لحقه في اليوم الثالث بنواحي دمشق ، فأوقع به ، وقتله ، ووضع السيف في أصحابه ، فلم ينج إلا من سبق فرسه ، وعاد سيف الدولة إلى حلب ومعه أبو وائل ، وبين يديه رأس

(١) انجاب : انهزم وتراجع وانكشف .

(٢) ابن حرب : معاوية بن أبي سفيان ، وعلي الأول : سيف الدولة وعلي الثاني : الإمام علي بن أبي طالب .

(٣) البهْم : بفتح الباء وسكون الهاء : صغار أولاد الضأن ، والقساور : جمع قسورة ، وهو الأسد .

(٤) ثقف : قوم وعدل ، والمناد : المنحني المنعطف ، وذلل : أخضع ، وأذعر : أخيف وأفرع .

(٥) يغذ : يسرع .

الخارجي على رمح ، فقال أبو فراس يذكر ذلك [من الطويل] :

وأنقذ من مسّ الحديد وثقله أبا وائل ، والدهر أجدع صاغراً^(١)
وآب ورأس القرمطيّ أمامه له جسدٌ من أكعب الرمح ضامر^(٢)
وهذا من أحسن ما قيل في الرأس المصلوب على الرمح .

[ول بعضهم في مثل ذلك] [من البسيط] :

وعاد لكنّه رأسٌ بلا جسدٍ يسري ، ولكن على ساقٍ بلا قدم
وقال أبو الطيب في خلاص أبي وائل [من المتقارب] :

ولو كنت في أسر غير الهوى ضمنت ضمان أبي وائل^(٣)
فدى نفسه بضمن النضار وأعطى صدور القنا الذابل^(٤)
ومناهم الخيل مجنوبةً فجئن بكلّ فتىّ باسل^(٥)
كانّ خلاص أبي وائلٍ معاودة القمر الأفل
دعا فسمعت وكم ساكت على البعد عندك كالقائل
فلبّيته بك في جحفلٍ له ضامنٌ وبه كافل
وعدت إلى حلبٍ ظافراً كعود الحلبيّ إلى العاطل^(٦)

وكان سيف الدولة اصطنع بني كلاب ، وأدناهم ، وآمن سربهم^(٧) ، فقهروا

(١) أجدع : أي ذليل .

(٢) آب : رجع ، وضامر : هزيل .

(٣) أسر : قيود .

(٤) النضار : الذهب الخالص ، القنا : يريد الرمح ، والذابل : الدقيق .

(٥) المجنوبة : السلسلة القياد .

(٦) العاطل : يقال جيد عاطل ، أي خالٍ من الحلبيّ .

(٧) يقال « فلان آمن في سربه » بكسر السين وسكون الراء - أي آمن في حرمه وعياله ، وهو مستعار من

سرب الظباء والبقر الوحشي والقطا ، أي جماعتها .

العرب وعلت كلمتهم ، إلى أن بدرت منهم جفوة أحفظته^(١) فأسرى إليهم ، وأوقع بهم ، وملك حرمهم وأموالهم ، ثم صفح عنهم وكرم ، وجمع الحرم ، ووكل بهن الخدم وأفضل عليهن ، وأحسن إليهن ، فقال أبو الطيب من قصيدة [من الوافر] :

فعدن كما أخذن مكرّماتٍ عليهن القلائد والملاب^(٢)
 يثبنيك بالذي أوليت شكراً وأين من الذي تولي الثواب؟
 وليس مصيرهنّ إليك شيئاً ولا في صونهنّ لديك عاب^(٣)
 ولا في فقدهنّ بنسي كلابٍ إذا أبصرن غرتك اغتراب
 وكيف يتمّ بأسك في أناسٍ تصيهم فيؤلمك المصاب
 ترفقُ أيها المولى عليهم فإنّ الرفق بالجاني عتاب

هذا كلام مالحسنه غاية .

وعين المخطئين هم ، وليسوا بأول معشرٍ خطئوا فتابوا
 وأنت حياتهم غضبت عليهم وهجر حياتهم لهم عقاب
 وما جهلت أياديك البوادي ولكن ربّما خفي الصواب
 وكم ذنبٍ مولده دلالٌ وكم بعد مولده اقتراب
 وجرمٍ جرّه سفهاء قومٍ وحلٌّ بغير جارمه العذاب^(٤)

كأنما اقتبسه من قول الله سبحانه : ﴿ أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ﴾^(٥) [ونحو من

هذا قول زياد في خطبته البتراء « والله لأخذن المحسن بالمسيء »]

ولو غير الأمير غزا كلاباً ثناه عن شموههم ضبابٌ

(١) أحفظته : أغضبته وأحقتته .

(٢) الملاب : بفتح الميم ، كلّ عطرٍ مائع ، وهو فارسي الأصل .

(٣) الشين : العيب والنقص .

(٤) الجرم : الذنب ، وجارمه : مقترفه .

(٥) من الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

وما أحسن ما كُنِّي عن الحرم بالشموس ، وعن المحاماة دونهم بالضباب .

ولكن ربهم أسرى إليهم فما نفع الوقوف ولا الذهابُ
كذا فليسر من طلب المعالي ومثل سراك فليكن الطلابُ

وكتب إليه أبو فراس في تلك الحال يداعبه [من المتقارب] :

وما أنس لا أنس يوم المغار محجبةً لفظتها الحجبُ
دعاك ذووها بسوء الفعال لما لا تشاء وما لا تحبُ
فوافتك تعثر في مرطها وقد رأت الموت من عن كذب^(١)
وقد خلط الخوف لمّا طلع ت دلّ الجمال بذلّ الرعب
تسرع في الخطو لا خفةً وتهتزّ في المشي لا من طرب
فلما بدت لك دون البيوت بدا لك منهن جيشٌ لجب^(٢)
وما زلت ، مذ كنت ، تأتي الجميل وتحمي الحریم وترعى الحسب
وتغضب حتى إذا ما ملكت أطعت الرضا وعصيت الغضب
فكنت حماهنّ إذ لا حمى وكنت أباهنّ إذ ليس أب
فولين عنك يفدينها ويرفعن من ذيلها ما انسحب
ينادين بين خلال البيو ت لا يقطع الله نسل العرب
أمرت وأنت المطاع الكريم ببذل الأمان وردّ النهب^(٣)
وقدرحن من مهجات القلوب بأوفر غنم وأعلى نشب^(٤)
فإن هنّ يا بن الكرام السراة رددن القلوب رددنا السلب^(٥)

(١) المرط : الثوب الطويل الذيل ، وكتب : هنا بمعنى القريب ، وقد استعمل « عن » هنا إسمياً بمعنى

الجهة فلذلك أدخل عليها « من » .

(٢) جيش لجب : أي ذو جلبية وصياح ، وذلك لكثرة عدده .

(٣) النهب : السلب .

(٤) النشب : المال وغيره من إبلٍ وخيل الخ ...

(٥) السراة : السادة الكرام .

وقال أيضاً يمدحه ويذكر نسوة بني كلاب [من البسيط] :

قد ضجّ جيشك من طول القتال به وقد شكتك إلينا الخيل والابلُ
وقد درى الروم مذ جاورت أرضهمُ أن ليس يعصمهم سهلٌ ولا جبلٌ^(١)
في كلِّ يوم تزور الثغر لا ضجرٌ يثنيك عنه، ولا شغلٌ، ولا ملل
فالنفس جاهدةٌ، والعين ساهرةٌ، والجيش منهمكٌ، والمال مبتذل
توهّمك كلابٌ غير قاصدها وقد تكفّك الأعداء والشغل
حتى رأوك أمام الجيش تقدمه وقد طلعت عليهم دون ما أملوا
فاستقبلوك بفرسانٍ أسّتها سود البراقع والأكوار والكلل^(٢)
فكنت أكرم مسئولٍ وأفضله إذا وهبن فلا منٌ ولا بخل

ويقال : إن سيف الدولة غزا الروم أربعين غزوة له وعليه ، فمنها أنه أغار على زبطرة وعرة وملطية ونواحيها فقتل وأحرق وسبى ، وانثنى قافلاً إلى درب موزار فوجد عليه قسطنطين بن فردس الدمستق فأوقع به وقتل صناديد رجاله ، وعقب إلى للدانه وقد تراجع من هرب منها فأعظم القتل وأكثر الغنائم ، و [قد] عبر الفرات إلى بلد الروم ، ولم يفعله أحد قبله ، حتى أغار على بطن هنزيط ، فلما رأى فردس بعد مغزاه وخلو بلاد الشام منه غزا نواحي انطاكية ، فأسرى سيف الدولة يطوي المراحل : لا ينتظر متأخراً ، ولا يلوي على متقدم ، حتى عارضه بمرعش ، فأوقع به وهزمه ، وقتل رؤوس البطارقة ، وأسرق قسطنطين بن الدمستق ، وأصابت الدمستق ضربة في وجهه ، وأكثر الشعراء في هذه الوقعة ، فقال أبو الطيب [من الطويل] :

لكلّ امرئٍ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

(١) يعصمهم : يمنعهم ويحميهم .

(٢) البراقع : أفنعة تستر بها النساء وجوهها . والأكوار : جمع كور وهو الرحل ، والكلل : الحالة .

وأن يكذب الإرجاف عنه بضدّه
وربّ مريدٍ ضرّه ضرّ نفسه

ومنها :

سريت إلى جيحان من أرض آمدٍ
فولّى وأعطاك ابنه وجيوشه
وما طلبت زرق الأسنة غيره
ولكنّ قسطنطين كان له الفدا

وقال أبو فراس [من الطويل] :

وآب بقسطنطين وهو مكبلٌ
وولّى على الرسم الدمستق هارباً
فدى نفسه بابنٍ عليه كنفه
وقد يقطع العضو النفيس لغيره
تحفٌ بطاريقٌ به وزرازرٌ^(١)
وفي وجهه عذرٌ من السيّف عاذر
وللشدة الصماء تقنى الذخائر^(٢)
وتدفع بالأمر الكبير الكبائر

وسار سيف الدولة لبناء الحدث - وهي قلعة عظيمة الشأن - فاشتد ذلك على ملك الروم ، فجمع عظماء أهل مملكته ، وجهزهم بالصليب الأعظم وعليهم فردس الدمستق ، ثائراً بابنه قسطنطين في عدد لا يحصى ، حتى أحاطوا بعسكر سيف الدولة ، والتهبت الحرب ، واشتد الخطب ، وساءت ظنون المسلمين ، ثم أنزل الله نصره ، فحمل سيف الدولة يخرق الصفوف طلباً للدمستق ، فولى هارباً ، وأسر صهره وابن بنته ، وقتل خلق كثير من الروم ، وأكثر الشعراء في هذه

(١) الإرجاف : الخوض في الأخبار السيئة والفتن .

(٢) الزرازر : جمع الزرزار ، وهو في الأصل الذكي الخفيف .

(٣) تقنى : تدخّر ، والدخائر : جمع ذخيرة ، وهو ما تدخّره لوقت الحاجة .

الوقعة ، فقال أبو الطيب وذكر الحدث [من الطويل] :

بناها فأعلى والقنا تفرع القنا
وكان بها مثل الجنون فأصبحت
تفيت الليالي كلَّ شيءٍ أخذتهُ
وذكر ولد الدمستق فقال :

وقد فجعته بابنه وابن صهره
مضى يشكر الأصحاب في فوته الظبا
 ويفهم صوت المشرفية فيهم
يسرّ بما أعطاك لا عن جهالةٍ
وبالصهر حملات الأمير الغواشم
بما شغلها هامهم والمعاصم^(١)
على أن أصوات السيوف أعاجم
ولكنّ مغنوماً نجا منك غانم

وقال السريّ في بناء الحدث [من البسيط] :

رفعت بالحدث الحصن الذي خفضت
أعدته عدوياً في مناسبة
فقد وفي عرضه بالبيد واعترضت
مصغ إلى الجو أعلاه فإنّ خفقت
كانّ أبراجه من كلّ ناحيةٍ
منه الحوادث حتى ذلّ جانبه
من بعد ما كان روميّاً مناسبة^(٢)
طولاً على منكب الشعري مناكبه
زهر الكواكب خلناها تخاطبه
أبراجها والدُّجى وحفّ غياهبه^(٣)

(١) القنا : يقصد بها السلاح وعدة الحرب . ، والمنايا : جمع منية ، وهي الموت ، ومتلاطم : أي

يزحم بعضه بعضاً ، متدافع .

(٢) التمام : جمع تميمية وهي العوذة التي تقي من العين .

(٣) غوارم : مدينة .

(٤) الظبا : جمع ظبة ، وهي حدّ السيف والسكين وغيرهما .

(٥) عدوياً : منسوب إلى عدي ، وهو جدّ من أجداد سيف الدولة .

(٦) الوحفّ : الشعر الأسود ، والغياهب : الظلمات الشديدة .

ولأبي فراس في ذكرها [من الطويل] :

رأى الثغر مثغوراً فسدّ سيفه فم الدهر عنه وهو سغبان فاغر^(١)

* * *

ملح شعر سيف الدولة

ومما أنشدني أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المقيم لسيف الدولة في وصف قوس قزح ، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرتة [من الطويل] :

وساقٍ صبيحٍ للصبح دعوته فقام وفي أجفانه سينة الغمض^(٢)
يطوف بكاسات العقار كأنجمٍ فمن بين منقضٍ علينا ومنقضٍ
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً على الجوِّ دكناً والحواشي على الأرض^(٣)
يطرّزها قوس الغمام بأصفرٍ على أحمرٍ في أخضرٍ تحت مبيضٍ
كأذيال خودٍ أقلت في غلائلٍ مصبغةٍ والبعض أقصر من بعض^(٤)

وهذا من التشبيهات الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها السوقة ، ونظيره قول ابن المعتز في وصف الهلال [من الكامل] :

فانظر إليه كزورقٍ من فضةٍ قد أثقلته حمولةٌ من عنبرٍ

وقول أبي فراس - وهو مما يعرب عن استخدامه نفائس الفرس - [من الكامل] :

وكأنما البرك الملاء تحفها ألوان ذاك الروض والزهر

(١) مثغوراً : أي به ثغرة ، والسغب : الجوع ، وفاغر : فاتح .

(٢) الصبوح : الشرب صباحاً ، سنة الغمض : أي الفتور الذي يلحق بالأجفان من التعاس .

(٣) الجنوب : الريح تهب جنوباً : والمطارف : ودكناً : قاتمة .

(٤) الخود : النساء الناعمة ، والغلائل : الثياب الرقيقة الناعمة ، تنسب إلى ابن الرومي .

بسَطُّ من الديباج بيضُ فروزت أطرافها بفراوزٍ خضر^(١)
وقوله من قصيدة [من الكامل] :

والماء يفصل بين زهر ال رَوْض في الشَّطينِ فصلا
كبساطٍ وشيٍ جردتُ أيدي القيون عليه نصلا^(٢)

وأشدني أبو الحسن العلوي الهمداني ، قال : أشدني سيف الدولة لنفسه .
وأنا أراه من قوله في صباه [من الوافر] :

أقبله على جزعٍ كشرب الطائر الفزع
رأى ماءً فأطعمه وخاف عواقب الطمع
وصادف فرصةً فدنا ولم يلتذَّ بالجرع^(٣)

ينظر معناها إلى قول ابن المعتز [من المنسرح] :

فكم عناقٍ لنا وكم قبلٍ مختلستِ حذارٍ مرتقب
نقر العصافير- وهي خائفةٌ من النواطير- يانع الرطب^(٤)

ويحكى أنه كانت لسيف الدولة جارية من بنات ملوك الروم ، لا يرى الدنيا إلا بها ، ويشفق من الريح الهابة عليها ، فحسدتها سائر حظاياها على لطف محلها منه ، وأزمعن إيقاع مكروه بها من سم أو غيره ، وبلغ سيف الدولة ذلك ، فأمر بنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً على روحها ، وقال [من الخفيف] :

راقبتني العيون فيك فأشفقت ت ولم أخلُ قطُّ من إشفاقٍ

(١) فروزت : ذيلت بحواشي .

(٢) القيون : مفردا قين وهو الحداد .

(٣) الجرع : شرب الماء بسرعة .

(٤) النواطير : جمع ناطور ، وهو الموكل بحراسة الكروم والأشجار .

ورأيت العذول يحسدني في ك مجدداً يا أنفس الأعلاق^(١)
فتمنيت أن تكوني بعيداً والذي بيننا من الودِّ باق
ربُّ هجرٍ يكون من خوف هجرٍ وفراقٍ يكون خوف فراق

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني ابن خالويه بحلب لسيف
الدولة [من الطويل] :

تجنّيت عليّ الذنبَ والذنبَ ذنبه وعاتبني ظلماً وفي شقّه العتب^(٢)
وأعرض لما صار قلبي بكفّه فهلاً جفاني حين كان لي القلبُ!^(٣)
إذا برم المولى بخدمة عبده تجنّيت له ذنباً وإن لم يكن ذنب^(٤)
يشبه هذا المعنى [من الخفيف] :

وإذا ما الجفاء جهّز جيشاً سبقته طليعةٌ من تجنّيت

وأنشد أبو الحسن أحمد بن فارس ، قال : أنشدني شاعر يعرف بالمتيم^(٥)
لسيف الدولة [من المديد] :

قد جرى في دمه دمه فإلى كم أنت تظلمه؟
ردّ عنه الطرف منك فقد جرّحه منك أسهمه^(٦)
كيف يستطيع التجلّد منْ خطرات الوهم تؤلمه؟^(٧)

(١) الأعلاق : جمع علق وهو من العقود .

(٢) شقّه : فمه .

(٣) أعرض : صدّ وامتنع .

(٤) برم : سئم وضجر .

(٥) المتيمّ : سبق للمؤلف في مطلع هذا البحث أن سماه أبا الحسن محمد بن أحمد الأفرريقي .

(٦) الطرف : العين والنظر .

(٧) خطرات الوهم : تخيّلُه وتصوُّره .

وأشدني غير واحد له في أخيه ناصر الدولة أبي محمد عند وحشة جرت
بينهما . [من الطويل] :

رضيت إليك العليا وقد كنت أهلها وقلت لهم بيني وبين أخي فرق
ولم يكُ بي عنها نكولٌ ، وإنما تجافيت عن حقي فتمّ لك الحق^(١)
ولا بدّ لي من أن أكون مصلياً إذا كنت أرضى أن يكون لك سبق^(٢)

وأشدت له أيضاً في وصف نار الكانون [من المنسرح] :

كأنما النار والرماد معاً وضوءها في ظلامه يحجب
وجنة عذراء مسها خجلٌ فاستترت تحت عنبرٍ أشهب^(٣)

نظيرهما في الحسن قول كشاجم [من المنسرح] :

كأنما الجمر والرماد وقد كاد يوارى من ناره النورا
ورد جنى القطاف أحمر قد ذرت عليه الأكف كافورا

وقول أبي طالب المأموني [من الخفيف] :

ما ترى النار كيف أسقمها الـ قرّ فأصحت تخبو وطوراً تسعُر^(٤)
وغدا الجمر والرماد عليه في قميصٍ مذهبٍ ومعنبرٍ

* * *

(١) النكول : الهرب والابتعاد .

(٢) المصلى : هو من فرسان السباق الذي يجيء بعد الفرس الأول ، والأول يسمّى السابق .

(٣) الأشهب : ما كان لونه الشهبه ، وهي بياض غلب على السواد .

(٤) القرّ : البرد ، وتخبو : يضعف وهجها ، وتسعر : يشتد وهجها ويتقد .

الباب الثالث

٢ - في ذكر أبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وأخباره وغرر أخباره وأشعاره^(١)

[هو ابن عم سيف الدولة المقدم ذكره ، وابن عم ناصر الدولة] .

كان فرد دهره ، وشمس عصره ، أدباً وفضلاً ، وكرماً ونبلاً ، ومجداً وبلاغة وبراعة ، وفروسية وشجاعة ، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة ، والعدوبة والفخامة ، والحلاوة والمتانة ، ومعه رواء الطبع ، وسمة الظرف ، وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز ، وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام ، وكان الصاحب يقول : « بديء الشعر بملك ، وختم بملك » يعني امرأ القيس وأبا فراس ، وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ، ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ، ولا يجترى على مجاراته ، وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيئاً له وإجلالاً ، لا إغفالاً وإخلالاً . وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن أبي فراس ، ويميزه بالإكرام عن سائر قومه ، ويصطنعه لنفسه ، ويصطحبه في غزواته ، ويستخلفه على أعماله ، وأبو فراس ينثر الدر الثمين في مكاتباته إياه ، ويوفيه حق سؤدده ، ويجمع بين أدبي السيف والقلم في خدمته .

* * *

(١) تجد ترجمة أبي فراس في وفيات الأعيان لابن خلكان (١٢٧/١ الحلبي) .

قطعة من أخباره مع سيف الدولة وأشعاره فيه سوى الروميات

حكى ابن خالويه قال : كتب أبو فراس إلى سيف الدولة ، وقد شخص من حضرته إلى منزله بمنج كتاباً صدره : «كتابي - أطال الله بقاء مولانا ! - من المنزل وقد وردته ورود السالم الغانم مثقل [البطن] والظهر وفرأ وشكراً » . فاستحسن سيف الدولة بلاغته ، ووصف براعته . وبلغ أبا فراس ذلك فكتب إليه [من الكامل] :

هل للفصاحة والسماحة والعلا عني محيدٌ
إذ أنت سيدي الذي ربيّنتني ، وأبي سعيدٌ
في كلِّ يومٍ أستفيدُ من العلاء وأستزيدُ
ويزيدُ فيَّ إذا رأيَ تك في الندى خلقٌ جديدٌ

وكان سيف الدولة قلماً ينشط لمجلس الأنس ؛ لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش وملابسة الخطوب ، وممارسة الحروب ، فوافت حضرته إحدى المحسنات من قيان بغداد ، فتاقت نفس أبي فراس إلى سماعها ، ولم ير أن يبدأ باستدعائها قبل سيف الدولة ، فكتب إليه يحثه على استحضارها ، فقال [من السريع] :

محلّك الجوزاءُ أو أرفعُ وصدرك الدهناء بل أوسع^(١)
وقلبك الرحب الذي لم يزلْ للجدِّ والهزل به موضع
رقةً بقرع العود سمعاً غدا قرع العوالي جلّ ما يسمع

فبلغت هذه الأبيات المهلبي الوزير فأمر القيان [والقوالين] بحفظها

(١) الجوزاء : نجم في السماء ، والدهناء : صحراء من صحارى العرب ، يريد أن صدره مثلها في الاتساع .

(٢) العوالي : الرماح .

وتلحينها ، وصار لا يشرب إلا عليها .

وكتب أبو فراس إلى سيف الدولة [من الكامل] :

يا أيها الملك الذي أضحت له جمل المناقب^(١)
نتج الربيع محاسناً ألقننها غرر السحائب^(٢)
راقت ورقاً نسيمها فحكّت لنا صور الحبايب
حضر الشراب فلم يطبُّ شرب الشراب وأنت غائب

وتأخر عن حضرته لعله وجدها ، فكتب إليه [من الهزج] :

لقد نافسني الدهر بتأخيري عن الحضرة
فما ألقى من العلة ما ألقى من الحسرة

وأهدى الناس إلى سيف الدولة [في بعض الأعياد] وأكثروا ، فكتب إليه أبو

فراس [من الكامل] :

نفسي فداؤك قد بعثت تعهدي بيد الرسول
أهديت نفسي ، إنما يهدي الجليل إلى الجليل
وجعلت ما ملكت يدي صلة المبشر بالقبول
[لما رأيتك في الأنا م بلا مثالٍ أو عديل]^(٣)

وكتب إليه يعاتبه [من الكامل] :

قد كنت عدتني التي أسطوبها ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي
فرميت منك بغير ما أملته والمرء يشرق بالزلزال البارد^(٤)

(١) المناقب : المآثر .

(٢) نتج الربيع : خلّف ، وألقننها : أسقنيها والسحائب : الغيوم .

(٣) العديل : الشبيه والموازن .

(٤) يشرق : يغصُّ ، والزلزال : الماء العذب .

فصبرت كالولد التقي لبره أغضى على ألم لضرب الوالد
وعزم سيف الدولة على الغزو ، واستحلاف أبي فراس على الشام ، فكتب
إليه قصيدة منها [من البسيط] :

قالوا المسير فهزّ الرمح عامله
حقاً لقد ساءني أمرٌ ذكرت له
لا تشغلنّ بأمرِ الشّام تحرسه
وإنّ للشّغر سوراً من مهابته
لا يحرمني سيف الدّين صحبته
وما اعترضت عليه في أوامره

وقال له [من الطويل] :

وما لي لا أثني عليك وطالما
وأعدتني حتّى إذا ما ملكتني

وكتب إليه يعزیه [من السريع] :

لا بدّ من فقدٍ ومن فاقدٍ
كُن المعزّي لا المعزى به

وكتب إليه [من الطويل] :

أيا عاتباً لا أحمل الدهر عتبه
سأسكت إجلالاً لعلمك أنّي

وارتاح في جفنه الصمصامة الخدم^(١)
لولا فراقك لم يوجد له ألمٌ
إن الشام على من حلّه حرمٌ
صخوره من أعادي أهله القمم
فهي الحياة التي تحيا بها النسم^(٢)
لكن سألت ، ومن عاداته « نعم »

وفيت بعهدي والوفاء قليلٌ
صفحت ، وصفح المالكين جميلٌ

هيهات ما في الناس من خالدٍ
إن كان لا بدّ من الواحد

عليّ ، ولا عندي لأنعمه جحد^(٣)
إذا لم تكن خصمي لي الحجج اللدّ^(٤)

(١) الصمصامة : السيف ، والخدم : القاطع .

(٢) النسم : الناس والأرواح .

(٣) الجحد : النكران .

(٤) اللدّ : الشديدة القويّة .

وكان لسيف الدولة غلام يقال له نجا ، قد اصطنعه ونوه باسمه وقلده
 طرسوس وأخذ يقرع باب العصيان والكفران ، وزاد تبسطه وسوء عشرته لرفقائه ،
 فبطش به ثلاثة نفر منهم وقتلوه . فشق ذلك على سيف الدولة ، وأمر بقتل فتكته
 فكتب إليه أبو فراس [من المجتث] :

ما زلت تسعى بجدٍّ برغم شانيك مقبل^(١)
 ترى لنفسك أمراً وما يرى الله أفضل

وكتب إليه يستعطفه [من الكامل] :

إن لم تجاف عن الذنوب ب وجدتها فينا كثيرة^(٢)
 لكنّ عادتك الجميلة أن تغضّ على بصيره^(٣)

وكتب إليه يستعطفه [من الوافر] :

دع العبرات تنهمر انهما را ونار الشوق تستعر استعارا
 أتطفأ حسرتي وتقرُّ عيني ولم أوقد مع الغازين ناراً
 أقتت على الأمير وكنت ممّن تعزّ عليه فرقه اختيارا
 إذا سار الأمير فلا هدواً لنفسٍ أو يؤوب ، ولا قرارا
 ستذكروني إذا طردت رجالاً دققت الرمح بينهم مرارا
 وأرضٍ كنت أملؤها رجالاً وجوًّا كنت أرهجه غباراً^(٤)
 إذا بقي الأمير قرير عينٍ فديناه اختياراً واضطراراً
 يمدّ على أكابرنا جناحاً ويكفل عند حاجتها الصغاراً^(٥)

(١) شانيك : ميفضك .

(٢) تجاف : تصفح وتبتعد .

(٣) تغضّ : تتجاهل وتتعامى ، والبصيرة : المعرفة .

(٤) الرهج : بفتح الراء والهاء : الغبار ، وأرهج الرجل : أثار الغبار .

(٥) يريد أن عنايته قد شملت الكبار والصغار .

أراني الله طلعتة سريعاً
وبلغه أمانيه جميعاً
وكتب إليه [من الوافر] :

ألا من مبلغ سروات قومي
بأني لم أدع فتيات قومي
شريت ثناءهنّ يبذل نفسي
ولما لم أجد إلاّ فراراً
حملت على ورود الموت نفسي
وهل عذرٌ وسيف الدين ركني
وأقفو فعله في كلّ أمرٍ
وقد أصبحت منتسباً إليه
أراني كيف أكتسب المعالي
وربّاني ففقت به البرايا
فأحياه الإله لنا طويلاً
إذا حدثن جمجمن الكلاما^(١)
وسيف الدولة الملك الهماما
ونار الحرب تضطرم اضطراما^(٢)
أشدّ من المنية أو حياما^(٣)
وقلت لصحبتني موتوا كراما
إذا لم أركب الخطط العظاما
وأجعل فضله أبداً إماما
وحسبي أن أكون له غلاما
وأعطاني على الدهر الذماما
وأنشأني فسدت به الأناما
وزاد الله نعمته دواما

* * *

ما أخرج من فخرياته

قال من قصيدة يذكر فيها إيقاعه ببني كعب وهو على مقدمة سيف الدولة وكان

(١) الحدثان : الليل والنهار .

(٢) السروات : جمع سراة وهو جمع سري أو السراة مفرد بمعنى الأعلى من كل شيء ، ثم أريد منه العظيم القدر من الرجال . والجمجمة : الإسرار بالكلام وإخفاؤه .

(٣) تضطرم : تستعر وتصطلي .

(٤) الحمام : الموت .

قد حسن بلاؤه في تلك الواقعة [من الوافر] :

ألم ترنا أعزّ الناس جاراً وأمنعهم وأمرعهم جناباً^(١)
لنا الجبل المطلّ على نزارٍ حللنا التّجد منه والهضاباً^(٢)
يفضّلنا الأنام ولا نحاشي ونوصف بالجميل ولا نحابي
وقد علمت ربيعة بل نزارُ بأنّا الرأس والناس الذنابي
ولما أن طغت سفهاء كعبٍ فتحنا بيننا للحرب بابا
منحناها الحرائب غير أنّا إذا جارت منحناها الحراباً^(٣)
ولما ثار سيف الدين ثرنا كما هيّجت آساداً غضابا
أسّته إذا لاقى طعاناً صوارمه إذا لاقى ضربا
دعانا والأسنة مشرعاتُ فكنا عند عودته الجواباً^(٤)
صنائع فاق صانعها ففاقتُ وغرسُ طاب غارسه فطابا
وكنا كالسهم إذا أصابت مراميهما فراميهما أصابا

هذا أحسن ما قيل في معناه ، وقد أخذه الأستاذ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي ، فكتب في كتاب فتح تولاه للصاحب بأصبهان : « وهنأ الله مولانا كافي الكفاة هذه المناجح التي هي نتائج عزائمه ، وثمرات صرائمه ، فما يرى عبده وصنيعته ، وسائر من يكنفه ظلّه وتريشه عنايته ، نفوسهم إذا وفقوا لمذهب من مذاهب الخدمة وهدوا لأداء حق من حقوق النعمة ، إلا سهاماً إذا أصابت فراميهما المصيب ، وما لها في المحمّدة نصيب » .

(١) أمرعهم جناباً : أخصبهم محلاً وأكثرهم نعمة .

(٢) التجد : ما ارتفع من الأرض ، والهضاب : جمع هضبة ، وهي ما اطمأن من الأرض .

(٣) الحرائب : الأسلاب .

(٤) مشرعات : معدة للقتال .

ولأبي فراس من قصيدة أولها [من الوافر] :

أيلحاني على العبرات لحي وقد يئس العواذل من صلاحي^(١)
تملكني الهوى بعد التأبي وراضني الهوى بعد الجماح^(٢)
ألا يا هذه هل من مقيلٍ لضيفان الصبابة أو مراح
فلولا أنت ما قلقت ركابي ولا هبت إلى نجدٍ رياحي

ومنها :

ومن جرّك أوطنت الفيافي وفيك غذيت ألبان اللقاح
أصاحب كلّ خلٍّ بالتجافي وآسو كلّ داء بالسّماح
إذا ما عنّ لي أربٌ بأرضٍ ركبت له ضميناتُ النّجاح^(٣)
ولي عند العداة بكلّ أرضٍ ديونٌ في كفالات الرماح

وله من قصيدة كتب بها إلى جعفر بن ورقاء [من الكامل] :

إنّا إذا اشتدّ الزّما ن وناب خطبٌ وادلهم^(٤)
ألفيت حول بيوتنا عدد الشجاعة والكرم
للقا العدا بيض السيو ف وللندی حمر النعم^(٥)
هذا وهذا دأبنا يودي دمٌ ويراق دم^(٦)

وله من قصيدة أولها [من الطويل] :

أقلّي فأيام المحبّ قلائل وفي قلبه شغلٌ عن اللوم شاغل

(١) اللاحي : اللاتم .

(٢) التأبي : الإمتناع ، وراضني : قاذني وطوعني ، والجماع : الشرود .

(٣) ضمينات : من الضمان والحيطه .

(٤) ناب : حلّ ، وادلهم : اشتدّ واكفهر .

(٥) حمر النعم : الأبل .

(٦) يودي : يسفك ، ويراق : يسفك .

يقول فيها :

بما وعدت جدِّي في المخايل^(١)
ولكنْ كأنَّ الدهرَ عني غافلٌ
مراءاة أزمانٍ ودهرٌ مخاتل^(٢)
حلبت بكياتٍ وهنَّ حوافل^(٣)
كما دفع الدين الغريم المماطل^(٤)
إذا ما بدا شيبٌ من الفجر ناصل^(٥)
وربَّما غالته عنها الغوائل^(٦)
ولا كلَّ سيَّارٍ إلى المجد واصل
وإنَّ مريعاً خائب الجهد نائل
وإنِّي لها فوق السماكين جاعل^(٧)
وآخرنا في المآثرات أوائل
وإن قلت قولاً لم أجد من يقاوم

تطالبني البيض الصوارم والقنا
ووالله ما قصرت في طلب العلا
مواعيد أيامٍ تطالني بها
وأخلاف أيامٍ متى ما انتجعتها
تدافعني الأيام عما أريغه
خليلي ، شداً لي على ناقتي كما
فمثلي من نال المعالي بسيفه
وما كلَّ طلابٍ من الناس بالغُ
وإنَّ مقيماً منجح العزَّ خائبُ
وما المرء إلا حيث يجعل نفسه
أصغرنا في المكرمات أكابرُ
إذا صلت صولاً لم أجد لي مصولاً
وله من قصيدة أخرى [من الوافر] :

ومن ردَّ الشباب المستعارِ
أجرَّ ذيله بين الجواري

عذيري من طوالع في عذاري
وثوبٍ كنت ألبسه أنيقِ

-
- (١) البيض : السيوف ، والصوارم : القواطع ، والمخايل : جمع مخيلة ، وأراد أن مخايل النجاة كانت ظاهرة عليه ، فتوسم فيه جداه الشجاعة والإقدام .
(٢) المخاتل : الغادر .
(٣) الأخلاف : الأنداء والضروع ، والبكيات : جمع بكية وهي التي قلَّ لبها ، والحوافل : الممتلئة .
(٤) أريغه : أطلبه ، والغريم المماطل : أي المدين المؤف .
(٥) الناصل : الظاهر والخارج .
(٦) غالته : دهنه وأصابته ، والغوائل : الدواهي والمصائب .
(٧) السماكان : نجمان في السماء .

وما زادت عن العشرين سنّي فما عذر المشيب إلى عذارى؟

أخذه من قول أبي نواس [من الكامل] :

وإذا عددت السنّ كم هي لم أجد
رجعاً وما استمتعت من راعي التصابي
تلاعب بي على هوج المطايا
ونفسٍ دون مطلبها الثريا
وما يغنيك من همّ طوالٍ
عزيزٌ حيث حطّ السير رحلي
فأهلي من أنخت إليه عيسي
وله [من الوافر] :

لنا بيتٌ على عنق الثريا
تظلّله الفوارس بالعوالي
بعيد مذاهب الأطناب سامي^(١)
وتفرشه الولايد بالطعام

وله [من الوافر] :

لقد علمت سراة الحيّ أنا
يفيء الراغبون إلى ذراه
لنا الجبل الممنعُ جانباً
ويأوي الخائفون إلى حماه

وله [من الوافر] :

لئن خلق الأنام لحتّ كأسٍ
ومزمارٍ وطنبورٍ وعودٍ

(١) الصغار : الذلّ .

(٢) قرنت : سلّكت ، والأحوال : جمع حول : وهي السنة ، ويقصد بها الأعمار .

(٣) العيس : الإبل .

(٤) الأطناب عمُد البيت ، وسامي : من السموّ .

فلم يخلق بنو حمدان إلا
وله [من الوافر] :

علونا جوشناً بأشدّ منه
بجيشٍ جاش بالفرسان حتى
والأسنة من العذبات حمراً
وأروع جيشه ليلٌ بهيمٌ
صفوحٌ عند قدرته كريمٌ
وكان ثباته للقلب قلباً
وأثبت عند مشتجر الرماح^(١)
ظننت البرّ بحراً من سلاح^(٢)
تخاطبنا بأفواه الرياح^(٣)
وغرته عمودٌ للصباح^(٤)
قليل الصفح ما بين الصفاح
وهيته جناحاً للجناح^(٥)

وله من قصيدة [من الوافر] :

قتلت فتى بني عمرو بن عبد
ولست أرى فساداً في فساد
وأوسعهم على الضيفان ساحا
يجرّ على فريقه صلاحا

كان سيف الدولة قد أبعده كلاباً وشردها ، فقصدت أبا فراس وهو ببالس في خوف
من أصحابه ، وعليهم كثير بن عوسجة ، فهزمهم ، ثم طرحوا أنفسهم عليه وقدمت
وفودهم إليه ، فخرج وتوسط في أمرهم مع سيف الدولة ، وقال في ذلك [من
الوافر] :

سلي عنا سراة بني كلاب
ببالس عند مشتجر العوالي^(٦)

(١) الجوشن : الدرع ، مشتجر الرماح : تشابكها .

(٢) جاش : امتلاً وفاض .

(٣) العذبات : رؤوس الألسنة وأطرافها .

(٤) غرته : نوره وبياضه .

(٥) الجناح : يعني به جناح الجيش لأن الجيش كان يقسم إلى خمس فرق - القلب والمقدمة والمؤخرة
والجناحان .

(٦) بالبس : بلدة بشط الفرات ، والعوالي : الرماح واشتجارها : اختلاطها .

لَقِينَاهُمْ بِأَسْيَافٍ قَصَارٍ
 فَوَلَّى بَابِنِ عَوْسَجَةٍ كَثِيرٍ
 يَرَى الْبِرْغُوثَ إِذْ نَجَّاهُ مَنْأً
 تَدُورُ بِهِ إِمَاءُ بَنِي قَرِيظٍ
 يَقْلَنُ لَهُ السَّلَامَةُ خَيْرَ غَنَمٍ
 وَعَادُوا سَامِعِينَ لَنَا فَعَدْنَا
 وَنَحْنُ مَتَى رَضِينَا بَعْدَ سَخَطٍ

أخذه من قول أبي نواس :

وَكَلَّتْ بِالذَّهْرِ عَيْنًا غَيْرَ غَافِلَةٍ
 وَهِيَ مِنْ قَصِيدَةِ أَوْلَاهَا [مِنَ الْوَافِرِ] :

وَقُوفِكَ بِالذِّيَارِ عَلَيْكَ عَارٍ
 وَمِنْهَا :

وَكَمْ مِنْ لَيْلَةٍ لَمْ أَرَوْهَا مِنْهَا
 عَسَفْتُ بِهَا عَوَارِيَّ اللَّيَالِي
 فَبِتُّ أَعْلَى خَمْرًا مِنْ رَضَابٍ
 حَنَنْتُ لَهَا وَأَرْقَنِي ادِّكَارُ^(٣)
 أَحَقَّ الْخَيْلِ بِالرِّكْضِ الْمَعَارُ^(٤)
 لَهَا سَكْرٌ وَلَيْسَ لَهَا خَمَارُ^(٥)

(١) للأسل : الرماح ، يقصد أن السيوف قامت مقام الرماح في الحرب .

(٢) أسونا : داوينا وخففنا آلام الجراح ، والنوال : العطاء .

(٣) لم أرو : لم أنل غايتي منها ، وأرقني : أسهرني

(٤) عسفت : ظلمت ، والعواري : جمع عارية ، وهو ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك ، وعجز هذا البيت من قول الشاعر :

وجدنا في كتاب بني تميم أحقَّ الخيل بالركض المعارُ

(٥) أعل : أنهل وأشرب ، والخمار : الصنداع يعتري شارب الخمر .

إلى أن رقّ ثوب الليل عنا

ونادت قم فقد برد السّوار^(١)

ومنها :

إذا ما العزّ أصبح في مكانٍ
مقامي حيث لا أهوى قليلٌ
أبت لي همتي وغرار سيفي
ونفسٌ لا تجاورها الدنّايا
وقومٌ مثل من صحبوا كرامٌ
وكم بلدٍ شتّاهنّ فيه
وكم ملكٍ نزعنا الملك عنه

سموت له ، وإن بعد المزارُ
ونومي عند من أقلى غرار
وعزمي والمطيّة والفقار^(٢)
وعرضٌ لا يرفُّ عليه عار
وخيلٌ مثل من حملت خيار
ضحىّ وعلا منابره المّعار^(٣)
وجبارٍ به دمه جبار^(٤)

وله من أخرى [من الطويل] :

ولو نيلت الدنيا بفضلٍ منحتها
ولكنّها الأيام تجري بما جرتُ
لقد قلّ أن تلقى من الناس مجملاً
ولست بجهم الوجه في وجه صاحبي

فضائل تحويها وتبقى فضائلُ
فيسفل أعلاها وتعلو الأسافل
وأخشى قريباً أن يقلّ المجامل^(٥)
وإن سأل الأعمار ما هو سائل^(٦)

وله [من الطويل] :

بخلت بنفسي أن يقال مبخلٌ

وأقدمت جنباً أن يقال جبانٌ

(١) السّوار : حلقة من ذهب تتخذ في المعصم وسوار الخمر : شدتها .

(٢) غرار السيف : حدّه .

(٣) المّعار : الفرس المضمّر ، وفي الديوان :

وكم بلدٍ شتّاهنّ فيه ضحىّ وعلا منابره الغبار

(٤) جبار : بزنة شجاع - أي هدر دمه ولا نأثر له ، وفي الحديث : « جرح العجماء جبار » .

(٥) المجامل : المواسي والمشارك .

(٦) جهم الوجه : مقطّبه وعابسه .

وملكي بقايا ما وهبت مفاضةً وله [من الوافر] :

بأطراف المثقفة العوالي
وما تحلو مجاني العز يوماً
ممالكنا مكاسبنا إذا ما
إذا لم تمس لي ناراً بأرضٍ
تفرّدنا بأوساط المعالي
إذا لم تجنها سمر العوالي
توارثها رجالٌ عن رجال
أبيت لنار غيري غير صالي^(١)
وله [من الكامل] :

غيري يغيّره الفعال الجافي
لا أرتضي ودّاً إذا هو لم يدم
تعس الحريص وقلّ ما يأتي به
إنّ الغنيّ هو الغنيّ بنفسه
ما كلّ ما فوق البسيطة كافياً
وتعاف لي طمع الحريص فتوتي
ما كثرة الخيل العتاق بزائدي
خيالي - وإن قلت - كثيرٌ نفعها
ومكارمي عدد النجوم ، ومنزلي
ويحول عن شيم الكريم الوافي^(٢)
عند الجفاء وقلّة الإنصاف
عوضاً عن الإلحاح والإلحاف
ولو انه عاري المناكب حافي
وإذا قنعت فبعض شيءٍ كافي^(٣)
ومروءتي وقناعتني وعفافي^(٤)
شرفاً ، ولا عدد السوام الضافي^(٥)
بين الصوارم والقنا الرعاف^(٦)
مأوى الكرام ومنزل الأضياف

(١) المفاضة : الدرع الفضاضة الوافية .

(٢) صالي : أصلى النار : أسعرها .

(٣) يحول : يتغيّر ويتحوّل .

(٤) البسيطة : الأرض .

(٥) تعاف : تكره وتأبى .

(٦) العتاق : الكريمة ، والسوام : الإبل وغيرها من الماشية .

(٧) الرعاف : النازف للدماء .

لا أقتني لصروف دهري عدّة حتى كأنّ خطوبه أحلافي^(١)
شيمٌ عرفت بهنّ مذ أنا يافعٌ ولقد عرفت بمثلها أسلافي

وله [من الوافر] :

أتعجب إن ملكنا الأرض قسراً وأن تسمي وسائدي العراب^(٢)
وتربط في مجالسنا المذاكي وتنزل بين أرحلنا الركاب^(٣)
وهذا العزُّ أورثنا العوالي وهذا الملك ملكنا الضرابُ
فقصرك إنّ حالاً ملكتنا لحالٌ لا تدمُّ ولا تعابُ

وله [من الطويل] :

ونحن أناسٌ لا توسّط عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبرُ
تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغله المهـر

* * *

الإخوانيات

[قال] وكتب بها إلى أخيه أبي الهيجاء [من المتقارب] :

حللت من المجد أعلى مكانٍ وبلغك الله أقصى الأمانى
فإنك - لا عدمتك العلاء - أخٌ لا كاخوة هذا الزمان
كسوت أخوتنا بالصفاء كما كسيت بالكلام المعاني

(١) أحلافي : أي مرافقي وأتباعي ، أو أنها عقدت حلفاً معي فهي لا تفارقتني .

(٢) العراب : الخيل العربية .

(٣) المذاكي : جمع مذك ، وهو من الخيل ما تمّ له بعد فروجه ستان ، يقصد الخيل النشيطة الفتية .

وقال لصديق له وأحسن [من الخفيف] :

لم أؤأخذك بالجفاء لأنني واثقٌ منك بالوداد الصريح^(١)
فجميل العدو غير جميلٍ وقبيح الصديق غير قبيح

وله [من الكامل] :

ما كنت تصبر في القدي م فلم صبرت الآن عناً
ولقد ظننت بك الظنو ن لأنه من صنٍ ظناً^(٢)

وقال [من الكامل] :

أشفقت من هجري فسأطت الظنون على اليقين
وضننت بي فظننت بي والظن من شيم الضنين

وقال وكتب بها إلى أخيه [من الكامل] :

ولقد أبيتُ وجلّ ما أدعو به حتّى الصباح وقد أفضّ المضجع^(٣)
لا همّ إنّ أخي لديك وديعتي أبداً، وليس يضيع ما تستودع

وكتب إلى أبي العشائر وهو أسير بأرض الروم [من الطويل] :

نفى النوم عن عيني خيالٌ مسلّم تأوب من أسماء والركب نوم^(٤)
وخطب من الأيام أنساني الهوى وأحلى بفي الموت والموت علقم^(٥)
ووالله ما شبيت إلاّ علالةً ومن نار غير الحبّ قلبي يضرّم

(١) الوداد الصريح : الحبّ الصافي الذي لا تشوبه شائبة .

(٢) صنّ : بخل .

(٣) أفضّ المضجع : أي أقلقه وحرمه النوم .

(٤) تأوب : رجع .

(٥) العلقم : الشديد المرارة .

فمن مبلغ عني الحسين ألوكة
لذيذ الكرى حتى أراك محرم
وأترك أن أبكي عليك تطيراً
وتضمنها درُّ الكلام المنظم^(١)
ونار الأسى بين الحشا تتصرم
وقلبي يبكي والجوانح تلطم^(٢)

لم يسمع أحسن من هذا البيت في التفجع بمنكوب .

وأظهر للأعداء فيك جلادة
وما أغربت فيك الليالي وإنها
طوارق خطبٍ ما تغبُّ وفودها
فما عرفتني غير ما أنا عارف
وأكرم ما ألقاه ، والله يعلم
لتصدعنا من كلِّ شعبٍ وتسلم^(٣)
وأحداث أيامٍ تفدُّ وتشم^(٤)
ولا علمتني غير ما كنت أعلم
ومنها :

أندعو كريماً من يجود بماله
إذا لم يكن ينجي الفرار من الردى
لعمري لقد أعذرت لو أن مسعداً
وما عابك ابن السابقين إلى العلا
ومالك لا تلقى بمهجتك القنا
لعا يا أخي لا مسك السوء ! إنّه
ومن جاد بالنفس النفيسة أكرم
على حالةٍ فالصبر أرجى وأحزم^(٥)
وأقدمت لو أن الكئائب تقدم
تأخر أقوامٍ وأنت مقدم
وأنت من القوم الذين همُّ همُّ
هو الدهر في حاله يؤسى وأنعم^(٦)

(١) الألوكة : الرسالة .

(٢) تطيراً : تشاؤماً ، والجوانح : جوانب الصدر وأضلاعه .

(٣) أغربت : أظلمت ، وتصدعنا : من الصدع وهو الشق الذي يفرق بين وحدة الشيء والشعب : بكسر الشين : الناحية .

(٤) تغبُّ : تزور حيناً بعد حين يعني أن الخطوب كانت متلاحقة ، وتفدُّ : تأتي بالمصائب فذة أي مفردة ، وتشم :

تأتي بها زوجاً ، وأصله قولهم « أتأتم المرأة » إذا ولدت توماً .

(٥) الردى : الموت والهلاك .

(٦) لعا : دعاء للعائر ، يعني نعشك الله ونجوت .

وكتب إليه قصيدة أخرى منها [من الكامل] :

أبا العشائر إن أسرت فطالما أسرت لك البيض الخفاف رجلا
لما أجلت المهر فوق رؤوسهم نسجت له حمر الشعور عقالا
ما أحسن ما اعتذر له مع إحسانه التشبيه .

يا من إذا حمل الحصان على الوجى قال اتخذ حبك التريك نعالا^(١)
ما كنت نهزة آخذ يوم الوغى لو كنت أوجدت الكميت مجالا^(٢)
أخذوك في كيد المضايق غيلةً مثل النساء ترب الرثبالا^(٣)
زلل من الأيام فيك يقيه ملك إذا عشر الزمان أقالا
بالخيل ضمراً والسيوف قواصباً والسمر لدناً والرجال عجالا^(٤)
وقال [من البسيط] :

ما كنت مذ كنت إلا طوع خلاني ليست مؤاخذة الإخوان من شاني
يجني الخليل فاستحلي جنائته حتى أدل على عفوي وإحساني
إذا خليلي لم تكثر إساءته فأين موقع إحساني وغفراني
يجني عليّ وأحنو صافحاً أبداً لا شيء أحسن من حان على جاني^(٥)
وقال [من الكامل] :

ما صاحبي إلا الذي من بشره عنوانه في وجهه ولسانه

(١) الوجى : التعب ، والحبك : جمع حبيكة وهي المنسوجة ، والتريك : بيضة المغفر ، يأمر حصانه أن يتخذ من مغافر أعدائه نعالاً له ، وذلك كناية عن قهره إيّاهم واستيلائه على عقائلهم .
(٢) نهزة : فرصة ، والكميت : الحصان يميل لونه إلى الحمرة الغامقة .
(٢) الرثبال : الأسد .
(٤) الضمر : الهزيمة ، والقواضب : القاطعة . ، وأنسمر : الرماح ، واللدن : اللين المرين .
(٥) الجاني : الأثم .

كم صاحب لم أغن عن إنصافه في عشرة وغنيت عن إحسانه
وكتب في وصف كتاب ورد عليه من صديق له [من البسيط] :

ووارد مورِد أنساً يؤكِّدهُ صدره عن سليم الورد والصدر
شدت سحائبه منه على نزه تقسم الحسن بين السمع والبصر
عذوبة صدرت عن منطوقٍ جدٍ كالماء يخرج ينبوعاً من الحجر^(١)
وروضة من رياض الفكر دبَّجها صوبُ القرائح لا صوبُ من المطر^(٢)
كأنما نشرت أيدي الربيع بها برداً من الوشي أو ثوباً من الجبر
وقال لأبي الحصين القاضي [من الكامل] :

من بحر شعرك أغترفُ وبفضل علمك أعترفُ
أنشدتني فكأنما شققت عن درّ الصدف
شعراً إذا ما قسته بجميع أشعار السلف
قصّرن دون مداه تقصير الحروف عن الألف

وقال أيضاً [من الكامل] :

إنّي عليك أبا حصينٍ عاتبُ والحرّ يحتمل الصديق ويغفرُ
وإذا وجدت على الصديق شكوته سرّاً إليه ، وفي المحافل أشكر^(٣)

هكذا شرط الصداقة ، لا كما حكاها أبو إسحاق الصابي في قوله [من

الخفيف] :

ومن الظلم أن يكون الرضى ســــرّاً ، ويبدو الإنكار وسط النادي

(١) منطوقٍ جدٍ : منطوق فيه لين وسهولة .

(٢) دبَّجها : أتقن نظمها وصنعها ، والصوب : المطر .

(٣) وجدت : عتبت وغضبت .

ومن العدل أن يشاع بهذا مثل ما شاع ذاك في الأشهاد

* * *

الشكوى والعتاب ، سوى ما وقع في الروميات

قال [من الطويل] :

أراني وقومي فرقتنا مذاهبُ
فأقصاهمُ أقصاهم من مساءتي
غريبٌ وأهلي حيث ما كرَّ ناظري
نسيك من ناسبت بالودِّ قلبه
وأعظم أعداء الرجال ثقاتها
وما الذنب إلا العجز يركبه الفتى
ومن كان غير السيف كافلُ رزقه

وقال [من البسيط] :

مالي أعاتب ؟ مالي ؟ أين يذهب بي ؟
أبغي الوفاء بدهرٍ لا وفاء له

وقال [من الطويل] :

تمنيتم أن تفقدوني ، وإنما
أما أنا أعلى من تعدون همّة ؟
تمنيتم أن تُفقدوا العزَّ أصيدا^(١)
وإن كنت أدنى من تعدون مولدا
يسئون في القول غيباً ومشهدا
إلى الله أشكو عصبه من عشيرتي

(١) كرَّ ناظري : تطلَّع ، والعصائب : الجماعات .

(٢) جانب : ملازم .

(٣) الأصيد : السيد الكريم .

وإن ضاربوا كنت المهند واليداً^(١)
جعلت لهم نفسي وما ملكت فدا

وإن حاربوا كنت المجنّ أمامهم
وإن ناب خطباً أو ألمت ملة
وقال [من الطويل] :

أيا قومنا لا تقطعوا اليدَ باليدِ
إذا لم يقربُ بيننا لم يبعُدْ
على المرء من وقع الحسام المهند^(٢)

أيا قومنا لا تشبوا الحرب بيننا
فيا ليت داني الرحم منّا ومنكم
عداوة ذي القربى أشدّ مضاضةً
وقال [من الطويل] :

لكنت له العين البصيرة والأذنا
إذا قرع المغتاب من ندم سنّا^(٣)

ويغتابني من لو كفاي غيبه
وعندي من الأخبار ما لو ذكرته
وقال [من الطويل] :

فأفضل منه أن أرى غير فاضلِ
يجوز على حوبائها حكم جاهل^(٤)

إذا كان فضلي لا أسوِّغ نفعه
ومن أضيع الأشياء مهجة عاقلِ

* * *

الغزل والنسيب

[قال] [من الوافر] :

وأسفر حين أسفر عن صباحِ
وراح من جنى خدِّ وراح^(٥)

تبسم إذ تبسم عن أقاح
وأتحفني براح من رضابِ

(١) المجنّ : الترس الواقي والدرع الحصين .

(٢) المضاضة : الألم وشدته .

(٣) قرع المغتاب من ندم سنّا : أي عضّ على أسنانه بقوة حتى تكسّر بعضها من الغيظ والحنق .

(٤) الحوباء : الروح والنفس .

(٥) الراح : الخمر ، والراح الأخيرة : باطن الكفّ الذي لا يثبت فيه الشعر .

فمن لألاء غرته صباحي ومن صهباء ريقته اصطباحي^(١)
وقال [من البسيط] :

سكرت من لحظه لا من مداسته وما بالثوم عن عيني تمايله
فما السلاف دهنتي ، بل سوافه ولا الشمول ازدهنتي ، بل شمائله
ألوى بعزمي أصداغ لوين له وغال صبري ما تحوي غلائله^(٢)
وقال [من الكامل] :

من أين الرشأ الغرير الأحور في الخدّ مثل عذاره المتحدّر^(٣)
قمرٌ كأنّ بعارضيه كليهما مسكاً تساقط فوق وردٍ أحمر
وقال [من مخلع البسيط] :

قد كان بدر السماء حسناً والنّاس في حبّه سواءً
فزاده ربّه عذاراً تمّ به الحسن والبهاء
لا تعجبوا ربّنا قديرٌ يزيد في الخلق ما يشاء

وقال [من الطويل] :

وظبي غرير في فؤادي كناسه إذا اكتنست عين الفلاة وحوورها^(٤)
فمن خلقه أجيادها وعيونها ومن خلقه عصيانها ونفورها

(١) غرته : طلعتة البيضاء ، والصهباء : الخمر والاصطباح : شرب الخمر صباحاً .

(٢) غال صبري : قتله .

(٣) الرشأ : الغزال ، والغرير : الشاب الحسن ، والأحور : من الحور وهو شدّة سواد العين وشدّة بياضها .

(٤) الكناس : بيت الظبي ومأواه .

وقال [من البسيط] :

وضعف جسمي والدمع الذي انسجما^(١)
خصري، وسقمك من طرفي الذي سقما

وشادنٍ قال لي لمّا رأى سقمي
أخذت دمعك من خديّ، وجسمك من

وقال [من الطويل] :

حبيبٌ على ما كان منه حبيب
ومن أين للوجه الجميل ذنوب ؟

أساء فزادته الإساءة حظوةً
يعدّ عليّ الواشيان ذنوبه

وقال [من الرمل] :

زرو بجيش الحبّ جسمي
وك للروم بإثمي

أيّها الغازي الذي يغ
ما يقوم الأجر في غز

وقال [من الكامل] :

وإذا يئستُ من الدنـو رغبـت في فرط البعاد
أرجو الشهادة في هواك لأنّ روعي في جهاد

وإذا يئستُ من الدنـو رغبـت في فرط البعاد
أرجو الشهادة في هواك لأنّ روعي في جهاد

وقال [من الكامل] :

ولئن كنى فلقد علمنا ما عني^(٢)
لا بدّ منه أساء بي أم أحسنا
مكّته من مهجتي فتمكّنا

وكنى الرسول عن الجواب تظرفاً
قل يا رسول ولا تحاشِ فإنّه
الذنب لي فيما جناه لأنني

وقال [من الوافر] :

أقلّ مخوفها سمر الرماح^(٣)

عدتني عن زيارته عوادٍ

(١) الشادن : الغزال ، وانسجام الدمع : هطوله وذرفه .

(٢) كنى : من الكناية ، أي أجاب عن السؤال بطريق خفي ، وعناه : قصده .

(٣) عدتني : منعتني ، والعوادي : الموانع .

ركبت إليه أعناق الرياح^(١)

ولو أتني أطعت رسيس شوقي

وقال [من الخفيف] :

وعنيفاً على الرفيق الرفيق^(٢)
فأحلي عقيانها بالعقيق

يا عسوفاً بالمستهام الشفيق
أسرق الدمع من نديمي بكأس

وقال [من مخلع البسيط] :

فوق منال الصداع متي
صدعني مثل صدّ عني

لطيرتي بالصداع نالت
وجدت فيه اتفاق سوء

وقال [من البسيط] :

كأنّ كلّ سرورٍ حاضرٍ فيها
حتى الصباح تسقيني وأسقيها
أهدت سلافها خمراً إلى فيها^(٣)

يا ليلةً لست أنسى طيها أبداً
باتت وبتٌ وبات الزقُّ ثالثنا
كأنّ سودَ عناقيدٍ بلمتها

وقال [من الوافر] :

فما أدري عدوي أم حبيبي
شهياً الظلم مغتفر الذنوب

مسيءٌ محسنٌ طوراً وطوراً
وبعض الظالمين وإنّ تناهى

وقال [من الخفيف] :

وكثيبٌ من النقا مستعار^(٤)
كر من شيمة الطباء النفار

قمرٌ دون حسنه الأعمار
وغزالٌ فيه نفارٌ، وما يد

(١) رسيس شوقي : رفته ولينه .

(٢) العسوف : الجائر الظالم .

(٣) اللمة : شعر الرأس ، والسلاف : من صفات الخمر .

(٤) الكثيب : التلّ من الرمل ، والنقا : القطعة من الرمل المحدودة .

لا أعاصيه في اجتراح المعاصي
قد حذرت الملاح دهرًا ولكن
كم أردت السلو فاستعطفني
في هوى مثله تطيب النار
سافني نحو حبه المقدار
رقيةً من رقاك يا عيار

وقال [من الهزج] :

من السلوان في عيني
أراها منك بالقلب
إذا ما برد القلد
ك آيات وأثار
وفي الأضلاع أبصار
ب فما تسخنه النار

وقال [من المجث] :

يا معشرُ الناس هل لي
أصاب غرةً قلبي
فعمر ليلي طويل
مما لقيت مجير
ذاك الغزال الغير^(١)
وعمر يومي قصير

وقال [من الرمل] :

أجملي يا أمَّ عمرو
لا تبعني برخص
[أنا إن جدت بوصل
زادك الله جمالا^(٢)
إن في مثلي يُغالي
أحسن العالم حالاً]

* * *

الأوصاف والتشبيهات

قال في وصف الجسر [من الرجز] :

كأنما الماء عليه الجسر
درج بياضٍ خطَّ فيه سطر

(١) غرة قلبي : مفطمه ، والغريز : الجميل الناعم .

(٢) أجملي : ترفقي وتصبري .

كأنا لما تهيأ العبر أسرة موسى حين شق البحر
وجلس يوماً في البستان البديع والماء يتدرج في البرك ، فقال في وصفه ،
وكل واصف فإنما يشبه الموصوف بما هو من جنس صناعته ، أو بما يكثر رؤيته له
[من الكامل] :

أنظر إلى زهر الربيع والماء في برك البديع
وإذا الرياح جرت عليه في الذهاب وفي الرجوع
نثرت على بيض الصفا نوح بيننا حلق الدروع

وقال في وصف النار والفحم [من الكامل] :

لله بردٌ ما أشدّ ومنظرٌ ما كان أعجبُ
جاء الغلام بناره هوجاء في فحمٍ تلهبُ
فكأنما جمع الحليّ فمحرقٌ منه ومذهب
وكأنها لما خبت ما بيننا نداءً معشَّباً^(١)

وقال [من الطويل] :

مددنا علينا الليل والليل راضعُ
بحالٍ تردّ الحاسدين بغيظهم
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه
مبادي نصولٍ في عذار خضيب

وقال [من الرجز] :

وجلنارٍ مشرفٍ على أعالي شجرة
كأن في رءوسه أحمره وأصفرة

(١) خبت النار : ضعف وهجها ، والتدّ : نوع من الطيب .

قراضةٌ من ذهبٍ في خرقٍ معصفرة^(١)

وقال في جارية مسبية [من الكامل] :

وخريدةٍ كرمت على آباتها زمناً، وعند سبائها لم تكرم^(٢)
خطبت بحدّ السيف حتى زوّجت كرهاً، وكان صداقها للمقسم
راحت وصاحبها لعرسٍ حاضرٌ برضا الآله وأهلها في ماتم

ينظر معنى البيت الأول [والثالث] إلى قول المتنبي [من الطويل] :

تبكي عليهن البطاريق في الدجى وهنّ لدينا ملقياتٌ كواسدُ
بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائبٌ قومٍ عند قوم فوائد

ولأبي فراس في طعنة أصابت خده [من الكامل] :

لما رأت أثر السنان بخده ظلّت تقلّبه بوجهٍ عابسٍ
خلف السنان به مواقع لثمها بش الخلافة للمحبّ البائس
حسن الثناء بقبح ما صنع القنا يوم الطعان بصحن خدّ الفارس

* * *

الحكمة والموعظة

قال [من الهزج] :

غنى النفس لمن يعقد حل خيرٌ من غنى المالِ
وفضل الناس في الأنف س، ليس الفضل في الحالِ

(١) القراضة : النثار ، ومعصفرة : مصبوغة بالعصفر ، وهو نبات أصفر يصبغ به .

(٢) الخريدة : الفتاة البكر .

وقال [من الكامل] :

المرء نصب مصائب لا تنقضي
حتى يوارى جسمه في رسمه^(١)
فمؤجَلٌ يلقى الردى في أهله
ومعجَلٌ يلقى الردى في نفسه

قال [من الكامل] :

أنفق من الصبر الجميل فإنه
لم يخش فقراً منفقاً من صبره
والمرء ليس ببالغ في أرضه
كالصقر ليس بصائد في وكروه

وقال [من الكامل] :

خفّض عليك ولا تكن قلق الحشا
مما يكون وعله وعساه^(٢)
والدهر أقصر مدّة مما ترى
وعساک أن تكفي الذي تخشاه

وقال [من الهزج] :

عرفت الشرّاً للشر
ر لكن لتوقيه
فمن لا يعرف الشرّ
من الناس يقع فيه

وقال [من الطويل] :

لعمرك ما الأبصار تنفع أهلها
إذا لم يكن للمبصرين بصائرُ
وهل ينفع الخطي غير مثقّف
وتظهر، إلا بالصقال، الجواهر^(٣)
وكيف ينال المجد والجسم وادعُ
وكيف يحاز الحمد والوفر وافر

وقال [من الطويل] :

إذا لم يعنك الله فيما تريده
فليس لمخلوقٍ إليك سبيل

(١) نصب : أمام وهدف ، والرسم : القبر .

(٢) خفّض عليك : أي هوّن ولا تستصعب ، والحشا : ما انضمت عليه الضلوع .

(٣) الخطي : الرمح ، ومثقّف : مصقول .

وإن هو لم يرشدك في كلِّ مسلكٍ ضللت ، ولو أنَّ السَّمَاكَ دليلٌ^(١)
وقال [من الخفيف] :

لست بالمستضيم من هودوني اعتداءً ، ولست بالمستضامِ
ربَّ أمرٍ عففت عنه اختياراً حذراً من أصابع الأيتامِ
أبذل الحقَّ للخصوم إذا ما عجزت عنه قدرة الحكامِ

* * *

الروميات من غرر أبي فراس

لما أدركت أبا فراس حرفة الأدب ، وأصابته عين الكمال ، أسرته الروم في
بعض وقائعها وهو جريح ، وقد أصابه سهم بقي نصله في فخذه ، وحصل مثخناً
بخرشنة ، ثم بقسطنطينية ، وتناولت مدته بها لتعذر المفاداة ، وقد قيل : على كل
نجح رقيب من الآفات ، وقد كانت تصدر أشعاره في الأسر والمرض واستزادة
سيف الدولة ، وفرط الحنين إلى أهله وإخوانه وأحبابه ، والتبرم بحاله ومكانه ، عن
صدر حرج ، وقلب شج ، تزداد رقة ولطافة ، وتبكي سامعها ، وتعلق بالحفظ
لسلاستها ، فمنها قوله [من الكامل] :

ما للعبيد من الذي يقضي به الله امتناعاً
ذدت الأسود عن الفرا ئس ثم تفرسني الضباعُ!

وقوله [من السريع] :

قد عذب الموت بأفواهنا والموت خيرٌ من مقام الذليل
إنَّا إلى الله لما نابنا وفي سبيل الله خير السبيل

(١) السَّمَاك : نجمٌ يهتدى به .

ولما شقت فخذته عن نصل السهم الذي أصابه قال [من الطويل] :
 فلا تصفن الحرب عندي ، فإنها طعامي مذّ بعت الصبا وشرابي
 وقد عرفت وقع المسامير مهجتي وشقق عن زرق النصول إهابي^(١)
 ولججت في حلو الزمان ومره وأنفقت من عمري بغير حساب
 وقال بخرشنة [من الكامل] :

إن زرت خرشنةً أسيراً فلقد حللت بها مغيراً
 ولقد رأيت النار تنتهب المنازل والقصورا
 ولقد رأيت السبي يجلد ب نحونا حوّاً وهوراً^(٢)
 من كان مثلي لم يبت إلاً أميراً أو أسيراً
 ليست تحلّ سراتنا إلاً الصدور أو القبورا

وكتب إلى سيف الدولة قصيدة منها [من الطويل] :

دعوتك للجفن القريح المسهدّ لديّ ، وللنوم القليل المشردّ
 وما ذاك بخلاً بالحياة وإنها لأوّل مبذولٍ لأوّل مجتدي^(٣)
 ولا زال عني أن شخصاً معرضاً لنبل العدا إن لم يصب فكان قد
 ولكنني أختار موت بني أبي على سروات الخيل غير موسدّ
 وأبى وتأبى أن أموت موسدّاً بأيدي النصارى موت أكمد أكبد^(٤)
 نضوت على الأيام ثوب جلاوتي ولكنني لم أنض ثوب التجلّد^(٥)

(١) شقق : تفتح وأبنت ، وزرق النصول : كناية عن أدوات الحرب من سيف وغيره ، والإهاب : الجلد .

(٢) الحوّ : البيض من النساء ، والهور : النساء اللاتي في عيونهنّ حور ، وهو شدة سواد العين وشدة بياضها .

(٣) المجتدي : السائل والطالب .

(٤) أكبد : أي مقروح الكبد من الحزن والغم .

(٥) نضوت : خلعت ، والجلادة : الصبر والتحمل والقوة .

فمن حسن صبرٍ بالسلامة واعدٍ
فمثلك من يدعى لكلّ عزيمةٍ
تشبّثُ بها أكرومةً قبل فوتها
فإن تفتدونني تفتدوا شرف العلاء
يدافع عن أعراضكم بلسانه
متى تخلف الأيام مثلي لكم فتى
ولا وأبي ما ساعدان كساعدي
وإنك للمولى الذي بك أقتدي
وأنت الذي عرقتني طرق العلاء
وأنت الذي بلغتني كلّ غايةٍ
فيا ملبسي النعمى التي جلّ قدرها
ألم تر أنّي فيك صافحت حدّها
وفيك لقيت الألف زرقاً عيونها
يقولون جنبٌ عادةً ما عرفتها
فقلت أما والله ما قال قائلٌ
ولكن سألقاها فإمّا منيةٌ
ولم أدر أنّ الدهر من عدد العدا

ومن ريب دهرٍ بالردى متوعدي
ومثلي من يفدي بكل مسود^(١)
وقم في خلاصي صادق العزم واقعد
وأسرع عوادي إليكم معود^(٢)
ويضرب عنكم بالحسام المهند
طويل نجاد السيف رحب المقلد^(٣)
ولا وأبي ما سيّدان كسيّد
وإنك للنجم الذي بك أهتدي
وأنت الذي أهديتني كلّ مقصد
مشيت إليها فوق أعناق حسدي
لقد أخلقت تلك الثياب فجدد^(٤)
وفيك شربت الموت غير مصرّد^(٥)
بسبعين فيها كلّ أشام أنكد
شديدٌ على الإنسان ما لم يعوّد^(٥)
شهدت له في الخيل ألام مشهد
هي الظنُّ أو بنيان عزّ مؤيد
وأن المنايا السود يرمين عن يد

(١) كلّ عزيمة : كلّ أمرٍ عظيم ، والمسود : أي سيّد .

(٢) نجاد السيف : حمائله وعلائقه ، والمقلد : موضع حمائل السيف .

(٣) أخلقت : بليت .

(٤) مصرّد : من التصريد ، وهو تقليل العطاء ، والشرب دون الإرتواء .

(٥) جنب : أي ابتعد وتجنب الشيء ، تلافاه .

وكتب إلى والدته وقد ثقل من الجراح التي به [من الطويل] :

مصابي جليلٌ والعزاء جميل
جراحُ تحامها الأساءة مخافةً
وأسرُ أقاسيه وليلٌ نجومه
تطول بي الساعات وهي قصيرةٌ
تناسني الأصحاب إلا عصابةً
وإن الذي يبقى على العهد منهم
أقلب طرفي لا أرى غير صاحبٍ
وصرنا نرى أن المتارك محسنٌ
وظني بأن الله سوف يدلُّ^(١)
وسقمان بادٍ منهما ودخيل
أرى كلَّ شيءٍ غيرهنّ يزول
وفي كلِّ دهرٍ لا يسرك طول
ستلحق بالأخرى غداً وتحول
وإن كثرت دعوهم لقليلٌ
يميل مع النعماء حيث تميل
وأنّ خليلاً لا يضرُّ وصول

كانه مأخوذ من قول المتنبي [من البسيط] :

إنّا لفي زمنٍ تركُ القبيح به
من أكثر الناس إنعاماً وإفضالُ
(رجع) :

تصفحت أحوال الزمان فلم يكن
أكلّ خليلٍ أنكدُ غير منصفٍ
نعم دعت الدنيا إلى الغدر دعوةً
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه
فيا حسرتي من لي بخلٌ موافقٍ
وإن وراء الستر أمّاً بكاؤها
فيا أمّاً لا تعدمي الصبر، إنّه
فيا أمّاً لا تحبطي الأجر، إنّه
إلى غير شاكٍ للزمان وصولُ
وكلّ زمانٍ بالكرام بخيلُ
أجاب إليها عالمٌ وجهول
وخلّى أمير المؤمنين عقيلُ
أقول بشجوي مرّةً ويقول
عليّ، وإن طال الزمان، طويلُ
إلى الخير والنجح القريب رسول^(٢)
على قدر الصبر الجميل جزيل

(١) يدل : ينتقم لي بأن يجعل له الدولة عليهم .

(٢) أمّا : أي يا أمي ، وهذا الاستعمال خاص بالنداء .

فقد غال هذا الناس قبلك غول
 وخضت سواد الليل وهو خيول
 عشية لم يعطف علي خليل
 وفيه وفي حد الحسام فلول^(١)
 ومن لم يعز الله فهو ذليل
 فليس لمخلوق إليه سبيل

تأسّي كفاك الله ما تجدينه
 لقيت نجوم الأفق وهي صوارم
 ولم أرع للنفس الكريمة خلة
 ولكن لقيت الموت حتى تركته
 ومن لم يوق الله فهو ممزق
 ومن لم يرده الله في الأمر كله

وكتب إلى سيف الدولة [من الكامل] :

لا بالأسير ولا القليل	هل تعطفان على العليل
فأ سحابة الليل الطويل	باتت تقلبه الأك
وبكاه أبناء السبيل	فقد الضيوف مكانه
ح وأغمدت بيض النصول	وتعطلت سمر الرما
م وكاشف الخطب الجليل	يا فارح الكرب العظي
ف ويا عزيز لذا الذليل	كن يا قويّ لذا الضعيف
في ظلّ دولته الظليل	قربه من سيف الهدى
ت بطول خدمته غليلي	لم أرو منه ولا شفي
ه لقد حننت إلى وصول	ولئن حننت إلى ذرا
ب ولا الكذوب ولا الملول	لا بالقطوب ولا الغضوب
ت وظلّتي عند المقيّل ^(٢)	يا عدّتي في النائبا
م وما وعدت من الجميل ؟	أين المحبّة والذما
احمل على النفس الكريمة في والقلب الحمول	

(١) الفلول : الشطوب ، والتكسر في حدّ الدسيف .

(٢) ظلّتي : أي ما يظنني من حرّ الشمس كالفيء وغيره والقيلولة : الراحة وقت اشتداد الحرّ .

وكتب إلى والدته [من الكامل] :

لولا العجوز بمنبحٍ ما خفت أسباب المنية
ولكان لي عمّا سألت من الفدى نفسٌ أبيه
لكنّ أردت مرادها ولو انجذبت إلى الدنية
أمست بمنبحٍ حرّةً بالحزن من بعدي حرية^(١)
فيها التقى والدين مجـموعان في نفسٍ زكية
لا زال يطرق منبجاً في كلِّ غاديةٍ تحية
يا أمّتا لا تحزني وثقي بفضل الله فيه
يا أمّتا لا تيأسي لله الطافُ خفيّه
أوصيك بالصبر الجميل فإنّه خير الوصية

وكتب إلى غلامين له [من الخفيف] :

هل تحسّان لي رفيقاً رفيقا
لا رعى الله يا خليلي دهرأ
كنت مولاكما وما كنت إلا
فاذكراني وكيف لا تذكراني
بتُّ أبكيكما وإنّ عجيباً
يحفظ الودّ أو صديقاً صدوقا
فرقتنا صروفه تفريقا
والدأ محسناً وعمّاً شقيقا
كلما استخون الصديق صديقا
أن بيت الأسير يبكي الطليقا

وكتب إلى غلامه منصور [من الخفيف] :

مغرّم مؤلمٌ جريحٌ أسيرٌ
وكثيرٌ من الرجال حديدٌ
قل لمن حل بالشام طليقاً :
إنّ قلباً يطيق ذا لصبورٌ
وكثيرٌ من القلوب صخور
بأبي قلبك الطليق الأسير

(١) حرّيه : جديره .

أنا أصبحت لا أطيق حراكاً
وكتب إليه [من السريع] :

ارث لصبك قد زدته
قد عدم الدنيا ولذاتها
فهو أسير الجسم في بلدة
وكتب إليه أيضاً [من السريع] :

يا ليل ما أغفل عمّا بي
يا ليل نام الناس عن موجع
هبت له ريح شامية
أدت رسالات حبيب بها
جائبي فيك وأحبابي
ناءً على مضجعه نابي^(١)
مئت إلى القلب بأسباب^(٢)
فهمتها من بين أصحابي

بلغني أن صاحب كان يستظرف هذين البيتين ويستملحهما ويكثر
الإعجاب بهما .

وكتب إليهما [من المتقارب] :

لأيكم أذكر
وكم لي على بلدتي
ففي حلب عدتي
وفي منبج من رضا
ومن حبها زلفة
وأصيبة كالفراخ
وفي أيكم أفكر
بكاءً ومستعبر
وعزّي والمفخر
ه أنفس ما أذخر^(٣)
بها يكرم المحشر
خ أكبرهم أصغر

(١) ناءً : بعيد ، ونابي : لم يطمئن في نومه على الفراش .
(٢) مئت : وصلت ، والأسباب : الحبال والعلائق .
(٣) أنفس : أغلى وأثمن ، وأذخر : أي أذخر وأبقي .

يخيّل لي أمرهم كأنهم حضّر^(١)
وقوم ألفناهم وغصن الصبا أخضر
فحزني ما ينقضي ودمني ما يفتّر^(٢)
أيا غفلتا كيف لا أرجى كما أحذر
وماذا القنوط الذي أراه وأستشعر
بلى ، إن لي سيّداً مواهبه أكثر
بذنبني أوردتني ومن فضلك المصدر^(٣)

وقال وقد حضره العيد [من السريع] :

يا عيد ما عدت بمحجوب
يا عيد قد عدت إلى ناظر
يا وحشة الدار التي ربّها
قد طلع العيد على أهلها
ما لي وللدهر وأحداثه
على معنى القلب مكروب^(٤)
عن كلّ حسن فيك محجوب
أصبح في أبواب مريب^(٥)
بوجه لا حسن ولا طيب
لقد رماني بالأعاجيب

وقال وقد سمع حمامة تنوح بقربه على شجرة عالية [من الطويل] :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة
معاذ الهوى ما ذقت طارقة الهوى
أتحمل محزون الفؤاد قوادم
أيا جارتني هل تشعرين بحالي
ولا خطرت منك الهموم ببال
على غصن نائي المسافة عالي

(١) حضّر : من الاحتضار ، وهو النزاع عند الموت ، يريد أنهم لفراقه يحضرون من الألم .

(٢) يفتّر : يضعف .

(٣) الورد : مكان ورود الماء للإستسقاء ، والمصدر : الرجوع عن الماء بعد الورد منه .

(٤) معنى القلب : متألّمه ومتعبه ، والمكروب : المحزون .

(٥) ربّ الدار : صاحبها ، والمريب : المستعبد .

أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا
تعالى تري روحاً لديّ ضعيفاً
أيضحك مأسوراً وتبكي طليقةً
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلّةً
تعالى أقاسمك الهموم تعالي^(١)
تردد في جسمٍ يعذب بالي
ويسكت محزوناً ويندب سالي^(٢)
ولكنّ دمعي في الحوادث غالي

وكتب إلى سيف الدولة [من الطويل] :

أما لجميلٍ عندكّن ثوابُ
إذا الخلُّ لم يهجرِك إلاّ ملالةً
إذا لم أجد من خلّةٍ ما أريده
وليس فراقٌ ما استطعت فإن يكنُ
ولا لمسيءٍ عندكّن متابُ
فليس له ، إلاّ الفراق ، عتابُ
فعندي لأخرى عزيمةٌ وركابُ
فراقٌ على حالٍ فليس إيابُ

أخذه من قول القائل وهو أوس بن حجر [من الطويل] :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكدُ
إليه بوجهٍ آخر الدهر تقبل

(رجع) :

صبور ولو لم يبق منّي بقيةً
وقورٌ وأحداث الزمان تنوشي
بمن يشق الإنسان فيما ينوبه
وقد صار هذا الناس إلاّ أقلهمُ
تغابيت عن قومٍ فظنّوا غباوةً
قؤولٌ ولو أنّ السيوف جوابُ
وللموت حولي جيئةٌ وذهابُ
ومن أين للحرّ الكريم صحابُ
ذئابٌ على أجسادهن ثيابُ
بمفرق أغباننا حصيٌ وترابُ !

(١) كسر اللام من « تعالي » عند إسنادها إلى ياء المخاطبة وضمّها عند إسنادها لواو الجماعة لغة حجازية

قليلة ، والأكثر بقاء اللام مفتوحة في كلّ أحوالها .

(٢) السالي : من السلوان وهو الذي سلى الشيء : أي نسيه .

(٣) الخلّة : المصادقة . وعزيمة وركاب : أي عزيمة إلى قصد غيرها .

(٤) تنوشي : تصيبني وتترك في آثارها .

إذا علموا أنني شهدت وغابوا
تحكم في آسادهن كلاب
لدي ولا للمعتفين جناب
ولا ضربت لي بالعراء قباب^(١)
ولا لمعت لي في الحروب حراب
وكعب، على علائها، وكلاب
ولا دون ما لي في الحوادث باب
ولا عورتي للطالين تصاب
إذا قل منه مضرب وذباب
ويوشك يوماً أن يكون ضراب
رحاب علي للعفاة رحاب
وأمواله للطالين نهاب
وأظلم في عيني منه شهاب^(٢)

وبحر خطاني فيضه وهو مفعم
وموضع رحلي منه أسود مظلم

وللموت ظفر قد أطل وناب
ولا نسب بين الرجال قراب
ولي عنه فيه حوطة ومناب^(٣)

ولو عرفوني بعض معرفتي بهم
إلى الله أشكو أننا بمنازل
تمر الليالي ليس للنفع موضع
ولا شد لي سرج على متن سابح
ولا برقت لي في اللقاء قواطع
ستذكر أيامي نمير وعامر
أنا الجار لا زادي بطيء عليهم
ولا أطلب العوراء منها أصيبتها
بني عمنا، ما يفعل السيف في الوغى
بني عمنا، نحن السواعد والظبا
وما أدعي ما يعلم الله غيره
وأفعاله للراغبين كريمة
ولكن بنا منه بكفي صارم
ألم فيه بقول البحري [من الطويل] :

سحاب عداني جوده وهو ريق
وبدر أضاء الأرض شرقاً ومغرباً
(رجع) :

وأبطأ عني والمنايا سريعة
فإن لم يكن ود قريب تعده
فأحوط للإسلام أن لا يضيعني

(١) السابح : الحصان .

(٢) نبا : لم يستقر ، والصارم : السيف القاطع .

(٣) فأحوط : من الحيطة وهي الحذر من مقارفة الذنب .

لنعلم أيّ الخلتين سرابٌ
لديه ، وما دون الكثير حجاب
وذكرى منىً في غيرها وطلاب
ثوابٌ ، ولا يخشى عليه عقاب^(١)

ولكنني راضٍ على كلِّ حالةٍ
وما زلت أرضى بالقليل محبةً
وأطلب إبقاءً على الودِّ أرضه
كذاك السواد المحض لا يرتجى له
ومثله للمنتبي [من الطويل] :

ضعيف هوىً يبغى عليه ثواب

وما أنا بالباغي على الحبِّ رشوةً
(رجع) :

وفي كلِّ يومٍ لُقيّةٌ وخطاب
وللبحر حولي زخرةٌ وعباب ؟
أثاب بمرِّ العُتبِ حين أثاب
وليتك ترضى والأنام غضاب
وبيني وبين العالمين خرابٌ
وكلُّ الذي فوق التراب تراب

وقد كنت أخشى الهجر والشمل جامعٌ
فكيف وفيما بيننا ملك قيصر
أمن بعد بذل النفس فيما تريده
فليتك تحلو والحياة مريرةٌ
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ
إذا صحَّ منك الودُّ فالكلُّ هينٌ
وكتب إليه [من الكامل] :

أن لا أكون حليف دارك
رك ما حيت لغير تارك
ذاك المواسي والمشارك

بالكره مني واختيارك
يا تاركي إنني لشك
كن كيف شئت فأنني

وكتب إليه [من الطويل] :

ومكنون هذا الحبِّ إلا تضرّعا^(٢)

أبى غربٌ هذا الدمع إلا تسرعاً

(١) المحض : الخالص الذي لا تشوبه شائبة نفعية وغيرها .

(٢) الغرب : وهو هنا بمعنى عرقٍ في العين ينزف الدمع فلا ينقطع ، أو مسيل الدمع وانهلاله .

إذا شئت لي ممضى وإن شئت مرجعاً^(١)
 رعت مع المضياعة الغرماً رعى^(٢)
 وسرّي سرّ العاشقين مضياً
 لأبلج من أبناء عمّي أروعا^(٣)
 وأصبح محزوناً وأمسي مروّعا
 وفارقني شرح الشباب فودّعا^(٤)
 فحاولت أمراً لا يرام ممّنعاً^(٥)
 تتبّعها بين الهموم تتبعا
 وتوجّني بالشيب تاجاً مرصّعا
 من العيش يوماً لم أجد في موضعاً
 أسرّ بها هذا الفؤاد المفجعاً
 فيصفي لمن يصفى ويرعى لمن رعى
 إذا ما تفرّقنا حفظت وضياً
 تخوّفت من أعمامي العرب أربعا
 لقيت من الأحباب أدهى وأوجعا
 رجعت إلى ألي وأملت أوسعا
 ومن لم يجد إلاّ القنوع تقنّعا^(٦)
 ولكن يرجّى الناس أمراً مرّقعا^(٧)

وكنت أرى أنّي مع الصبر واجدٌ
 فلما استمرّ الحبّ في غلوائه
 فحزنيّ حزن الهائمين مبرّحا
 وهبت شبابي والشباب مضنّة
 أبيت معنّى من مخافة عتبه
 فلما مضى عصر الشبيبة كلّه
 تطلّبت بين العتب والهجر فرجةً
 وصرت إذا ما رمت في الخير لذةً
 وها أنا قد حلّى الزمان مفارقي
 فلو أنّني مكّنت ممّا أريده
 أما ليلةً تمضي ولا بعض ليلةٍ
 أما صاحبٌ فردٌ يدوم وفاؤه
 أفي كلّ دارٍ لي صديقٌ أودّه
 إذا خفت من أحوالي الروم خطةً
 وإن أوجعتني من أعادي شيمةً
 ولو قد رجوت الله لا شيء غيره
 لقد قنعوا بعدي من القطر بالندي
 وما مرّ إنسانٌ فأخلف مثله

(١) ممضى : مصدر ميمي بمعنى المضي .

(٢) الغلواء : حدة الشباب ونشاطته وميعته .

(٣) مضنّة : يقال للشيء النفيس الذي تضنّ به النفوس : إنّه علق مضنّة .

(٤) شرح الشباب : ريعانه وحدّته ونشاطه .

(٥) الفرجة : الفسحة والخلاص .

(٦) القطر : المطر المنهل .

(٧) مرّقعا : موصولاً .

تَنكَّر سيف الدِّين لَمَّا عتَبته
فَقولاً له من صادق الودِّ : إنَّني
ولو أنَّني أكننته في جوانحي
فلا تغتَررُ بالناس ، ما كلَّ من ترى
فله إحسانٌ عليٌّ ونعمةٌ
أراني طرق المكرمات كما رأى
فإن يك بطءٌ مرَّةً فلطالما
وإن يجف في بعض الأمور فإنَّني
وإن يستجدَّ الناس بعدي فلم يزل

وكتب إليه أبو فراس : مفاداتي إن تعذرت عليك فأذن لي في مكاتبة أهل
خراسان ومراسلتهم ليفادوني وينوبوا عنك في أمري ، فأجابه سيف الدولة بكلام
حسن ، وقال له : ومن يعرفك بخراسان ؟ فكتب إليه أبو فراس [من المتقارب] :

أسيف الهدى وقريع العربُ
وما بال كتبك قد أصبحتُ
وأنت الكريم ، وأنت الحليم
وما زلت تسعفني بالجميل
وإنك للجبلُ المشمخـرّلي ، بل لقومك ، بل للعرب
علاً يستفاد ، وعافٍ يفاد ،
وما غضَّ منِّي هذا الإِسار
إلامَ الجفاء ؟ وفيم الغضبُ ؟
تنكبني مع هذي النكب^(٣)
وأنت العطوف ، وأنت الحذب^(٤)
وتنزلي بالمكان الخصب
وعزُّ يشاد ، ونعمى ترب^(٥)
ولكن خلصت خلوص الذهب

(١) رابني : أدخل في نفسي الريبة والشك ، والمفزع : الملجأ .

(٢) أوضعت : أسرعت ، وأفسدت .

(٣) تنكبني : تصيبني وتساعد عليّ ، والنكب : المصائب .

(٤) الحذب : العطوف الشفوق .

(٥) العافي : الطالب المعروف ، ترب : تحمد وتحفظ .

فقيم يقرّعني بالخموم
 وكان عتيداً لديّ الجواب
 أتذكر أنني شكوت الزمان
 فألاً رجعت فأعتبتني
 فلا تنسبنّ إليّ الخمول
 وأصبحت منك فإن كان فضلُ
 وإنّ خراسان إنّ أنكرت
 ومن أين ينكرني الأبعدون
 ألسنت وإياك من أسرق
 ودادٌ تناسب فيه الكرام
 ونفسٌ تكبرُ إلاّ عليك
 فلا تعدلن فذاك ابن عمّك ، لا ، بل غلامك عمّا يجب
 من الفضل والنسب المكتسب
 لياليّ أدعوك من عن كثب
 ولاح من الأمر ما لا أحب
 لقلت صديقك من لم يرغب

وكتب إليه أيضاً [من الوافر] :

زمانى كلّه غضبٌ وعتبٌ
 وعيش العين لديك سهلٌ
 فكيف وأنت دافع كلّ خطبٍ
 وأنت عليّ والأيام ألبٌ^(١)
 وعيشي وحده بفناك صعب
 مع الخطب الملمّ عليّ خطبٍ

(١) أشب : ملثف ومتماسك .

(٢) ألب : أي مجتمعون عليّ .

فلا تحمل على قلبٍ جريحٍ
أمثلي تقبل الأقوال فيه
جناني ما علمت ، ولي لسانٌ
وزندي وهو زندك ليس يكبو
وفرعي فرعك السامي المعلى
وفضلي تعجز الفضلاء عنه
فدت نفسي الأمير وكان حظي
فلما حالت الأعداء دوني
ظلمت تبدل الأقوال بعدي
فقل ما شئت في فلي لسانٌ
وقابلني بإنصافٍ وظلمٍ

به لحوادث الأيام ندب^(١)
ومثلك يستمر عليه كذبٌ
يقدّ الدرع والإنسان ، غضب^(٢)
وناري وهي نارك ليس تخبو^(٣)
وأصلي أصلك الزاكي وحسب
لأنك أصله والمجدّ ترب^(٤)
وقربي عنده ما دام قربٌ
وأصبح بيننا بحرٌ ودرب^(٥)
ويبلغني اغتياك ما يغب^(٦)
مليءٌ بالثناء عليك رطب
تجدني في الجميع كما تحبُّ

وبلغ أبا فراس أن والدته قصدت حضرة سيف الدولة من منبج تكلمه في
المفاداة ، وتتضرع إليه ، فلم يكن عنده ما رجت من حسن الإيجاب ، ووافق ذلك
عنفاً من الدمستق بأبي فراس ومن معه من الأسرى ، وزيادة في إرهابهم ، فكتب
إلى سيف الدولة [من المنسرح] :

يا حسرةً ما أكاد أحملها آخرها مزعجٌ وأولها
عليلةٌ بالشام مفردةٌ بات بأيدي العدى معلّها

(١) الندب : الجرح وجمعه ندوب .

(٢) يقدّ : يقطع ، والعضب صفة ثانية للسان وهي بمعنى القاطع .

(٣) كبا الزند : أي أنه لم يخرج ناراً عند القدح ، وتخبو : تضعف وتنطفئ .

(٤) الترب : يقال فلان ترب فلان ، أي يساويه في السن .

(٥) حالت : منعت ووقفت في طريقي ، والدرب : الطريق الموصل إلى بلاد الروم .

(٦) يغب : يزور الفينة بعد الفينة .

إذا اطمأنت ، وأين ؟ أو هدأت
تسأل عتاً الركبان جاهدةً
يا من رأى لي بحصن خرشنةٍ
يا من رأى في الدروب شامخةً
يا أيها الركبان هل لكما
يا أمتاً هذه منازلنا

ومنها :

يا سيداً ما تعدُّ مكرمةً
ليست تنال القيود من قدمي
لا تتيَّمُ والماء تدركه
أنت سماءٌ ونحن أنجمها
أنت سحابٌ ونحن وابله
بأيِّ عذرٍ رددت والهةً
جاءتك تمتاح ردَّ واحدنا
تلك العقود التي عقدت لنا
أرحامنا منك ، لم تقطعها ؟
سمحت منِّي بمهجةٍ كرمتُ
إن كنت لم تبذل الفداء لها
تلك المودات كيف تهملها

(١) عتت : خطرت في بالها ، والذكرة : الفكرة ، وتقلقلها ، تقضُّها وتقلقلها .

(٢) التيَّمُ : هو استعمال التراب للوضوء في حال الجنابة وعدم توفر الماء .

(٣) الوالهة : العاشقة الحزينة المفجوعة ، ومعولها : أي الذي يعولها .

(٤) تمتاح : أصل الامتياح ، استخراج الماء من البئر والمراد هنا : تسأل ، وتقلقلها : ترجعها وتعيدها .

أين المعالي التي عرفت بها
يا واسع الدار كيف توسعها
يا ناعم الثوب كيف تبدله
يا راكب الخيل لو بصرت بنا
رأيت في الضر أوجهاً كرمت
قد أثر الدهر في محاسنها
لا يفتح الناس باب مكرمة
أينبري دونك الكرام لها
وأنت إن عزَّ حادثٌ جَلُّ
منك تردى بالفضل أفضلها
فإن سألنا سواك عارفةً
لم يبق في الناس أمةٌ عرفتُ
نحن أحقُّ السورى برأته
يا منفق المال لا يريد به
أصبحت تشري مكارماً فضلاً
لا يقبل الله قبل فرضك ذا

تقولها دائماً وتفعلها؟
ونحن في صخرة نزلزلها
ثيابنا الصوف ما نبدلها!
نحمل أقيادنا ونقلها
فارق فيك الجمال أجملها
تعرفها تارةً وتجهلها
صاحبها المستغاث يقفلها
وأنت قمقامها وأجملها^(١)
قلبها المرتجى وحولها^(٢)
منك أفاد النوال أنولها^(٣)
فبعد قطع الرجاء نسألها^(٤)
إلاً وفضل الأمير يشملها
فأين عنا وكيف معدلها
إلاً المعالي التي يؤثلها^(٥)
فداؤنا ما علمت أفضلها
نافلةً عنده تنقلها^(٦)

وكتب إلى أبي المعالي وأبي المكارم ابني سيف الدولة [من الكامل] :
يا سيدي أراكما لا تذكران أحكاما

(١) القمقام : السيد الكثير العطاء .

(٢) قلبها : يقال فلان قلب حوّل : إذا كان بصيراً بمسالك الأمور ، خبيراً بحلّ مشكلها ، قادراً على التحليل لها .

(٣) تردى : أي لبس الرداء ، واستعاره هنا للاستمسك بالفضل ، وأنولها : أشدها نوالاً .

(٤) العارفة : النوال والعطاء .

(٥) يؤثلها : يقال مجدُّ أثيل : أي أصيل وعظيم .

(٦) النافلة : ما زاد عن الواجب ، وتنقلها : أراد تنقلها ، فحذف إحدى التاءين .

أوجدتما بدلاً به بيني سماءَ علاكما
 أوجدتما بدلاً به يفري نحور عداكما^(١)
 من ذا يعاب بما لقيت من السورى إلأكما
 لا تقعدا بي بعدها وسلا الأمير أباكما
 وخذا فدايَ جعلت من ريب المنون فداكما!

وقال لما طال أسره يسب الشامتين ويتشوق محله بمنبج [من الكامل] :

قف في رسوم المستجا ب وناد أكناف المصلّى
 تلك المنازل والملا عب لا أراها الله محلاً^(٢)
 أوطنتها زمن الصبا وجعلت منبج لي محلاً
 حيث التفت رأيت ما ء سائحاً وسكنت ظلاً
 والماء يفصل بين زهر الروض في الشطين فصلاً
 كبساط وشي جرّدت أيدي القيون عليه نصلاً^(٣)
 من كان سرُّ بما عرا ني فليمت ضرّاً وهزلاً^(٤)
 ما غضّ مني حادثُ والقرم قرمٌ حيث حلاً^(٥)
 أتى حللت فائتما يدعونني السيف المحلى
 ولئن خلصت فائتني شرق العدا طفلاً وكهلاً^(٦)
 ما كنت إلأ السيف زا دعلى صروف الدهر صقلاً^(٧)

(١) يفري : يقطع .

(٢) المحل : الجذب ، وهنا دعاء للمنازل بأن تبقى مخصصة ناعمة .

(٣) القيون : جمع قين ، وهو الحداد ، الذي يصنع السيوف .

(٤) عراقني : أصابني .

(٥) غضّ : نقص وقلل من منزلتي ، والقرم : السيد .

(٦) شرق العدا : غصتهم .

(٧) الصقل : المضاء ، وصقل السيف : جلاه .

ولئن قتلت فإنّما موت الكرام الصيد قتلى^(١)
يغترّ بالدنيا الجهو ل وليس بالدنيا مملّى^(٢)

وقال من قصيدة [من الطويل] :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهى عليك ولا أمرٌ
بلى أنا مشتاق وعندي لوعةٌ ولكنّ مثلي لا يذاع له سرٌّ
إذا الليل أضوى بي بسطت يد الرّجا وأذلت دمعاً من خلاثقه الكبر
تكاد تضيء النار بين جوانحي إذا هي أذكتها الصباية والفكر^(٣)
ومنها :

وإني لجرارٌ لكلّ كتيبةٍ معوذةٌ أن لا يخلّ بها النصر
وأصدأ حتى ترتوي البيض والقنا وأسغبُ حتى يشبع الذئب والنسر^(٤)
ومنها :

أسرت وما صحبي بعزلٍ لدى الوغى ولا فرسي مهر ولا ربّه غمرٌ^(٥)
ولكن إذا حمّ القضاء على امرئٍ فليس له برٌّ يقيه ولا بحرٌ
وقال أصيحابي : الفرار أو الرّدى فقلت : هما أمران أحلاهما مرٌّ
ولكنني أمضي لما لا يعينني وحسبك من أمرين خيرهما الأسر
ولا خير في دفع الرّدى بمذلةٍ كما ردّها يوماً بسواته ~~عمره~~^(٦)

(١) الصيد : بكسر الصاد : وهو الذي يميل رأسه كبيراً .

(٢) مملّى : يقال تملّى فلان من عمره : أي أطال الله عمره ومدّ بحياته .

(٣) أذكتها : أذكى النار ، أوقدها وزادها وقوداً .

(٤) أصدأ : أظمأ ، وأسغب : أجوع .

(٥) بعزل : بجبناء ، والغمر : القليل التجربة ، الجاهل .

(٦) يقال : إن عمرو بن العاص ، كان يقاتل عليّ بن أبي طالب فقال منه أبو الحسين وصرعه ، وأراد أن يجهز عليه فرجع ثوبه وأظهر سواته ، وكان الإمام عليّ لا ينظر إلى سواة أحد قطّ ، فتركه وأشاح بنظره =

وكتب إلى سيف الدولة قصيدة منها [من الكامل] :

مالي جزعت من الخطوب ، وإئتما
إن لم تكن طالت سنيّ فإنّ لي
قمن بما سرّ الأعادي موقفي
يا دهر خنت مع الأصادق خلتي
لكنّ سيف الدولة المولى الذي
أيضعني من لم يزل لي حافظاً
إنّي أغار على مكاني أن أرى

وقال من قصيدة [من الوافر] :

يعزّ على الأحبة بالشام
وإنّي للصبور على الرزايا
جروح ما يزلن يردن منّي
تأملني الدمستق إذ رآني
أتكرني كأنك لست تدري
فلا هتّتها نعمى بأخذي
أما من أعجب الأشياء علج
وتكفنه بطارقة تيوس

حبيباً بات ممنوع المنام
ولكنّ الكلام على الكلام^(١)
على جرح قريب العهد دام
فأبصر صيغة الليث الهمام
بأنّي ذلك البطل المحامي
ولا وصلت سعودك بالتمام
يعرفني الحلال من الحرام^(٢)
تباري بالعثانين الضخام^(٣)

= عنه ، فقرّ عمرو ونجا بهذه الحيلة ، وذكر ذلك إلى معاوية فقال له : لو كنت مكانه لاخرتمتك بالرمح ...

(١) القمن : الجدير والخليق .

(٢) الكلام : الجراح ، يريد أن الجراح بعضها فوق بعض أو إثر بعض .

(٣) العليج : الكافر .

(٤) تكفنه : تحيط به ، والعثانين : اللحي ، أو ما فضل منها بعد العارضين « في الذقن » .

لهم خلق الحمير فلست تلقى
يرىغون العيوب ، وأعجزتهم ،
ثناءً طيباً لا خلف فيه
ألاز على التعرُّض للمنايا
بنو الدنيا إذا ماتوا سواءً
ألا يا صاحبي تذكّراني
إذا ما لاح لي لمعان برقٍ

فتى منهم يسير بلا حزام
وأى العيب يوجد في الحسام^(١)
وأثار كآثار الغمام
ولي سمع أصمّ عن الملام
ولو عمر المعمّر ألف عام
إذا ما شمتما البرق الشّامي^(٢)
بعثت إلى الأحبة بالسلام

وكتب إليه ابن الأسمر يوصيه بالصبر ، فأجابه [من الطويل] :

ندبت لحسن الصبر قلب نجيب
ولم يبق مني غير قلبٍ مشيعٍ
وقد علمت أمي بأنّ منيتي
كما علمت من قبل أن يغرق ابنها

وناديت بالتسليم خير مجيب
وعود على ناب الزمان صليب^(٣)
بحدّ حسامٍ أو بحدّ قضيب
بمهلكه في الماء أم شبيب

كانت أم شبيب رأت في منامها - وهي حبلى - كأن نار أخرجت من بطنها
فاشتعلت الآفاق ثم وقعت في الماء فانطفأت ، فلما كان من أمره ما كان ونعى إليها
لم تصدق ، حتى قيل : إنه قد غرق في الماء ، فأقامت المناحة .

تجشمت خوف العار أعظم خطيةٍ
وللعار خلّى ربّ غسان ملكه

وأملت نصراً كان غير قريب
وفارق دين الله غير مصيب^(٤)

(١) يرىغون العيوب : يطلبونها ، والحسام : هو الذي يحسم مادة الشرّ والخلاف .

(٢) شمتما : شام البرق : نظر إليه ليعرف أين مطره .

(٣) قلب مشيع : أي جريء قوي ، والصليب : أي صلب .

(٤) أراد ربّ غسان : جبلة بن الأيهم ، وكان قد أسلم ثم ذهب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،

ولطم أعرابياً مسلماً لأنه داس رداه فأراد عمر أن يقتص منه ، إلا أن يرضى الأعرابي ، فاستمهله إلى

الغد ، ثم فرّ في جنح الليل ولحق بالروم متنصراً ... ؟

ولم يرتغب في العيش عيسى بن مصعبٍ ولا خفّ خوفٌ بالحزون حبيب^(١)

وأحفظ أبو فراس الدمستق في مناظرة جرت بينهما فقال له الدمستق : إنما أنتم كتاب ولا تعرفون الحرب ، فقال له أبو فراس : نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالأقلام ؟ ثم قال [من الطويل] :

أتزعم يا ضخم اللغاديد أننا
فويلك ! من للحرب إن لم نكن لها ؟
ومن ذا يكفّ الجيش من جنباته
وويلك ، من أردى أخاك بمرعشٍ
[وويلك من خلى ابن أختك موثقاً
أتوعدنا بالحرب حتّى كأننا
لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه
وسلّ برد ، سلّ عتّا أباك وصهره
وسل قرقاشا والشمقمق صهره
وسل صيدكم آل الملايين ، إننا
وسل أهل بيرام وأهل بلنطسٍ
وسل بالبطرصيس العساكر كلّها
ونحن أسود الحرب ، لا نعرف الحرب^(٢)
ومن ذا الذي يضحي ويمسي لها تربا ؟
ومن ذا يقود العين أو يصدّم القلب
وجلّ ضرباً وجه والدك العضبا^(٣)
وإياك لم يعصب بها قلبنا عصبا^(٤)
فكنّا بها أسداً وكنت بها كلبا
وسل أهل برداليس أعظمهم خطبا^(٥)
وسل سبطه البطريق أثبتهم قلبا
نهبنا بيض الهند عرضهم نهبا^(٦)
وسل آل شنوان الخناجرة الغلبا
وسل بالمسيطر ناطس الروم والعربا

(١) عجز هذا البيت في ديوانه « ولا خفّ خوف الحرب قلب حبيب » والحزون : الأرض الصعبة المسالك ، والخبيب : من الخبب وهو ضرب من العدو .

(٢) اللغاديد : جمع لغدود ، وهو لحمه في الحلق ، أو كالزوائد من اللحم في باطن الأذن .

(٣) العضب : السيف القاطع .

(٤) لم يعصب : لم يجمع ويشرك ، والعصابة : الجماعة .

(٥) برد : اسم أبي الدمستق ، وبرداليس : اسم مكان .

(٦) الصيد : جمع أصيد وهو المائل الرأس كبيراً ومخيلة والملايين جمع ملبون : وهو من به مثل السكر .

ألم تكفهم قتلا ونهباً سيوفنا
 بأقلامنا أبحرت أم بسيوفنا ؟
 تفاخرنا بالضرب والطعن والقنا
 رعى الله أوفاننا- إذا قال- ذمّة
 وأسد الشرى الملقى وإن جمدت رعبا
 وأسد الشرى قدنا إليك أم الكتبا؟^(١)
 لقد أوسعتك النفس يا ابن استها كذبا^(٢)
 وأنفذنا طعنا وأثبتنا ضربا

وقال من قصيدة [من الطويل] :

خليليّ ما أعددتما لمتيم
 فريدٍ عن الأحباب لكن دموعه
 جمعت سيوف الهند من كلّ وجهةٍ
 إذا كان غير الله للمرء عدّة
 فقد جرّت الحنفاء حتف حذيفة
 [وجرت منايا مالك بن نوية
 وأردى ذؤاباً في بيوت عُثيبة
 أسيرٍ لدى الأعداء جافى المراقد
 مثانٍ على الخدين غير فرائد^(٣)
 وأعددت للأعداء كلّ مجالد
 أته الرزايا من وجوه الفوائد
 وكان يراها عدّة للشدائد^(٤)
 عقيلته الحساء أيام خالد]^(٥)
 بنوه وأهلوه بشدو القصائد^(٦)

ولما خفف عن أبي فراس ورفه ، ونوظر في أمر الهدنة والأسارى ، وأجيب إلى
 ملتسمه بعد أن أكرم وبجل قال [من الطويل] :

ولله عندي في الإِسار وغيره
 حللت عقوداً أعجز الناس حلّها
 مواهب لم يخصص بها أحدٌ قبلي
 وما زلت لا عقدي يذم ولا حلّي

(١) أبحرت : أي دخل الحجر فراراً .

(٢) الإِسْت : المؤخّرة .

(٣) مثانٍ : جمع مثني ، وأراد متالية بعضها إثر بعض .

(٤) الحنفاء : القوس ، والحنف : الهلاك .

(٥) العقيلة : الزوجة : وخالد : هو خالد بن الوليد .

(٦) أردى : قتل ، وذؤاباً : جمع ذئب .

إذا عاينتني الروم قد ذلَّ صيدها
وأوسعُ أياماً حللت كرامةً
فأبلغ بني عمي وأبلغ بني أبي
وما شاء ربي غير نشر محاسني
كأنهم أسرى يديّ بلا كبل^(١)
كلّني من أهلي نُقلتُ إلى أهلي
بأني في نعماء يشكرها مثلي
وأن يعرفوا ما قد عرفتم من الفضل

* * *

ما أخرج من مزدوجته الطردية

ما العمر ما طالَت به الدهور
أيام عزّي ونفاذ أمري
[ما أجور الدهر على بنيه
لو شئت مما قد قللن جدا
أنعت يوماً مرّ لي بالشام
دعوت بالصقّار ذات يوم
قلت له اختر سبعةً كباراً
يكون للأرنب منها اثنان
واجعل كلاب الصيد نوبتين
ثم تقدّمت إلى الفهّاد
وقلت إن خمسةً لتقع
وأنت يا طبّاخ لا تباطا
ويا شرابيّ البلقيسيات
العمر ما تمّ به السرور
هي التي أحسبها من عمري
وأغدر الدهر بمن يُصفيه]^(٢)
عددت أيام السرور عدّاً
ألذّ ما مرّ من الأيام
عند انتباهي سحرّاً من نومي^(٣)
كلُّ نجيبٌ يردُّ الغبارا
وخمسةً تفرد للغزلان
يرسل منها اثنان بعد اثنين
والبازيارين بالاستعداد^(٤)
والزُرْقَان الفرخُ والملمع
عجّل لنا اللّفات والأوساطا
تكون للراح ميسّرات

(١) الكبل : القيد .

(٢) يُصفيه : يتخذه خليلاً .

(٣) الصقّار : الذي مهنته رعاية الصقور .

(٤) البازيارين : حملة الباز ، الحيوان الذي يستعمل في الصيد وهو استعمال فارسي .

بالله لا تستصحبوا ثقيلًا
ردوا فلانًا وخذوا فلانًا
فاخترت لِمَا وقفوا طويلًا
عصابةً أكرم بها عصابه
ثم قصدنا صيد عين باصر
جثناه والشمس قبيل المغرب
وأخذ الدراج في الصباح
في غفلةٍ عنّا وفي ضلال
يطرب للصبح وليس يدري
نحن نصلي والبزاة تخرج
وقلت للفهاد : إمض وانفرد
فلم يزل غير بعيدٍ عنّا
وسرت في صفٍّ من الرجال
فما استوينّا كلنا حتى وقف
ثم أتاني عجلًا قال سبق
سرت إليه فأراني جائمه
[ثم أخذت نبلة كانت معي
حتى تمكنت فلم أخط الطلبُ

ومنها :

ثم دعوت القوم : هذا بازي فأيكم ينشط للبراز

(١) مظنة الصيد : أي حيث يظن أن فيها ما يصطاد والخابر : أي الخبير العارف .

(٢) الدراج : طائر كالحجل .

(٣) الشرف : أي المكان العالي للمراقبة .

فقال منهم رشاً: أنا، أنا ولو درى ما بيدي لأذعنا^(١)

ومنها :

جئت بيازٍ حسنٍ وهيرج
زينٍ لرائيه وفوق الزين
كانَّ فوق صدره والهادي
[ذي منسرٍ فخمٍ وعينٍ غائره
ضحخمٍ قريب الدُستبانِ جداً
وراحةٍ تحمل كَفِّي سبطة
سرَّ وقال هات قلت مهلاً
أما يميني فهي عندي غالية
فقلت خذه هبةً بقبله
ثم ندمت غاية الندامة
على مزاحي والرجال حضر
فلم أزل أمسحه حتى انبسط

دون العقاب وفويق الزمَج^(٢)
ينظر من نارين في غارين
آثار مشي الذرِّ في الرماد
وأفخذٍ مثل الجبال وافرهِ^(٣)
يلقى الذي يحمل منه كدأ^(٤)
زادت على قدر البزاة بسطهِ^(٥)
احلف على الردِّ فقال كلاً
وكلمتي مثل يميني وافيهِ
فصدَّ عني وعلته خجله
ولمت نفسي أكثر الملامه
وهو يزيد خجلاً ويحصر
وهشَّ للصيِّد قليلاً ونشطُ

ومنها في وصف البازي واستيلائه على الكركي .

حتى إذا جندله كالعندل
صحت إلى الطباخ ماذا تنتظر
أيقنت أن العظم غير الفضل^(٦)
انزل عن المهر وهات ما حضر

(١) أذعن : أقرَّ وهداً .

(٢) الهيرج : السمين ، والزمج : طائرٌ دون العقاب في صوته يشبه نباح الجرو ، يُصاد به .

(٣) المنسر : الظفر .

(٤) الدُستبان : فارسية والدست المكان والبيت .

(٥) السبطة : القوَّة .

(٦) العندل : الناقة العظيمة ، وجندله : صرعه .

جاء بأوساطٍ وجردباج
فما تنازلنا عن الخيولِ
وجيء بالكأس وبالشراب
أشبعني اليوم وروّاني الفرح
ومنها :

ثم انصرفنا والبغال موقرة
حتى أتينا رحلنا بليلِ
ثم نزلنا فطرحنا الصيدا
فلم نزل نشوي ونقلني ونصبُ
شرباً كما عن من الزقاق
ولم نزل سبع ليالٍ عددا
في ليلةٍ مثل الصباح مسفرة
وقد سبقنا بجياد الخيلِ
لما عددنا مائةً وزيداً^(١)
حتى طلبنا صاحياً فلم نُصِبْ
بغير ترتيبٍ وغير ساق
أسعد من راحٍ وأحظى من غدا

وحكى بديع الزمان أبو الفضل الهمداني قال : قال صاحب أبو القاسم يوماً
لجلسائه وأنا فيهم - وقد جرى ذكر أبي فراس - : لا يقدر أحد أن يزور على أبي
فراس شعراً ، فقلت : ومن يقدر على ذلك وهو الذي يقول [من الوافر] :

رويدك لا تصل يدها بياحك ولا تغز السباع إلى رباعك
ولا تعن العدو عليّ ، إني يمينٌ إن قطعت فمن ذراعك

فقال صاحب : صدقت ، قلت : أيد الله مولانا قد فعلت . ولعمري إنه
فد حسن ، ولكن لم يشق غبار أبي فراس .

وكتب على ظهر الجزء المشتمل على مزدوجته التي أولها [من الرجز] :

ما العمر ما طالت به الدهور العمر ما تمّ به السرور

(١) زيداً : مصدر زاد يزيد ، وأراد مائةً وزائداً عليها .

هذه الأبيات [من الرجز] :

أروح القلب ببعض الهزل تجاهلاً مني بغير جهل
أمزح فيه مزح أهل الفضل والمزح أحياناً جلاء العقل

* * *

فصل

قد أطلقت عنان الاختيار من محاسن شعر أبي فراس ، وما محاسن شيء كله حسن ؟ وذلك لتناسبها وعذوبة مشارعها . ولا سيما الروميات التي رمى بها هدف الإحسان . وأصاب شاكلة الصواب ، ولعمري إنها - كما قرأته لبعض البلغاء - لو سمعته الوحش أنست ، أو خوطبت به الخرس نطقت ، أو استدعي به الطير نزلت .

ولما خرج قمر الفضل من سراره ، وأطلق أسد الحرب ، عن إساره ، لم تطل أيام فرحته ، ولم تسمح النواذب بالتجافي عن مهجته . ودلت قصيدة قرأتها لأبي إسحاق الصابي في مرثيته على أنه قتل في وقعه كانت بينه وبين بعض موالي أسرته ، وما أحسن وأصدق قول المتنبي [من البسيط] :

فلا تنلك الليالي ، إنَّ أيديها إذا ضربن كسرن النبع بالغرب^(١)
ولا يعنَّ عدواً أنت قاهره فإنهنَّ يصدن الصقر بالخرب^(٢)

(١) النبع : شجر صلب ينبت في رؤوس الجبال والغرب : بيت ضعيف بيت على الانهار يريد يكسرن بالضعيف .

(٢) الخرب : بفتحتين : ذكر الحباري ، والصقر : من الطيور الجارحة ، يعني أنّ الليالي إذا أعانت الضعيف صاد القوي .

وذكر ابن خالويه أن آخر شعر لأبي فراس قوله عند موته ، رحمه الله تعالى ! [من
الكامل] :

أبنيّتي لا تجزعي كلُّ الأنام إلى ذهابٍ
نوحى عليّ بحسرة من خلف سترك والحجاب
قولي إذا كلّمتني فعييت عن ردّ الجواب
زين الشاب أبو فرا س لم يمتّع بالشباب

اللهم ارحم تلك الروح الشريفة !!

* * *

الباب الرابع

في ملح شعر آل حمدان وغيرهم من أمراء الشام وقضاتها وكتابها

(أخبرني جماعة من أهل الأدب أن المتنبّي لما عوتب في آخر أيامه على تراجع شعره قال : قد تجوزت في قولي ، وأعفيت طبعي ، واغتنمت الراحة منذ فارقت آل حمدان) وفيهم من يقول [من الوافر] :

وقد علمت بما لاقته منّا قبائل يعربٍ وبنو نزارٍ
لقيناهم بأرماحٍ طوالٍ تبشّرهم بأعمارٍ قصارٍ

يعني أبا زهير مهلهل بن نصر بن حمدان ، ومنهم من يقول - يعني أبا العشائر -
[من الكامل] :

أخا الفوارس لو رأيت موافقي والخيّل من تحت الفوارس تنحط^(١)
لقرأت منها ما تخطّ يد الوغى والبيض تشكّل والأسنة تنقط

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي لبعضهم [من الكامل] :

أغمامٌ ما يدريك ما أفعالنا والخيّل تحت النّقع كالأشباح^(٢)

(١) تنحط : تزفر من الجهد .

(٢) النّقع : الغبار الذي تثيره الحرب .

تطفو وترسب في الدماء كأنها
وأنشدت لأبي العشائر [من البسيط] :

سطا علينا ، ومن حاز الجمال سطا ،
له عذران قد خطا بوجنته
وظل يخطو فكلُّ قال من شغفٍ :
ظبي من الجنة الفردوس قد هبطا
فاستوقفا فوق خديه وما انبسطا
يا ليته في سواد الناظرين خطا

وقال بعض الرواة : دخلت على أبي العشائر أعوده من علة هجمت عليه
فقلت له : ما يجد الأمير؟ فأشار إلى غلام قائم بين يديه اسمه نسطوس كأن
رضوان غفل عنه فأبق^(١) من الجنة، وأنشد [من مخلع البسيط] :

أسقم هذا الغلام جسمي بما بعينه من سقام
فتور عينيه من دلالٍ أهدى فتوراً إلى عظامي^(٢)
وامتزجت روحه بروحي تمازج الماء بالمدام

وكان أبو الحسن الماسرجي ينشد في تدرسه مسألة « الحر لا يقتل بالعبد »
هذين البيتين ، وهما لبعض آل حمدان [من الطويل] :

خذوا بدمي هذا الغزال ، فإنه
ولا تقتلوه إنني أنا عبده
رمانى بسهمي مقلتيه على عمدٍ
ولم أر حرّاً قطُّ يقتل بالعبد

وأنشدت لبعضهم ، وهو أحسن ما سمعت في معناه [من الكامل] :
للعبد مسألةٌ لديك جوابها
ما بال ريقك ليس ملحاً طعمه
إن كنت تذكره فهذا وقته
ويزيدني عطشاً إذا ما ذقته!

(١) أبق : هرب .

(٢) الفتور : الضعف والانكسار .

ووجدت بخط أبي بكر الخوارزمي هذه الأبيات منسوبة إلى أبي وائل تغلب
ابن داود بن حمدان ، ورويت لغيره [من الكامل] :

لا والذي جعل الموا لي في الهوى خدم العبيد
وأصار في أيدي الظبا ء قياد أعناق الأسود
وأقام ألوية المنيد ة بين أفنية الصدود^(١)
ما الورد أحسن منظراً من حسن توريد الخدود

ووجدت بخطه لحمدان الموصلي [من الخفيف] :

يا رسول الحبيب ويحك قد ألد قى عليك الحبيب حسناً وطيباً
وتعلّمت حسن ألفاظه تد لك فظرفت بادئاً ومجيباً
ولقد كدت أن أضمّك لولا أن يسيء الظنون أو يستريباً
خيفةً أن يكون ذاك كما قي ل قديماً : صار الرسول حبيبا
ولأبي وائل الحمداني لما أسره المبرقع [من الخفيف] :

يا خليلي ، أسعداني فقد عي ل ، اضطباري على احتمال البلية
غربةً قارظيةً ، وغرامٌ عامريٌّ ومحنةٌ علوية^(٢)
ولأبي زهير ، وهو مما يتغنى به [من الكامل] :

وزعمت أني ظالمٌ فهجرتني ورميت في قلبي بسهمٍ نافذٍ
فنعم ظلمتك فاغفر لي زلّتي هذا مقام المستجير العائد
وأشدني الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي هذه الأبيات ولم يسم

(١) أفنية : جمع فناء ، وهو الساحة والمتسع من المكان .

(٢) قارظية : أراد دائماً أبد الدهر ، وعامري : نسبة إلى بني عامر عشاق العرب منهم ليلى العامرية

وعلوية : نسبة إلى آل علي بن أبي طالب عليهم الرحمة .

قائلاً ، ثم وجدتها في بعض التعليقات منسوبة إلى بعض آل حمدان [من
الوافر] :

أَجِلْ عَيْنِكَ فِي عَيْنِي تَجِدُهَا مَشْرَبَةً نَدَى وَرْدِ الْخُدُودِ^(١)
وَصَافِحَنِي تَجِدُ عِبْقاً بِكَفِّي يَضُوعُ إِلَيْكَ مِنْ رَدَعِ النَّهْودِ^(٢)
وَخَذَ سَمْعِي إِلَيْكَ فَإِنَّ فِيهِ بَقَايَا مِنْ حَدِيثِ كَالْعُقُودِ

وأنشدني أبو الحسن محمد بن أبي موسى الكرخي ، قال : أنشدني القاضي
أبو القاسم علي بن المحسن بن القاضي أبي القاسم التنوخي ، قال : أنشدني أبو
المطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة أبي محمد لنفسه ، تغمدهم الله تعالى برحمته
وأسكنهم بحبوحة جنته ! [من البسيط] :

إِنِّي لِأَحْسَدُ « لَا » فِي أُسْطَرِ الصَّحْفِ إِذَا رَأَيْتَ اعْتِنَاقَ اللَّامِ لِلْأَلْفِ
وَمَا أَظْنَهُمَا طَالَ اجْتِمَاعَهُمَا إِلَّا لَمَّا لَقِيتَا مِنْ شِدَّةِ الشَّغْفِ
قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

أَفْدَى الَّذِي زَرْتَهُ بِالسَّيْفِ مُشْتَمِلاً وَلِحَظِ عَيْنِيهِ أَمْضَى مِنْ مُضَارِبِهِ
فَمَا خَلَعْتَ نَجَادِي فِي الْعِنَاقِ لَهُ حَتَّى لَبَسْتَ نَجَاداً مِنْ ذَوَائِبِهِ
فَكَانَ أَنْعَمْنَا عَيْشاً بِصَاحِبِهِ مِنْ كَانَ فِي الْحَبِّ أَشْقَانَا بِصَاحِبِهِ
قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

قَالَتْ لَطِيفِ خِيَالٍ زَارَهَا وَمَضَى : بِاللَّهِ صَفْهُ وَلَا تَنْقُصْ وَلَا تَزِدْ
فَقَالَ : خَلْفَتَهُ لَوْ مَاتَ مِنْ ظَمًا وَقَلَّتْ قَفٌّ عَنْ وَرُودِ الْمَاءِ لَمْ يَرِدْ
قَالَتْ : صَدَقْتَ الْوَفَا فِي الْحَبِّ عَادَتَهُ يَا بَرْدَ ذَاكَ الَّذِي قَالَتْ عَلَى كَبِدِي !

(١) أجل : أدير ، وتطلع ، وحدث .

(٢) العبق : الريح الطيب ، ويضوع : يفوح ، والردع ؛ أثر الطيب .

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني لنفسه في جارية كانت معاجرها^(١) تبلى بسرعة [من البسيط] :

أرى الثياب من الكتان يلمحها ضوء من البدر أحياناً فيليها
وكيف تنكر ان تبلى معاجرها والبدر في كل حين طالع فيها^(٢)
وقد أحسن غاية الإحسان ، والعرب تزعم أن البدر يبلى الثياب الحلوة ، وقوله [من المتقارب] :

أيا من صبرت على فقده وإن كان لي مؤلماً موجعا
لقد نال كل الذي يشتهي حسودٌ علينا بين دعا^(٣)
وأنشدني أيضاً للحسين بن ناصر الدولة [من البسيط] :

لو كنت أملك طرفي ما نظرت به من بعد فرقتكم يوماً إلى أحد
ولست أعتده من بعدكم نظراً لأنه نظرٌ من مقلتي رمدي^(٤)

* * *

٣ - منصور وأحمد ابنا كيغلغ

أديبان شاعران ، من أولاد أمراء الشام ، فمن مشهور ملح منصور قوله [من السريع] :

خنت الذي أهوى من الناس ونمت عن جودي وعن باسي
يوم أرى الدجن فلا أرتوي من ريق إلفي ومن الكاس^(٥)

(١) المعجر : بزنة المنبر ، ثوب تشده المرأة على وسطها .

(٢) تبلى : تخلق وترث .

(٣) بين : الفراق ، ودعا : توسل الله .

(٤) الرمذ : وجع يصيب العين .

(٥) الدجن : المطر الكثير ، وإلفي : خلتي وحبيبي .

وقوله [من السريع] :

كأنها والقرط في أذنها
قد كتب الحسن على وجهها
بدر الدجى قرط بالمشتري
« يا أعين الناس قفي وانظري »

وقوله من أبيات [من مخلع البسيط] :

يدير في كفه مداما
كأنها إذ صفت ورقت
ألدُّ من غفلة الرقيب
شكوى محباً إلى حبيب

وقوله [من الكامل] :

عاد الزمان بمن هويت فأعتبا
كم ليلةٍ سامرت فيها بدرها
قام الغلام يديرها في كفه
والبدر يجنح للغروب كأنه
يا صاحبي فسقياني واشربا
من فوق دجلة قبل أن يتغيياً
فحسبت بدر التّم يحمل كوكبا
قد سلّ فوق الماء سيفاً مذهبا

وقد أكثروا في وصف القمر على الماء ، وبيت منصور هذا من غرر ذلك ، وأحسن ما سمعت فيه - على كثرته - قول القاضي التنوخي [من الكامل] :

أحسِنْ بدجلة والدجى متصوّبٌ
فكأنها فيه بساطٌ أزرقٌ
والبدر في أفق السماء مغرّبٌ^(١)
وكأنه فيها طرازٌ مذهب

وقول أبي الفتح كشاجم [من مجزوء الرجز] :

ما زلت أسقاها على وجه غزالٍ مونتق^(٢)
بقمرٍ منتقبٍ بخاتمٍ منتطق
والبدر فوق دجلة والصبح لَمّا يشرق

(١) الدّجى : الظلام : متصوّب : منحدر ، ونازل .

(٢) المونتق : البديع الفاتن .

كحلية من ذهبٍ على رداءٍ أزرق

ومن ملح منصور قوله [من المتقارب] :

كُتبت إليك بماء الجفون وقلبي بماء الهوى مشربٌ
فكفّمي تخطُّ وقلبي يمل وعيني تمحو الذي تكتبُ

وقوله [من مخلع البسيط] :

ألسني ذلّة العبيد مَنْ قلبُهُ صيغ من حديد^(١)
ونمّ طرفي بما ألقى من كمدٍ دائم المزيد^(٢)
وكيف يخفي الهوى عميدٌ ودمه صاحب البريد

وقوله [من البسيط] :

قالوا : عليك سبيل الصبر ، قلت لهم : هيهات ! إن سبيل الصبر قد ضاقت
ما يرجع الطرف عنه حين يبصره حتى يعود إليه القلب مشتاقا

* * *

ولأحمد [من الرمل] :

لا يكن للكأس في كفِّ لك يوم الغيث لبث^(٣)
أو ما تعلم أن ال غيث ساقٍ مستحثٌ

وله [من الهزج] :

ولولا أن برذون ال هوى يعتلف الرطبه

(١) صيغ : سبك وصنع .

(٢) نمّ : أظهر ودلّ ، والكمد : الحزن والغمّ .

(٣) اللبث : مقام .

ركبناه إلى الصيّد وأرسلنا له كلبه
فصدنا ثعلب الهجرا ن تلك الخبّة الضبّه (١)
وصيرنا لزيت الوصـ ل من جلد استهاريّه (٢)

وله ، ويروي لديك الجن [من مخلع البسيط] :

قلت له والجفون قرحى قد أقرح الدمع ما يليها
مالي في لوعتي شبيهة قال : وأبصرت لي شبيهاً!

وله [من الهزج] :

بدت من خلل الحجب كمثل اللؤلؤ الرطب
فأدمى خدّها لحظي وأدمى لحظها قلبي

وله [من الرجز] :

واعطشي إلى فمـ يمجّ خمراً من برد
إنّ قسّم الناس فحسـ جي بك من كلّ أحد

* * *

٤ - أبو محمد جعفر وأبو أحمد عبد الله ابنا ورقاء الشيباني

من رؤساء عرب الشام وقوادها ، والمختصين بسيف الدولة . وما منهما إلا
أديب شاعر جواد ممدح ، وبينهما وبين أبي فراس مجاوبات ، وإليهما أرسل أبو
فراس يقول من قصيدة [من الوافر] :

أتاني عن بني ورقاء قولُ ألدّ جنىً من الماء القراح

(١) ثعلب الهجران : تقلّبه وتحركه ، والخبّة : خرقة طويلة تعصب بها اليد ، والضبّة : جلد الضب المدبوغ ، أو أثنى الضبّ .
(٢) الإيست : المؤخّرة .

وأطيب من نسيم الروض حَفَّتْ به اللذات من روحٍ وراح
ولو أتى اقترحت على زمني لكتتم ، يا بني ورقا ، اقترحي

ولأبي أحمد في جوابها من قصيدة أولها [من الوافر] :

أصاح قلبه أم غير صاحٍ وقد عنت له عفر البطاح^(١)
ظباء الوحش تحكي ماثلاتٍ ظباء الإنس بالصّور الملاح

ومنها :

يدرن مراض أجفانٍ صحاحٍ فيا عجبي من المرضى الصحاح
وما زالت عيون العين فينا تؤثّر فوق تأثير السّلاح

ومنها :

أطلعة الهلال على قضيبٍ ومسدلة الظلام على الصّباح!
عدتني عن زيارتك العوادي ودهرٌ للأكارم ذو اطراح^(٢) !

ومنها :

أمدره تغلب لسناً وعلما ومصقع نطقها عند التلاحي^(٣)
لقد أوتيت علماً واضطلاعا بآدابٍ وألفاظٍ فصاح
لمقولك المضاء إذا انتضاه الـ قصيد على المهندة الصّفاح

وله من قصيدة [من الطويل] :

ألا ليت شعري ، والحوادث جمّةٌ وما كنت في دهري إلى الناس شاكيا

(١) عنت : أذعت ، وعفر البطاح : شجعانها ودهاتها .

(٢) عدتني : منعتني ، والعوادي : الأحداث المانعة .

(٣) المدره : العالم الجليل . والمصقع : البليغ الفصيح ، والتلاحي : اللوم .

أمخترمي ريب المنون بحسرة تبلى نفسي من شجاءها التراقيا؟^(١)
إلى الله أشكو أن في الصدر حاجة تمرُّ بها الأيام وهي كما هي

ومنها في ذكر بني كعب وإيحاشهم سيف الدولة حتى أضربهم :

وإنهم لما استهاجوا صياله وما كان عن مستوجب البطش وانيا^(٢)
كمن شب ناراً في شعار ثيابه وهيح ليشاً للفريسة ضاريا^(٣)

وله من قصيدة أجاب بها عن قصيدة أبي فراس التي أولها [من الطويل] :

✽ لعل خيال العامرية زائر ✽

عمرن بعمارٍ من الإنس برهةً فها هن صفراً ليس فيهن صافرُ
أخلت بمغناها دمي وخرائدُ وحلت بأقصاها مهأً وجأذر^(٤)
أهن عيونٌ باللحاظ دوائرُ على عاشقيها أم سيوفٌ بواتر^(٥)؟
ضعائف يقهرن الأشداء قدرةً عليهم وسلطان الصبابة قاهرُ

ومنها :

ألا يا ابن عمٍ يستزيد ابن عمه رويدك إنني لانبساطك شاكراً
تصفحت ما أنفذته فوجدته كما استودعت نظم العقود الجواهر
وذكرني روضاً بكته سماؤه فضاحكه مستأسدٌ وهو زاهر
عرائس تجلوها عليك خدورها ولكنما تلك الخدور دفاتر

(١) أمخترمي : اخترم الشيء : ثقبه من ناحية إلى ناحية . والتراقيا : جمع ترقوة ، وهي العظمة بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .

(٢) الصيال : أي صولته في الحرب ، والواني : المتأخر والتعب ، والضعيف .

(٣) شب ناراً : أسعرها وأصلاها .

(٤) الدمى والخرائد : الفتيات الأبيكار النواهد .

(٥) البواتر : القاطعة .

فعدلاً ، فإنّ العدل في الحكم سيرةٌ بها سار في الناس الملوك الأساور^(١)
ولما قال أبو فراس [من الكامل] :

إنّا إذا اشتدّ الزمان وناب خطبٌ وادلهم

من أبيات قد مرت أجابه أبو محمد جعفر بن محمد بن ورقاء بقوله من

أبيات [من الكامل] :

أنتم كما قد قلت بل أعلى وأشرف يا ابن عم
ولكم سوابق كل فخرٍ واللواحق من أمم^(٢)
أحسنّت والله العظيم نظام بيتك حين تمّ
فيما ذكرت من السيوف وما ذكرت من النعم
حتى كأنّ بنظمه للحسن درأً منتظم

وكتب أبو محمد عند حصوله ببغداد بعد وفاة سيف الدولة إلى أبي إسحاق

الصائبي ، وكانت بينهما مودة وتزاور فانقطع عنه أبو إسحاق لبعض العوائق [من
الكامل] :

يا ذا الذي جعل القطيعة دأبه إنّ القطيعة موضعٌ للريب
إن كان ودك في الطويّة كامناً فاطلب صديقاً عالماً بالغيّب^(٣) !

فأجابه أبو إسحاق بهذه الأبيات [من الكامل] :

قد يهجر الخلّ السليم الغيب للشغل وهو مبرأً من ريب
ويواصل الرجل المنافق مبدياً لك ظاهراً سستبطننا للعب

(١) الأساور : الشجعان الأسود .

(٢) أمم : قرب .

(٣) الطويّة : يقصد الصدر والضمير والنيّة .

لا تفرحن من الصديق بشاهد
وتأمل المسود من شعر الفتى
وإذا ظفرت بذي وداد خالص
حتى يكون موافقاً للغيب
أهو الشيبية أم خضاب الشيب؟^(١)
فاغفر له ما دون غش الجيب

وكتب إليه أبو إسحاق قصيدة طويلة فأجابه بقصيدة منها [من الطويل] :

ومشمولةٍ صرفٍ صرفت بشربها
إذا جال فيها المزج خلعت حبابها
وعاذلةٍ في بذل ما ملكت يدي
فإن زئير الأسد من كل جانب
أفي الحق أن قايست غير محقق
ولا سيما أنت الذي نشرت له
وما زلت بين الناس صدر محافل
وجوه لحاتي قاطبات الحواجب
عيون الأفاعي أو قرون الجنادب
رددت لها المسعى بصفقة خائب
ليشغل سمعي عن صياح الثعالب
فظاظة جندي إلى ظرف كاتب^(٢)
محاسن كالأعلام فوق المراقب^(٣)
وعين مقامات وقلب مواكب

وكتب إليه أبو أحمد قصيدة منها [من الخفيف] :

يا هلالاً يدعى أبوه هلالاً
أنت بدرٌ حسناً، وشمسٌ علواً،
جلّ باريك في السورى وتعالى
وحسامٌ عزمأ، وبحرٌ نوالاً

* * *

٥ - أبو حصين علي بن عبد الملك الرقي القاضي بحلب

هو الذي يقول فيه السري الموصلية من قصيدة [من الوافر] :

لقد أضحت خلال أبي حصين
حُصوناً في الملمّات الصعاب

(١) الخضاب : الصباغ .

(٢) قايست : وازنت وساويت .

(٣) نشرت له : دفعت واشتهرت ، والمراقب : الأماكن العالية حيث تكون المراقبة .

كساني ظلّ وابله ، وأوى غرائب منطقي بعد اغتراب
وكنت كروضةٍ سقيت سحاباً فأنتت بالنسيم على السحاب

وكتب إليه أبو فراس - وقد عزم على المسير إلى الرقة - قصيدة افتتاحها [من

البيسط] :

يا طولَ شوقي إنْ كان الرحيلَ غداً لا فرّق الله فيما بيننا أبداً

فأجابه القاضي بقصيدة أولها [من البيسط] :

الحمد لله حمداً دائماً أبداً أعطاني الدهر ما لم يعطه أحداً

ومنها :

إن كان ما قيل من سير الركاب غداً حقاً فإنّي أرى وشك الحمام غداً^(١)

ومنها في ذكر سيف الدولة :

لولا الأمير وأنّ الفضل مبدؤه منه لقلت بأنّ الفضل منك بدا

دام البقاء له ما شاء مقتدراً تمضي أوامره ، إن حلّ أو عقداً

يذلّ أعداءه عزّاً ، ويرفع من والاه فضلاً ، ويبقى للعلا أبداً

وكتب أبو حصين إلى أبي فراس من قصيدة جواباً [من البيسط] :

من وائب الدهر كان الدهر قاهره ومن شكّا ظلمه قلت نواصيره^(٢)

إن كان سار فإنّ الروح تذكره ، والعين تبصره ، والقلب حاضره

يا من أخالسه ودّي ، وأمحضه نصحي ، وتأتيه من وصفي جواهره^(٣)

أتى كتابك والأنفاسُ خافتةً والجسم مستسلمٌ ، والسُّقم قاهره

(١) وشك الحمام : قرب الموت .

(٢) وائب الدهر : قارعه وسابقه .

(٣) أمحضه : أصفه .

والوجد باطنه ، والصبر ظاهره
 وشدَّ صدعاً وكسراً أنت جابره^(١)
 وأحسن الروض ما دامت زواهره
 هو الفخور وما خلقُ يفاخره^(٢)
 أم من يساجله ؟ أم من يكاسره ؟^(٣)
 أم من يجادله ؟ أم من يناظره ؟
 أم من يناضله ؟ أم من يساوره ؟^(٤)
 في كلِّ معتركٍ ؟ أم من يصابره ؟
 والسيف عزمته ، والله ناصره
 والعفو والعرف والتقوى ذخائره

ومنها :

قد خانه فهمه ، بل مات خاطره
 وطول شوقٍ ونيراناً تخامرة^(٥)
 فأنت بالعدل والإحسان عاذره

رهين شكرِ الحارث^(٥)
 ورثت ذلك وارثي^(٦)

والطرف منكسرٌ ، والشوق طارقه ،
 فانتاشني وأعاد الروح في بدني
 ما زلت في نزهةٍ منه وفي زهرٍ
 حسبي بسيدنا فخراً أصول به
 من ذا يطاوله ؟ أم من يماجده ؟
 أم من يفاقهه ؟ أم من يشاعره ؟
 أم من يقاربه في كلِّ مكرمةٍ ؟
 أم من ييارزه ؟ أم من يواقفه
 الحرب نزهته ، والبأس همته^(٦)
 والجدود لذته ، والشكر بغيته

هذا جواب عليلٍ لا حراك به
 يشكو إليك بعباداً عنك أتلفه
 إن كان قصّر فيما قال مجتهداً
 وقال أيضاً فيه [من الكامل] :

آليت إنسي ما بقيت
 فإذا المنية شارفت

-
- (١) انتاشني : نال منِّي ، أو أعاد إليَّ الروح ، والصدع : الكسر ، وجبر العظم : أصلحه وقواه .
 (٢) يطاوله : أي يقاربه رفعةً وعلاءً ، المساجلة : المباراة والمفاخرة في المهاد والمأثر .
 (٣) يساوره : يوائبه ، والمراد المحاربة .
 (٤) تخامرة : تداخله وتخالطه .
 (٥) آليت : حلفت وأقسمت .
 (٦) المنية : الموت ، وشارفت : دنت وقربت .

رقي له من بعد سيِّدنا وليس لثالث
قسماً على صدق الضمير ولست فيه بحانث^(١)

* * *

٦ - أبو الفرج سلامة بن بحر أحد قضاة سيف الدولة

يقول شعراً يكاد يمتزج بأجزاء الهواء رقة وخفة ، ويجري مع الماء لطافة
وسلاسة ، كقوله [من السريع] :

من سره العيد فما سرتي بل زاد همِّي وأشجاني^(٢)
لأنه ذكرني ما مضى من عهد أحبابي وإخواني

ونظيرهما لغيره [من الكامل] :

من سره العيد الجديد د فما لقيت به سرورا
كان السرور يتمُّ لي لو كان أحبابي حضورا

ولأبي الفرج ، ويروي للقاضي أبي النعمان البصري [من المنسرح] :

نوح حمام يشرب غرد هيج شوقي وزاد في كمدي
واكبدي من عذابكم ! وكذا من ذاق ما ذقت صاح واكبدي !
فارقت إلفي فصار في بلد بالرغم مني ، وصرت في بلد

وأنشدني أبو علي محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني القاضي أبو الفرج

بيروت لنفسه [من الكامل] :

مولاي ما لي منك بختٌ قد ذبت من كمدٍ ومث^(٣)

(١) الحانث : الذي لا يفي بقسمه .

(٢) أشجاني : أحزني .

(٣) البخت : الحظ ، والكمد : الحزن والغم .

تصفو بك الدنيا ولا يصفو لعبدك منك وقتُ
 مولاي ما ذنبي إليك؟ فلو عرفت الذنب تبت
 لا أنني أنسيتم أو أنني للعهد خنت
 إن كان ذلك فلا بقيت، وإن بقيت فلا سلمت

* * *

٧ - أبو محمد عبد الله بن عمرو بن محمد الفياض

كاتب سيف الدولة ونديمه ، معروف ببعد المدى في مضمار الأدب وحلبة
 الكتابة ، أخذ بطرفي النظم والنثر ، وكان سيف الدولة لا يؤثر عليه في السفارة إلى
 الحضرة أحداً لحسن عبارته وقوة بيانه ، ونفاذه في استغراق الأغراض ، وتحصيل
 المراد ، وقد ذكره أبو إسحاق الصابي في الكتاب « التاجي » ومدحه السري
 بقصائد منها قوله من قصيدة [من الوافر] :

محنت رسم الكرى عن مقلتيه	رواسمٌ لا تملُّ من الرسيم ^(١)
تروم وقد فرعن بنا فروعاً	من الفيّاض طيبة الأروم ^(٢)
إذا طافت بعبد الله لاقت	سمات المجد في الوجه الوسيم
لك القلم الذي يضحى ويمسي	به الإقليم محمّي الحريم ^(٣)
هو الصلُّ الذي لو عضَّ صلاً	لأسلمه إلى ليل السليم
أخو حكّم إذا بدأت وعادت	حكمن بعجز لقمان الحكيم
ملكك خطامها فعلوت قساً	برونقها وقيس بن الخطيم ^(٤)

(١) الرواسم : الأبل ، والرسيم : ضرب من السير .

(٢) الأروم : الأصول والمحتد .

(٣) الصلُّ : الأفعى ، والسليم : اللديغ أطلق عليه ذلك تمثيلاً له السلامة .

(٤) الخطام : العنان والزمام ، وقساً : هو قس بن ساعدة الأيادي .

نجومٌ لا تعوز فمن درارٍ يسار بضوئهن ومن رجوم^(١)
كحلي الخود مؤتلفٌ التواحي ووشي الرّوض مختلف الرقوم^(٢)

وكان يعجن مداده بالمسك ، ولا تلاق دواته إلا بماء الورد ، تفادياً من قول
القائل [من الوافر] :

دعيّ في الكتابة لا رويّ له فيها يُعدُّ ولا بديهُ
كأنّ دواته من ريق فيه تلاقٌ فريحها أبداً كريحه^(٣)
وإشاراً لما قال الآخر [من الرجز] :

في كفّه مثل سنان الصعده أرقش بزّ الأفعوان جلده^(٤)
كأتماّ النقش إذا استمده غاليةً مدوفةً بندّه^(٥)

ومن ملح شعره قوله ، ولم أسمع في معناه أحسن منه [من البسيط] :

قمّ فاسقني بين خفق الناي والعودٍ ولا تبع طيبٌ موجودٍ بمفقود
كأساً إذا أبصرت في القوم محتشماً قال السرور له قم غير مطرود
نحن الشهود وخفق العود خاطبنا نزوج ابن سحاب بنت عنقود^(٦)
وأنشدني أبو علي محمد عمر الزاهر ، قال : أنشدني ابن الفياض لنفسه بحلب في

(١) رجوم : شهب تطاير .

(٢) الخود : المرأة الناعمة ، والرّقم : جمع رقم ، أراد به سطور الأزهار .

(٣) تلاق : تملأ .

(٤) الصعده : القناة المستوية ، وأراد قلمه والأرقش : من الحيات : المنقط ، والأفعوان : ذكر الحيات
وبزّ : غلب وقهر ، يريد أنه اعتصب جلداً لأفعوان وليس له ، والمقصد تشبيه قلمه بالأفعى .

(٥) الغالية : ضربٌ من الطيب ، وكذا الندّ ، ومدوفة : مخلوطة وممزوجة .

(٦) أي نخلط الماء بالخمير .

غلام له أنير لديه استوحش منه لميله إلى غلام آخر يقال له إقبال [من الكامل] :

أنكرت إقبالي على إقبال وخشيت أن تتساويا في الحال
هيهات ! لا تجزع فكلُّ طريفة ربحٌ يهون وأنت رأس المال

قال : وأنشدني لنفسه في ذلك الغلام [من الكامل] :

الآن تهجرني وأنت المذنبُ وظننت أنك عاتبٌ لا تعتبُ

وأمنت من قلبي التقلب واثقاً بوفائه لك ، والقلوب تقلبُ^(١)

وقال [من الوافر] :

وما بقيت من اللذات إلا محادثة الكرام على الشراب

ولثمك وجنتي قمرٍ منيرٍ يجول بخده ماء الشباب

٨ - أبو القاسم الشيطمي

قال يصف نمرقة^(٢) رآها بجانب سيف الدولة [من مجزوء الرجز] :

نمرقةٌ منها استعا ر الروض أصناف الملح

فيها لمن يبصر من ريش الطواويس ملح

كأنما دارت على سمائها قوس قزح

* * *

٩ - أبو ذر أستاذ سيف الدولة

قال [من الكامل] :

نفسى الفداء لمن عصيت عواذلي في حبه لم أحش من رقبائه

(١) التقلب : التحول والتغير .

(٢) النمرقة : الصغيرة من الوسائد .

الشمس تطلع في أسرة وجهه والبدر يطلع من خلال قبائه^(١)
وله أيضاً [من مخلع البسيط] :

مروّع منك كلّ يوم محتملّ فيك كلّ لوم
إن كنت أنكرت ملك رقي غصباً صراحاً بغير سوم^(٢)
فقلّ لجنبيّ : أين قلبي ؟ وقل لعينيّ : أين نومي ؟

* * *

١٠ - أبو الفتح البكتيري

يعرف بابن الكاتب الشامي ، له شعر يتغنى بأكثره ملاحه ولطافة ، أنشدني
أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني ابن الكاتب لنفسه بالشام [من الرجز] :

وروضة راضية عن الدائم وطأتها بناظري دون القدم
وصنتها صوني بالشكر النعم

قال : وأنشدني لنفسه [من الكامل] :

قالوا : بكيت دماً؟ فقلت : مسحت من خدي خلوقاً^(٣)
أبصرت لؤلؤ ثغره فنشرت من جفني عقيقا
لولا التمسك بالهوى لحملت في دمعي غريقا

وأنشدني غيره له [من الكامل] :

قمرٌ كأنّ قوامه من قدّ غصنٍ مسترق

(١) القباء : الثوب الذي يعتمره فوق ثيابه .

(٢) السوم : المبايعه والمفاصلة عند الشراء

(٣) الخلق : الطيب .

وكأتما اصطبح الربيع بوجنتيه واغتبِقُ^(١)
وكأتما قلم الزمرّ د فوق عارضه مشقاً^(٢)

وله من أبيات [من المتقارب] :

سقاني بعينه كأس الهوى وثنى وثلث بالحاجب
كان العذار على خده فذلك من مشقة الكاتب

ووجدت على ظهر دفتر عراقي الخط هذين البيتين منسوبين إليه [من الكامل] :

ردوا الهدوء كما عهدت إلى الحشا والمقلتين إلى الكرى ثم اهجروا
من بعد ملكي رمتم أن تغدروا ما بعد فرقة بيعين تخير^(٣)

وله زعم في الميضأة [من السريع] :

أحق بيت من بيوت الورى بصونه قدماً وإثاره
بيت إذا [ما] زاره زائر فقد قضى أعظم أوطاره^(٤)
يدخله المولى بخز كما يدخله العبد بأطماره^(٥)
وهو إذا ما كان مستظفاً مروءة الإنسان في داره

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني بعضهم لنفسه في أبي الفتح

ابن الكاتب ، ولم ينصف فضله [من السريع] :

إن أبا الفتح فتى كاتب والشعر من آتته فضل

(١) اصطبح واغتبِقُ : أي شرب الخمرة صباحاً ومساءً .

(٢) العارض : صفحة الخد ، ومشق : مدّ وأطال حرومه .

(٣) أخذ معناه من الحديث « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » .

(٤) أوطاره : حاجاته وغاياته .

(٥) الخز : ضرب فاخر من الحرير ، والأطمار : الثياب البالية .

أنشدنا شعراً فقلنا له : ذا غزلٌ ويحك أم غزلٌ؟
وملت عنه نحو أصحابنا أسألهم : هل عندكم نعل !؟

* * *

١١ - أبو الفرج العجلي الكاتب

أنشدني أبو بكر الخوارزمي له أبياتاً تعجب من سلاستها وسهولة مأخذها
وعذوبة ألفاظها ، وذكر أنه من أفراد مطبوعي تلك البلاد ، فمنها قوله [من
المتقارب] :

أقول له يا مُذيقِي الهوى ولم أكُ فيما مضى ذقتهُ
سألتك بالله لا تدني إلى أجلٍ ما دنا وقته
ملكْت فؤادي فعذبته ولو أنه في يدي صنته

ومنها قوله [من الكامل] :

أرسلت نظرة وامقٍ لك خائفٍ من عينٍ واشرٍ لحظه ما يفترُ^(١)
وجعلت أوهم أن قلبي مضمراً شيئاً سوى نظري ، وأنت المضممر

ومنها قوله [من الخفيف] :

وأريه أنني سلوت ، وإني لمشوقٌ والله صبُّ إليه
وهواه يدبُّ في كلِّ قلبٍ كدبيب السواد في عارضيه^(٢)

ومنها قوله وأنشدني غيره [من الوافر] :

عذارٌ كالطراز على الطراز وبدراً في الحقيقة لا المجاز

(١) الوامق : المحب العاشق ، يفتر : يضعف وينكسر .

(٢) يدبُّ : يتمشى .

ولو جاز السجود له سجدنا ولكن ليس ذاك بمستجاز

* * *

١٢ - أبو عبد الله الحسين بن خالويه*^(١)

أصله من همذان ، ولكن استوطن حلب ، وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، وكانت إليه الرحلة من الآفاق ، وآل حمدان يكرمونه ، ويدرسون عليه ، ويقتبسون منه ، وله شعر لم يحضرني منه الآن إلا قوله في وصف برد همذان [من الطويل] :

إذا همذان اعثارها القرأ وانقضى
برغمك أيلول وأنت مقيم^(٢)
فعينك عمشاء وأنفك سائل
ووجهك مسودّ البياض بهيم
وأنت أسيرُ البرد تمشي بعلّة
على السيّف تحبو مرةً وتقوم
بلادٌ إذا ما الصيف أقبل جنةً
ولكنّها عند الشتاء جحيم

ولبعضهم في برد همذان [من الكامل] :

همذان متلفة النفوس ببردها
والزمهرير ، وحرّها مأمون
غلب الشتاء مصيفها وخريفها
فكأنما تموزها كانون

ولأبي علي كاتب بكر [من السريع] :

يا بلدة أسلمني بردها
وبرد من يسكنها للقلق
لا يسلم الشاتي به من أذى
من لثقٍ أو دمتٍ أو زلق^(٣)

(١) إقرأ ترجمة ابن خالويه في ابن خلكان (٢٨١ / ١) النيل .

(٢) اعثارها : حلّها ، والقرأ : البرد القارص .

(٣) اللثق : الوحل ، والدمت : الريح التي يرافقها برد ، والزلق : السقوط وزلة القدم .

ولأبي الربيع البلخي في الشاش^(١) [من المجتث] :

الشاش في الصيف جِنَّةٌ ومن أذى الحر جِنَّةٌ^(٢)
لكنني تعتريني بها لدى البرد جِنَّةٌ^(٣)

وفي مثل هذه الصنعة ، وإن كان في غير المعنى ، لغيره [من المجتث] :

يا شادناً متُّ قَبْلَهُ قد صار في الحسن قُبْلَهُ
امننُ عليٌّ بقبلة تشفي فؤاداً موله^(٤)

ولابن خالويه أيضاً [من الطويل] :

إذا لم يكن صدر المجالس سيِّداً فلا خير فيمن صدرته المجالسُ
وكم قائلٍ : مالي رأيتك راجلاً ؟ فقلت له : من أجل أنك فارس !

* * *

١٣ - أبو الفتح عثمان بن جني النحوي اللغوي*^(٥)

هو القطب في لسان العرب ، وإليه انتهت الرياسة في الأدب ، وصحب أبا الطيب دهرأ طويلاً ، وشرح شعره ، ونبه على معانيه وإعراجه ، وكان الشعر أقل خلاله لعظم قدره ، وارتفاع حاله . فمن ذلك قوله في الغزل [من مجزوء الوافر] :

غزالٌ غير وحشيٍّ حكى الوحشيُّ مقلتهُ
رأه الورد يجني الور د فاستكساه حلتهُ

(١) الشاش : بلدة مما وراء النهر ينسب إليها كثير من العلماء .

(٢) جلة الأولى بفتح الجيم : البستان ، والثانية بضم الجيم : بمعنى الوقاية .

(٣) جِنَّةٌ : بكسر الجيم : تعني الجنون .

(٤) امنن : تكرم وتمنن ، والواله : العاشق المكدذب .

(٥) إقرأ ترجمة أبي الفتح في وفيات الأعيان لابن خلكان (١ / ٥٦١ النيل) .

وشمَّ بأنفه الريحا ن فاستهداه زهرته
وذاقت ريقه الصهبا ء فاختلسته نكهته^(١)

وله [من الطويل] :

أيا دارهم ما أنت أنت مذ انتوا ولا أنا مذ سار الركاب أنا أنا^(٢)
وجود المنى أن لا يكائر بالمنى ونيل الغنى أن لا يكائر بالغنى
ومن كان في الدنيا أشدَّ تصوّراً تجده عن الدنيا أشدَّ تصوّناً

* * *

١٤ - الشمشاطي

هو أبو الفتح الحسن بن علي بن محمد ، لم يقع إلى من شعره إلا قوله في البنفسج
[من الكامل] :

إشربُ على زهر البنفسج ح قبل تأنيب الحسود
فكأنما أوراقه آثار قرصٍ في الخدودِ

وقوله في الجلنار [من الخفيف] :

وبدا الجلنار مثل خدودِ قد كساها الحياءُ ثوبَ عقارِ
صبغة الله كالعقيق تراه أحمرأ ناصعأ لدى الاخضرارِ

* * *

وممن يليق ذكره بهذا المكان من اعيان الشام ، وليس يحضرني شعر أبو
القاسم الأدمي ، وإذا حصلت عليه الحقته به ، وهذا آخر الباب الرابع .

* * *

(١) اختلسته : أي سرت منه ، والنكهة : المذاق .

(٢) انتوا : أي ابتعدوا وفارقوا .

الباب الخامس

١٥ - في ذكر أبي الطيب المتنبي ، وما له وما عليه*

هو - وإن كان كوفي المولد - شامي المنشأ ، وبها تخرج ، ومنها خرج .
نادرة الفلك ، وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر ، ثم هو شاعر سيف
الدولة المنسوب إليه ، المشهور به ، إذ هو الذي جذب بضبعه^(٢) ، ورفع من
قدره ، ونفق شعره ، وألقى عليه شعاع سعادته ، حتى سار ذكره مسير الشمس
والقمر ، وسافر كلامه في البدو والحضر ، وكادت الليالي تنشده ، والأيام
تحفظه ، كما قال وأحسن ما شاء [من الطويل] :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمراً وغنى به من لا يغني مغرداً^(٣)
وكما قال [من المتقارب] :

ولي فيك ما لم يقل قائلٌ وما لم يسر قمرٌ حيث سارا
وعندي لك الشرد السائرا ت لا يختصن من الأرض دارا
إذا سرن من مقول مرة وثبن الجبال وخضن البحارا

(١) إقرأ ترجمة أبي الطيب في وفيات الأعيان (١ / ٦٢ / النيل) .

(٢) جذب بضبعه : كناية عن أنه رفعه وأعلى قدره .

(٣) مشمراً : جاداً .

هذا من أحسن ما قيل في وصف الشعر السائر ، وأبلغ منه قول علي بن الجهم حيث قال [من الطويل] :

ولكنّ إحسان الخليفة جعفرٍ دعاني إلى ما قلت فيه من الشعر
فسار مسير الشمس في كلّ بلدةٍ وهبّ هبوب الريح في البرّ والبحر
فليس اليوم مجالس الدرس ، أعمر بشعر أبي الطيب من مجالس الأنس ولا
أقلام كتاب الرسائل ، أجرى به من ألسن الخطباء في المحافل ، ولا لحون
المغنين والقوالين ، أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين . وقد ألقت الكتب في
تفسيره ، وحل مشكله وعويصه ، وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديته ، وتكلم
الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه ، والإفصاح عن أبقار كلامه وعونه^(١) .
وتفرقوا فرقاً في مدحه والقدح فيه والنضح^(٢) عنه ، والتعصب له وعليه . وذلك أول
دليل دل على وفور فضله ، وتقدم قدمه ، وتفردته عن أهل زمانه ، بملك رقاب
القوافي ، ورق المعاني ، فالكامل من عدت سقطاته ، والسعيد من حسبت
هفواته « وما زالت الأملاك تهجي وتمدحُ » .

وأنا مورد في هذا الباب ذكر محاسنه ومقابحه ، وما يرتضى وما يستهجن من
مذاهبه في الشعر وطرائقه ، وتفصيل الكلام في نقد شعره ، والتنبيه على عيونه
وعيوبه ، والإشارة إلى غرره وعرره^(٣) ، وترتيب المختار من قلائده وبدائعه ، بعد
الأخذ بطرف من طرق أخباره ومتصرفات أحواله ، وما تكثرت فوائده وتحلو ثمرته ،
ويتميز هذا الباب به عن سائر أبواب الكتاب كتميزه عن أصحابها بعلو الشأن في
شعر الزمان ، والقبول التام عند أكثر الخاص والعام .

(١) العون : بضمّ العين ، جمع عوان وهي النصف من النساء .

(٢) النضح عنه : أراد الدفاع عنه .

(٣) الغرر : البدائع ، والعرر : الساقط من شعره .

ذكر ابتداء أمره

ذكرت الرواة أنه ولد بالكوفة في كندة سنة ثلاث وثلاثمائة ، وأن أباه سافر إلى بلاد الشام ، فلم يزل ينقله من باديتها إلى حضرها ، ومن مدرها إلى وبرها ، ويسلمه في المكاتب ، ويردده في القبائل ، ومخايله نواطق الحسنى عنه . وضوا من النجاح فيه ، حتى توفي أبوه وقد ترعرع أبو الطيب وشعر وبرع ، وبلغ من كبر نفسه وبعد همته أن دعا إلى بيعته قوماً من رائي نبله^(١) ، على الحدائة من سنه والغضاضة من عوده . وحين كاد يتم له أمر دعوته تأدى خبره إلى والي البلدة ، ورفع إليه ما هم به من الخروج ، فأمر بحبسه وتقييده ، وهو القائل في الحبس قصيدته التي أولها [من المتقارب] :

أيا خدّد الله ورد الخدود وقدّ قدود الحسان القدود

ومنها استعطافه ذلك الأمير والتنصل مما قذف به :

أمالك رقيّ ، ومن شأنه هبات اللجين وعتق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجا ء والموت منّي كحبل الوريد
دعوتك لما يراني البلى وأوهن رجلي ثقل الحديد

ومنها :

وقد كان مشيهاً في النعال فقد صار مشيهاً في القيود^(٢)
وكنت من الناس في محفلٍ فها أنا في محفلٍ من قروود
تعجّل فيّ وجوب الحدود وحديّ قبل وجوب السجود!^(٣)

(١) رائي نبله : كناية عمّن يقوى بهم ساعده تقول راش التبل يريشه : إذا لزق فيه الريش ليقوى .

(٢) المشيهم : من الشيهم ، وهو ما عظم شوكة من ذكور القناقد .

(٣) الحدود : تنفيذ أوامر الشريعة في المخالفين لها .

أي : إنما تجب الحدود على البالغ ، وأنا صبي لم تجب عليّ الصلاة بعد ،
ويجوز أن يكون قد صغّر سنه وأمر نفسه عند الوالي ، لأن من كان صبيّاً لم يظن به
اجتماع الناس إليه للشقاق والخلاف .

ومن شعره في الحبس ما كتب به إلى صديق له قد كان أنفذ إليه مبرّة [من
المنسرح] :

أهون بطول الثواء والتلفِ والسجن والقيد ، يا أبا دلفِ
غير اختيارٍ قبلت برّك بي والجوع يرضي الأسود بالجيف
يشبه قول أبي عيينة [من مخلع البسيط] :

ما أنت إلا كلحم ميّتٍ دعا لي إلى أكله اضطرارُ
(رجع) :

كنّ أيّها السجن كيف شئت فقدُ وطّنت للموت نفسَ معترفِ
لو كان سكناي فيك منقصةً لم يكن الدرُّ ساكن الصدفِ
ويحكى أنه تنبأ في صباه ، وفتن شرذمة بقوة أدبه ، وحسن كلامه ، وحكى أبو
الفتح عثمان بن جني قال : سمعت أبا الطيب يقول : إنما لقت بالمتنبي لقولي
[من الخفيف] :

أنا ترب الندى وربّ القوافي وسمام العدا وغيظُ الحسودِ
أنا في أمّةٍ تداركها اللدّه غريبٌ كصالحٍ في ثمودِ
وفي هذه القصيدة يقول :

ما مقامي بأرض نخلة إلاّ كمقام المسيح بين اليهود
وما زال في برد صباه إلى أن أخلق برد شبابه ، وتضاعفت عقود عمره ، يدور
حب الولاية والرياسة في رأسه ، ويظهر ما يضمّر من كامن وسواسه ، في الخروج

على السلطان ، والاستظهار بالشجعان ، والاستيلاء على بعض الأطراف ،
ويستكثر من التصريح بذلك في مثل قوله [من البسيط] :

لقد تصبّرت حتى لات مصطبرٍ
لأتركنّ وجوه الخيل ساهمةً
[والطعن يحرقها والزجر يقلقها
قد كلّمها العوالي فهي كالحةٌ
بكلّ منصلتٍ ما زال منتظري
شيخٌ يرى الصلوات الخمس نافلةً
وقوله [من الطويل] :

سأطلب حقّي بالقنا ومشايخٍ
ثقالٌ إذا لاقوا ، خفافٌ إذا دعوا
وطعنٌ كأنّ الطعن لا طعن بعده
إذا شئت حفت بي على كلّ سابعٍ
وقوله [من الطويل] :

ولا تحسبنّ المجد زقاً وقينةً
وتضريب أعناق الملوك وأن ترى
فما المجد إلاّ السيّفُ والفتكةُ البكرُ
لك الهبوات السود والعسكر المجرُ^(٧)

(١) لات : بمعنى النهاية أي تصبر حتى آخر الاصطبار .

(٢) ساهمة : ضامرة ضعيفه .

(٣) اللمم : ضرب من الجنون .

(٤) الصّاب : شجر مرّ ، وعصارتة شديدة المرارة مذرور : نابت وطالع .

(٥) أدلت له : غلبته وأظفرتة .

(٦) السابح : الحصان .

(٧) الهبّو : الغبار يرتفع في الجوّ .

وتركك في الدنيا دويًا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر^(١)
وقوله [من البسيط] :

وإن عمرت جعلت الحرب والدةً والسهمريّ أخاً ، والمشرفيّ أبا
بكلّ أشعث يلقى الموت مبتسماً حتّى كأنّ له في قتله أربا
قحّ يكاد سهيل الخيل يقذفه من سرجه مرحاً للعزّ أو طرباً^(٢)
الموت أعدرلي ، والصبر أجمل بي ، والبرّ أوسع ، والدنيا لمن غلبا

وكان كثيراً ما يتجشم أسفاراً بعيدة أبعد من آماله ، ويمشي في مناكب
الأرض ، ويطوي المناهل والمراحل ، ولا زاد إلا من ضرب الحراب ، على
صفحة المحراب^(٣) . ولا مطية إلا الخف أو النعل ، كما قال [من المنسرح] :

لا ناقتي تقبل الرديف ولا بالسّوط يوم الرهان أجهدّها
شراكها كورها ، ومشفرها زمامها ، والشسوع مقودها^(٤)

وإنما ألم في هذا المعنى بأبي نواس في قوله [من الطويل] :

إليك أبا العباس من بين من مشى عليها امتطينا الحضرميّ الملسنا^(٥)
قلائص لم تعرف حنيئاً على طلا ولم تدر ما قرع الفتيق ولا الهنا^(٦)

(١) تداول سمع المرء : أي جعل الإنسان أصابعه في أذنيه .

(٢) قحّ : خالص النسب ، جمعه أقحاح يقال : عرب أقحاح .

(٣) أراد بالمحراب هنا العنق ، يريد أنه يتهب الناس بعد ما يقتلهم .

(٤) الشسوع : جبل من جلد .

(٥) الحضرميّ الملسنا : أراد النعل الذي يلبسه في رجله .

(٦) القلائص : النوق ، والطلا : الصغير من ولد الإبل والفتيق : الفحل من فحولة الأبل ؛ الهنا : طلي

الإبل ، الجري بالقطران .

وكما قال في شكوى الدهر ووصف الخف [من الكامل] :

أظمتني الدنيا فلما جئتها مستسقياً مطرت عليّ مصائباً^(١)
وحُيت من خوص الركاب بأسود من دارشٍ فغدوت أمشي راكباً^(٢)

وكما قال في الاعتداد بالرحلة ، والقدرة على الرحلة [من المنسرح] :

ومهمه جبهه على قدمي تعجز عنه العرامس الذُّلُّ^(٣)
[بصارمي مرتدٍ ، بمخبرتي مجتزيءٌ ، بالظلام معتملاً]
إذا صديقٌ نكرت جانبه لم تعيني في فراقه الحيلُ
في سعة الخافقين مضطربٌ وفي بلاد من أختها بدلُ

وشتان ما بين حاله هذه والحال التي قال فيها [من البسيط] :

وعرفاهمُ بأنّي من مكارمه أقلب الطرف بين الخيل والخول^(٤)

وكان قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح القريب والغريب ، ويصطاد ما بين الكركي والعندليب .

ويحكى أن علي بن منصور الحاجب لم يعطه على قصيدته فيه التي أولها

[من الكامل] :

بأبي الشموس الجانحات غواربا [اللابسات من الحرير جلابيا]

(١) أظمتني : أصلها أظمأتني بالهمز - فسهل الهمزة فصارت الفأ ، ثم حذفها كما تحذف الألف الأصلية .

(٢) حُيت : أعطيت ، والخوص : ورق النخل .

(٣) العرامس : التوق الشديدة ، والذُّلُّ : جمع ذلول وهو سهلة القيادة .

(٤) الخول : العبيد .

ومنها :

حالٌ متى علم ابن منصورٍ بها جاء الزّمان إليّ منها تائباً
إلا ديناراً واحداً ، فسميت الدينارية .

ولما انخرط في سلك سيف الدولة ، ودرّت له أخلاف الدنيا على يده ، كان
من قوله فيه [من الطويل] :

تركت السّرى خلفي لمن قلّ ماله وأنعلت أفراسي بنعمائك عسجداً^(١)
وقيدت نفسي في هواك محبّةً ومن وجد الإحسان قيّداً تقيّداً

وهذا البيت من قلائده ، وإنما ألم فيه بقول أبي تمام [من الكامل] :

هممي معلّقةٌ عليك رقابها مغلولّةٌ ، إنّ الوفاء إسارُ

ولكنه أخذ عباءة وردها ديباجاً ، وأرسلها مثلاً سائراً ، وكرر هذا المعنى

فزاد فيه حتى كاد يفسده في قوله [من الكامل] :

يا من يقتل من أراد بسيفه أصبحت من قتلاك بالإحسان

* * *

نبذ من أخباره

لما أنشد سيف الدولة قصيدته التي أولها [من البسيط] :

أجاب دمعي وما الداعي سوى طللٍ دعا فلّباه ، قبل الركب والإبل

وناوله نسختها وخرج فنظر فيها سيف الدولة ، فلما انتهى إلى قوله :

يا أيّها المحسن المشكور من جهتي والشكر من جهة الإحسان ، لا قبلي

(١) السّرى : المسير ليلاً ، والمعسجد الذهب .

[ما كان نوميَ إلاّ فوق معرفتي بأنّ رأيك لا يؤتسى من الزكّل]
أقلّ أنلّ أقطعُ حملُ علّ سلّ أعد زدّ هسّ بشّ تفضّلُ أدنّ سرّ صلّ

وقع تحت أقلّ : قد أقلنناك ، وتحت أنلّ : يحمل إليه من الدراهم كذا ،
وتحت أقطع : قد أقطعناك الضيعة الفلانية ضيعة ببلاد حلب ، وتحت حمل :
يقاد إليه الفرس الفلاني ، وتحت علّ : قد فعلنا ، وتحت سلّ : قد فعلنا فاسلّ ،
وتحت أعدّ : أعدناك إلى حالك من حسن رأينا ، وتحت زدّ : يزداد كذا ، وتحت
تفضلّ : قد فعلنا ، وتحت أدنّ : قد أدنينناك ، وتحت سرّ : قد سررناك . وتحت
صلّ : قد فعلنا .

قال ابن جنّي : فبلغني عن المتنبي أنه قال : إنما أردت سر من السرية ،
فأمر له بجارية .

قال : وحكى لي بعض إخواننا أن المعقلي - وهو شيخ كان بحضرته
ظريف - قال له - وحسد المتنبي على ما أمر به - : يا مولاي قد فعلت به كل شيء
سألكه ، فهلا قلت له لما قال لك هسّ بشّ : هه هه هه ، يحكي الضحك ،
فضحك سيف الدولة ، فقال له : ولك أيضاً ما تحب ، وأمر له بصلة .

وذكر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في كتاب « الوساطة » أن أبا
الطيب نسج على منوال ديك الجن فقال [من الخفيف] :

احل وامررّ وضر وانفع ولينّ واخـ شنّ ورشّ وابرّ وانتدبّ للمعالي

وحكى ابن جنّي قال : حدثني أبو علي الحسين بن أحمد الصنوبري ،
قال : خرجت من حلب أريد سيف الدولة ، فلما برزت من السور إذا أنا بفارس
مثلثم قد أهوى نحوي برمح طويل ، وسدده إلى صدري ، فكادت أطرح نفسي عن

الدابة فرقاً ، فلما قرب مني ثنى السنان وحسر لثامه^(١) فإذا المتنبي ، وأنشدني [من الطويل] :

نثرنا رءوساً بالأحيدب منهم كما نثرت فوق العروس الدراهم
ثم قال : كيف ترى هذا القول ؟ أحسن هو ؟ فقلت له : ويحك ! قد
قتلني يا رجل ، قال ابن جني : فحكيت أنا هذه الحكاية بمدينة السلام لأبي
الطيب ، فعرفها وضحك لها ، وذكر أبا علي من التقريظ والثناء بما يقال في مثله .
قال : وأنشدت أبا علي ليلاً قصيدة أبي الطيب التي أولها [من البسيط] :

* واحرّ قلباه ممّن قلبه شيم^(٢) *

فلما وصلت إلى قوله فيها :

وشرّ ما قنصته راحتني قنصٌ شهب البزاة سواء فيه والرّخم^(٣)
أعجب جداً به ، ولم يزل يستعيده ، حتى حفظه ، ومعناه : إذا تساويت
ومن لا قدر له في أخذ عطاياك فأبي فضل لي عليه ؟ وما كان من الفائدة كذا لم أفرح
به ، وإنما أفرح بأخذ ما تختص به الأفاضل .

قال : وحدثني المتنبي قال : حدثني فلان الهاشمي من أهل حران بمصر ،
قال : أحدثك بطريفة ، كتبت إلى امرأتي وهي بحران كتاباً تمثلت فيه بيتك [من
البسيط] :

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن ؟

(١) حسر لثامه : أزاله عن وجهه فانكشف وطهر .

(٢) الشيم : البارد ، لأن قلبه لم يداخله الحب حتى يحترق بناره .

(٣) الرّخم : طائر من الجوارح يشبه النسر .

فأجابتنى عن الكتاب ، وقالت : ما أنت والله كما ذكرته في هذا البيت ، بل أنت
كما قال الشاعر في هذه القصيدة :

سهرت بعد رحيلي وحشةً لكمُ ثم استمرّ مريري وارعوى الوسن^(١)
قال : ولما سمع سيف الدولة البيت الذي يتلوه وهو قوله :

وإن بليت بوذٌ مثل ودكمُ فإنني بفراقٍ مثله قمن^(٢)

قال : سار وحق أبي .

قال : ولما سمع قوله لفنا خسرو [من المنسرح] :

وقد رأيت الملوك قاطبةً وسرت حتى رأيت مولاها

قال : ترى هل نحن في الجملة ؟

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : كان أبو الطيب المتنبي قاعداً تحت قول

الشاعر [من الطويل] :

وإنّ أحقّ الناس باللوم شاعرٌ يلوم على البخل الرجال ويبخلُ

وإنما أعرب عن عادته وطريقته في قوله [من الطويل] :

بليت بلى الأطلال إن لم أفقُ بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

فحضرت عنده يوماً بخلب وقد أحضر مالا من صلات سيف الدولة ، فصب

بين يديه على حصير قد افترشه ، ووزن وأعيد في كيس ، وإذا بقطعة كأصغر ما

يكون من ذلك المال قد تخللت خلل الحصير ، فأكب عليها بمجامعه ينقرها

ويعالج استنقاذها منه ، ويشتغل بذلك عن جلسائه حتى توصل إلى إظهار

(١) استمرّ مريري : قوي بعد ضعف والمرير : العزيمة وارعوى : تراجع ، والوسن : النعاس .

(٢) القمن : الجدير .

بعضها ، فتمثل بيت قيس بن الخطيم [من الطويل] :

تبدت لنا كالشمس بين غمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضئت بحاجبٍ^(١)
ثم استخرجها ، وأمر بإعادتها إلى مكانها من الكيس ، وقال : إنها تحضر
المائدة .

وسمعه يقول : لما أنشد المتنبي عضد الدولة قصيدته فيه التي أولها [من
الوافر] :

* مغاني الشعب طيباً في المغاني *

وانتهى إلى قوله فيها .

وألقى الشرق منها في ثيابي دنائيراً تفرُّ من البنان

قال له عضد الدولة : لأقرنها في يدك ، ثم فعل .

قال : ولما قدم أبو الطيب من مصر بغداد ، وترفع عن مدح المهلبي
الوزير ، ذهاباً بنفسه عن مدح غير الملوك ، شق ذلك على المهلبي ، فأغرى به
شعراء بغداد ، حتى نالوا من عرضه ، وتباروا في هجائه ، وفيهم ابن الحجاج وابن
سكرة [محمد بن عبد الله الزاهد] الهاشمي ، والحاتمي ، وأسمعوه ما يكره ،
وتماجنوا به ، وتنادروا عليه ، فلم يجبهم ولم يفكر فيهم ، وقيل له في ذلك ،
فقال : إني فرغت من إجابتهم بقولي لمن هم أرفع طبقة منهم في الشعراء [من
الوافر] :

أرى المتشاعرين غروا بدمي ومن ذا يحمل الداء العضالاً^(٢)
ومن يك ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ يجد مرأً به الماء الزلالاً

(١) تبدت : ظهرت.

(٢) غروا : أولعوا .

وقولي [من الطويل] :

أفي كل يومٍ تحت ضبني شوبعراً
لساني بنطقي صامتٌ عنه عادلٌ
وأتعب من ناداك من لا تجيبه
وما التيه طيبي فيهم غير أنني
ضعيفٌ يقاويني قصيرٌ يطاول^(١)
وقلبي بصمتي ضاحكٌ منه هازلٌ
وأغيط من عاداك من لا تشاكلُ
بغيضٍ إليّ الجاهل المتعاقل^(٢)

وقولي [من الكامل] :

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ
فهي الشهادة لي بأنني فاضل
قال : وبلغ أبا الحسين بن لنكك بالبصرة ما جرى على المتنبي من وقعة
شعراء بغداد فيه ، واستحقارهم له ، وكان حاسداً له ، طاعناً عليه ، هاجياً إياه ،
زاعماً أن أباه كان سقاء بالكوفة فشمت به وقال [من البسيط] :

قولاً لأهل زمانٍ لا خلاق لهم
أعطيتم المتنبي فوق منيته
لكن بغداد جاد الغيث ساكنها
قال : ومن قوله فيه [من الخفيف] :

متنبيكمُ ابن سقاء كوفاً
كان من فيه يسلمح الشعر حتى
ومن قوله أيضاً فيه [من المجث] :

ما أوقح المتنبي فيما حكى وادعاهُ

(١) الضين : بكسر الضاد وسكون الباء ، ما بين الكشح والإبط.

(٢) التيه : التكبر والعجب ، وطبي : عادتي وخلقي .

(٣) الكنيف : المرحاض .

أبيح ملاً عظيماً حتى أباح قفاه
يا سائلي عن غناه من ذاك كان غناه
إن كان ذاك نبياً فالجائليق إله

ثم إن أبا الطيب المتنبى اتخذ الليل جملاً ، وفارق بغداد متوجّهاً إلى حضرة أبي الفضل بن العميد مراغماً للمهلي الوزير ، فورد أرجان ، وأحمد مورده ، فيحكى أن الصاحب أبا القاسم طمع في زيارة المتنبى إياه بأصبهان ، وإجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان ، وهو إذ ذاك شاب وحاله حويلة ، ولم يكن استوزر بعد ، وكتب إليه يلاطفه في استدعائه ، وتضمن له مشاطرته جميع ماله ، فلم يقم له المتنبى وزناً ، ولم يجبه عن كتابه ولا إلى مراده ، وقصد حضرة عضد الدولة بشيراز ، فأسفرت سفرته عن بلوغ الأمنية ، وورود مشرع المنية ، واتخذ الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقية ، ويتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته ، وينعي عليه سيئاته ، وهو أعرف الناس بحسناته ، وأحفظهم لها ، وأكثرهم استعمالاً إياها وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتباته ، وكان مثله معه كما قال الشاعر [من الرجز] :

شتمت من يشتمني مغالطاً لأصرف العاذل عن لجاجته
فقال: لَمَّا وَقَعَ الْبِرَّازُ فِي السُّبُوبِ عَلِمْنَا أَنَّهُ مِنْ حَاجَتِهِ^(١)

وكما قال الآخر [من الطويل] :

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها ولم أر كالدنيا تدم وتحلب^(٢)

وكما قال الآخر [من البسيط] :

(١) البرّاز : بائع البر.

(٢) يرضعونها : أي يشربون لبنها ، وتحلب : يستخرج لبنها .

تُبِّتُ أَنِّي إِذَا مَا غَبْتُ تَشْتَمُنِي قَلَّ مَا بَدَأَ لَكَ فَالْمَحْبُوبُ مَسْبُوبٌ

* * *

قطعة من حل صاحب وغيره نظم المتنبي واستعانتهم بألفاظه ومعانيه في الترسل

فصل له من رسالة في وصف قلعة افتتحها عضد الدولة :

وأما قلعة (كذا) فقد كانت بقية الدهر المديد ، والأمد البعيد ، تعطس
بأنف شامخ من المنعة ، وتنبو بعطف جامع على الخطبة ، وترى أن الأيام قد
صالحتها على الإغفاء من القوارع ، وعاهدتها على التسليم من الحوادث ، فلما
أتاح الله للدنيا ابن بجدتها ، وأبا بأسها ونجدتها ، جهلوا بون ما بين البحور
والأنهار ، وظنوا الأقدار تأتيهم على مقدار ، فما لبثوا أن رأوا معقلهم الحصين
ومشواهم القديم ، نهزة الحوادث ، وفرصة البوائق ، ومجر العوالي ، ومجرى
السوابق .

وإنما ألم بألفاظ بيتين لأبي الطيب أحدهما [من الكامل] :

حَتَّى أَتَى الدُّنْيَا ابْنَ بَجْدَتِهَا فَشَكَا إِلَيْهِ السَّهْلَ وَالْجَبَلَ^(١)

والآخر [من الطويل] :

تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعَذِيبِ وَبَارِقِ مَجْرَعِ عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوَابِقِ^(٢)

وفصل له - لئن كان الفتح جليل الخطر ، عظيم الأثر ، فإن سعادة مولانا
لتبشر بشوافع له ، يعلم معها أن الله أسراراً في علاه لا يزال بيديها ، ويصل أوائلها
بتواليها .

(١) ابن بجدتها : أي العالم بالشيء المتقن له .

(٢) العوالي : الرماح ، والسوابق : الخيل .

وهو من قول أبي الطيب [من الطويل] :

ولله سرٌّ في علاك ، وإِنَّمَا كلام العدى ضربٌ من الهديانِ
فصل - ولو كان ما أحسنه شظية في قلم كاتب لما غيرت خطه ، أو قذى في
عين نائم لما انتبه جفنه .

وهو من قول أبي الطيب [من الطويل] :

ولو قلمٌ ألقيت في شقِّ رأسه من السقم ما غيرت من خط كاتبِ
وقول نصر [من السريع] :

ضنيت حتى صرت لو زجَّ بي في ناظر النائم لم ينتبه^(١)
ومنه أخذ ابن العميد قوله [من الكامل] :

فلو أنّ ما أبقيت في جسدي قذى في العين لم يمنع من الإغفاء
فصل للمصاحب في التعزية - إذا كان الشيخ القدوة في العلم وما يقتضيه ،
والأسوة في الدين وما يجب فيه ، لزم أن يتأدب في حالات الصبر والشكر بأدبه ،
ويؤخذ في ثارات الأسى والأسى بمذهبه ، فكيف لنا بتعزيته عند حادث رزيته ،
إلا إذا روينا له بعض ما أخذناه عنه ، وأعدنا إليه طائفة مما استفدناه منه .

وإنما هو حل من قول أبي الطيب [من الخفيف] :

أنت يا فوق أن يعزى عن الأحـ باب فوق الذي يعزّيك عقلا
وبالفاظك اهتدى فإذا عزّاً ك قال الذي له قلت قبلا
وفصل له - وقد أثنى عليه ثناء لسان الزهر ، على راحة المطر .

(١) ضنيت : هزلت وضعفت .

وهو من قول أبي الطيب [من الكامل] :

وذكي^١ رائحة الرياض كلامها تبغي الشاء على الحيا فيفوح^(١)

والأصل فيه قول ابن الرومي [من الخفيف] :

شكرت نعمة الولي على الوسمي^٢ ثم العهد بعد العهد^(٢)
فهي تنني على السماء ثناءً طيب النثر شائعاً في البلاد
من نسيم كأن مسراه في الأر واح مسرى الأرواح في الاجساد
ومما أورده من أبيات أبي الطيب كما هي قوله في كتاب أجاب به ابن العميد
عن كتابه الصادر إليه عن شاطيء البحر في وصف مراكبه وعجائبه :

وقد علمت أن سيدنا كتب وما أخطر بفكره ، سعة صدره ، ولو فعل ذلك
لرأى البحر وشلاً لا يفضل عن التبرص^(٣) ، وثمداً لا يكثر عن الترشف^(٤) [من
الطويل] :

وكم من جبال جبت تشهد أنني الـ جبال وبحر شاهدي أنني البحر^(٥)
وله من رسالة في التهئة بنت أولها - أهلاً بعقيلة النساء ، وكريمة الآباء ،
وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار ، ثم يقول فيها [من الوافر] :
ولو كان النساء كمثل هذي لفضلت النساء على الرجال

(١) الحيا : المطر ، شبه رائحة أزهار الرياض بالكلام ، ثم بين أن الرياض أرادت أن تتحدث عن
صنائع المطر فأرسلت عبير أزهارها تتحدث عنه .

(٢) الولي : المطر بعد المطر ، والوسمي : مطر الربيع والعهد : أول المطر .

(٣) الوشل : القليل من الماء ، والتبرص : الاكتفاء والتبلى بالقليل ، ولا يفضل عنه : لا يزيد على
قدره .

(٤) الشمذ : الماء القليل ، والترشف : أخذ الماء جرعة بعد جرعة .

(٥) جبت : قطعت .

وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكير فخرٌ للهِلال

وهما لأبي الطيب من قصيدة في مرثية والده سيف الدولة إلا أنه يقول :

* ولو كان النساء كمن فقدنا *

وللصاحب من كتاب تعزية - وقلنا : قد أخذ الزمان من أخذ ، وترك من ترك ، فهو لا شك يعفون القمر ، وقد أسلم الشمس للطفل^(١) ولا يصل الصروف بالصروف ، ولا يجمع الكسوف إلى الخسوف ، فأبي حكم الملوين ، وقد غنبتك إذ قاسمك الأخوين ، إلا أن يعود فيلحق الباقي بالفاني ، والغابر بالماضي [من البسيط] :

وعاد في طلب المتروك تاركه إنا لنفعل والأيام في الطلب
ما كان أقصر وقتاً كان بينهما كأنه الوقت بين الورد والقرب

أقول : هذا كعادة المصدور في النفث ، وشكوى الحزن والبث ، وإلا فما يعجب السفر من تقدم بعض ، وكل بين الراحلة والرحل ، لا يترك الموت ساعياً على وجه الأرض ، حتى ينقله إلى بطن التراب [من السريع] :

نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لا بدّ من شربه
تبخل أيدينا بأرواحنا على زمانٍ هنّ من كسبه
فهذه الأرواح من جوّه وهذه الأجسام من ترابه

وهذا غيظ من فيض ما اغترفه الصاحب من بحر المتنبّي ، وتمثل به من شعره . ولو ذكرت نظائره لامتد نفس هذا الباب .

وليس هو بأوحد في الاقتباس من كلامه ، هذا أبو إسحاق الصابي رسيله في

(١) الطفل : بفتح الطاء والفاء ، الوقت عند الغروب .

ذلك وزميله ، وقد قرأت له غير فصل فيما أشرت إليه ، ونهت عليه : فمنه ما كتب في تقرّظ- شاب مقبل الشيبية ، مكتهل الفضيلة ، ولقد آتاه الله في اقتبال العمر جوامع الفضل ، وسوغه في عنفوان الشباب محامد الاستكمال ، فلا تجد الكهولة خلة تلافها بتناول المدة ، وثلمة تسدها بمزايا الحنكة .

وإنما هو حل نظم أبي الطيب ، وإن كان في معنى آخر [من المنسرح] :

لا تجد الخمر في مكلومه إذا انتشى خلةً تلافها^(١)

وأخذ من قول البحرى [من الطويل] :

تكرمت من قبل الكؤوس عليهم فما استطعن أن يحدثن فيك تكراً

ومنه ما كتب إلى ابن معروف تهنئة بقضاء القضاة - منزلة قاضي القضاة تجل عن التهئة ، لأن ما تكتسبه الولاية بها من الصيت والذكر ، ويدرعونه فيها من الجمال والفخر ، سابق لها عنده ، وحاصل قلبها له ، وإذا مد أحدهم إليها يداً تجذبها إلى سفال ، جذبتها يده إلى المحل العالي ، فكأن أبا الطيب المتنبى عنه أوحاه بقوله [من الكامل] :

فوق السماء وفوق ما طلبوا فإذا أرادوا غايةً نزلوا

ومنه ما كتب - وعاد مولانا إلى مستقر عزه عود الحلبي إلى العاقل ، والغيث إلى الروض الماحل .

وإنما من قول أبي الطيب [من المتقارب] :

وعدت إلى حلبٍ ظافراً كعود الحلبي إلى العاقل^(٢)

(١) الخلة : الصداقة وتلافها : توقاها وتجنبها .

(٢) العاقل : يقال جيدٌ عطل أي خالٍ من الحلبي .

وإذا كان هذان الصدران المقدمان على بلغاء الزمان يقتبسان من أبي الطيب
في رسائلهما ، فما الظن بغيرهما ؟ وما أحسن قول الشاعر [من الطويل] :
ألا إن حلّ الشعر زينة كاتبٍ ولكنّ منهم من يحلّ فيعقدُ
وممن يحذو حذوهما الأستاذ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي ، وما
أظرف ما قرأت له في كتابه إلى أبي سعيد الشيبلي :

وقد أتاني كتاب شيخ الدولتين فكان في الحسن ، روضة حزن^(١) بل جنة
عدن . وفي شرح النفس ، وبسط الأنس ، برد الأكباد والقلوب ، وقميص يوسف
في أجفان يعقوب .

وهو من بيت أبي الطيب [من البسيط] :

كأنّ كلُّ سؤالٍ في مسامعه قميص يوسف في أجفان يعقوبِ
وفصل لأبي بكر الخوارزمي - وكيف أمدح الأمير بخلق صن به الهواء ،
وامتلات من ذكره الأرض والسماء ، وأبصره الأعمى بلا عين وسمعه الأصم بلا
أذن .

وهو حل نظم أبي الطيب [من المنسرح] :

تنشد أثوابنا مدائحهُ بالسنِ ما لهنّ أفواهُ
إذا مررنا على الأصمّ بها أغتته عن مسمعيه عيناهُ

ولأبي بكر من رسالة - ولقد تساوت الألسن حتى حسد الأبيكم ، وأفسد
الشعر حتى أحمد الصمم .

(١) موضع في ديار بني يربوع يشتمل على قيعان ورياض .

وهو قول أبي الطيب [من البسيط] :

ولا تبال بشعرٍ بعد شاعره قد أفسد القول حتى أحمد الصممُ
وهذا ميدان عريض ، وشوط بطين ، وفيما ذكرته كفاية .

* * *

ولاستراقات الشعراء من أبي الطيب باب هذا مكانه .

* * *

أنموذج لسرقات الشعراء منه

١ - قال المتنبي [من الوافر] :

وقد أخذ التمام البدر فيهم وأعطاني من السقم المحاقا^(١)

أخذه أبو الفرج البيغاء فلطفه وقال [من الكامل] :

أوليس من إحدى العجائب أنني فارقته وحييت بعد فراقه
يا من يحاكي البدر عند تمامه أرحم فتى يحكيه عند محاقه

٢ - وقال أبو الطيب [من البسيط] :

قد علم البين منا البين أجفانا تدمى ، وألف ذا القلب أحزاننا^(٢)

أخذه المهلي الوزير وقال [من الطويل] :

تصارمت الأجفان منذ صرمتني فما تلتقي إلا على عبرة تجري

(١) المحاق : وقت سرار القمر وخفائه .

(٢) البين : الفراق ، وألف : أوجد .

٣ - وقال أبو الطيب وهو من قلائده [من الطويل] :

وكنت إذا يَمَمْتُ أرضاً بعيدةً سريت فكنت السرَّ والليل كاتمةً
أخذه الصاحب وقال [من الطويل] :

تجشمتها والليل وحفُّ جناحه كأني سرُّ والظلام ضمير^(١)
٤ - وقال أبو الطيب ، وهو أيضاً من قلائده [من الوافر] :

لبسن الوشي لا متجملاتٌ ولكن كي يصنُّ به الجمالا
أغار عليه الصاحب لفظاً ومعنى فقال [من الطويل] :

لبسن برود الوشي لا لتجملٍ ولكن لصون الحسن بين برود
وإنما فعل ببيته ما فعل أبو الطيب بيت العباس بن الأحنف [من الكامل] :
والنجم في كبد السماء كأنه أعمى تحيّر ما لديه قائدُ
فقال [من المنسرح] :

ما بال هذي النجوم حائرةٌ كأنها العمى ما لها قائد
وهذه مصالته لا سرقة^(٢) ، وهي مذمومة جداً عند النقدة .

٥ - وقال أبو الطيب ، وهو من فرائده [من الطويل] :

سقاك وحيانا بك الله ، إنَّما على العيس نورٌ والخدور كمامةُ
أخذه السري بن أحمد ، قال ابن جني : أنشدني لنفسه من قصيدة يمدح بها أبا

(١) تجشّم : كابد ، والوحف : الشعر الأسود .

(٢) المصالته : أن يأخذ الشاعر معنى بيت من أبيات شاعر آخر ، ولا يكتفي بهذا حتى يضمّ إليه ألفاظ البيت المأخوذ أو بعضها .

الفوارس سلامة بن فهد ، وهي قوله [من المنسرح] :

حيًا به الله عاشقيه فقد أصبح ريحانةً لمن عشقا
ولم أجد أنا هذه القصيدة في ديوان شعره ، والبيت نهاية في العذوبة ، وخفة
الروح .

٦ - والسري كثير الأخذ من أبي الطيب في مثل قوله [من الوافر] :

وخرق طال فيه السير حتى حسبناه يسير مع الركاب
وهو مأخوذ من قول أبي الطيب [من الطويل] :

يخدن بنا في جوزه وكأننا على كرة أو أرضه معنا سفر^(١)
٧ - وقال السري [من الكامل] :

وأحلها من قلب عاشقها الهوى بيتاً بلا عمد ولا أطناب
وهو من قول أبي الطيب [من البسيط] :

هام الفؤاد بأعرابية سكنت بيتاً من القلب لم تضرب به طنبا^(٢)
٨ - وقال السري [من الكامل] :

وأنا الفداء لمن مخيلة برفه عندي وعند سواي من أنوائه^(٣)
وإنما ألم فيه بقول أبي الطيب [من البسيط] :

ليت الغمام الذي عندي صواعقه يزيلهن إلى من عنده الدائم

(١) يخدن : يهتم ويحذب ، والخدن : الصديق .
(٢) الطنب : الحبال .
(٣) الأنواء : المطر .

٩- وقال أبو الطيب ، وهو من قلائده [من الوافر] :

فإن تفتق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال
وقال أيضاً [من الوافر] :

وما أنا منهمُ بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام^(١)
أخذ أبو بكر الخوارزمي معنى البيتين ، وهما قريب من قريب ، فقال [من
الوافر] :

فديتك ما بدا لي قصد حرٌّ سواك من الورى إلا بدالي
وأنتك منهمُ وكذلك أيضاً من الماء الفرائد واللالى
وتسكن دارهم وكذلك سكنى الـ حجارة والزّمرد في الجبال

وهذا معنى قد اخترعه المتنبي ، وكرره في تفضيل البعض على الكل ، فأحسن
غاية الإحسان حيث قال [من الطويل] :

فإن يك سيّار بن مكرم إنقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الورد
١٠- وقال [من البسيط] :

وإن تكن تغلبُ الغلباءُ عنصرها فإنّ في الخمر معنى ليس في العنب

الم به أبو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب فقال [من الطويل] :

أبوك حوى العليا وأنت مبرزٌ عليه إذا نازعته قصب المجد
وللخمر معنى ليس في الكرم مثله وفي النار نوراً ليس يوجد في الزند
وخيرٌ من القول المقدم فاعترف نتيجته والنحل يكرم للشهد

(١) الرغام : التراب .

(٢) الزند : الذي تورى به النار .

وقال أيضاً [من الطويل] :

أبوك كريمٌ غير أنك سابقٌ مداه بلا ضيمٍ عليه ولا ذيم^(١)
فلا يعجبين الناس مما أقوله وأقضي به فالغيث أندى من الغيم

١١ - وقال أبو الطيب [من الوافر] :

وصرت أشكُ فيمن أصطفيه لعلمي أنه بعض الأنام

أخذه أبو بكر الخوارزمي فقال [من الرمل] :

قد ظلمناك بحسن الـ ظننَّ يا بعض الأنام

١٢ - وقال أبو الطيب [من البسيط] :

أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرهم وأتيناها على الهرم

أخذه أبو الفتح وحسنه فقال [من البسيط] :

لا غرو إن لم تجد في الدهر مخترفاً فقد أتيناها بعد الشيب والخرف

١٣ - وقال أبو الطيب [من الطويل] :

هما الغرض الأقصى ، ورؤيتك المنى ومنزلك الدنيا ، وأنت الخلاق

امتثله أبو الحسن السلامي فقال [من الطويل] :

وبشّرت آمالي بملكٍ هو الورى ودارٍ هي الدنيا ، ويومٍ هو الدهر

١٤ - وقال أبو الطيب [من الخفيف] :

لم تزل تسمع المديح ولكن صهيل الجياد غير النهاق

(١) الذيم والذام : العيب .

أخذه أبو القاسم الزعفراني ولطفه جداً فقال [من الخفيف] :

وتغنيك في النداء طيورٌ أنا وحدي ما بينهن الهزار

* * *

وإذ قد ذكرت أنموذجاً من سرقات الشعراء منه ، فلا بأس أن أذكر سرقاته من الشعراء ، سوى ما أورده القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في كتاب « الوساطة » فشفى وكفى وبالغ فأوفى ، وسوى ما مر ويمر منها في أماكنها من فصول هذا الكتاب .

صدر من سرقاته

١ - قال مخلد الموصلي [من مخلع البسيط] :

يا منزلاً ضنّ بالسلام سقيت ريثاً من الغمام
ما ترك الدهر منك إلا ما ترك الشوق من عظامي

أخذه أبو الطيب فجوده حيث قال [من البسيط] :

ما زال كلُّ هزيم الودق ينحلها والشوق ينحلني حتى حكت جسدي^(١)

٢ - وقال عمرو بن كلثوم [من الوافر] :

فآبوا بالنهاب وبالسيايا وإبنا بالملوك مصفدينا

أخذه أبو تمام فأحسن إذ قال [من البسيط] :

إنّ الأسود أسود الغاب همّتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب^(٢)

(١) هزيم الودق : أي المطر المندفع ، وينحلها : يخصصها وحكت : شابهت ومائلت .

(٢) الكريهة : الحرب .

وأخذه أبو الطيب فلم يحسن في تكرير لفظ النهب وذكر القماش إذ هو من ألفاظ العامة [من الوافر] :

ونهب نفوس أهل النهب أولى بأهل المجد من نهب القماش
٣ - وقال بشار بن برد [من الطويل] :

كأنّ مشار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبهُ
أخذه أبو الطيب وذكر الرماح مكان الأسياف فقال [من الكامل] :

وكأنّما كسيّ النهار بها دجى ليلٍ ، وأطلعت الرّماح كواكبا
٤ - وقال مسلم بن الوليد [من الطويل] :

أرادوا ليخفوا قبره من عدوّه فطيبُ تراب القبر دلّ على القبرِ
ألم به أبو الطيب فقال [من الوافر] :

وما ريح الرياض لها ولكنّ كساها دفنهم في التّرب طيبا
٥ - وقال الفرزدق [من البسيط] :

وكنّت فيهم كمطورٍ ببلدته يسرّ أن جمع الأوطان والمطرا
أخذه أبو الطيب فقال [من الطويل] :

وليس الذي يتبع الويل رائداً كمن جاءه في داره رائد الويل
٦ - وفي قوله في هذه القصيدة [من الطويل] :

وخيلٍ إذا مرّت بوحشٍ وروضةٍ أبت رعيها إلاّ ومرجلنا يغلي

(١) النقع : الغبار

رائحة من قول امرئ القيس [من الطويل] :

إذا ما ركبنا قال ولدانُ أهلنا : تعالوا إلى أن يأتيَ الصيْدَ نحطِب^(١)

٧ - وقال أبو نواس ، ويقال : إنه أمدح بيت للمحدثين [من البسيط] :

وكلت بالدهر عيناً غير غافلةٍ بجود كفيك تأسو كلَّ ما جرحا^(٢)

أخذه أبو الطيب وزاد فيه حسن التشبيه فقال [من الطويل] :

تتبع آثار الرزايا بجوده تتبّع آثار الأسنّة بالقتل^(٣)

٨ - وقال أبو نواس ، وهو من قلائده في وصف الخمر [من الطويل] :

إذا ما أتت دون اللهاة من الفتى دعا همّه من صدره برحيل

أخذه أبو الطيب ونقله إلى معنى آخر فقال [من الطويل] :

وما هي إلا لحظةٌ بعد لحظةٍ إذا نزلت في قلبه رحل العقل

٩ - وقال ابن أبي عيينة ، ويروي للخليل [من البسيط] :

زرّ وادي القصر ، نعم القصر والوادي في منزل حاضرٍ ، إن شئت ، أو بادي
ترقى به السفن والظلمان حاضرةً والضبُّ والنون والملاح والحادي^(٤)

وهذا أحسن ما قيل في وصف مكان يجمع بين أوصاف البر والبحر
والحاضرة والبادية ، ألم به أبو الطيب في وصف متصيد عضد الدولة بناحية سهلية

(١) نحطِب : نجمع الحطِب .

(٢) تأسو : تطيّب وتخفّف الجراح .

(٣) الرزايا : المصائب ، والأسنة الرماح وغيرها من عدّة الحرب .

(٤) الظلمان : جمع ظليم ، وهو ذكر النعام ، والنون : الحوت والحادي من يسوق الإبل ويزجرها .

جبلية تجمع الأضداد [من الرجز] :

سقياً لدشت الأرزن الطوال بين المروج الفيح والأغيال^(١)
مجاور الخنزير والرئبال داني الخنانيص من الأشبال^(٢)
مستشرف الدبّ على الغزال مجتمع الأضداد والأشكال

١٠ - وقال بعض العرب ، وهو من الأمثال السائرة [من الطويل] :

إذا بلّ من داءٍ به ظنّ أنّه نجا ، وبه الداء الذي هو قاتله^(٣)

أخذه أبو الطيب فقال وأحسن [من الوافر] :

وإنّ أسلمّ فما أبقى ولكنّ سلمت من الحمام إلى الحمام^(٤)

١١ - وقال بعض الرجاز [من الرجز] :

هل يغلبنى واحدٌ أقاتله ريمٌ على لبّاته سلاسله^(٥)

* سلاحه يوم الوغى مكاحله *

أخذه أبو الطيب فأكمل الوصف وأظهر الغرض حيث قال [من الكامل] :

من طاعني ثغر الرجال جاذرٌ ومن الرماح دمالجٌ وخلاخلُ
ولذا اسم أغطية العيون جفونها من أنّها عمل السيوف عوامل

(١) الدشت : الصحراء لفظة فارسية ، والأرزن : الشجر والفيح : الواسعة ، والغيل : أجمة الأسد .

(٢) الخنانيص : أولاد الخنازير ، والرئبال : الأسد .

(٣) بلّ من دائه : شقي ونجا من المرض .

(٤) الحمام : الموت .

(٥) الريم : الظبي الخالص البياض ، واللبة : موضع القلادة .

١٢ - وقال أبو تمام [من الكامل] :

غربتُ خلائقه وأغرب شاعرٌ فيه فأبدع مغرباً في مغربٍ
أخذه أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

شاعر المجد خدنه شاعر اللفظ كلانا ربّ المعاني الدقاق^(١)

١٣ - وقال أبو تمام [من الطويل] :

يمدون بالبيض القواطع أيدياً فهن سواءٌ والسيوف قواطعُ

أخذه أبو الطيب فأوقع التشبيه على الجملة حيث قال [من الطويل] :

همامٌ إذ ما فارق الغمد سيفه وعائته لم تدر أيهما النصل

١٤ - وقال ابن الرومي [من السريع] :

لا قدّستُ نُعمى تسربلتها كم حجةٍ فيها لزنديق

أخذه أبو الطيب فقال [من البسيط] :

فإنه حجةٌ يؤذي القلوب بها من دينه الدهر والتعطيل والقدم

١٥ - ولابن الرومي وأجاد [من الطويل] :

وأحسن من عقد العقيلة جيدها وأحسن من سربالها المتجرّد

أخذه أبو الطيب فقال [من الرجز] :

وربّ قبحٍ وحليٍّ ثقالٍ أحسن منها الحسن في المعطال

(١) الخدن : الصاحب والصديق .

١٦ - وقال عبيد الله بن طاهر [من الطويل] :

وجرّبت حتى لا أرى الدهر مغرباً عليّ بشيء لم يكن في تجاربي
أخذه أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

قد بلوت الخطوب حلواً ومرّاً وسلكت الأيام حزناً وسهلاً^(١)
وقلت الزمان علماً فما يغرب قولاً ولا يجدد فعلاً
وكرر هذا المعنى فقال [من الطويل] :

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا فلما دهتنا لم تزدني بها علماً
١٧ - وكتب ابن المعتز إلى عبيد الله بن سليمان يعزيه عن ابنه أبي محمد ويسليه
ببقاء أبي الحسين القاسم أبياتاً منها [من الكامل] :

ولقد غبنت الدهر إذ شاطرته بأبي الحسين وقد ربحت عليه^(٢)
وأبو محمد الجليل مصابه لكن يمّني المرء خير يديه
فأخذ أبو الطيب هذا المعنى ، وقال لسيف الدولة من قصيدة يعزيه بها عن
أخته الصغرى ، ويسليه ببقاء الكبرى حيث قال [من الخفيف] :

قاسمتك المنون شخصين جوراً جعل القسم نفسه فيك عدلاً
فإذا قست ما أخذن بما غا درن سرى من الفؤاد وسلّى
وتيقنت أنّ حظك أوفى وتبينت أنّ جدك أعلى^(٣)

١٨ - وكان أبو الطيب كثير الأخذ من ابن المعتز ، على تركه الإقرار بالنظر في شعر

(١) بلوت : خبرت وجرّبت ، والحزن : الأرض الصعبة المسالك .

(٢) غبنت : انتقصت ، يقال غبته حقه ، أي انتقصه إياه .

(٣) الجدّ : الخطّ .

المحدثين : فمما أخذه منه قوله [من البسيط] :

وتكسب الشمس منك النور طالعةً كما تكسب منها نورها القمرُ

وهو معنى قول ابن المعتز [من السريع] :

البدر من شمس الضحى نوره والشمس من نورك تستملي

١٩ - وأخذ قوله ، وهو من فلائده ، ولعله أمير شعره [من البسيط] :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياضُ الصبح يغري بي

من مصراع لابن المعتز ، ذكر ابن جنى قال : حدثني المتنبي - وقت القراءة

عليه - [قال] : قال لي ابن حنزابة وزير كافور : أحضرت كتيبي كلها وجماعة من الأدباء يطلبون لي من أين أخذت هذا المعنى ، فلم يظفروا بذلك ! وكان أكثر من رأيت كتباً .

قال ابن جنى : ثم إنني عثرت بالموضع الذي أخذه منه ، إذ وجدت لابن

المعتز مصراعاً بلفظين صغير جداً فيه معنى بيت المتنبي كله على جلالته لفظه

وحسن تقسيمه ، وهو قوله [من البسيط] :

* فالشمس نمّامة والليل قواد *^(١)

ولن يخلو المتنبي من إحدى ثلاث : إما أن يكون ألم بهذا المصراع فحسبه

وزينه ، وصار أولى به ، وإما أن يكون قد عثر بالموضع الذي عثر به ابن المعتز

فأربى عليه في جودة الأخذ ، وإما أن يكون قد اخترع المعنى وابتدعه وتفرد به ،

فلله دره ! وناهيك بشرف لفظه ، وبراعة نسجه !

وما أحسن ما جمع فيه أربع مطابقات في بيت واحد ، وما أراه سبق إلى

(١) صدر هذا البيت : لا تلق إلا بليل من توصله .

مثلها ، وما زال الناس يعجبون من جمع البحترى ثلاث مطابقات في قوله [من البسيط] :

وأمةً كان قبح الجور يسخطها دهرأ فأصبح حسن العدل يرضيها
حتى جاء أبو الطيب فزاد عليه مع عدوية اللفظ ورشاقة الصنعة .

ولبعض أهل العصر بيت يجمع خمس مطابقات ، ولكنه لا يستقل إلا بإنشاد بيتين قبله . وهي [من الطويل] :

عذيري من الأيام مدّت صروفها إلى وجه من أهوى يد النسخ والمحو
وأبدت بوجهي طالعَاتِ أرى بها سهام أبي يحيى مسددةً نحوي
فذاك سواد الحظّ ينهى عن الهوى وهذا بياض الوخط يأمر بالصحو^(١)

٢٠ - وقال ابن الرومي [من الطويل] :

أرى فضل مال المرء داءً لعرضه كما أنّ فضل الزاد داءٌ لجسمه
فليس لداء العرض شيءٌ كبذله وليس لداء الجسم شيءٌ كحسمه

ألم به أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

يتداوى من كثرة المال بالآفة لال جوداً كأنّ مالا سقام

* * *

بعض ما تكرر في شعره من معانيه

١ - قال [في سيف الدولة] [من الوافر] :

وأنت المرء تمرضه الحشايا لهمته ، وتشفيه الحروبُ

(١) الوخط : اختلاط الشعر الأبيض بالأسود .

وقال [يذكر الحمى التي كانت تغشاه بمصر] [من الوافر] :

وما في طبه أني جوادٌ أضراً بجسمه طول الجمام^(١)

٢ - وقال [يمدح بدر بن عمار] [من الكامل] :

ليت الحبيب الهاجري هجر الكرى من غير جرمٍ واصلي صلة الضنا

وقال [يمدح طاهر بن الحسين] [من الطويل] :

فيا ليت ما بيني وبين أحبتي من البعد ما بيني وبين المصائب

٣ - وقال [يمدح المغيث بن بشر العجلي] [من البسيط] :

إذا بدا حجبت عينك هيته وليس يحجبه سترٌ إذا احتجبا

وقال [وقد حجبه بدر عمار] [من الكامل] :

أصبحت تأمر بالحجاب لخلوة هيات لست على الحجاب بقادر

من كان ضوء جبينه ونواله لم يحجبا لم يحتجب عن ناظر

فإذا احتجبت فأنت غير محجّبٍ وإذا بطنت فأنت عين الظاهر

٤ - وقال [من قصيدة يمدحه بها] [من المتقارب] :

أميرٌ أميرٌ عليه الندى جوادٌ بخيلٌ بأن لا يجودا

وقال [من الوافر] :

إلا أنّ الندى أضحى أميراً على مال الأمير أبي الحسين

٥ - وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

ومالٍ وهبت بلا موعدٍ وقرنٍ سبقت إليه الوعيدا^(٢)

(١) طبه : علمه والجمام : الراحة .

(٢) القرن : التضيق في العلم والشجاعة ، والوعيد : التهديد .

وقال [من القصيدة التي كتبها إلى السلطان من حبسه] [من المتقارب] :
لقد حال بالسيف دون الوعيد وحالت عطاياه دون الوعود

٦ - وقال [من قصيدة يمدح بها كافوراً] [من الطويل] :

وما رغبتني في عسجدٍ أستفيده ولكنّها في مفخرٍ أستجدّه^(١)

وقال [من قصيدة يمدح بها أبا العشائر] [من الوافر] :

فسرت إليك في طلب المعالي وسار سواي في طلب المعاش

٧ - وقال [يمدح سعيد بن عبد الله] [من البسيط] :

قد علّم البين منّا البين أجفانا تدمي وألف في ذا القلب أحزانا

وقال [في خلاص أبي وائل] [من المتقارب] :

كانّ الجفون على مقتلتي ثيابٌ شققن على ثاكلٍ

٨ - وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

كأنّك بالفقر تبغي الغنى وبالموت في الحرب تبغي الخلودا

وقال [في الحسين بن إسحاق التنوخي] [من الطويل] :

كأنّك في الإعطاء للمال مبغضٌ وفي كلِّ حربٍ للمنية عاشقٌ

٩ - وقال [من الخفيف] :

الذي زلت عنه شرقاً وغرباً ونداه مقابلي ما يزولُ

وقال [في سيف الدولة] [من الطويل] :

ومن فرّ من إحسانه حسداً له تلقاه منه حيث ما سار نائلُ

(١) العسجد : الذهب والجوهر.

١٠ - وقال [يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران] [من الكامل] :

فكأئماً نتجت قياماً تحتهم وكأئماً ولدوا على صهواتها^(١)

وقال [في الحسن بن عبيد الله بن طغج] [من الطويل] :

وطعن غطاريف كأن أكفهم عرفن الردينيات قبل المعاصم^(٢)

١١ - وقال [يشكو الحمى بمصر] [من الوافر] :

جرحت مجرحاً لم يبق منه مكان للسيوف وللسهام

وقال [في مربية والده سيف الدولة] [من الوافر] :

رمانى الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتنى سهام تكسرت النصال على النصال

١٢ - وقال [يمدح أبا علي هارون بن عبد الله الكاتب] [من الكامل] :

وشكيتي فقد السهام لأنه قد كان لماً كان لي أعضاء

وقال [قبيل مسيره من مصر يهجو كافوراً] [من البسيط] :

لم يترك الدهر من قلبي ومن كبدي شيئاً تئمه عين ولا جيد^(٣)

١٣ - وقال [يصف مدينة مرعش] [من الطويل] :

تصد الرياح الهوج عنها مخافة وتفزع فيها الطير أن تلقط الحبا

(١) نتجت : ولدت .

(٢) الغطاريف : جمع غطريف ، وهو الفتى الجميل والردينيات : الرياح .

(٣) تئمه : تجعله يمشق والجيد : العنق .

وقال [من قصيدة في مدح كافور] [من البسيط] :

إذا أتها الرياح النكب في بلدٍ فما تهبُّ بها إلاً بترتيب

١٤ - وقال [يمدح الحسن بن عبيد الله بن طنج] [من الطويل] :

إذا ضوؤها لاقى من الطير فرجةً تدور فوق البيض مثل الدراهم^(١)

وقال [من كلمة يمدح فيها عضد الدولة] [من الوافر] :

وألقى الشرق منها في ثيابي دنائراً تفرُّ من البنانِ

وقال^(٢) [يمدح أبا شجاع محمد بن أوس] [من الكامل] :

ولقد بكيت على الشباب ولمتي مسوذةً ، ولماء وجهي رونقُ

حذراً عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفني أشرق^(٣)

١٥ - وقال [وقد أهداه عبد الله بن خراسان هدية] [من المنسرح] :

هديةً ما رأيت مهديها إلاً رأيت العباد في رجلٍ

وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

[أحلماً نرى أم زماناً جديداً] أم الخلق في شخص حيٍّ أعيداً

ومثله [في الحسين بن إسحاق التنوخي] [من الطويل] :

[هي الغرض الأقصى ، ورؤيتك المنى] ومنزلك الدنيا ، وأنت الخلائقُ

(١) الفرجة : الكوة .

(٢) لا يظهر لي وجه اتفاق هذين البيتين مع ما قبلها ولا ما بعدهما ، ولا بدَّ أنه سقط من الأصول ما يوافقها

وكذلك سقط من الصبح المنبي ١٧٦ .

(٣) أشرقُ : أغصُ .

ثم كرره وزاد فيه فقال [من كلمة يمدح فيها ابن العميد] [من الكامل] :

ولقيت كلّ الفاضلين كأنما ردّ الإله نفوسهم والأعصرا
نسقوالنا نسق الحساب مقدماً وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرًا

والأصل فيه قول أبي نواس [من السريع] :

ليس على الله بمستنكرٍ أن يجمع العالم في واحد

وقال [من البسيط] :

متى تخطي إليه الرجل سالمَةً تستجمع الخلق في تمثال إنسانٍ

١٦ - وقال [في سيف الدولة] [من البسيط] :

هو الشجاع يعدّ البخل من جبنٍ وهو الجواد يعدّ الجبن من بخلٍ

وقال [وقد ضرب أبو العساكر خيمة على الطريق فكثرت سؤاله وغاشيته] [من

المنسرح] :

فقلت إنّ الفتى شجاعته تربه في الشحّ صورة الفرق^(١)

والأصل فيه قول أبي تمام [من الكامل] :

أيقنت أنّ من السماح شجاعةٌ تدمى ، وأنّ من الشجاعة جوداً

١٧ - وقال [يمدح أبا شجاع عضد الدولة] [من الوافر] :

ومن أعتاض منك إذا افترقنا؟ وكلّ الناس زورٌ ما خلاكا

وقال في مثله فتبرد وبالغ [من الخفيف] :

إنّما الناس أنت ، وما لنا س بناسٍ في موضعٍ منك خالٍ

(١) الشحّ : البخل ، والفرق : الخوف وشدّته .

١٨ - وقال [في سيف الدولة] [من الطويل] :

إذا اعتلَّ سيف الدولة اعتلَّت الأرضُ
ومن فوقها والبأس والكرَمُ المحض^(١)
وقال [فيه أيضاً] [من البسيط] :

وما أخصك في برءٍ بتهنئةٍ
إذا سلمت فكلُّ الناس قد سلموا
وقال [يمدح كافوراً ولم يلقه بعد] [من الطويل] :

تجاوز قدر المدح حتَّى كأنه
بأحسن ما يُثنى عليه يعابُ
وقال [في عبد الله بن يحيى البحرني] [من البسيط] :

وعظُمُ قدرك في الأفاق أوهمني
أني بقلَّةٍ ما أثبت أهجوكا
وقال [يعزي عضد الدولة وقد ماتت عمته] [من السريع] :

وكان من عددٍ إحسانه كأنه أسرف في سبه

والأصل في هذا قول البحرني [من الخفيف] :

جلُّ عن مذهب المديح فقد كا د يكون المديح فيه هجاءُ
وقال [وهو مما سبق إليه] [من مخلع البسيط] :

نال الذي نلت منه مني لله ما تصنع الخمورُ

وقال [من الطويل] :

أفيكم فتىً حيُّ فيخبر ناعباً
بما شربت مشروبة الراح من ذهني

(١) المحض : الخالص الصافي.

٢١ - وقال [يمدح سيف الدولة] [من الطويل] :

عليمٌ بأسرار الديانات واللّغى له خطراتٌ تفضح الناس والكتبا^(١)

وقال [في أبي العشائر علي بن الحسين] [من الوافر] :

كأنك ناظرٌ في كلِّ قلبٍ فما يخفى عليك محلّ غاش^(٢)

وقال [من البسيط] :

ووكّل الظن بالأسرار فانكشفت له سرائر أهل السهل والجبل

٢٢ - وقال [لبدر بن عمار يمدحه] [من الكامل] :

فاغفر فدىّ لك واحبني من بعدها لتخصني بعطيةٍ منها أنا^(٣)

وقال [من المنسرح] :

له أياديّ إليّ سالفةٌ أعدتُ منها ولا أعددها

٢٣ - وقال وهو من قلائده [من الخفيف] :

خير أعضائنا الرؤسُ ولكنّ فضلتها بقصدك الأقدام^(٤)

وقال [من المتقارب] :

وإنّ القيام الألى حوله لتحسد أرجلها الأروس

٣٤ - وقال [من قصيدة في مدح سيف الدولة] [من الطويل] :

وما الحسن في وجه الفتى شرفٌ له إذا لم يكن في فعله والخلائق

(١) اللغى : جمع لغة .

(٢) غاش : مغطى ومحجوب .

(٣) الحباء : العطاء .

(٤) فضلتها : من الفضل ، اي سبقتها إلى الفضل .

وقال في وصف الخيل [من الطويل] :

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مغيب^(١)
وقريب منه قوله [من الوافر] :

يحبُّ العاقلون على التصافي وحبَّ الجاهلين على الوسام

٢٥ - وقال في معنى قد تصرفت فيه الشعراء [من الخفيف] :

ذلّ من يغبط الذليل بعيش ربّ عيشٍ أخفّ منه الحمامُ
وقال [في صباه] [من الخفيف] :

عش عزيزاً أو متاً وأنت كريمٌ بين طعن القنا وخفق البنود^(٢)
٢٦ - وقال [لعلي بن إبراهيم التنوخي يمدحه] [من الوافر] :

إذا ما لم تسرّ جيشاً إليهم أسرت إلى قلوبهم الهلوعا^(٣)
وقال [من الخفيف] :

بعثوا الرعب في قلوب الأعداي فكأنّ القتال قبل التلاقي
وقال [من البسيط] :

قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت لك المهابة ما لا يصنع البهْمُ
وقال [من الخفيف] :

أبصروا الطعن في القلوب دراكاً قبل أن يبصروا الرماح خيالاً^(٤)

(١) الشية : العلامة .

(٢) البنود : الأعلام والرايات .

(٣) الهلوع : الخوف والرعب .

(٤) دراكاً : متلاحقه .

وقال [من الطويل] :

صيامٌ بأبواب القباب جيادهمُ وأشخاصهم في قلب خائفهم تعدو

وقال [من البسيط] :

تغيرُ عنه على الغارات هيتهُ وماله بأقاصي البرِّ أهمالٌ^(١):

والأصل فيه قول النبي ﷺ « نصرت بالرعب » ثم أكثر الناس منه ، ومن أوجز

ما قالوا قول علي بن جبلة العكوك [من الهزج] :

غدا مجتمع العزم له جندٌ من الرعبِ

٢٧ - وقال أبو الطيب [من الطويل] :

وأتعب خلق الله من زاد همهُ وقصر عمّا تشتهي النفس وجدَهُ

وقال [من الطويل] :

لحى الله ذي الدنيا مناخاً لراكبٍ فكلّ بعيد الهمّ فيها معذبٌ^(٢)

٢٨ - وقال [من الخفيف] :

ومعالٍ إذا ادّعاها سواهمُ لزمته خيانة السُّراقِ

وقال [من الكامل] :

مسكِيَّةُ النَّفحاتِ إلّا أنّها وحشيَّةٌ بسواهم لا تعبقُ

* * *

(١) تغير : تغزو . من الغارة .

(٢) لحى الله : لعن وقبح .

والآن حين أذكر ما ينعى على أبي الطيب من معائب شعره ومقابحه :
ومن ذا الذي تُرضي سجاياه كلّها كفى المرء فضلاً أن تعدّ معائبه^(١)
ثم ألقى على آثارها بمحاسنه وسياق بدائعه وفرائده :
فحسن دراريّ الكواكب أن ترى طوالع في داجٍ من الليل غيب^(٢)

* * *

١ - فمنها قبح المطالع

وحقه الحسن والعدوبة لفظاً ، والبارعة والجودة معنى ، لأنه أول ما يقرع
الأذن ويصافح الذهن ، فإذا كانت حاله على الضد مجه السمع ، وزجه القلب ،
ونبت عنه النفس ، وجرى أوله على ما تقوله العامة « أول الدن دردي » .

ولأبي الطيب ابتداءات ليست لعمري من احرار الكلام وغرره ، بل هي -
كما نعاها عليه العائبون - مستشعنة لا يرفع السمع لها حجابها ، ولا يفتح القلب لها
بابها ، كقوله [من الكامل] :

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ثم انصرفت وما شفيت نسيسا^(٣)
فإنه لم يرض بحذف علامة النداء من « هذي » ، وهو غير جائز عند النحويين ،
حتى ذكر الرسيس والنسيس ، فأخذ بطرفي الثقل والبرد .

(١) السجاياء : الصفات والطبائع .

(٢) داجٍ : مظلمٌ . وغيب : شديد الظلمة .

(٣) الرسيس : الرقة في الشوق . والنسيس : بقية الروح .

وكقوله [من المنسرح] :

* أوهٍ بديلٌ من قولتي واهَا *^(١)

وهو برقيّة العقرب أشبه منه بافتتاح كلام في مخاطبة ملك .

وكقوله - وهو مما تكلف له اللفظ المتعقد ، والترتيب المتعسف ، لغير معنى بديع يفي شرفه وغرابته بالتعب في استخراجِه ، ولا تقوم فائدة الانتفاع به بإزاء التأذي باستماعه [من الطويل] :

وفاؤكما كالربع أشجَاه طاسمهُ بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه^(٢)
وكقوله في استفتاح قصيدة في مدح ملك يريد أن يلقاه بها أول لقية [من الطويل] :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكنَّ أمانيا
وفي الابتداء بذكر الداء والموت والمنايا ما فيه من الطيرة ، التي تنفر منها السوقة ، فضلاً عن الملوك .

حكى الصاحب قال : ذكر الأستاذ الرئيس يوماً الشعر ، فقال : وإن أول ما يحتاج فيه إليه حسن المطلع ، فإن ابن أبي الشباب أنشدني في يوم نيروز قصيدة ابتداؤها [من الطويل] :

* أقبرُ وما طلّت ثراك يد الطلّ ؟ *

فتطيرت من افتتاحه بالقبر ، وتنغصت باليوم والشعر ، فقلت : كذاك كانت حال

(١) وعجز البيت : لمن نأت والبديل ذكراها . وأو : كلمة توجع ، وواها : كلمة تعجب وطيبة .

(٢) طاسمه : دارسه ، وأشجَاه : أحزنه والساجم : المدروف من الدمع .

ابن مقاتل لما مدح الداعي بقوله [من الرمل] :

لا تقل بشرى ولكن بشرىان غرة الداعي ويوم المهرجان
فإنه نفر من قوله « لا تقل بشرى » أشد نفاً ، وقال : أعمى وتبتدىء بهذا في يوم
مهرجان !؟

قال صاحب : ومن عنوان قصائده التي تحير الأفهام ، وتفوت الأوهام ،
وتجمع من الحساب ما لا يدرك بالأرثماتيقي ، وبالأعداد الموضوعة للموسيقى
[من الوافر] :

أحاداً أم سداسٌ في أحاد ليلتنا المنوطة بالتنادي
وهذا كلام الحكل ووطانة الزط^(١) وما ظنك بممدوح قد تشمر للسمع من
مادحه فصك سمعه بهذه الألفاظ الملفوطة والمعاني المنبوذة ؟ فأى هزة تبقى
هناك ؟ وأي أريحية تثبت هنا ؟

وقد خطأه في الانظ والمعنى كثير من أهل اللغة وأصحاب المعاني ، حتى
احتيج في الاعتذار له ، والنضح عنه ، إلى كلام لا يستأمله هذا البيت ، ولا يتسع
له هذا الباب .

ومن ابتداءاته البشعة التي تنكرها بديهة السماع قوله [من الوافر] :

ملث القطر أعطشها ربوعاً وإلاً فاسقها السم النجيعا^(٢)
وقوله [من الكامل] :

أثلث فإنا أيها الطلل [نبكي وترزم تحتنا الإبل]^(٣)

(١) الحكل : ما لا يسمع صوته كالذرّ، والحكلة : العجمة في الكلام، والزط: جيل من الهنود.
(٢) ملث القطر : أي المطر الذي لا ينقطع لأيام والنجيع : النافع، أي القائل لها.
(٣) أثلث: كن ثالئاً. ترزم : تحنّ.

وقوله [من الوافر] :

بقائني شاء ليس هم ارتحالا [وحسن الصبر زَمُوا لا الرِّحالا]^(١)

قال صاحب : ومن افتتاحاته العجبية قوله لسيف الدولة في التسلية عند
المصيبة [من الطويل] :

لا يحزن الله الأمير فإني لأخذُ من حالاته بنصيب

قال صاحب : لا أدري لم لا يحزن سيف الدولة إذا أخذ المتنبّي بنصيب من
القلق !

* * *

٢ - ومنها إتباع الفقرة الغراء ، بالكلمة العوراء

والإفصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت ، وقلة التناسب ، وتنافر
الأطراف ، وتخالف الأبيات ، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ، ويعود لهذه
العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط . فبينما هو يصوغ أفخر
حلي ، وينظم أحسن عقد ، وينسج أنفوس وشي ، ويختال في حديقة ورد ، إذا به
وقد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة ، أو تعويص اللفظ ، أو تعقيد
المعنى ، إلى المبالغة في التكلف ، والزيادة في التعمق ، والخروج إلى الإفراط
والإحالة والسفسفة ، والركاكة والتبرد والتوحش ، باستعمال الكلمات الشاذة ،
فمحا تلك المحاسن ، وكدر صفاءها ، وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها ،
واستهدف لسهام العائبين ، وتحكك بالسنّة الطاعنين : فمن متمثل بقول الشاعر
[من الكامل] :

أنت العروس لها جمالٌ رائعٌ لكنّها في كلّ يومٍ تصرعُ

(١) زَمُوا : أجمعوا .

ومن مشبه إياه بمن يقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع الطيبات ، ثم يتبعها بطعام وضر ، وشراب عكر ، أو من يتبخر بالنند المعشب المثلث ، المركب من العود الهندي والمسك الأصهب والعنبر الأشهب ، ثم يرفقه بإرسال الريح الخبيثة ، ويفسده بالرائحة الردية ، أو بالواحد من عقلاء المجانين ينطق بنوادر الكلم ، وطرائف الحكم ، ثم يعتريه سكرة الجنون فيكون أصلح أحواله وأمثل أقواله أن يقول : اعذروني فإن العذرة متعذرة .

فمما نشر أبو الطيب من هذا النمط قوله [من الخفيف] :

أتراها لكثرة العشاقِ تحسب الدمع خلقةً في المآقي ؟

وهو ابتداء ما سمع بمثله ، ومعنى تفرد بابتداعه ، ثم شفعه بما لا يبالي العاقل أن يسقطه من شعره فقال :

كيف ترثي التي ترى كلّ جفنٍ راءها غير جفنها غير راقِي^(١) وقوله [من الطويل] :

لياليٌ بعد الظاعنين شكولٌ طوالٌ ، وليل العاشقين طويلٌ^(٢)
 بينَ ليَ البدر الذي لا أريده ويخفين بدراناً ما إليه وصولٌ
 وما عشت من بعد الأجابة سلوةٌ ولكنني للنائبات حمولٌ
 وما شرقي بالماء إلاّ تذكراً لماءٍ به أهل الخليط نزولٌ^(٣)
 يحرمه لمع الأسنان فوقه فليس لظمانٍ إليه سبيل

من قصيدة اخترع أكثر معانيها ، وتسهل في ألفاظها ، فجاءت مصنوعة ، ثم

(١) راءها : أي رأها قدّم الألف واخر الهمزة ضرورة راقِي : رفا الدمع ، انكفاً وانقطع .

الظاعنين : الراحلين .

(٢) الظاعنين : الراحلين وشكول : متشابهة .

(٣) شرقي : غصي ، والخليط : المكان الذي يختلط به القوم .

اعترضته تلك العادة المذمومة ، فقال :

أغررْكُم طول الجيوش وعرضها عليَّ شروبٌ للجيوش أكل
إذا لم تكن لليث إلا فريسةً غذاه ولم ينفعك أنك فيل
ثم أتى بما هو أطم^(١) منه فقال ، وذكر صاحب أنه من أوابده التي لا يسمع طول
الأبد بمثلها :

إذا كان بعض الناس سيفاً لدولةٍ ففي الناس بوقات لها وطبول
فإن تكن الدولات قسماً فإنها لمن ورد الموت النزؤام تدول
قال صاحب : قوله « الدولات » و « تدول » من الألفاظ التي لو رزق فضل
السكوت عنها لكان سعيداً .

وقال من قصيدة جمع فيها الشذرة والبصرة ، والدره والآجرة [من الكامل] :
لك يا منازل في الفؤاد منازل أقفرت أنت ، وهن منك أوائل
وهذا ابتداء حسن ومعنى لطيف ، ثم قال :

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه فمّن المطالب والقتيل القاتل
وهو وإن كان مأخوذاً من قول دعبل [من الكامل] :

لا تطلباً بظلامتي أحداً طرفي وقلبي في دمي اشتركا
فإنه أخذ بأطراف الرشاقة والملاحة ، ثم استمر في قصيدته ، فجاء بالمتوسط
المقارب والبديع النادر والرديء النافر ، حيث قال :

ولذا اسم اغطية العيون جفونها من أنها عمل السيوف عوامل

(١) أطم: أدهى.

وهذا معنى في نهاية الحسن واللفظ لو ساعده اللفظ ، ثم قال :

كم وقفه سجرتك شوقاً بعدما غري الرقيب بنا ولج العاذل^(١)
فلم يحسن موقع قوله « سجرتك » أي ملأتك (هكذا الرواية بالجيم ، ولو كانت
بالحاء من السحر لم يكن بأس) ثم قال وملح :

دون التعانق ناحلين كشكلتي نصب أدفهما وضم الشاكل^(٢)

أي : قريب بعضنا من بعض ، ولم نتعانق خوف الرقيب . ثم قال فأحسن غاية
الإحسان :

للهو آونة تمر كأنها قبل يزودها حيب راحل
جمع الزمان فما لذيد خالص ممّا يشوب ، ولا سرور كامل
حتى أبو الفضل بن عبد الله رؤيته المنى وهو المقام الهائل

قال ابن جني : وهذا خروج غريب ظريف حسن ، ما أعرفه لغيره ، يقول : إن
المنى رؤيته إلا أن هيئته تهول . ثم قال فجمع أوصافاً في بيت واحد :

للشمس فيه وللرياح وللسحاب وللبحار وللأسود شمائل

ثم قال وتحذق وتبرّد :

ولديه ملعقيان والأدب المفا د وملحياة وملمات مناهل^(٣)

وإنما ألم في صدر هذا البيت بقول أبي تمام [من المنسرح] :

* نأخذ من ماله ومن أدبه *

(١) سجرتك : أشعلتك ، وسجر التنور : زاده ناراً ووقوداً .

(٢) أدفهما : حرّكهما ،

(٣) يريد : من العقيان ، ومن الحيات ، ومن الممات فحذف النون من (من) الجارة والـف الوصل من
المجورور بها .

ثم قال :

علامة العلماء واللج الذي لا ينتهي ، ولكل لج ساحل^(١)

ثم قال فأحال :

لو طاب مولد كل حي مثله ولد النساء وما لهن قوابل^(٢)

قال القاضي أبو الحسن : إن طيب المولد لا يستغني به عن القابلة ، وإن استغني عنها كان ماذا ؟ وأي فخر فيه ؟ وأي شرف ينال به ؟

ثم توسط وقارب فقال :

ليزد بنو الحسن الشراف تواضعاً هيهات تكتم في الظلام مشاعل
ستروا الندى ستر الغراب سفاده فبدا ، وهل يخفي الرباب الهاطل ؟^(٣)

ثم قال وتوحش وتبغض ما شاء الحاسد :

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم شيم على الحساب الأغر دلائل^(٤)

يريد بالجفخ الفخر والبذخ ، ثم قال :

يا أفخر فإن الناس فيك ثلاثة : مستعظم ، أو حاسد ، أو جاهل

أي : يا هذا افخر ، فحذف المنادى ، وتباغض وتبادى ، ثم قال :

لا تجسر الفصحاء تنشد ههنا شعراً ، ولكنني الهزبر الباسل

(١) اللج : البحر الزاخر.

(٢) القوابل : جمع قابلة ، وهي التي تشرف على الولادة.

(٣) السفاد : الجماع ، والرباب.

(٤) جفخت : فخرت وبذخت ، والأغر : الشريف والكريم.

ثم قال وأرسله مثلاً سائراً ، وأحسن جداً :

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ
فهي الشهادة لي بأنّي كامل
ما نال أهل الجاهلية كلهم
شعري ، ولا سمعت بسحري بابل

ثم قال وتعسف في اللفظ :

أمّا وحقّك وهو غاية مقسمٍ
للحقّ أنت ، وما سواك الباطل
الطيب أنت إذا أصابك طيبه
والماء أنت إذا اغتسلت الغاسلُ

وتقدير الكلام : الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والماء أنت غاسله إذا
اغتسلت به ، وإنما ألم فيه بقول القائل [من الخفيف] :

وتزيدين طيب الطيب طيباً إن تمسيه ، أين مثلك أينا ؟!

وقال من قصيدة كهذه التي تقدمت [من البسيط] :

قد علّم البين منّا البين أجفانا تدمى ، وألف في ذا القلب أحزانا
أملت ساعة ساروا كشف معصمها ليلبث الحيّ دون السير حيرانا
بالواخداث وحاديها وبى قمرٌ يظلّ من وخذها في الخدر حشيانا^(١)

وحشيان - بالخاء المهملة - من الغريب الوحشي ، الذي لا يأنس به السمع ، ولا
يقبله القلب ، يقال : حشى الرجل حشياً فهو حشيان ، إذا أخذه البهر . يقول :
إذا وخذت الإبل تحت هذا القمر أخذه البهر لترفه . ومن المؤدبين من يروي حشيانا
بالخاء معجمة من الخشية .

(١) الواخداث : النوق ، والوخذ ضرب من السير والحادي : السائق .
والخدر : الخباء .

ثم قال ، وأحسن ولطف وظرف :

قد كنت أشفق من دمعي على بصري فاليوم كلّ عزيزٍ بعدكم هانا
ثم أراد أن يزيد على الشعراء في وصف المطايا ، فأتى - كما قال صاحب -
بأخزي الخزايا ، فقال :

لو استطعت ركبت الناس كلهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا^(١)
قال صاحب : ومن الناس أمه ، فهل ينشط لركوبها ؟ والممدوح لعل له
عصبة لا يريد أن يركبوا إليه ، فهل في الأرض أفحش من هذا السخف وأوضع من
هذا التبسط ؟

ثم أراد أن يستدرك هذه الطامة بقوله :

فالعيس أعقل من قوم رأيتهم عمّا يراه من الإحسان عميانا
وقال ، ثم قال وأجاد في مدح الممدوح :

إن كوتبوا، اولقوا، او حوربوا، وجدوا في الخط واللفظ والهيحاء فرسانا^(٢)
كأنّ السنهم في النطق قد جعلتْ على رماحهم في الطعن خرسانا^(٣)
كأنهم يردون الموت من ظمأ أو ينشقون من الخطّي ريحانا
ثم قال :

خلائق لو حواها الزنج لانقلبوا ظمي الشفاه جعاد الشعر غرانا
والزنجي لا يوجد إلا جعد الشعر ، فكيف ينقلبون عن الجعودة إلى الجعودة ؟ وقد

(١) بعرا : جمع بعير ، وهو الجمل .

(٢) الهيحاء : الحرب .

(٣) خرصان : جمع خرص ، وهي أسنة الرماح ، او الحراب .

احتج عنه أصحاب المعاني بما يطول ذكره .

والعجب كل العجب من خاطر يقدر بمثل قوله في قصيدة [من

المتقارب] :

وملمومة زرد ثوبها ولكنّه بالقنا مخمل^(١)
يفاجيء جيشاً بها حينه وينذر جيشاً بها القسطل^(٢)

ثم يتصور في هذا الكلام الغث الرث فيتبعه به حيث يقول :

جعلتك في القلب لي عدةً لأنك باليد لا تجعل

ولو قاله بعض صبيان المكاتب لاستحيا له منه .

* * *

٣ - ومنها استكراه اللفظ ، وتعقيد المعنى

وهو أحد مراكبه الخشنة التي يتسناها ، ويأخذ عليها في الطرق الوعرة
فيضل ويضل ويتعب ويُتعب ولا ينجح ، إذ يقول في وصف الناقة [من
الكامل] :

فتبيت تسند مسنداً في نيهّا إسآدها في المهمه الأنضآء^(٣)
وتقديره : فتبيت تسند مسند الأنضآء في نيهّا إسآدها في المهمه : أي كلما قطعت
الأرض قطعت الأرض شحمها على احتذاء ومثال هذا بهذا .

(١) الملمومة : الدرع .

(٢) القسطل : الغبار .

(٣) سئد : تسرع السير في الليل خاصة والني : الشحم

والمهمه : الأرض الواسعة البعيد

والأنضآء : مصدر أنضآه : أي أهزله .

ويقول في المدح [من الكامل] :

أتى يكون أبا البرايا آدمَ وأبوك ، والثقلان أنت ، محمد^(١)
وتقديره : أتى يكون آدم أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان .
وقال من نسيب قصيدة [من الطويل] :

إذا عدلوا فيها أجت بأنة حبيبتا قلبي فؤادي هيا جمل
أراد « يا حبيتي » ثم أبدل الياء من حبيتي ألفاً تخفيفاً ، و « قلبي » منصوب لأنه
بدل من حبيبتا ، و « فؤادي » بدل من قلبي ، وهذا كقولك : أخي سيدي مولاي ،
نداء بعد نداء ، ويقال في النداء : يا زيد ، وأيا زيد ، وهيا زيد .
وأشبه هذه الأبيات كثيرة في شعره كقوله [من الطويل] :

لساني وعيني والفؤاد وهمتي أود اللواتي إذا اسمها منك والشطر
وقوله [من الطويل] :

فتى ألف جزء رأيه في زمانه أقل جزي بعضه الرأي أجمع
وقوله [من الكامل] :

لو لم تكن من ذا الوري اللذ منك هو عقت بمولد نسلها حواء
وهو مما اعتل لفظه ، ولم يصح معناه ، فإذا قرع السمع لم يصل إلى القلب
إلا بعد إتعاب الفكر ، وكد خاطر ، والحمل على القريحة ، [ثم] إن ظفر بعد
العناء والمشقة فقلما يحصل على طائل .

* * *

(١) الثقلان : الجن والانس .

٤ - ومنها عسف اللغة والأعراب

وهو مما سبق إلى القلوب إنكاره ، وإن كان عند المحتجين عنه الاعتذار له ، والمناضلة دونه ، كقوله [من الطويل] :

فدى من على الغبراء أولهم أنا لهذا الأبى الماجد الجائد القرم^(١)
ولم يحك عن العرب « الجائد » وإنما المحكى رجل جواد ، وفرس جواد ، ومطر جواد .

وكقوله [من الطويل] :

فأرحام شعري تتصلن لدنّه وأرحام مالٍ لا تني تتقطعُ
وتشديد النون من « لدن » غير معروف في لغة العرب .

وكقوله [من الوافر] :

شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند أو طلع النخيل
والمعروف عند العرب الأترج ، والترنج مما يغلط فيه العامة . قال
الصاحب : لا أدري الاستهلال أحسن ، أم المعنى أبداع ، أم قوله ترنج أفصح ؟

وكقوله [من الكامل] :

بيضاء يمنعها تكلم دلها تها ، ويمنعها الحياء تميها

فنصب « تميها » مع حذف أن ، وهو ضعيف عن أكثر النحويين .

وكقوله [من الكامل] :

وتكرمت ركباتها عن مبرك^(٢) تقعان فيه ليس مسكاً أذفرا^(٣)

(١) القرم : السيد .

(٢) المبرك : مكان البروك ، والأذفر : ما ظهرت رائحته واشتدت سواء كانت طيبة أم خبيثة .

فجمع الركبات ثم انتقل إلى الثنية فقال « تقعان » ، وهو ضعيف وغير سديد في صناعة الإعراب .

وكقوله [من الخفيف] :

ليس إلّاك يا عليُّ همأمٌ سيفه دون عرضه مسلولٌ

وكقوله [من السريع] :

لم تر من نادمت إلّا كا لا لسوى ودك لي ذا كا

فوصل الضمير بالآ ، وحقه أن ينفصل عنه كما قال الله تعالى^(١) : ﴿ ضل من تدعون إلا إياه ﴾ .

وكقوله [من البسيط] :

* لأنت أسود في عيني من الظلمِ *

وآلف التعجب^(٢) لا تدخل على أفعال ، وإنما يقال : أشد سواداً وحمرة وخضرة .
وكقوله [من الكامل] :

* جلاً كما بي فليكُ التبريحُ *

وحذف النون من « يكن » إذا استقبلها الألف واللام خطأ عند النحويين^(٣) ، لأنها تتحرك إلى الكسر ، وإنما تحذف استخفافاً إذا سكنت .

(١) من الآية ٦٧ من سورة الاسراء .

(٢) يريد أن صيغة « أفعال » في التفضيل والتعجب لا تبنى من الأفعال الدالة على الألوان ، وهذا رأي كثير من النحاة ، ومنهم من أجاز البناء من البياض والسواد بخصوصهما .

(٣) أحازه يونس بن حبيب واستدل له بوروده في بعض القراءات وفي الشعر العربي من مثل قول الشاعر : فإن لم تك المرأة أبدت وسامةً . فقد أبدت المرأة جهة ضيغم .

وكقوله [من الطويل] :

* أمط عنك تشبيهي بما وكأنه *^(١)

والتشبيه بما محال .

وكقوله [من الكامل] :

لعظمتَ حتى لو تكون أمانةً ما كان مؤتمناً بها جبرين

قال صاحب : وقلب هذه اللام إلى النون ، أبغض من وجه المنون ، ولا أحسب جبرائيل عليه السلام يرضى منه بهذا المجاز ، هذا على ما في البيت من الفساد والقبح .

وكقوله [من الطويل] :

حملت إليه من ثنائي حديقةً سقاها الحجا سقي الرياض السحائب
أي : سقي السحائب الرياض^(٢) .

* * *

٥ - ومنها الخروج عن الوزن

كقوله [من الطويل] :

تفكره علمٌ ، ومنطقه حكمٌ وباطنه دينٌ ، وظاهره ظرفٌ

وقد خرج فيه عن الوزن لأنه لم يجيء عن العرب « مفاعيلن » في عروض الطويل غير مصرع ، وإنما جاء « مفاعلن » ، قال صاحب : ونحن نحاكمه إلى كل شعر للقدماء والمحدثين على بحر الطويل ، فما نجد له على خطئه مساعداً .

(١) أمط : نحَّ وأبعد .

(٢) فيه الفصل بين المضاف والمضاف اليه بمفعول المضاف وهو جائز عند الكوفيين ، وله شواهد .

قال القاضي أبو الحسن : وقد عيب أيضاً بقوله [من الرمل] :

إنما بدر بن عمار سحابٌ هطلٌ فيه ثوابٌ وعقابٌ

لأنه أخرج الرمل على « فاعلاتن » وأجرى جميع القصيدة على ذلك في الأبيات غير المصرفة ، وإنما جاء الشعر على « فاعلن » وإن كان أصله في الدائرة فاعلاتن .

* * *

٦ - ومنها استعمال الغريب الوحشي

وإذا كان المتنبى من المحدثين ، بل من العصريين ، وجرى على رسومهم في اختيار الألفاظ المعتادة المألوفة بينهم ، بل ربما انحط عنهم بالركاكة والسفسفة ، ثم تعاطى الغريب الوحشي ، والشاذ البدوي ، بل ربما زاد في ذلك على أقحاح المتقدمين - حصل كلامه بين طرفي نقيض ، وتعرض لاعتراض الطاعنين .

فمن ذلك الفن الذي ينادي على نفسه ، ويقلق موقعه في شعره وشعر غيره من أبناء عصره - قوله [من الوافر] :

وما أرضى لمقلته بحلمٍ إذا انتهت توهمه ابتشاكاً

والابتشاك : الكذب ، ولم أسمع فيه شعراً قديماً ولا محدثاً سوى هذا البيت وقوله في وصف الغيث [من الوافر] :

لساحيه على الأجداث حفشٌ كأيدي الخيل أبصرت المخالي

الساحي : القاشر ، ومنه سميت المسحاة لأنها تقشر وجه الأرض ، والحفش : مصدر حفش السيل حفشاً ، إذا جمع الماء من كل جانب إلى مستنقع .

وقوله في وصف السيف [من الخفيف] :

ودقيقٌ قديّ الهباء أنيقٌ متوالٍ في مستوٍ هزهازٍ

قدي : بمعنى مقدار ، يقال : بينهما قيد رمح ، وقدي رمح .

وقوله [من الكامل] :

* تطسُّ الخدود كما تطسن اليرمعا *

تطسن : أي تدق ، واليرمع : الحجارة الرخوة .

وقوله [من الكامل] :

وإلى حصى أرضٍ أقام بها بالناس منٌ تقيلها يللٌ

اليلل : إقبال الأسنان وانعطافها على باطن الفم ، ولم أسمع في غير شعره .

وقوله [من الكامل] :

* الشمس تشرق والسحاب كنهوراً *

الكنهور : القطع من السحاب العظيمة .

وقوله [من البسيط] :

وكيف أستر ما أوليت من حسنٍ وقد غمرت نوالاً أيها النَّالُ

والنال : المعطي .

وقوله [من الوافر] :

* أسائلها عن المتديريها *

قال صاحب : لفظه « المتديريها » لو وقعت في بحر صاف لكدرته ، ولو

ألقي ثقلها على جبل سام لهده ، وليس للمقت فيها نهاية ، ولا للبرد معها غاية ،

المتديروها : المتخذوها داراً .

قال صاحب : ومن أطم ما يتعاطاه التفاصح بالألفاظ النافرة ، والكلمات الشاذة ، حتى كأنه وليد خباء ، وغذي لبن ، لم يطقاً الحضر ، ولم يعرف المدر ، فمن ذلك قوله [من الطويل] :

أيفطمه التوراب قبل فطامه ويأكله قبل البلوغ إلى الأكل^(١)
وليس ذلك سائغاً لمثله ، وهو وليد قرية ، ومعلم صبية .

ومن الجموع الغربية التي يوردها قوله في جمع الأرض [من الوافر] :

أروضُ الناس من تربٍ وخوفٍ وأرضُ أبي شجاعٍ من أمان^(٢)
وقوله في جمع اللغة [من الطويل] :

* عليمٌ بأسرار الديانات واللّغى *

وقوله في جمع الدنيا [من الطويل] :

* أعزُّ مكان في الدنى سرجٍ سابحٍ *

وقوله في جمع الأخ [من الخفيف] :

* كلّ آخائه كرام بني الدنيا *

قال صاحب : لو وقع « الآخاء » في رائية الشماخ لاستثقل ، فكيف مع أبيات منها :

قد سمعنا ما قلت في الأحلام وأنلناك بدرةً في المنام^(٣)

(١) التوراب : لغة في التراب ، والترباء : الأرض .

(٢) أروض : جمع أرض .

(٣) البدرة : العطية ، وهي كيس من الدراهم ، أو صرة .

والكلام إذا لم يتناسب زيفته جهابذته ، وبهرجته نقاده .

* * *

٧ - ومنها الركافة والسفسفة بألفاظ العامة والسوقة ومعانيهم

كقوله [من الطويل] :

رمانى خساس الناس من صائب استه وآخر قُطنٌ من يديه الجنادل^(١)

وقوله [من الوافر] :

وإن ما ريتني فاركب حصاناً ومثلهُ تخرُّ له صريعاً^(٢)

وقوله [من الكامل] :

إن كان لا يدعى الفتى إلاّ كذا رجلاً فسمّ الناس طراً إصبعا

وقوله [من الوافر] :

قسا فالأسد تفرع من يديه ورق فنحن نفرع أن يذوبا

وقوله [من الوافر] :

تألم درزه والدرز لينٌ كما يتألم العضب الصنيعاً^(٣)

وعلى ذكر الدرز فقد حكى صاحب في كتاب الروزنامجة من حديث لحظة

الطولونية المغنية ما يشبه معنى هذا البيت ، وهو أنه قال : سمعتها تقول : يا

(١) خساس الناس : أقلهم قدراً . والإيست : المؤخرة .

والقطن : الذي تصنع منه الثياب ، والجنادل : الصخور .

(٢) ماريتني : جادلتني .

(٣) الدرز : الخياطة ، والعضب : السيف .

جارية ، علي بالقميص المعمول في النسج ، فقد آذاني نقل الدرود .

وقوله [من الخفيف] :

لسرى لباسه خشن القط من ومروي مرو لبس القرود

وقوله [من المجتث] :

ما أنصف القوم ضبه وأمّه الطرطبه^(١)

رموا برأس أبيه وباكوا الأمّ غلبه^(٢)

وقوله [من البسيط] :

بياض وجه يريك الشمس طالعةً ودرّ لفظ يريك الدرّ مخشلنا^(٣)

وقوله [من الكامل] :

إن كان مثلك كان أو هو كائنٌ فبرئت حينئذ من الإسلام

قال صاحب : « حينئذ » ، ههنا من غير منفلت .

قال : ومن ركيك صنعه ، في وصف شعره ، والزراية على غيره ، قوله [من

الخفيف] :

إنّ بعضاً من القريض هراءً ليس شيئاً ، وبعضه أحكام

منه ما يجلب البراعة والذهب ، ومنه ما يجلب البرسام

وقال : وههنا بيت نرضى باتباعه فيه ، وما ظنك بمحكم مناويه ثقة بظهور

حقه وإبراء زنده ؟ ، ولو لم يكن التحكيم بعد أبي موسى من موجب العزم ،

(١) القرطبه : القصيرة الضخمة .

(٢) باكوا : نزوا .

(٣) المخشلب : نبطية الأصل ليست عربية وتعني خرز من حجارة البحر وليس بدر .

ومقتضى الحزم ، وهو [من الطويل] :

أطعناك طوع الدهر يا بن ابن يوسف
بشهوتنا والحاسدو لك بالرغم
وقوله [من الخفيف] :

تقضمُ الجمر والحديد الأعادي
دونه قضم سكر الأهواز
وقوله [من الكامل] :

فكأنما حسب الأسنّة حلوةً
أو ظنّها البرني والأزاد^(١)
قال صاحب : إذا جمع السكر إلى البرني والأزاد تم الأمر .

قال : وكانت الشعراء تصف المآزر ، تزيهاً لألفاظها عما يستشع ذكره ،
حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع إلى التصريح الذي لم يهتد له غيره فقال [من
الكامل] :

إنّي على شغفي بما في خمرها
لأعفُ عمّا في سراويلاتها
وكثير من العهر أحسن من هذا العفاف .

قال القاضي : ومن أمثاله العامية قوله [من المتقارب] :

وكلّ مكانٍ أتاه الفتى
على قدر الرجل فيه الخطى

* * *

ومنها إبعاد الاستعارة ، والخروج بها عن حدها

كقوله [من البسيط] :

مسرةً في قلوب الطيب مفرقتها
وحسرةً في قلوب البيض واليلب^(٢)

(١) البرني : نوع من التمر، وكذلك الأزاد .

(٢) اليلب : الجلد .

وقوله [من المنسرح] :

تجمعتُ في فؤادهمُ هممٌ ملء فؤاد الزمان إحداهما

وقوله [من الكامل] :

لم يحك نائلك السحاب ، وإنما حمّت به فصبيها الرخصاء^(١)

وقوله [من البسيط] :

إلا يشبُّ فلقد شابته له كبدٌ شيئاً إذا خضبتَه سلوةً نصلاً

وقوله [من الطويل] :

وقد ذقت حلواء البنين على الصبا فلا تحسبني قلت ما قلت عن جهل

فجعل للطيب والبيض واليلب قلوباً ، وللسحاب حمى ، وللزمان فؤاداً ،
وللكبد شيئاً ، وهذه استعارات لم تجر على شبه قريب ولا بعيد ، وإنما تصح
الاستعارة وتحسن على وجه من الوجوه المناسبة ، وطرق من الشبه والمقاربة .

قال الصاحب : وما زلنا نتعجب من قول أبي تمام [من الكامل] :

لا تسقني ماء الملام [فأنني صباً قد استعذبت ماء بكائي]

فخف علينا بحلواء البنين .

* * *

ومنها الاستكثار من قول « ذا »

قال القاضي : وهي ضعيفة في صنعة الشعر ، دالة على التكلف ، وربما

(١) الرخصاء : العرق إثر الحمى .

وافقت موضعاً تليق به فاكتست قبولاً ، فأما في مثل قوله [من الخفيف] :

قد بلغت الذي أردت من البرِّ ومن حق ذا الشريف عليك
وإذا لم تسر إلى الدار في وقتك ذا خفت أن تسير إليك
وقوله [من الكامل] :

لولم تكن من ذا الورى اللذمنك هو عقت بمولد نسلها حواء
وقوله [من الكامل] :

عن ذا الذي حرم الليوث كماله تنسى الفريسة خوفه لجماله
وقوله [من المنسرح] :

وإن بكينا له فلا عجبٌ ذا الجزر في البحر غير معهود^(١)
وقوله [من الطويل] :

أفي كلِّ يومٍ ذا الدمستق مقدمٌ قفاه على الإقدام للوجه لائمٌ
وقوله [من الطويل] :

أبا المسك ذا الوجه الذي كنت تائقاً إليه ، وذا الوقت الذي كنت راجياً
وقوله [من الطويل] :

* وأعجب من ذا الهجر ، والوصل أعجب *

وقوله [من البسيط] :

أريد من زمني ذا أن يبلغني ما ليس يبلغه في نفسه الزمنُ

(١) الجزرُ : رجوع ماء البحر إلى الورا .

وقوله [من الطويل] :

* يضاحك في ذا اليوم كلَّ حبيبة *
فهو - كما تراه - سخافة وضعف ، ولو تصفحت شعره لوجدت فيه أضعاف
ما ذكرناه من هذه الإشارة ، وأنت لا تجد منها في عدة دواوين جاهلية حرفاً ،
والمحدثون أكثر استعانة بها ، لكن في الفرط والندرة ، أو على سبيل الغلط
والقلته .

* * *

ومنها الإفراط في المبالغة ، والخروج فيه إلى الإحالة

كقوله [من الوافر] :

ونالوا ما اشتهوا بالحزم هوناً وصاد الوحش نملهم دبيباً^(١)

وقوله [من البسيط] :

وضاقت الأرض حتى صار هاربهم إذا رأى غير شيء ظنَّه رجلاً
فبعده وإلى ذا اليوم لو ركضتُ بالخيال في لهوات الطفل ما سعلا

وقوله [من الوافر] :

وأعجب منك كيف قدرت تنشأ وقد أعطيت في المهد الكمالا
وأقسم لو صلحت يمين شيء لما صلح العباد له شمالا

وقوله [من الطويل] :

بمن أضرب الأمثال ؟ أم من أقيسه إليك وأهل الدهر دونك والدهرُ؟

(١) الهون : الرفق والتأني والديب : مشي النمل .

وقوله [من الطويل] :

ولو قلمٌ ألقيت في شقِّ رأسه من السقم ما غيرت من خطِّ كاتب

وقوله [من البسيط] :

من بعد ما كان ليلى لا صباح له كأنَّ أوَّل يوم الحشر آخره
فهو مما يستهجن في صنعة الشعر ، على أن كثيراً من النقدة لا يرتضون هذا
الإفراط كله .

* * *

ومنها تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين

كقوله [من الطويل] :

ومن جاهلٍ بي وهو يجهل جهله ويجهل علمي أنه بي جاهلٌ

وقوله في هذه القصيدة :

فقلقت بالهم الذي قلل الحشا قلاقل عيسٍ كلهنَّ قلاقل^(١)

قال صاحب : وما زال الناس يستبشعون قول مسلم [من الكامل] :

سلت وسلت ثم سلّ سليلها فأتى سليل سليلها مسلولاً

حتى جاء هذا المبدع فقال [من الوافر] :

وأفجع من فقدنا من وجدنا قبيل فقد مفقود المثل

وأظن المصيبة في الرائي أعظم منها في المرثي .

(١) قلقل : حرك، وقلاقل عيس : وهي النوق الخفيفة والعيس : الإبل .

وقوله [من الطويل] :

عظمتَ فلماً لم تكلمْ مهابةً تواضعت وهو العظم عظماً عن العظم

قال صاحب : وما أحسن ما قال الأصمعي لمن أنشده [من الطويل] :

فما للنوى جدّ النوى قطع النوى كذاك النوى قطاعةً لوصالٍ

لوسلط الله تعالى على هذا البيت شاة فأكلت هذا النوى كله !

وقوله [من الطويل] :

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألفُ

وقوله [من الوافر] :

ولم أر مثل جيرانِي ومثلي لمثلي عند مثلهم مقامُ

وقوله [من البسيط] :

العارض الهتنُ ابن العارض الهتنِ ابْن العارض الهتنِ ابن العارض الهتنِ^(١)

وقوله [من الطويل] :

وإنّي وإنْ كان الدفين حبيبه حبيبٌ إلى قلبي حبيبٌ حبيبي

وقوله [من الطويل] :

لك الخير غيري رام من غيرك الغنى وغيري بغير اللاذقية لاحقُ

وقوله [من المنسرح] :

ملولةٌ ما تدوم ليس لها من مللٍ دائمٍ بها مللُ

(١) العارض الهتن : الغيم الممطر.

وقوله [من الوافر] :

قبيلُ أنت أنت وأنت منهم وجدك بشر الملك الهمام^(١)

وقوله [من الوافر] :

وكلكم أتى مأتى أبيه فكلُّ فعالٍ كلكم عجابُ

وقوله [من الطويل] :

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله ولكن شعري فيك من نفسه شعرُ

وقوله [من الخفيف] :

إنما الناس حيث أنت ، وما لنا س بناسٍ في موضعٍ منك خالي

وقوله [من الطويل] :

ولولا تولى نفسه حمل حملة عن الأرض لانهدت وناء بها الحملُ

وقوله [من الوافر] :

ونهبُ نفوسِ أهل النَّهبِ أولى بأهل النَّهبِ من نهب القماشِ

وقوله [من الطويل] :

* وطمعنِ كأنَّ الطَّعنَ لا طعنَ عندهُ *

وقوله [من الطويل] :

أراه صغيراً قدرها عظم قدره فما لعظيمٍ قدره عنده قدرُ

(١) قبيل : جماعة .

وقوله [من الوافر] :

جواب مسائلي ألهُ نظيرُ ولا لك في سؤالك لا ألا
قال صاحب : ما قدرت أن مثل هذا البيت يلج سمعاً ، وقد سمعت
الفأفأ ، ولم أسمع بالألاء ، حتى رأيت هذا المتكلف المتعسف ، الذي لا يقف
حيث يعرف .

* * *

ومنها إساءة الأدب بالأدب

كقوله [من الكامل] :

فغدا أسيراً قد بللت ثيابه بدمٍ ، وبسلّ ببولّه الأفخاذا
وقوله [من المتقارب] :

وما بين كاذتي المستغير كما بين كاذتي البائل^(١)

وقوله [من الطويل] :

خف الله واسترّ ذا الجمال ببرقعٍ فإن لحت حاضت في الخدور العوائق^(٢)
ويقال : لما أنكرت عليه « حاضت » غيره فجعله « ذابت » ، وذكر البول
والحيض مما لا يحسن وقوعه في مخاطبة الملوك والرؤساء .

وأقبح موقعاً من ذلك قوله في قصيدة يرثي بها أخت سيف الدولة ، ويعزيه
عنها حيث يقول [من البسيط] :

وهل سمعت سلاماً لي أسمى بها فقد أطلت وما سلّمت عن كذب

(١) الكاذة : ما حول السواة من ظاهر الفخذين ، أولحم مؤخرهما .

(٢) حاضت : من الحيض وهو معروف عند المرأة والعوائق : الكريمات من النساء .

وما باله يسلم على حرم الملوك ، ويذكر منهن ما يذكره المتغزل في قوله [من البسيط] :

يعلمن حين تحيِّ حسن مبسمها وليس يعلم إلا الله بالشنب^(١)

وكان أبو بكر الخوارزمي يقول : لو عزاني إنسان عن حرمة لي بمثل هذا لألحقته بها ، وضربت عنقه على قبرها ، قال صاحب : ولقد مررت على مرثية له في أم سيف الدولة تدل مع فساد الحس ، على سوء أدب النفس ، وما ظنك بمن يخاطب ملكاً في أمه بقوله [من الوافر] :

بعيشك هل سلوت فإن قلبي وإن جانبت أرضك غير سالي ؟
فيتشوق إليها ، ويخطيء خطأ لم يسبق إليه ، وإنما يقول مثل ذلك من يرثي بعض أهله ، فأما استعماله إياه في هذا الموضع فдал على ضعف البصر بمواقع الكلام ، وفي هذه القصيدة :

رواق العزِّ فوقك مسبطر وملك عليّ ابنك في كمال^(٢)

ولعل لفظة الاسبطرار في مرثي النساء من الخذلان الرقيق الصفيق المتبر قال : ولما أبدع في هذه القصيدة واخترع قال :

صلاة الله خالقنا حنوط على الوجه المكفّن بالجمال

فلا أدري هذه الاستعارة أحسن أم وصفه وجه والدة ملك يرثيها بالجمال أم قوله في وصف قرابتها وجواربها .

أتتهنّ المصائب غافلاتٍ فدمع الحزن في دمع الدلالِ !؟

* * *

(١) الشنب : البارد من رضاها .

(٢) رواق العزِّ : أي أروقتها . ومسبطر : الممتدّ .

ومنها الايضاح عن ضعف العقيدة ورقة الدين

على أن الديانة ليست عياراً على الشعراء ، ولا سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر ، ولكن للإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به قولاً وفعلاً ونظماً ونثراً ، ومن استهان بأمره ، ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلق به في موضع استحقاقه ، فقد باء بغضب من الله تعالى ، وتعرض لمقته في وقته ، وكثيراً ما قرع المتنبّي هذا الباب بمثل قوله [من الخفيف] :

يترشقن من فمي رشقاتٍ هنّ فيه أحلى من التوحيد
وقوله [من الطويل] :

ونصفي الذي يكنى أبا الحسن الهوى ونرضى الذي يسمى الإله ولا يكنى
وقوله من قصيدة مدح بها العلوي [من الطويل] :

وأبهر آيات التهامي أنّه أبوكم ، وإحدى مالكم من مناقب
وقوله [من الكامل] :

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثل الذي الأفلاك فيه والدنا
وقد أفرط جداً ؛ لأن الذي الأفلاك فيه والدنا هو علم الله عز وجل .
وقوله [من المنسرح] :

الناس كالعابدين آلهةً وعبده كالموحد اللاها

وقوله [من الكامل] :

لو كان علمك بالإله مقسماً في الناس ما بعث الإله رسولا

أو كان لفظك فيهم ما أنزل الـ ستوراة والفرقان والإنجيلا
وقوله [من الكامل] :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرن شموساً
أو كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لأعيا عيسى
عازر : اسم الرجل الذي أحياه المسيح عليه الصلاة والسلام ، بإذن الله عز
وجل .

أو كان لجُّ البحر مثل يمينه ما انشقَّ حتى جاز فيه موسى
وكان المعاني أعيته حتى التجأ إلى استصغار أمور الأنبياء ، وفي هذه القصيدة :
يا من نلوذ من الزمان بظلهُ أبدأ ، ونطرد باسمه إيليسا
وقوله وقد جاز حد الإساءة [من مجزوء الرجز] :

أيُّ محلٍّ أرتقي؟! أيُّ عظيمٍ أتقي؟!
وكلُّ ما قد خلق الله وما لم يخلق
محتقراً في همّتي كشعرة في مفرقي^(١)
وقبيح بمن أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما حامل بول
وعذرة ، أن يقول مثل هذا الكلام الذي لا تسعه معذرة .

* * *

ومنها الغلط بوضع الكلام في غير موضعه

كقوله [من الوافر] :

أغار من الزجاجاة وهي تجري على شفة الأمير أبي الحسين

(١) مفرقي : أي مفرق الشعر في الرأس .

وهذه الغيرة إنما تكون بين المحب ومحبوه ، كما قال أبو الفتح كشاجم
وأحسن [من الوافر] :

أغار إذا دنت من فيه كأسٌ على درٍّ يقبله الزُّجاجُ
فأما الأمراء والملوك فلا معنى للغيرة على شفاهها !
وكقوله [من المتقارب] :

وغرَّ الدمستق قول الوشاة إنَّ علياً ثقیلاً وصیب^(١)

فجعل الأمراء يوشى بهم ، وإنما الوشاية السعاية ونحوها [من الرعية] ،
ومن شأن الممدوح أن يفضل على عدوه ، ويجري العدو مجرى بعض أصحابه
وليس في اللغة أن يقال : وشى فلان بالسلطان إلى بعض رعيته .

وكقوله في وصف الحمى المعرقة [من الوافر] :

إذا ما فارقتني غسلتني كأننا عاكفان على حرام

وليس الحرام أخص بالاغتسال منه من الحلال .

وكقوله في وصف مهره [من الرجز] :

* وزاد في الأذن على الخرائق *^(٢)

وأذن الفرس يستحب فيها الدقة والانتصاب ، وتشبه بطرف القلم ، وأذن
الأرنب ، على الضد من هذا الوصف .

* * *

(١) وصب : مريض .

(٢) الخرائق : الأرناب .

ومنها امثال ألقاظ المتصوفة

واستعمال كلماتهم المعقدة ، ومعانيهم المغلقة ، في مثل قوله في وصف فرس [من الطويل] :

[وتسعدني في غمرة بعد غمرة] سبوح لها منها عليها شواهد^(١)
وقوله [من الوافر] :

إذا ما الكأس أرعشت اليدين صحوت فلم تحل بيني وبينه
وقوله [من الطويل] :

أفيكم فتىً حيٌ يخبرني عني بما شربت مشروبة الراح من ذهني
وقوله [من مخلع البسيط] :

نال الذي نلت منه مني لله ما تصنع الخموراً
وقوله [من الكامل] :

كبر العيان عليّ حتى إنه صار اليقين من العيان توهماً
وقوله [من الكامل] :

وبه يضمن على البرية ، لا بها وعليه منها ، لا عليها ، يوسي
وقوله [من الوافر] :

ولولا أنني في غير نوم لكنت أظنني مني خيالا
قال صاحب : ولو وقع قوله [من الخفيف] :

نحن من ضايق الزمان له فيك ، وخاتته قربك الأيام

(١) غمرة : موقعة وحرب ، وسبوح : فرس .

في عبارات الجنيد والشبلي لتنازعته المتصوفة دهرأ بعيدا .

ومن أشد ما قاله في هذا المعنى قوله [من الطويل] :

ولكنك الدنيا إليّ حبيبةٌ فما عنك لي إلاّ إليك ذهابُ

* * *

ومنها الخروج عن طريق الشعر إلى طريق الفلسفة

كقوله [من الكامل] :

ولجدت حتى كدت تبخل حائلاً للمتهدى ، ومن السرور بكاءُ

وقوله [من الخفيف] :

والأسى قبل فرقة الروح عجزُ والأسى لا يكون قبل الفراقِ

وقوله [من الخفيف] :

إلف هذا الهواء أوقع في الأند فس أن الحمام مرُّ المذاقِ

وقوله [من البسيط] :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهمُ إلاّ على شجبِ والخلف في الشجب^(١)

فقليل : تخلص نفس المرء سالمةً ، وقيل : تشرك جسم المرء في العطبِ

وقوله [من الكامل] :

خلفت صفاتك في العيون كلامه كالخطّ يملأ مسمعي من أبصرا

(١) الشجب : الهلاك .

وقوله [من الوافر] :

تمتّع من سهادٍ أو رقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام^(١)
فإنّ لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام
قال ابن جنّي : أرجو أن لا يكون أراد بذلك أن نومة القبر لا انتباه لها .

* * *

ومنها استكراه التخلّص

قال القاضي : لعلك لا تجد في شعره تخلّصاً مستكراهاً إلا قوله [من الوافر] :

أحبك أو يقولوا : جرّ نملٌ ثبيراً وابن إبراهيم ريعاً^(٢)

فأما قوله [من الطويل] :

فأفنى وما أفنته نفسي ، كأنما أبو الفرج القاضي له دونها كهفٌ

وقوله [من البسيط] :

لو استطعت ركبت الناس كلهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا

وقوله [من الطويل] :

أعزّ مكانٍ في الدنا سرجٍ سابحٍ وخير جليسٍ في الزمان كتاب^(٣)

وبحر أبو المسك الخضّم الذي له على كلّ بحرٍ زخرةٌ وعباب^(٤)

فهي وإن لم تكن مستحسنة مختارة فليست بالمستهجن الساقط .

* * *

(١) الرجام : الحجارة توضع على القبر .

(٢) ثبير : إسم جبل ، وابن إبراهيم : هو علي بن إبراهيم التنوخي ممدوحه ، وريعا : أي أخيف .

(٣) السابح : الحصان .

(٤) زخرة وعباب : كناية عن تفوّقه على غيره .

ومنها قبح المقاطع

كقوله بعد أبيات أحسن فيها غاية الإحسان ، وترقى الدرجة العالية ، وهي [من الطويل] :

ولله سرٌّ في علاك ، وإنّما
أتلتمس الأعداء بعد الذي رأته
رأت كلّ من ينوي لك الغدر يتبلي
قضى الله يا كافور أنّك واحدٌ
فما لك تختار القسيّ ، وإنّما
وما لك تعني بالأسنة والقنا
ولم تحمل السيف الطويل نجاده
أرد لي جميلاً جدت أو لم تجد به
هذا البيت الذي هو عوذتها .

لعوقه شيء عن الدوران

لو الفلك الدوّار أبغضت سعيه

وقوله في قصيدة منها [من الكامل] :

حتّى كأنّ مداده الأهواءُ
حتّى كأنّ مغيبه الأقداءُ (٣)

في خطّه من كلّ قلبٍ شهوةٌ
ولكلّ عينٍ قرّةٌ في قربه

هذا البيت الذي جعله المقطع .

عممت بمولد نسلها حواءُ

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو

(١) القسيّ : جمع قوس ، والثقلان : الجن والإنس .

(٢) نجاد السيف : حمائله ، والحدثان : الليل والنهار .

(٣) قرّة : من القرار ، وهو السكينة والهدوء ، والقذى : ما يقع في العين من أذى .

وكقوله في آخر القصيدة [من الكامل] :

خلت البلاد من الغزاة ليلها فأعضهاك الله كي لا تحزننا^(١)

* * *

هذا آخر المقابيح والمعائب ، وأول المحاسن والروائع والبدائع والقلائد والفرائد التي زاد فيها على من تقدم ، وسبق جميع من تأخر .

* * *

فمنها حسن المطالع

كقوله [من الطويل] :

فديناك من ربعٍ وإن زدتنا كرباً
فإنك كنت الشرق للشمس والغرباً
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامةً
لمن بان عنه أن نلّم به ركباً

وقوله [من الكامل] :

الرأي قبل شجاعة الشجعان
هو أولٌ، وهي المحلُّ الثاني
فإذا هما اجتمعاً لنفسٍ مرّةٍ
بلغت من العلياء كلَّ مكانٍ^(٢)

وقوله [من الطويل] :

إذا كان مدحٌ فالنسيبُ المقدمُ
أكلٌ فصيحٌ قال شعراً متيمٌ؟
لحبُّ ابن عبد الله أولى : فإنه
به يبدأ الذكر الجميل ويختمُ

وقوله [من البسيط] :

أعلى الممالك ما بينى على الأسلِ
والطعن عند محييهن كالقبلِ^(٣)

(٣) الأسل : الرماح .

(١) الغزاة : أي الشمس .

(٢) المرّة : القوية الثابتة .

وقوله [من الوافر] :

فؤادٌ ما تسلّيه المدام وعمرٌ مثل ما يهب اللثام

وقوله [من البسيط] :

أفاضل الناس أغراضٌ لذا الزمنِ يخلو من الهمّ أخلاهم من الفطن^(١)

وقوله [من الكامل] :

اليوم عهدكمُ فأين الموعدُ هيهات ليس ليوم عهدكمُ غدُ؟
الموت أقرب مخلباً من بينكمُ والعيش أبعد منكمُ لا تبعدوا

وقوله [من البسيط] :

المجد عوفي إذ عوفيت والكرمُ وزال عنك إلى أعدائك الألم

* * *

ومنها حسن الخروج والتخلص

كقوله [من البسيط] :

مرّت بنا بين تربيها فقلت لها : من أين جانس هذا الشادن العربيا^(٢)
فاستضحكت ثم قالت : كالمغيث يرى ليث الشرى وهو من عجلٍ إذا انتسبا

وقوله [من الطويل] :

وغيثٍ ظننا تحته أنّ عامراً علا لم يمت أوفى السحاب له قبرٌ

وقوله [من الطويل] :

والأ فخانتنني القوافي ، وعاقني عن ابن عبيد الله ضعف العزائم

(١) أغراض : أهداف ، والفطن : الذكاء .

(٢) الشادن : الظبي إذا طلع قرنه .

إذا صلت لم أترك مصالاً لصائلٍ وإن قلت لم أترك مقالاً لعالمٍ

وقوله [من الطويل] :

نودّعهم والبين فينا كأنه قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق^(١)

وقوله [من الكامل] :

ومقانبٍ بمقانبٍ غادرتها أقوات وحشٍ كنّ من أقواتها^(٢)
أقبلتها غرر البلاد كأنما أيدي بني عمران في جبهاتها

وقوله [من الكامل] :

حدقٌ يذمّ من القواتل غيرها بدر بن عمار بن إسماعيلاً

وقوله [من المتقارب] :

ولو كنت في أسر غير الهوى ضمنت ضمان أبي وائل
فدى نفسه بضمن النضار وأعطى صدور القنا الذابل

* * *

ومنها النسيب بالأعرابيات

كقوله [من البسيط] :

من الجآذر في زيّ الأعراب حمر الحلّى والمطايا والجلابيب؟^(٣)
إن كنت تسأل شكاً في معارفها فمن بلاك بتسهيديّ وتعذيب؟

(١) الفيلق : القطعة العظيمة من الجيش ، أو الرجل العظيم .

(٢) المقانب : جمع مقنب وهي الجماعة من الناس وأراد أنه لقي الأعداء بجيشٍ عظيم مغادرهم طعمةً للوحوش .

(٣) الجآذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية .

سوائرُ ربّما سارت هواجها منيعةً بين مطعونٍ ومضروب
أي : لكثرة الرغبة فيهن ، وشدة الذب عنهن ، والمحاربة دونهن .

وربما وخذت أيدي المطيِّ بها على نجيعٍ من الفرسان مصوب^(١)
كم زروقٍ لي في الأعراب خافية أدهى وقد رقدوا من زورة الذيب
أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنشي وبياض الصبح يغري بي
قد وقع التنبيه على حسن هذا البيت في شرف لفظه ومعناه ، وجودة تقسيمه ، وكونه
أمير شعره .

قد وافقوا الوحش في سكنى مراتبها وخالفوها بتقويضٍ وتظنيبٍ
فؤاد كلِّ محبٍّ في بيوتهم ومال كلِّ أخيدٍ المال محروب^(٢)
ما أوجه الحضر المستحسّات به كأوجه البدويّات الرعايب^(٣)
حسن الحضارة مجلوبٌ بتطرية وفي البداوة حسنٌ غير مجلوب
أفدي ظباء فلاةٍ ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمّام مائلةً أوراكهنّ صقيلاتُ العراقيب^(٤)
ومن هوى كلِّ من ليست مموهةً تركت لون مشيبي غير مخضوب
ومن هوى الصدق في قولي وعادته رغبت عن شعرٍ في الوجه مكذوب

وناهيك بهذه الأبيات جزالة وحلاوة وحسن معادن .

وله طريفة ظريفة في وصف البدويات قد تفرد بحسنها وأجاد ما شاء فيها ،

(١) وخذت : سارت ، والنجيع : الدم السائل .

(٢) محروب : الذي أخذ جميع ماله .

(٣) الرعايب : جمع رعبوية وهي الطويلة الممتلئة .

(٤) العراقيب : جمع عرقوب ، وهو العصب الغليظ فوق عقب الرجل .

فمنها قوله [من البسيط] :

هام الفؤاد بأعرابية سكنتُ
مظلومة القدّ في تشبيهه غصناً
بيتاً من القلب لم تضرب به طنبا
مظلومة الرّيق في تشبيهه ضرباً^(١)

وقوله [من الكامل] :

إن الذين أقمت واحتملوا
الحسن يرحل كلّما رحلوا
في مقلتي رشاً تديرهما
تشكو المطاعم طول هجرتها
أيامهم لديارهم دُولُ
معهم ، وينزل حيثما نزلوا
بدويّةً فتنّت بها الحلل
وصدودها ومن الذي تصل

وصفها بقلة الطعم ، وهي محمودة في نساء العرب .

ما أسارت في القعب من لبنٍ
قالت ألا تصحو فقلت لها
تركته وهو المسك والعسل^(٢)
أعلمتني أنّ الهوى ثملٌ

وقوله [من الطويل] :

ديار اللواتي دارهنّ عزيزةٌ
حسان التثنّي ينقش الوشي مثله
ويسمن عن درّ تقلدن مثله
بطول القنا يحفظن لا بالتمائم^(٣)
إذا مسنّ في أجسادهنّ النواعم
كأنّ التراقي وشّحت بالمباسم^(٤)

* * *

(١) الضرب : بفتح الضاد والراء : الشهد ؛

(٢) السور : بضم فسكون ، ما فضل من الشرب في الإناء ، والقعب : الإناء .

(٣) التمام : جمع تميمة وهي عوذة تعلق على الصبي من العين .

(٤) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .

ومنها حسن التصرف في سائر الغزل

كقوله [من الكامل] :

قد كان يمنعني الحياء من البكا فالآن يمنعني البكا أن يمنعا
حتى كأن لكل عظم رنةً في جلده ولكل عرق مدمعا
سفرت وبرقعها الحياء بصفرة سترت محاسنها ولم تك برقعاً
فكأنها والدمع يقطر فوقها ذهبٌ بسمطي لؤلؤٌ قد رصعاً^(١)
كشفت ثلاث ذوائبٍ من شعرها في ليلةٍ فأرت ليالي أربعا^(٢)
واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقتٍ معا

وهي مما يتغنى به لرشاقتها وبلوغها كل مبلغ من حسن اللفظ وجودة المعنى ، واستحكام الصنعة .

وكقوله [من الوافر] :

أيدري الربع أي دمٍ أراقا؟ وأي قلوب هذا الركب شاقا؟
لنا ولأهله أبداً قلوبٌ تلاقي في جسومٍ ما تلاقي

معناه ينظر إلى قول ابن المعتز [من الرجز] :

إنّا على البعاد والتفرُّقِ لنلتقي بالذِّكر إن لم نلتقي

ومنها :

فليت هوى الأجابة كان عدلاً فحمل كل قلبٍ ما أطاقاً^(٣)

(١) السمط : العقد .

(٢) الذوائب : خصلات الشعر في مقدمة الرأس .

(٣) عدلاً : منصفاً ، وأطاق : تحمّل .

ومنها :

وقد أخذ التمام البدر فيهم
وبين الفرع والقدمين نوراً
وطرف إن سقى العشاق كأساً
وخصرٍ تثبت الأحداق فيه

وأعطاني من السقم المحاقا
يقود بلا أزمته النياقا^(١)
بها نقص سقانيها دهاقا^(٢)
كأنّ عليه من حدقٍ نطاقا^(٣)

وقوله [من المنسرح] :

كأنّما قدّها إذا انفلتت
يجذبها تحت خصرها عجزاً

سكران من خمر طرفها ثمل
كأنّه من فراقها وجل^(٤)

وقوله [من الكامل] :

مثّلت عينك في حشاي جراحةً
نفذت عليّ السابريّ، وربّما

فتشابها كلتاهما نجلاء^(٥)
تندقّ فيه الصّعدة السّمراء^(٦)

وكقثوله [من الوافر] :

كأنّ العيس كانت فوق جفني
لبسن الوشي لا متجماتٍ
وضفّرن الغدائر لا لحسنٍ

مناخاتٍ فلمّا ثرن سالا^(٧)
ولكنّ كي يصنّ به الجمالا
ولكن خفن في الشعر الضلّالا

* * *

(١) الفرع : الشعر الأسود كناية عن الرأس .

(٢) دهاقاً : مملوءة .

(٣) النطاق : الإزار ، وما تضعه المرأة في خصرها .

(٤) الوجل : الخوف .

(٥) النجلاء : الواسعة .

(٦) السابريّ : الدرع ، والصعدة : حديدة الرمح .

(٧) العيس : النوق والإبل ، ثرن : أي مشين ، وسال : أي دمعته .

ومنها حسن التشبيه بغير أداة التشبيه

كقوله [من الوافر] :

بدت قمراً ، ومالت غصن بانٍ وفاحت عنبراً ، ورنّت غزالاً^(١)

وقوله [من البسيط] :

ترنو إليّ بعينِ الظبي جهشةً وتمسح الطلّ فوق الورد بالعم^(٢)

وقوله [من الكامل] :

قمرأ ترى وسحابتين بموضعٍ من وجهه ويمينه وشماله

وقوله [من البسيط] :

أعارني سقم عينيه وحملني من الهوى ثقل ما تحوي مآزره

وقوله [من الوافر] :

عرفت نوائب الحدثان حتى لو انتسبت لكنت لها نقيباً

وقوله [من الكامل] :

فأتيت معتزماً ولا أسدً ومضيت منهزماً ولا وعلً

وقوله في وصف الخيل [من المتقارب] :

خرجنا من النقع في عارضٍ ومن عرق الركض في وابلٍ^(٣)

(١) رنت : نظرت .

(٢) العمّ : شجر حجازي له نبت أحمر ، والعرب تشبه به أصابع الحسان .

(٣) النقع : الغبار ، والعارض : الغيم . والوايل : الممطر .

وقوله [من الخفيف] :

وجيادٍ يدخلن في الحرب أعرا ءٌ ويخرجن من دمٍ في جلالٍ^(١)
واستعار الحديد لوناً وألقى لونه في ذوائب الأطفال

* * *

ومنها الإبداع في سائر التشبيهات والتمثيلات

كقوله [من الطويل] :

وإنَّ نهاري ليلةٌ مدهمةٌ على مقلّةٍ من فقدكم في غياهبِ
بعيدةٍ ما بين الجفون كأنما عقدتم أعالي كلِّ هدبٍ بحاجبِ

ذكر ابن جنّي أنه مثل قول بشار [من الوافر] :

جفت عيني عن التغميض حتّى كأنّ جفونها عنها قصارُ

وذكر القاضي أنه مأخوذ من قول الطرمي في رطاناته [من الطويل] :

ورأسي مرفوعٌ إلى النجم كأنما قفائي إلى صلبي بخيطٍ غيظُ^(٢)

وقوله [من الطويل] :

كأنّ رقيباً منك سدّ مسامعي عن العذل حتّى ليس يدخلها العذلُ

كأنّ سهاد العين يعشق مقلتي فيبينها في كلِّ هجرٍ لنا وصلُ

وقوله [من الطويل] :

رأيت الحمياً في الزجاج بكفه فشبّهتها بالشمس في البدر في البحر^(٣)

(١) الجلال : جمع جل ، وهو للفرس كالبرذعة للحمار .

(٢) الصلب : عظم في الظهر من الكاهل إلى أسفل الظهر .

(٣) الحمياً : الخمر .

وقوله في الحمى [من الوافر] :

وزائرتي كأنَّ بها حياءَ فليس تزور إلاَّ بالظلام
بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت في عظامي

وقوله في وصف الظبي [من الرجز] :

أغناه حسن الجيد عن لبس الحلَى وعادة العري عن التفضُّل^(١)

* كأنه مضمَّخٌ بصندلٍ *^(٢)

وقوله في سرعة الأوبة وتقليل اللبث [من الوافر] :

وما أنا غير سهمٍ في هواءٍ يعود ولم يجد فيه امتساکا
قال ابن جنى : قد اختلف أهل النظر في هذا الموضع ، فقال قوم : إن السهم
والحجر ونحوهما إذا رمي به صعدا فتناهى صعوده كانت له في آخر ذلك لبثة ما ، ثم
يتصوب منحدرًا . وقال آخرون : لا لبثة له هناك ، وإنما أول وقت انحداره وقت
صعوده .

وقوله - وهو أحسن ما قيل في وصف محنة نهكت صاحبها ، واشتدت به ، ثم
عاد إلى حال السلامة وقد هذبت تلك الحال وزادته صفاء وسهولة [من الوافر] :

وربَّما شفيت غليل صدري بسيرٍ أو مقامٍ أو حسامٍ
وضاقتُ خطَّةً فخرجت منها خروج الخمر من نسج الفدام^(٣)

وقوله وهو مما لم يسبق إليه [من الطويل] :

كريمٌ نفضت الناس لما لقيته كأنهم ما جفَّ من زاد قادمٍ

(١) الجيد : العنق ، والتفضُّل : بقيَّة الشيء .

(٢) الصندل : شجر هندي أبيض الزهر ، خشبه طيب الرائحة .

(٣) الفدام : المصفاة .

وكاد سروري لا يفني بندامتي على تركه في عمري المتقادم
وقوله وهو من بدائع [من الوافر] :

رضوا بك كالرضا بالشيب قسراً وقد وخط النواصي والفروعاً^(١)
وقوله في وصف الشعر [من البسيط] :

إذا خلعت على عرض له حلاًلاً وجدتها منه في أبهى من الحلل
بذي الغباوة من إنشادها ضرراً كما تضر ريار الورد بالجعل^(٢)
وذلك أن الجعل إذا طرح عليه الورد غشى عليه .

* * *

ومنها التمثيل بما هو من جنس صناعته

كقوله [من البسيط] :

وإنما نحن في جبل سواسية شر على الحر من سقم على البدن
حولي بكل مكان منهم خلق تخطي إذا جئت في استفهامها بمن

« من » إنما يستفهم بها عن يعقل ، يقول : هؤلاء كالبهائم ، فقولك لهم
« من أنتم » خطأ ، إنما ينبغي أن يقال لهم « ما أنتم » لأن موضع « ما » لما لا
يعقل ، ويحكى أن جريراً لما قال [من البسيط] :

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا
قال الفرزدق : ولو كان ساكنه قروداً ؟ فقال له جرير : لو أردت هذا لقلت ما كانا
ولم أقل من كانا .

(١) وخط : خالط ، والنواصي : جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس والفروع : الشعر الأسود .

(٢) الجعل : نوع من الخنافس .

وكقوله [من البسيط] :

نتاج رأيك في وقتٍ على عجلٍ كلفظ حرفٍ وعاه سامعٌ فهمٌ

وقوله [من البسيط] :

من اقتضى بسوى الهندي حاجتهُ أجاب كلَّ سؤالٍ عن هل بلمٍ

وقوله [من الكامل] :

أمضى إرادته فسوف له قد واستقرب الأقصى فثمّ له هنا

« سوف » للاستقبال ، و « قد » موضوعة للمضي ومقاربة الحال ، يقول :

إذا نوى أمراً فكأنما يسابق نيته ، وقوله [من الكامل] :

دون التعانق ناحلين كشكلتي نصبٍ أدقهما وضمّ الشاكلُ

وقوله [من الوافر] :

ولولا كونكم في الناس كانوا هراءً كالكلام بلا معان^(١)

وقوله [من الطويل] :

قشيرٌ وبلعجان فيها خفيةُ كراءين في ألفاظ ألثغ ناطق^(٢)

وقوله [من الطويل] :

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً مضى قبل أن تلقى عليه الجوازمُ

المضارع ما كان في أوله إحدى الزوائد الأربع ، مثل : أقوم ، ونقوم ونقوم ، ويقوم ، يقول : إذا نويت فعلاً أوقعتة قبل فوته . وقبل أن يقال لم يفعل ، وأن

(١) الهراء : الذي لا معنى وراءه .

(٢) أراد بقوله ، بلعجان ، بنو العجلان .

يفعل ، وقوله [من الوافر] :

وكان ابنا عدوًّا كثراه له يآي حروف أنيسيان

« أنيسيان » تصغير إنسان وتحقيره ، وإنسان عدد حروفه خمسة ، وهو اسم مكبر ، فإذا صغرته زدت عليه ياءين فزادت حروفه ونقص معناه ، فكذلك إذا كان لعدوه ابنان فكآثره بهما ، فيكونان زائدين في عدده ولكن ناقصين ، لسقوطهما وتخلفهما .

* * *

ومنها المدح الموجه

الكثوب له وجهان ما منهما إلا حسن ، كقوله [من الطويل] :

نهبت من الأعمار ما لو حويته لهنت الدنيا بأتك خالد

قال ابن جنبي : لو لم يمدح أبو الطيب سيف الدولة إلا بهذا البيت وحده لكان قد بقي فيه ما لا يخلقه الزمان ، وهذا هو المدح الموجه ، لأنه بنى البيت على ذكر كثرة ما استباحه من أعمار أعدائه ، ثم تلقاه من آخر البيت بذكر سرور الدنيا ببقائه ، واتصال أيامه ، وكقوله [من البسيط] :

عمر العدو إذا لاقاه في رهج^(١) أقل من عمر ما يحوي إذا وهبا^(٢)
مال كأن غراب البين يرقبه فكلما قيل هذا مجتد نعبا^(٣)

وقوله [من المنسرح] :

تشرق تيجانه بفرته إشراق ألفاظه بمعناها

(١) الريح : غبار الحرب .

(٢) المجتدي : السائل ، ونعب : صوت .

وقوله [من المنسرح] :

تشرق أعراضهم وأوجهمُ كأنما في نفوسهم شيمُ

وقوله [من الطويل] :

إلى كم تردّ الرسل فيما أتوا له كأنهم فيما وهبت ملامُ

وقوله [من الطويل] :

يخيّل لي أنّ البلاد مسامعي وأنيّ فيها ما تقول العواذلُ

وقوله [من البسيط] :

كانّ أسنهم في النطق قد جعلتُ على رماحهم في الطعنِ خرصانا^(١)

* * *

ومنها حسن التصرف في مدح سيف الدولة بجنس السيفية

كقوله [من المتقارب] :

لقد رفع الله من دولةٍ لها منك يا سيفها منصل^(٢)

وقوله [من الكامل] :

لولا سميّ سيوفه ومضاؤه لَمَا سللن لكنّ كالأجفان

وقوله [من الطويل] :

عزاءك سيف الدولة المقتدى به فإتّك نصلٌ والشدائد للنصلِ

(١) خرصان : جمع خرّص ، وهو سنان الرمح .

(٢) المنصل : السيف .

وقوله [من البسيط] :

وكيف يشبهه المخدم والخدم
يمسى الحسام وليست من مشابهة
كلّ السيوف إذا طال الضراب بها
مسمّها - غير سيف الدولة - السأم^(١)

وقوله [من الطويل] :

تهاب سيوف الهند وهي حدائدُ
فكيف إذا كانت نزاريةً عرباً

وقوله [من الطويل] :

تحير في سيفٍ : ربيعة أصله
وطابعه الرحمن ، والمجد صاقلُ

وقوله [من الخفيف] :

قلد الله دولةً سيفها أن
ت حساماً بالمكرمات محلّى
فإذا اهتزّ للندى كان بحرأً
وإذا اهتزّ للعدا كان نصلاً

وقوله [من الطويل] :

وأنت حسام الملك والله ضاربُ
وأنت لواء الدين والله عاقدُ

وقوله [من الطويل] :

لقد سلّ سيف الدولة المجد معلماً
فلا المجد مخفيه ولا الضرب ثالمه^(٢)
على عاتق الملك الأغرّ نجاده
وفي يد جبار السموات قائمه^(٣)
وإنّ الذي سمى علياً لمنصفُ
وإنّ الذي سمّاه سيفاً لظالمه
وما كلّ سيفٍ يقطع الهام حدهُ
وتقطع لزبات الزمان مكارمه^(٤)

(١) الضراب : من الضرب ، والسأم : الملل .

(٢) معلماً : واضحاً عالياً وثلمه : قطعه .

(٣) قائمه : قبضته .

(٤) الزبات : شدته وقحطه .

وقوله [من الكامل] :

إنَّ الخليفةَ لم يسمِّكَ سيفهُ
وإذا تتوَجَّ كنتَ درَّةً تاجه
حتى بلاك فكنت عين الصارم^(١)
وإذا تختَّم كنت فصَّ الخاتمِ

وقوله [من الكامل] :

من للسيوف بأن تكون سميها
طبع الحديد فكان من أجناسه
في أصله وفرنديهِ ووفائهِ^(٢)
وعليَّ المطبوع من آبائه

* * *

ومنها الإيداع في سائر مدائحه

كقوله [من الكامل] :

ملكٌ سنانٌ فئاته وبنانه
يستصغر الخطر الكبير لوفده
يتباريان دماً وعرفاً ساكبا
ويظنُّ دجلةً ليس تكفي شاربا
كالبدر من حيث التفت رأيتهُ
كالشمس في كبد السماء وضوؤها
أغشى البلاد مشارقاً ومغارباً
جوداً، ويبعث للبعيد سحائباً
كالبحر يقذف للقريب جواهرأ

وقوله [من الكامل] :

ليس التعجب من مواهب ماله
عجباً له حفظ العنان بأنملِ
بل من سلامتها إلى أوقاتها
ما حفظها الأشياء من عاداتها
لو مرَّ يركض في سطور كتابه
كرمٌ تبين في كلامك مائلاً
أحصى بحافر مهرة ميماتها
ويبين عتق الخيل في أصواتها^(٣)

(١) بلاك : اختبرك ، والصارم : السيف القاطع .

(٢) الفرند : السيف بالفارسية .

(٣) عتق الخيل : نجابتها .

أعيا زوالك عن محلّ نلته لا تخرج الأقمار من هالاتها

فيه مدح ، ومثل مضروب ، وتشبيه نادر .

ذكر الأنام لنا فكان قصيدةً أنت البديع الفرد من أبياتها

وهذا البديع الفرد من أبيات هذه القصيدة ، وكقوله [من الطويل] :

وما زلت حتى قادني الشوق نحوه يسايرني في كل ركب له ذكرٌ
وأستكبر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبر الخبر

هذا ضد قولهم « تسمع بالمعيدي خير من أن تراه » .

أزالت بك الأيام عتبي كأنما بنوها لها ذنبٌ وأنت لها عذرٌ

وكقوله [من الطويل] :

ألا أيها المال الذي قد أباده تعزّ فهذا فعله بالكتائب^(١)
لعلك في وقتٍ شغلت فؤاده عن الجود أو أكثرت جيش محارب

وقوله [من الخفيف] :

بعثوا الرعب في قلوب الأعداي فكأن القتال قبل التلاقي
وتكاد الظبا لما عودوها تنتضي نفسها إلى الأعناق
كلّ ذميرٍ يزيد في الموت حسناً كبدورٍ تمامها في المحاق^(٢)
كرمٌ حشّن الجوانب منهم فهو كالماء في الشّفار الرقاق^(٣)
ومعالٍ إذا ادّعاها سواهم لزمته جناية السراق

(١) أباده : أنفقه ، والكتائب : جمع كتيبة وهي الفرقة من الجيش .

(٢) الذمير : الشجاع الظريف . والمحاق : سرار القمر وخفاؤه .

(٣) الشّفار : السيوف .

وكقوله [من الخفيف] :

خير أعضائنا الرعوس ولكن فضلتها بقصدك الأقدام

وكقوله [من المنسرح] :

قومٌ بلوغ الغلام عندهم
كأتما يولد الندى معهم
إذا تولّوا عداوةً كشفوا
تظنُّ من فقدك اعتدادهم
إن برقوا فالحتوف حاضرة
أو شهدوا الحرب لاقحاً أخذوا
أو حلفوا بالغموس واجتهدوا
أو ركبوا الخيل غير مسرجة
تشرق أعراضهم وأوجههم
أعيذك من صروف دهركم

وكقوله [من المنسرح] :

الناس ما لم يروك أشباه
والجود عينٌ وأنت ناظرة
يا راحلاً كلٌّ من يودّعه
إن كان فيما تراه من كرم

وكقوله [من البسيط] :

تمشي الكرام على آثار غيرهم وأنت تخلق ما تأتي وتبتدع

(١) لاقحاً : هائجة .

(٢) خاب سائلي : هذه جملة يقولها أحدهم عندما يحلف ، مثل قول أحدنا « برئت من كذا » .

من كان فوق محلّ الشمس موضعه
وكقوله [من الطويل] :

فلما رأوه وحده دون جيشه
وكقوله [من الطويل] :

وأوردهم صدر الحصان وسيفه
جواداً على العلاتّ بالمال كلّه
وكقوله [من الطويل] :

أرى كلّ ذي ملكٍ إليك مصيره
إذا أمطرت منهم ومنك سحابة
وقوله [من الطويل] :

ودانت له الدنيا فأصبح جالساً
وكلُّ أناسٍ يتبعون إمامهم
وربّ جوابٍ عن كتابٍ بعثته
وكقوله [من الطويل] :

هم المحسنون الكرّ في حومة الوغى
ولولا احتقار الأسد شبّهتها بهم
وأحسن منهم كرّهم في المكارم^(١)
ولكنّها معدودة في البهائم

(١) العلاتّ : كلّ الأحوال .

(٢) الطلّ : الندى ، والوابل : المطر .

(٣) القنار : الغبار .

(٤) الكرّ : الهجوم والحرب .

وكقوله [من المنسرح] :

أغرّ أعداؤه إذا سلموا بالهرب استكثروا الذي فعلوا
إنك من معشرٍ إذا وهبوا ما دون أعمارهم فقد بخلوا
كتيبةٌ لست ربّها نفلٌ وبلدةٌ لست حليها عطلٌ^(١)

وكقوله [من المنسرح] :

لو كفر العالمون نعمته كما شمس لا تبتغي بما صنعت
لما عدتْ نفسه سجاياها^(٢) منفعةٌ عندهم ولا جاها

وكقوله [من الطويل] :

فجاءت بنا إنسان عين زمانه وخلت بياضاً خلفها ومآقيا^(٣)
وهذا أحسن ما يمدح به ملك اسود ، ولا نهاية لحسنه ، وشرف معناه ، وجودة
تشبيهه وتمثيله :

ترفع عن عون المكارم فعله فما يفعل الفعلات إلا عذاريا^(٤)
أبا كلّ طيبٍ ، لا أبا المسك وحده وكلّ سحاب لا أخصرّ الغواديا
يدلُّ بمعنى واحدٍ كلّ فاخرٍ وقد جمع الرحمن فيك المعانيا

ألم فيه بقول أبي نواس [من المجتث] :

كأتما أنت شيءٌ حوى جميع المعاني

* * *

(١) النفل : الغنيمة ، والعتل : الخالية من الحلي .

(٢) عدت : فارقت ، والسجايا : المزايا والصفايا .

(٣) إنسان العين : بؤبؤها .

(٤) العون : النصف من النساء ، وأراد هنا المكرمة التي لها مثال ونظير ، والعذارى : البكر من النساء ،

وأراد المكرمة التي ليس لها نظير .

ومنها مخاطبة الممدوح من الملوك

بمثل مخاطبة المحبوب والصديق ، مع الإحسان والإبداع

وهو مذهب له : تفرد به ، واستكثر من سلوكه ، اقتداراً منه ، وتبحراً في الألفاظ والمعاني ، ورفعاً لنفسه عن درجة الشعراء ، وتدرجاً لها إلى مماثلة الملوك ، في مثل قوله لكافور [من الطويل] :

وما أنا بالباغي على الحبّ رشوةً ضعيف هوىً يبغي عليه ثوابُ
وما شئت إلا أن أدلّ عواذلي على أن رأيي في هواك صوابُ
وأعلم قوماً خالفوني فشرقوا وغربتُ ، أنّي قد ظفرت وخابوا
إذا نلت منك الودّ فالمال هينُ وكلّ الذي فوق الترابِ ترابُ

وقوله له [وقد أهدها مهراً أسود] [من الطويل] :

فلولم تكن في مصر ما سرت نحوها بقلب المشوق المستهام المتيمّ

وقوله لابن العميد [يودعه] [من الطويل] :

تفضّلتِ الأيام بالجمع بيننا فلما حمدنا لم تدمنا على الحمدِ
فجدّ لي بقلبٍ إن رحلت فإنني مخلفٌ قلبي عند من فضله عندي

وقوله لعضد الدولة [من الوافر] :

أروح وقد ختمت على فؤادي بحبّك أن يحلّ به سواكا
فلو أني استطعت حفظت طرفي فلم أبصرُ به حتّى أراكا

من قصيدة تشتمل على أبيات من هذا الطراز ، سأكتبها في آخر الباب .

وكقوله لسيف الدولة [من البسيط] :

ما لي أكتمُ حبّاً قد برى جسدي وتدّعي حبّاً سيف الدولة الأممُ ؟

فليت أنا بقدر الحب نقتسيم^(١)
 فيك الخصام ، وأنت الخصم والحكم
 فلا تظنن أن الليث يتسم
 أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
 إذا استوت عنده الأنوار والظلم
 واجداننا كل شيء بعدكم عدم
 لو أن أمركم من أمرنا أمم^(٢)
 فما لجرح - إذا أرضاكم - ألم
 إن المعارف في أهل النهى ذمم
 ويكره الله ما تأتون والكرم
 أنا الثريا وذان الشيب والهرم
 يزيلهن إلى من عنده الديم^(٣)
 لا تستقل بها الوخادة الرسم^(٤)
 ليحدثن لمن ودعتهم ندم
 ألا تفارقهم فالراحلون هم
 وشر ما يكسب الإنسان ما يصم^(٥)
 شهب البزاة سواء فيه والرخم^(٦)

إن كان يجمعنا حب لغرته
 يا أعدل الناس إلا في معاملتي
 إذا رأيت نيوب الليث بارزة
 أعيدها نظرات منك صادقة
 وما انتفاع أخي الدنيا بناظره
 يا من يعز علينا أن نفارقهم
 ما كان أخلقنا منكم بتكرمة
 إن كان سرگم ما قال حاسدنا
 وبيننا ، لو رعيتم ذاك ، معرفة
 كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم
 ما أبعده العيب والنقصان من شرفي
 ليت الغمام الذي عندي صواعقه
 أرى النوى تقتضيني كل مرحلة
 لئن تركنا ضميراً عن ميامننا
 إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا
 شر البلاد بلاد لا صديق بها
 وشر ما قنصته راحتني قنص

(١) لغرته : لطلعته المضئبة .

(٢) أخلقنا : أجددنا ، وأمم : قريب .

(٣) الديم : السحاب الممطر .

(٤) النوى : الفراق والبعد ، والوخادة : النوق السريعة السير ، والرسم : جمع رسوم ، وهي الناقة التي

تؤثر في الأرض بأخفافها .

(٥) يصم : يلحق به العار .

(٦) الرخم : طائر من الجوارح يشبه النسر .

وهي - على براعتها ، واستقلال أكثر أبياتها بأنفسها - تكاد تدخل في باب إساءة الأدب بالأدب ، وقد تقدم ذكره .

* * *

ومنها استعمال ألفاظ الغزل والنسيب في أوصاف الحرب والجد

وهو أيضاً مما لم يسبق إليه ، وتفرد به ، وأظهر فيه الحدق بحسن النقل ، وأعرب عن جودة التصرف والتلعب بالكلام ، كقوله [من البسيط] :

أعلى الممالك ما يبني على الأسلِ والطعن عند محيِّهن كالقبلِ
وقوله ، وهو من فرائده [من الطويل] :

شجاعٌ كأنَّ الحربَ عاشقَةٌ له إذا زارها فدته بالخيل والرجل
وكقوله [من البسيط] :

وكم رجالٍ بلا أرضٍ لكثرتهم تركتَ جمعهم أرضاً بلا رجلٍ
ما زال طرفك يجري في دمائم حتى مشى بك مشي الشارب الثملِ
وكقوله [من المنسرح] :

والطعن شزراً والأرض واجفةٌ كأنما في فؤادها وهل^(١)
قد صبغت خدَّها الدماء كما يصبغ خدَّ الخريذة الخجل^(٢)
والخيل تبكي جلودها عرقاً بأدمعٍ ما تسحها مقل^(٣)

(١) الشزر : أي أن الطعن عن اليمين والشمال ، وواجفة : مضطربة ، والوهل : الخوف والرعب والذهل .

(٢) الخريذة : الفتاة البكر .

(٣) تسح : تدرف .

وكقوله [من الطويل] :

تعوّد أن لا تقضم الحبّ خيله
ولا ترد الغدران إلاّ وماؤها
إذا الهام لم ترفع جنوب العلائق^(١)
من الدم كالريحان تحت الشقائق

وكقوله [من الكامل] :

فأتتك دامية الأطلّ كأنما
وإذا الحمائل ما يخدن بنفنف
حذيت قوائمها العقيق الأحمرا
إلاّ شققن عليه برداً أخضرا^(٢)

وكقوله [من الكامل] :

قد سوّدت شجر الجبال شعورهم
وجرى على الورق النجيع القاني
فكأنّ فيه مسفة الغربان^(٣)
فكأنّه النارج في الأغصان

وكقوله [من الوافر] :

حمى أطراف فارس شمريّ
بضرب هاج أطراب المنايا
يحضّ على التباقي في التفاني^(٤)
سوى ضرب المثلث والمثاني
كأنّ دم الجماجم في العناصي
فلوطرحت قلوب العشق فيها
كسا البلدان ريش الحيقطان^(٥)
لما خافت من الحدق الحسان^(٦)

(١) العلائق : العلف الذي تعلق به .

(٢) يخدن : من الوخذ وهو ضرب من السير السريع ، والنفنف : المفازة والمهوى .

(٣) المسفة : الدانية من الأرض ، وأسف الطائر : إذا دنا من الأرض في طيرانه .

(٤) شمريّ : فارس كثير التشمير ، أي الجدّ والسعي ، ويحضّ : يحثّ .

(٥) العناصي : جمع عنصوة وهو الشعر المتفرّق في جوانب الرأس ، والحيقطان : ذكر الدراج وريشه ملون .

(٦) يريد بقلوب العشق ، قلوب أهله .

وكقوله [من الطويل] :

كَرِعْنَ بِسَبْتٍ فِي إِنْاءٍ مِنَ الْوَرْدِ^(١)

* * *

ومنها حسن التقسيم

حكى أبو القاسم الأمدى في كتاب الموازنة بين شعري الطائيين ، قال :

سمع بعض الشيوخ من نقدة الشعر قول العباس بن الأحنف [من الطويل] :

وصالكم هجرٌ ، وحبكم قلى وعطفكم صدٌ ، وسلمكم حربٌ^(٢)

وأتم بحمد الله فيكم فظاظَةٌ وكلُّ ذلولٍ من مراكبكم صعبٌ^(٣)

فقال : والله هذا أحسن من تقسيمات إقليدس ، وقول أبي الطيب المتنبى في هذا

الفن أولى بهذا الوصف [من البسيط] :

ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملكٍ ملء الزمان وملء السهل والجبل

فنحن في جدلٍ ، والرؤوم في وجلٍ والبرُّ في شغلٍ ، والبحر في خجلٍ^(٤)

وكقوله [من البسيط] :

الدَّهْرُ مَعْتَذِرٌ ، وَالسَّيْفُ مَنْتَظَرٌ وَأَرْضُهُمْ لَكَ مِصْطَافٌ وَمَرْتَبِعٌ

للسبي ما نكحوا ، والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا ، والنار ما زرعوا

وقوله [من الطويل] :

فلم يخلُ من نصرٍ له مَنْ له يدٌ ولم يخل من شكرٍ له مَنْ له فمٌ

(١) كرعن : شرين . ، والسبت : بكسر السين وسكون الباء ، جلود تدبغ بالقرط .

(٢) القلى : البغض .

(٣) الذلول : اللين السهل الانقياد .

(٤) الجدل : السرور والفرح ، والوجل : الخوف .

ولم يخل من أسمائه عود منبر
وقوله [من الوافر] :

قليلٌ عائدي ، سقمٌ فؤادي
عليل الجسم ممتنع القيام
كثيرٌ حاسدي ، صعبٌ مرامي^(١)
شديد السكر من غير المدام

وقوله [من المتقارب] :

بمصر ملوكٌ لهم ما لهُ
فأجود من جودهم بخله
وأشرف من عيشهم موته
ولكنهم ما لهم همّة
وأحمد من حمدهم ذمّة
وأفنع من وجدهم عدمه

وقوله [من البسيط] :

لم نفتقد بك من مزنٍ سوى لثقي
ولا من الليث إلا قبح منظره
ولا من البحر غير الريح والسفن^(٢)
ومن سواه سوى ما ليس بالحسن

وقوله [من الطويل] :

يجلٌ عن التشبيه : لا الكفُّ لجةٌ
ولا جرحه يؤسى ، ولا غوره يرى
محلك مقصودٌ ، وشانيك مفحمٌ
ولا هو ضرغامٌ ، ولا الرأي مخذمٌ
ولا حدّه ينبو ولا يتلّم^(٣)
ومثلك مفقود ، ونيلك خضرم^(٤)

(١) العائد : الزائر ، والمرام : الغاية والنيل .

(٢) المزن : السحاب الممطر ، واللثقي : تبلل الثياب أو : الوحل .

(٣) غوره : عمقه وعبابه ، ينبو : لا يصيب ولا يقطع . ويتلّم : يتقطع .

(٤) الشانيء : المبغض ، والمفحم : المغلوب والمقهور . والخضرم : البحر العظيم ، والكثير من كلّ

شيء .

وقوله [من الطويل] :

أذمُّ إلى هذا الزمان أهيله وأكرمهم كلبٌ ، وأبصرهم عمٌ ،
فأعلمهم قدمٌ ، وأحزمهم وغدٌ^(١)
وأشهدهم فهدٌ ، وأشجعهم قردٌ

وقوله [من الكامل] :

وغناك مسألةً ، وطيشك نفحةً
ورضاك فيشلةً ، وربك درهمٌ^(٢)

وقوله [من الخفيف] :

عربيٌّ لسانه ، فلسفيٌّ
رأيه ، فارسيَّةٌ أعياده

وقوله [من الطويل] :

سقتني بها القطربليِّ مليحةً
سهادٌ لأجفانٍ ، وشمسٌ لناظرٍ ،
على كاذبٍ من وعدها ضوء صادقٍ^(٣)
وسقمٌ لأبدانٍ ، ومسكٌ لناشقٍ
وأغيد يهوى نفسه كلَّ عاقلٍ
وعفيفٍ ، ويهوى جسمه كلَّ فاسقٍ

* * *

ومنها حسن سياقة الأعداد

كقوله [من الطويل] :

على ذا مضى الناس : اجتماعٌ وفرقةٌ
وميتٌ ومولودٌ ، وقالٍ وواثقٌ^(٤)

(١) القدم : الجاهل والأحمق والوغد : الخبيث الماكر .

(٢) النفحة : الفورة والدفعة ، والفيشلة : القضيبة الضخم الرأس .

(٣) القطربلي : الخمر المنسوب إلى قطربل .

(٤) القال : الكاره ، والواثق : العاشق .

وقوله [من الطويل] :

ألا أيها السيف الذي ليس مغمداً
هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلا
ولا فيه مرتابٌ ، ولا منه عاصمٌ^(١)
وراجيك والإسلام أنك سالمٌ

وقوله [من الكامل] :

لا يستحي أحدٌ يقال له
قدروا عفوا ، وعدوا وفوا ، سئلوا
فضلوك آل بويه أو فضلوا^(٢)
أغنوا ، علّوا أعلّوا ، ولّوا عدلوا

وقوله [من قصيدة يمدح بها سيف الدولة] [من الطويل] :

وربّ جوابٍ عن كتابٍ بعثته
حروف هجاء الناس فيه ثلاثةٌ :
وعنوانه للناظرين قتامٌ
جوادٌ ، ورمحٌ ذابلٌ ، وحسامٌ^(٣)

لما سمى الجيش جواباً جعل حروفه جواداً ورمحاً وحساماً ، اقتداراً واتساعاً في
الصنعة ، وقوله [من البسيط] :

ومرهفٍ سرتٌ بين الجحفلين به
فالخيل والليل والبيداء تعرفني
حتى ضربت وموج الموت يلتطم
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال ابن جنّي : قد سبق الناس إلى ذكر ما جمعه في هذا البيت ، ولكن لم
يجتمع مثله في بيت ما علمت ، وقد قال البحتري [من الخفيف] :

اطلبا ثالثاً سواي فإني رابع العيس والدجى والبيد

(١) عاصم : مانع .

(٢) فضلوك : غلبوك .

(٣) الرمح الذابل : الرمح الدقيق .

وهذا اللفظ عذب ، ولكن ليس فيه جميع ما في بيت المتنبي ، وقوله [من البسيط] :

أنت الجواد بلا منٍّ ولا كدرٍ ولا مطالٍ ولا وعدٍ ولا مذلٌ^(١)

وقوله [من المنسرح] :

بي حرٌّ شوقٍ إلى ترشُّفها ينفصل الصبر حين يتصلُّ
فالثغر والفجر والمخلخل والـ معصم دائي ، والفاحم الرِّجْلُ^(٢)

وقوله [من الطويل] :

ولكنَّ بالفسطاط بحرًا أزرته حياتي ونصحي والهوى والقوافيا^(٣)

وقوله [من الطويل] :

أميناً وإخلاقاً وغدرا وخسةً وجبناً، أشخصألت لي أم مخازيا؟^(٤)

ومنها إرسال المثل في أنصاف الأبيات

كقوله [من الطويل] :

* مصائب قومٍ عند قومٍ فوائدٌ *

وقوله [من الطويل] :

* ومن قصد البحر استقلَّ السّواقيا *

وقوله [من الطويل] :

* وخير جليسٍ في الزمان كتابٌ *

(١) المنّ : تعداد الفضل في كلّ مناسبة والمذلّ : الضجر والقلق .

(٢) الفاحم الرِّجْلُ : الشعر المسترسل المنسرح .

(٣) أزرته : منحته .

(٤) المين : الكذب .

وقوله [من البسيط] :

* إنَّ المعارف في أهل النَّهي ذمُّ *

وقوله [من البسيط] :

* وربَّما صحَّتِ الأجسام بالعللِ *

وقوله [من الوافر] :

* وفي الماضي لمن بقي اعتبارُ *

وقوله [من المتقارب] :

* وتأبى الطَّباع على الناقلِ *

وقوله [من المتقارب] :

* ومنفعة الغوث قبل العطبِ *

وقوله [من الكامل] :

* هيهات تكتم في الظلام مشاعلُ *

وقوله [من المنسرح] :

* ومخطىءٌ من رميه القمرُ *

وقوله [من الوافر] :

* وما خير الحياة بلا سرورِ *

وقوله [من البسيط] :

* بجهة العير يفدى حافر الفرسِ *

وقوله [من المتقارب] :

* ولا رأي في الحب للعاقل *

وقوله [من الطويل] :

* ولكن طبع النفس للنفس قائد *

وقوله [من البسيط] :

* وليس يأكل إلا الميت الضبع *

وقوله [من الخفيف] :

* كل ما يمنح الشريف الشريف *

وقوله [من المنسرح] :

* والجوع يرضي الأسود بالجيف *

وقوله [من المتقارب] :

* ومن فرح النفس ما يقتل *

وقوله [من الطويل] :

* ويستصحب الإنسان من لا يلائمه *

وقوله [من البسيط] :

* إن النفيس غريبٌ حيثما كانا *

وقوله [من الكامل] :

* فمن الرديف وقد ركبت غضنفرًا *

وقوله [من الطويل] :

* إذا عظم المطلوب قلّ المساعدُ *

وقوله [من البسيط] :

* ومن يسدّ طريق العارض الهطلِ *

وقوله [من الوافر] :

* وأدنى الشرك في نسبِ جوارِ *

وقوله [من الطويل] :

* وفي عنق الحسناء يستحسن العقدُ *

وقوله [من الطويل] :

* لا تخرج الأقمار من هالاتها *

وقوله [من الرجز] :

* إنّ النفوس عدد الأجالِ *

وقوله [من الطويل] :

* ولكنّ صدم الشرّ بالشرّ أحزمُ *

وقوله [من البسيط] :

* أنا الغريق فما خوفي من البللِ *

وقوله [من الطويل] :

* أشدّ من السُّقمِ الذي أذهب السُّقما *

وقوله [من الوافر] :

* فَإِنَّ الرِّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابٌ *

وقوله [من الكامل] :

* إِنَّ القَلِيلَ مِنَ الحَبِيبِ كَثِيرٌ *

وقوله [من الطويل] :

* بَغِيضٌ إِلَيَّ الجَاهِلُ المِتْعَاقِلُ *

وقوله [من البسيط] :

* وِلَيْسَ كُلِّ ذَوَاتِ المِخْلَبِ السَّبْعُ *

وقوله [من البسيط] :

* وِلِلسِيُوفٍ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالٌ *

وقوله [من البسيط] :

* فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يَغْنِيكَ عَنِ زَحْلِ *

وقوله [من الوافر] :

* فَأَوَّلُ قَرَحِ الخَيْلِ المِهَارُ *

وقوله [من البسيط] :

* وَالْبِرُّ أَوْسَعُ وَالدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا *

وقوله [من البسيط] :

* لَيْسَ التَّكْحَلُ فِي العَيْنَيْنِ كَالكَحْلِ *

وقوله [من الكامل] :

* ويبين عتق الخيل في أصواتها *

* * *

ومنها إرسال المثالين في مصراعي البيت الواحد

كقوله [من الطويل] :

وكلُّ امرئٍ يولي الجميل محببٌ وكلُّ مكانٍ ينبت العزَّ طيبٌ

وقوله [من المنسرح] :

في سعة الخافقين مضطربٌ وفي بلادٍ من أختها بدل

وقوله [من الكامل] :

الحبُّ ما منع الكلام الألسنا وألذُّ شكوى عاشقٍ ما أعلننا

وقوله [من الخفيف] :

ذلٌّ من يغبط الذليل بعيشٍ ربُّ عيشٍ أخفُّ منه الحمامُ^(١)
من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرحٍ بميتٍ إيلامٌ

وقوله [من الطويل] :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكنَّ أمانيا

وقوله [من البسيط] :

أفاضل الناس أغراضٌ لذا الزمن يخلو من الهمِّ أخلاهم من الفطن

(١) يغبط الذليل : أي يتمنى مثل عيشه ويكاد يحسده عليه ، والحمام : الموت .

وقوله [من الطويل] :

وأتعب من ناداك من لا تجيبه وأغیظ من عاداك من لا تشاكرُ

وقوله [من البسيط] :

لا تشتت العبد إلا والعصا معه إن العبد لأنجاسُ مناكيدُ

وقوله [من الطويل] :

إذ أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدًا
ووضع الندي في موضع السيف بالعلا مضرٌ كوضع السيف في موضع الندي
وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحرّ الذي يحفظ اليدا
وقيدت نفسي في ذراك محبةً ومن وجد الإحسان قيداً تقيداً

* * *

ومنها إرسال المثل والاستملاء والموعظة

وشكوى الدهر والدنيا والناس

وما يجري مجراها .

كقوله [من الطويل] :

وما الجمع بين الماء والنار في يدي بأصعب من أن أجمع الجدّ والفهما

وقوله [من الكامل] :

يخفي العداوة وهي غيرُ خفيةٍ نظرُ العدو بما أسيرُ يبوحُ

وقوله [من المنسرح] :

والأمر لله ، ربّ مجتهدٍ ما خاب إلاّ لأنّه جاهد^(١)

(١) جاهد : راغب في عمله ومثابر عليه .

وقوله [من الطويل] :

إليك فإني لست ممّن إذا اتقى
عضاض الأفاعي نام فوق العقارب

وقوله [من الكامل] :

خير الطيور على القصور ، وشرها
يأوي الخراب ويسكن الناوساً^(١)

وقوله [من البسيط] :

ليس الجمال لوجه صحّ مارنه
أنف العزيز بقطع العزّ يجتدع^(٢)

وقوله [من الوافر] :

وليس يصح في الأنهام شيء
إذا احتاج النهار إلى دليل

قال ابن جنّي : هذا كما يقول أهل الجدل « من شك في المشاهدات فليس بكامل العقل » .

وقوله [من الطويل] :

وقد يتزيّاً بالهوى غير أهله
ويستصحب الإنسان من لا يلائمه

وقوله [من الطويل] :

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا
إذا لم يكن فوق الكرام كرام

وقوله [من البسيط] :

ما كلُّ ما يتمنى المرء يدركه
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

(١) الناوس : القبر .

(٢) مارنه : لين جلده . يجتدع : يقطع ويرغم .

وقوله [من الكامل] :

وأحبُّ أُنِّي لو هويت فراقكمُ فارقته والدَّهرُ أحبُّ صاحبِ

وقوله [من الكامل] :

من خصَّ بالذمِّ الفراقُ فأنِّي من لا يرى في الدَّهرِ شيئاً يحمدُ

وقوله [من الطويل] :

ومن نكد الدنيا على الحرِّ أن يرى عدواً له ما من صداقته بدُّ^(١)

وقوله [من الخفيف] :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبتُ في مرادها الأجسامُ

وقوله [من الكامل] :

تلفَ الذي اتخذ الشجاعة جنةً وعظ الذي اتخذ الفرار خليلاً^(٢)

وقوله [من الطويل] :

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفعاله اللاتي سررن ألوفُ

وقوله [من الكامل] :

وإذا خفيتُ على الغبيِّ فعاذرُ أنْ لا تراني مقلّةُ عمياءُ

وقوله [من البسيط] :

إن كنت ترضى بأن يعطوا الجزى بذلوا منها رضاك ومن للهور بالحولِ!؟

(١) النكد : البلاء والقهر .

(٢) الجنة : الدرع ، والخليل : الصاحب .

وقوله [من الوافر] :

فأجرك الآله على مريضٍ بعثت به إلى عيسى طيباً

وقوله [من الوافر] :

إذا أتت الإساءة من لثيمٍ ولم أَلَمِ المسيءَ فَمَنْ أَلومُ

وقوله [من الكامل] :

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأنّي فاضلُ

وقوله [من المتقارب] :

إذا ما قدرت على نطقةٍ فإني على تركها أقدرُ

وقوله [من الخفيف] :

واحتمال الأذى ورؤية جانيه ه غذاءٌ تضوى به الأجسام^(١)

وقوله [من الكامل] :

وتوهّموا اللعب الوغى والطعن في الـ هيجاء غير الطعن في الميدانِ

وقوله [من الخفيف] :

وإذا ما خلا الجبان بأرضٍ طلب الطعن وحده والنزالا

وقوله [من الخفيف] :

ومن الخير بطةٌ سيبك عني أسرع السحب في المسير الجهام^(٢)

(١) تضوى : تهزل .

(٢) السيب : العطاء ، والجهام : القاتم .

وقوله [من الطويل] :

وليس الذي يتبع الوبل رائداً كمن جاءه في داره رائد الوبل

وقوله [من المنسرح] :

أبلغ ما يطلب النجاح به السطع ، وعند التعمق الزلل

وقوله [من البسيط] :

كم مخلصٍ وعلاً في خوضٍ مهلكةٍ وقتلةٍ قرنت بالذم في الجبن

وقوله [من المتقارب] :

وما قلت للبدر أنت اللجين ولا قلت للشمس أنت الذهب

ومن ركب الثور بعد الجوا د أنكر أظلافه والغيب^(١)

وقوله [من البسيط] :

فقر الجهول بلا قلبٍ إلى أدبٍ فقر الحمار بلا رأسٍ إلى رسنٍ

لا يعجبن مضيماً حسن بزته وهل يروق دفيناً جودة الكفن

وقوله [من الوافر] :

إذا ما الناس جرّبهم لبيبٌ فإني قد أكلتهم وذاقا

فلم أر دهم إلا خداعاً ولم أر دينهم إلا نفاقاً

وقوله [من الطويل] :

ذريني أنل ما لا ينال من العلا فصعب العلاف في الصعب والسهل في السهل

تريدين لقيان المعالي رخيصةً ولا بدّ دون الشهد من إبر النحل

(١) الغيب : اللحم المتدلي تحت الحنك من الناس والبقر والذبيكة .

وقوله [من الطويل] :

وإن كان لا يغني فتيلاً ولا يجدي
ولكنه غيظ الأسير على القد^(١)

تمنّ يلدُ المستهام بمثله
وغيظ على الأيام كالنار في الحشا

وقوله [من الكامل] :

وعداوة الشعراء بشّ المقتني
ضيفٌ يجرُّ من الندامة ضيفنا

ومكائد السفهاء واقعةٌ بهم
لعتت مقاربة اللثيم فإنها

وقوله [من الطويل] :

وإن كثرت في عين من لا يجربُ
وأعضائها فالحسن عنك مغيب^(٢)

وما الخيل إلا كالصديق قليلة
إذا لم تشاهد غير حسن شياتها

وقوله [من الكامل] :

عمّا مضى منها وما يتوقّع
ويسومها طلب المحال فتطمع^(٣)

تصفو الحياة لجاهلٍ أو غافلٍ
ولمن يغالط في الحقائق نفسه

كأنه مأخوذ من قول لبيد [من الرمل] :

إنّ صدق النفس يزري بالأمل

أكذب النفس إذا حدثتها

وكقوله [من الطويل] :

وقصّر عما تشتهي النفس وجده
فينحلّ مجدّ كان بالمال عقده

وأتعب خلق الله من زاد همّه
فلا ينحلل في المجد مالك كلّه

(١) القدّ : القيد .

(٢) الشية : العلامة .

(٣) يسومها : يكلفها .

ودبّره تدبير الذي المجد كفه
فلا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله
إذا كنت في شكّ من السيف فابله
وما الصارم الهندي إلا كغيره

وقوله [من الخفيف] :

إنّما تنجح المقالة في المر
وإذا الحلم لم يكن في طبع
إنّما أنت والدّ، والأب القا

وقوله [من الطويل] :

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له
وما بلد الإنسان غير الموافق
وجائزة دعوى المحبّة والهوى
وما يوجع الحرمان من كفّ حارم

وقوله [من الخفيف] :

إنّما أنفـس الأنيـس سباع
من أطاق التماس شيء غلاباً
كلّ غادٍ لحاجة يتمنى

وقوله [من البسيط] :

لولا المشقّة ساد الناس كلّهم

إذا حارب الأعداء والمال زنده
ولا مال في الدنيا لمن قلّ مجده
فأمّا تنفيّه وإما تعدّه^(١)
إذا لم يفارقه النجاد وغمده^(٢)

ء إذا وافقت هوى في الفؤاد
لم يحلم تقادم الميلاد
طع أحسى من واصل الأولاد

إذا لم يكن في فعله والخلائق
ولا أهله الأذنون غير الأصادق
وإن كان لا يخفى كلام المنافق
كما يوجع الحرمان من كفّ رازق

يتفارسن جهرةً واغتيالاً
واقتساراً لم يلتمسه سؤالاً
أن يكون الغضنفر الرثبلاً^(٣)

الجود يفقر والإقدام قتال

(١) أبله : اختيره من البلاء .

(٢) الصارم : السيف القاطع ، والهندي : نسبة إلى بلاد الهند .

(٣) الغضنفر الرثبلاً : أي الأسد الشجاع .

ما كلُّ ماشيةٍ بالرجل شمالاً^(١)
من أكثر الناس إحساناً وإجمالاً
ما قاته ، وفضول العيش أشغال

وقلماً يبلغ الإنسان غايته
إننا لفي زمنٍ تركُّ القبيح به
ذكر الفتى عمره الثاني ، وحاجته

وقوله [من الوافر] :

وتلك خديعة الطبع اللثيم
ولا مثل الشجاعة في الحكيم

يرى الجبناء أن العجز حزمٌ
وكلُّ شجاعةٍ في المرء تغني

قيل له : أنى يكون الشجاع حكيماً ؟ فقال : هذا علي بن أبي طالب كرم الله
وجهه ! .

وآفته من الفهم السقيم
على قدر القرائح والعلوم

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً
ولكن تأخذ الأذهان منه

وقوله [من الكامل] :

يقفأ يميت ولا سواداً يعصم^(٢)
ويشيب ناصية الصبي ويهرم^(٣)
وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
وارحم شبابك من عدوٍّ يرحم
حتى يراق على جوانبه الدم

ولقد رأيت الحادثات فلا أرى
والهمُّ يخترم الجسيم نحافةً
ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
لا يخدعنك من عدوٍّ دمه
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

(١) الشمال : السريع .

(٢) اليقق : الشديد البياض ، يقول : البياض في الشعر لا يكون سبباً في الموت فقد يعيش الشيخ ،
وسواد الشعر لا يكون سبباً في الحياة فقد يموت الشاب .

(٣) يخترم : يصيب ، واخترم الشيء : ترك فيه خرمًا من جانب إلى جانب ، والناصية : شعر مقدم
الرأس .

قال ابن جنى : أشهد بالله لو لم يقل غير هذا البيت لتقدم به أكثر المحذنين .

وهذه الأبيات كلها غرر وفرائد ، لا يصدر مثلها إلا عن فضل باهر ، وقدرة على الإبداع ظاهرة .

والظلم من شيم النفوس ، فإن تجدُ
ومن البلية عدل من لا يرعوي
ومن العداوة ما ينالك نفعه
وقوله [من الطويل] :

أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه
فحبّ الجبان النفس أوردته التقي
ويختلف الرزقان والفعل واحدٌ
وقوله [من الوافر] :

وفيك إذا جنى الجاني أناة
بنو كعب وما أثرت فيهم
بها من قطعه ألمٌ ونقصٌ
لهم حقٌ بشركك في نزارٍ
لعلّ بنيتهم لبنيك جندٌ
وما في سطوة الأرباب عيبٌ

تظنّ كرامةً وهي احتقارٌ^(١)
يدٌ لم يدمها إلاّ السوار
وفيها من جلالته افتخار
وأدنى الشرك في نسبٍ جوارٍ
فأول قرح الخيل المهار^(٢)
ولا في ذلّة العبدان عار^(٣)

(١) الصبّ : العاشق .

(٢) الأناة : التصبّر وطول البال .

(٣) القرح : جمع قارح ، وهو ما بلغ التاسعة من عمره من ذوات الحافر ، والمهار : جمع مهر .

(٤) العبدان : أحد جموع العبد ، والسطوة : القوّة والبسطة .

وقوله [من البسيط] :

أجاب كلَّ سؤالٍ عن هل بلم
بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم
فإنَّما يقظات العين كاللحمِ
شكوى الجريح إلى الغربان والرحم
ولا يغرِّئك منهم ثغر مبتسم
في غير أمته من سائر الأمم
فسرهم وأتيناها على الهرم

من اقتضى بسوي الهندي حاجته
ولم تزل قلة الإنصاف قاطعةً
هوناً على بصرٍ ما شقَّ منظره
لا تشكون إلى خلقٍ فتشمته
وكن على حذرٍ للناس تستره
وقت يضيع وعمرٌ أنت مدته
أتى الزمان بنوه في شببته

وقوله [من الكامل] :

هو أوَّلُ، وهي المحلُّ الثاني
بلغت من العلياء كلَّ مكان
بالرأي قبل تطاعن الأقران^(١)
أدنى إلى شرفٍ من الإنسان^(٢)

الرأي قبل شجاعة الشجعان
فإذا هما اجتمعا لنفسٍ مرّة
ولربّما طعن الفتى أقرانه
لولا العقول لكان أدنى ضيغم

وقوله [يمدح كافوراً] [من الطويل] :

فكلُّ بعيد الهمِّ فيها معذبٌ!
ولا أشتكى فيها ولا أتعبُ!
ولكن قلبي، يا ابنة القوم، قلبٌ
بغيضاً ثنائي أو حبيباً تقربُ؟

لحا الله ذي الدنيا مناخاً لراكبٍ
ألا ليت شعري هل أقول قصيدةً
وبسي ما يذود الشعر عني أقله
أما تغلط الأيام فيَّ بأن أرى

(١) القرين : المثل والنظير ، والأقران :

(٢) الضيغم : المفترس من الحيوانات .

وقوله [يمدحه أيضاً] [من الطويل] :

أبي خُلِقُ الدُّنْيَا حَبِيْباً تَدِيْمُهُ
وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتُ تَغْيِراً

وقوله [يمدحه أيضاً] [من الطويل] :

إِذَا سَاءَ فَعَلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظَنُونُهُ
وَعَادِي مَحْيِيهِ يَقُولُ عِدَاتُهُ

ومنها :

وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيْلِ بِفَاعِلٍ
وَلَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ بِمَتَمِّمٍ

ومنها :

فَأَحْسَنُ وَجْهِ فِي الْوَرَى وَجْهٌ مَحْسَنٍ
وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هَمَّةٍ
لَمَنْ تَطَلَّبَ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَرُدَّ بِهَا

وقوله [يمدح المغيث بن علي العجلي] [من الوافر] :

فَوَاذُ مَا تَسْلِيهِ الْمَدَامُ
وَدَهْرُ نَاسِهِ نَاسٌ صَغَارُ
وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ
وَشَبِهَ الشَّيْءِ مَنْجَذْبٌ إِلَيْهِ
وَلَوْ لَمْ يَعْلُ إِلَّا ذُو مَحَلٍّ
وَعَمْرٌ مِثْلُ مَا يَهْبُ اللَّثَامُ
وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جِثٌّ ضَخَامُ
وَلَكِنْ مَعْدَنُ الذَّهَبِ الرُّغَامُ^(١)
وَأَشْبَهْنَا بِدُنْيَانَا الطَّغَامُ^(٢)
تَعَالَى الْجَيْشِ وَانْحَطَّ الْقَتَامُ^(٣)

(١) الرغام : التراب .

(٢) الطغام : أرذال الناس .

(٣) القتام : الغبار .

ولو حَيِّزَ الحِفاظَ بغيرِ عقلٍ تجنَّبَ عنقَ صيقله الحسام^(١)
وقوله [من الخفيف] :

أبدأً تستردّ ما تهبّ الدنّ يا فيا ليت جودها كان بخلا
فكفّت كون فرحة تورث الغد ممّ وخلّ يغادر الوجد خلاً
وهي معشوقة على الغدر لا تحفظ عهداً ولا تتمم وصلا
كلّ دمع يسيل منها عليها وبفكّ اليدين عنها تخلّى
أي : كل من أبكته الدنيا فإنما يبكي لفوت شيء منها ، ولا يخليها الإنسان إلا قسراً
بفك يديه .

وفي هذه القصيدة :

شيم الغانيات فيها فلا أدري لذا أنّث اسمها الناس أم لا ؟
ولذيذ الحياة أنفس في النّفّس وأشهى من أن يملّ وأحلى
وإذا الشيخ قال أفّ فما ملّ حياةً وإنما الضّعف ملاً
آلة العيش صحّة وشبابٌ فإذا ولياً عن المرء ولى

* * *

ومنها افتضاضه أبكار المعاني ، في المراثي والتعازي

كقوله [من المنسرح] :

سالم أهل الودادِ بعدهمُ يُسلمُ للحزن لا لتخليد

أي : إذا مات الصديق يسلم صديقه للحزن لا للخلود ، لأن كلام ميت .

فما ترجى الخلود من زمنٍ أحمد حاله غير محمودٍ

(١) حَيِّزَ : امتلك .

أي : أحمد حاليك أن تبقى مع صديقك ، وهو مع ذلك غير محمود لتعجيل الحزن وانتظار الأجل .

وقوله [من الكامل] :

المجد أخسر والمكارم صفةُ
والناس أنزل في زمانك منزلاً
قبحاً لوجهك يا زمان ؛ فإتهُ
أيموت مثل أبي شجاع فاتكُ
من أن يعيش بها الكريم الأروعُ
من أن تعايشهم وقدرك أرفعُ
وجهُ له من كلِّ قبحٍ برقع
ويعيش حاسده الخصيُّ الأوكع ؟^(١)

وقوله [من البسيط] :

عدمته وكأني سرت أطلبه
من لا يشابهه الأحياء في شيمٍ
فما تزيدني الدنيا على العدمِ
أمسى يشابهه الأموات في الرّم^(٢)

أحسن والله أبدع ما شاء ! .

وقوله [من الطويل] :

وقد فارق الناس الأحبة قبلنا
سبقنا إلى الدنيا ، فلوعاش أهلها
وأعيا دواء الموت كلَّ طيبٍ
تملكها الآتي تملكُ سالبٍ
منعنا بها من جيئةٍ وذهوبٍ
وفارقها الماضي فراقَ سلبٍ

هذا كقول بعضهم في الموعظة : « وإن ما في أيديكم أسلاب الهالكين ، ويستخلفها الباقون كما تركها الماضون » .

علينا لك الإسعاد إن كان نافعاً
فربُّ كئيبٍ ليس تندى جفونه
بشقِّ قلوبٍ لا بشقِّ جيوبٍ
وربُّ كثيرِ الدّمع غير كئيبٍ

(١) الأوكع : اللثيم ، والأحمق .

(٢) الشّيم : السجايا والخصال الكريمة . والرّم : العظام البالية .

وللواجد المكروب من زفراته
وقوله [من الكامل] :

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى
ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى
خرجوا به ، ولكلِّ بالكِ خلفه
حتى أتوا جدثاً كأنَّ ضريحه
كفل الشاء له بردٌ حياته
وقوله في تعزية سيف الدولة عن أخته [من الخفيف] :

ولعمري لقد شغلت المنايا
وكم انتشتَ بالسيف من الدهر
خطبةٌ للحمام ليس لها ردٌّ
وإذا لم تجد من الناس كفواً
هذا أحسن ما قيل في مريثة حرم الملوك .

وقوله في مريثة طفل لسيف الدولة وتعزيتته عنه [من الطويل] :

فإن تك في قبرٍ فإنك في الحشا
ومثلك لا يبكي على قدر سنه
عزاءك سيف الدولة المقتدى به
وإن تك طفلاً فالأسى ليس بالطفل
ولكن على قدر المخيلة والفضل^(٥)
فإنك نصل ، والشدائد للنصل

(١) اللغوب : الإعياء الشديد .

(٢) رضوى : إسم جبل معروف .

(٣) دك : هدم وتحطم ، والطور : جبل .

(٤) انتشت : تناوش وانشتل ، والمقل : الفقير .

(٥) المخيلة : المظنة .

ولم أر أعصى فيك للحزن عبرةً
تخون المنايا عهده في سليله
ويبقى على مرّ الحوادث صبره
وما الموت إلا سارق رقّ شخصه
يردّ أبو الشبل الخميس عن ابنه
إذا ما تأملت الزّمان وصرفه
وما الدهر أهلٌ أن يؤمّل عنده

وقوله [من السريع] :

نحن بنو الدنيا فما بالنا
تبخل أيدينا بأرواحنا
فهذه الأرواح من جوّه
لو فكر العاشق في منتهى
لم يرقن الشمس في شرقه
يموت راعي الضأن في جهله
وربّما زاد على عمره
وغاية المفرط في سلمه
فلا قضى حاجته طالبٌ

نعاف ما لا بدّ من شربه
على زمانٍ هنّ من كسبه
وهذه الأجسام من تربه
حسن الذي يسببه لم يسبه
فشكّت الأنفس في غربه
موتة جالينوس في طبّه
وازداد في الأمن على سربه^(١)
كغاية المفرط في حربه؟^(٢)
فؤاده يخفق من رعبه!

* * *

(١) الرجل : المشاة من الجيش .

(٢) السرب : الجماعة .

(٣) المفرط : المتزيّد والمكثّر .

ومنها الايجاع في الهجاء

كقوله [من المجث] :

إن أوحشتك المعالي فإنها دار غربه
أو أنستك المخازي فإنها لك نسبه

وقوله [من البسيط] :

إني نزلت بكذابين ضيفهم
جود الرجال من الأيدي ، وجودهم
ما يقبض الموت نفساً من نفوسهم
إلا وفي يده من نتنها عود
يعني العود الذي يتناوله المعالج للشيء القذر ليكون واسطة بينه وبين يده .

وقوله [من البسيط] :

العبد ليس لحرّ صالحٍ بأخٍ
لا تشتري العبد إلا والعصا معه
من علم الأسود المخصي مكرمةً
أم أذنه في يد النخاس داميةً
وذاك أن الفحول البيض عاجزة
عن الجميل فكيف الخصية السود

كأنه من قول أبي علي البصير [من الخفيف] :

عجز الراكب البصير ، وأولى منه بالعجز راجل مكفوف^(١)

وقوله [من السريع] :

فلا ترج الخير عند امرئ
مرت يد النخاس في رأسه

(١) الصيد : السادة ، والصيد إمالة الرأس عجباً وتكبيراً .

(٢) المكفوف : الأعمى ، والراجل : السائر على قدميه .

وقوله [من الوافر] :

أخذتُ بمدحه فرأيتُ لهواً مقالِي للأحيمتِ يا حكيماً
ولمّا أن هجوت رأيتُ عيًّا مقالِي لابن آوى يا حلِيم^(١)
فهل من غادرٍ في ذا وهذا فمدفوعٌ إلى السُّقمِ السُّقيمُ

وقوله [من المتقارب] :

لقد كنتُ أحسب قبل الخصى بأنّ الرءوس مقررُ النهى
فلما نظرت إلى عقله رأيت النهى كلّها في الخصى

وقوله [يهجو إسحاق بن إبراهيم بن كيغلع] [من الكامل] :

يمشي بأربعةٍ على أعقابه تحت العلوج ومن وراءِ يلجم^(٢)
وجفونه ما تستقرُّ كأنّها مطروفةٌ أو فتّ فيها حصرم
وتراه أصغر ما تراه ناطقاً ويكون أكذب ما يكون ويقسم
وإذا أشار مكلّماً فكأنّه قردٌ يقهقه أو عجوزٌ تلطم
يقلّي مفارقة الأكفّ قذاله حتى يكاد على يدٍ يتعمّم^(٣)

* * *

ومنها إبراز المعاني اللطيفة في معارض الألفاظ الرشيقة الشريفة والرمز بالطرف والملح

كقوله في الجمع بين مدح سيف الدولة وقد فارقه ، وبين مدح كافور وقد

(١) العي : الصعوبة في الكلام .

(٢) العلوج : الحمير .

(٣) يقلّي : يكره ، والقذال : القفا من الرقبة .

قصده في بيت واحد [من الطويل] :

فراقٌ ومن فارقت غير مذمّمٍ وأمٌّ ومن يمتت حير ميمّم^(١)
ثم قال معرضاً بسيف الدولة :

وما منزل اللذاتِ عندي بمنزلي إذا لم أبجلُ عنده وأكرمُ
رحلت فكم بالكِ بأجفانِ شادنٍ وكم بالكِ بأجفانِ ضيغم^(٢)
المصرع الثاني تصديق لقوله :

* ليحدثنّ لمن ودّعتهم ندمٌ *

وما ربّة القرط المليح مكانه بأجزع من ربّ الحسام المصمّمِ
فلو كان ما بي من حبيبٍ مقنّع عذرت ، ولكن من حبيبٍ معمم^(٣)
وهذا أيضاً مما نبهت عليه من إجراءات الممدوح من الملوك مجرى المحبوب
في كثير من شعره :

رمى واتقى رمي ، ومن دون ما اتقى هوى كاسر كُفّي وقوسي وأسهمي
وكقوله في مدح كافور والتعريض بالقدح في سيف الدولة [من البسيط] :

قالوا : هجرت إليه الغيث ؟ قلت لهم إلى غيوثٍ يديه والشأيب^(٤)
إلى الذي تهب الدّولات راحته ولا يمنُّ على آثارٍ موهوبِ
ولا يروع بمغرورٍ به أحداً ولا يفزّع موفوراً بمنكوبِ
يا أيّها الملك الغانسي بتسمية في الشرق والغرب عن نعتٍ وتلقبِ

(١) يممّ : قصد ناحيته .

(٢) الشادن : الغزال ، والضيغم : المفترس من الوحش .

(٣) معممّ : يلبس عمّة .

(٤) الشأيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر .

يعني أنا مستغن بشهرته عن لقب كلقب سيف الدولة .

أنت الحبيب ولكني أعوذ به من أن أكون محبباً غير محبوبٍ
وهذا أيضاً من ذلك .

وقوله من قصيدة لسيف الدولة بعد ما فارق حضرته يعرض باستزادة يومه وشكر
أمسه ، وهو من فرائده [من المتقارب] :

وإنَّ فارقتنيَ أمطاره فأكثر غدرانها ما نضبُ
وإني لأتبع تذكاره صلاة الإله وسقي السُّحبُ

ومنها في التعريض بكافور :

ومن ركب الثور بعد الجوا د أنكر أظلافه والغيب^(١)

وقوله في هز كافور والتعريض باستزادته [من الطويل] :

أبا المسك هل في الكأس فضلٌ أناله فإني أغني منذُ حينٍ وتشربُ
يقول : مديحي إياك يطربك كما يطرب الغناء الشارب ، فقد حان أن
تسقينني من فضل كأسك .

وهبت على مقدار كفي زماننا ونفسي على مقدار كفيك تطلبُ
وقوله أيضاً في التعريض بالاستزادة [من الطويل] :

أرى لي بقربي منك عيناً قريرةً وإن كان قرباً بالبعد يشاب^(٢)
وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا ودون الذي أمّلت منك حجابٌ ؟
أقلّ سلامي حباً ما خفّ عنكم وأسكت كيما لا يكون جواب

(١) الغيب : اللحمة المتدلية تحت الحنك في الإنسان والبقر والديكة .

(٢) يشاب : يمزج ويخلط .

وفي النفس حاجاتٌ وفيك فطانةٌ سكوتي بيانٌ عندها وخطاب
وكقوله في وصف الفرس [من الطويل] :

ويومٍ كليل العاشقين كمنته أراقب فيه الشمس أيان تغربُ
وعيني إلى أذنيّ أغرّ كأنه من الليل باقٍ بين عينيه كوكب

أي : كأنه قطعة من الليل ، وكان الغرة في وجهه كوكب ، وعينه إلى أذنه
لأنه كامن لا يرى شيئاً ، فهو ينظر إلى أذني فرسه ، فإن رآه قد توجس بهما تآهب
في أمره وأخذ لنفسه ، وذلك أن أذن الفرس تقوم مقام عينيه ، وتقول العرب : أذن
الوحشي أصدق من عينيه .

له فضلةٌ عن جسمه في إهابه تجيء على صدرٍ رحيبٍ وتذهبُ^(١)
شقت به الظلماء أذني عنانه فيطغى ، وأرخيه مراراً فيلعب
أي : إذا جذبت عنانه طغى برأسه لطماحه وعزة نفسه ، وإذا أرخيت عنانه
لعب برأسه .

وأصرع أيّ الوحش قفّيته به وأنزل عنه مثله حين أركبُ
وكقوله في التوديع [من الوافر] :

وإني عنك بعد غدٍ لغادٍ وقلبي في فنائك غير غاد
محبك حيث ما اتجهت ركابي وضيّفك حيث كنت من البلاد
وكقوله [من الكامل] :

سرّ حيث شئت يحلّه النوار وأراد فيك مرادك المقدارُ
وإذا ارتحلت فشيّعك سلامةً حيث اتجهت وديمةً مدرارُ

(١) الإهاب : الجلد .

وأراك دهرك ما تحاول في العدا حتى كأنَّ صروفه أنصار
أنت الذي بجح الزمان بذكره وتزيّنت بحديثه الأسمار^(١)

وكقوله في اللطف بالصديق والعنف بالعدو [من الكامل] :

إني لأجبن عن فراق أحبّتي وتحسّ نفسي بالحمام فأشجعُ
ويزيدني غضب العداة جراءةً ويلمّ بي عتب الصديق فأجزعُ

وكقوله في حسن الكناية [من الخفيف] :

تشتكي ما اشتكيت من ألم الشوق إلينا ، والشوق حيث النحول
وإنما كنى عن تكذيبها ولم يصرح به : أي أنا أشتكي الشوق ونحولي يدل على
ذلك ، وهي غير ناحلة فليست مشتاقة .

وكقوله [من الرجز] :

أبيضُ ما في تاجه ميمونه عفيف ما في ثوبه مأمونه^(٢)
أي : عفيف الفرج ، فكنى به .

وكقوله في حسن الحشو [من الكامل] :

صلّى عليك الله غير مودعٍ وسقى ثرى أبويك صوبَ غمام
« غير مودع » حشو ، ولكنه حسن .

وكقوله [من الطويل] :

ويحتقر الدنيا احتقار مجرّبٍ يرى كل ما فيها ، وحاشاك ، فانيا
سبحان الله ! ما أحسن الحشو بقوله « وحاشاك » !

(١) بجح : افتخر وفرح ، والأسمار : من السمر ، وهو الأنس .

(٢) الميمون : من اليمن .

وكقوله [من البسيط] :

إذا خَلَّتْ منك حمصٌ ، لا خلّت أبداً فلا سقاها من الوسميِّ باكره^(١)

وكقوله في العيادة [من الكامل] :

لا نعذل المرض الذي بك ، شائقٌ أنت الرجال ، وشائقٌ علاّتها^(٢)
ومنازل الحمى الجسم ، فقل لنا : ما عذرهما في تركها خيراتها؟

أي : لا عذر للحمى في تركها جسمك ، إذ هو أفضل الجسم .

وكقوله [من المنسرح] :

قصدت من شرقها ومغربها حتى اشتكتك البلاد والسبلُ
لم تبق إلا قليل عافيةٍ قد وفدت تجتديكها العلل

وقوله [من الوافر] :

تجشّمك الزمان هوىً ووداً وقد يؤذى من المقت الحبيبُ
وكيف تعلّك الدنيا بشيءٍ وأنت لعلّة الدنيا طيبٌ؟
وكيف تنوبك الشكوى بداءٍ وأنت المستجار لما ينوب؟^(٣)

وكقوله في التهئة وهي تهئة سيف الدولة [من البسيط] :

المجد عوفي إذ عوفيت والكرمُ وزال عنك إلى أعدائك الألمُ
وما أخصّك في برءٍ بتهئةٍ إذا سلمت فكلُّ الناس قد سلموا

(١) الوسمي : مطر الربيع .

(٢) شائق : خير مقدم ، وأنت مبتدأ مؤخر والرجال مفعول به لاسم الفاعل شائق وشائق الثاني معطوف على الأول ، وعلاّتها مفعول والشائق : باعث الشوق ، يقول : ألمّ بك المرض لأنك باعث له على الحب لك .

(٣) تنوبك : تصيبك .

وكقوله [من الخفيف] :

وَلَمَنْ يَدْنِي مِنَ الْبَعْدَاءِ إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ لِلْأَكْفَاءِ
بِالْمَسْرَاتِ سَائِرَ الْأَعْضَاءِ وَأَنَا مِنْكَ لَا يَهْنِئُ عَضْوُ

وكقوله [من البسيط] :

الصُّومَ وَالْفِطْرَ وَالْأَعْيَادَ وَالْعَصْرَ مَنِيرَةَ بَكَ ، حَتَّى الشَّمْسِ وَالْقَمَرُ
مَا الدَّهْرُ عِنْدَكَ إِلَّا رَوْضَةٌ أَنْفٌ يَا مَنْ شَمَائِلُهُ فِي دَهْرِهِ زَهْرٌ^(١)
مَا يَنْتَهِي لَكَ فِي أَيَّامِهِ كَرَمٌ فَلَا انْتَهَى لَكَ فِي أَعْوَامِهِ عَمْرٌ
فَإِنَّ حَظَّكَ مِنْ تَكَرَّرِهَا شَرَفٌ وَحَظَّ غَيْرِكَ مِنْهَا النَّوْمُ وَالسَّهْرُ

وكقوله [من الطويل] :

تَغَيَّرَ حَالِي وَاللَّيَالِي بِحَالِهَا وَشَبِتَ وَمَا شَابَ الزَّمَانُ الْغَرَانِقُ^(٢)

وكقوله [من البسيط] :

تَسْوَدُّ الشَّمْسُ مَنَّا بِيضَ أَوْجِهِنَا وَلَا تَسْوَدُّ بِيضَ الْعِذْرِ وَاللِّمَمِ^(٣)
وَكَانَ حَالُهُمَا فِي الْحُكْمِ وَاحِدَةً لَوْ احْتَكَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حُكْمِ

وقوله [من الطويل] :

مُشَبُّ الَّذِي يَبْكِي الشَّبَابَ مَشِيئُهُ فَكَيْفَ تَوَقَّيْهِ وَبَانِيهِ هَادِمُهُ^(٤)
وَمَا خَضِبَ النَّاسَ الْبِيَاضَ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ ، وَلَكِنْ أَحْسَنَ الشَّعْرَ فَاحِمُهُ^(٥)

* * *

(١) روضة أنف : أي لم ترع .

(٢) الغرائق : الشاب الأبيض الناعم الجميل .

(٣) اللمم : جمع لمة وهي شعر الرأس .

(٤) مشب : مبتدأ خبره مشيئه ، ويجوز العكس ، والبيت الذي يبكي الشباب إنما أشابه الذي أشبهه ، فقد حصل له الشيب من عند الذي حصل له منه الشباب .

(٥) والفاحم : الأسود .

ومنها حسن المقطع

كقوله [من البسيط] :

قد شرفَّ الله أرضاً أنت ساكنها وشرفَّ الناس إذ سواك إنسانا
قال ابن جنبي : لا يعجبني قوله « سواك إنسانا » لأنه لا يليق بشرف ألفاظه ،
ولو قال « أنشاك » أو نحو ذلك لكان أليق بالحال .

قلت أنا : ولو قال غير ما قاله لم يكن فصيحاً شريفاً . لأن في القرآن « ثم
سواك رجلاً »^(١) ولا أفصح ولا أشرف مما ينطق به كتاب الله عز ذكره وكقوله [من
المتقارب] :

سما بك همّي فوق الهموم فليست أعدّ يساراً يسارا
ومن كنت بحراً له يا عليّ لم يقبل الدرّ إلا كباراً^(٢)

وكقوله [يمدح سيف الدولة] [من المتقارب] :

أنلت عبادك ما أمّلوا أنالك ربك ما تأملُ

وكقوله [في المغيث بن علي العجلي] [من الوافر] :

وأعطيت الذي لم يعط خلقٌ عليك صلاة ربك والسلامُ

* * *

ذكر آخر شعره وأمره

لما أنجحت سفرته ، وربحت تجارته بحضرة عضد الدولة . ووصل إليه
من صلاته أكثر من مائتي درهم - استأذنه في المسير عنها ليقضي حوائج في نفسه ،

(١) من الآية ٣٧ من سورة الكهف .

(٢) يا علي : أي سيف الدولة .

ثم يعود إليها ، فأذن له ، وأمر بأن تخلع عليه الخلع الخاصة ، ويقاد إليه الحملان الخاص ، وتعاد صلته بالمال الكثير ، فامتثل ذلك ، وأنشده أبو الطيب الكافية التي هي آخر شعره ، وفي أضعافها كلام جرى على لسانه كأنه ينعي فيه نفسه ، وإن لم يقصد ذلك ، فمنه قوله [من الوافر] :

فلو أني استطعت خفضت طرفي فلم أبصرُ به حتى أراكا
وهذه لفظة يتطير منها ، ومنه :

إذا التّوديع أعرض قال قلبي عليك الصّمت لا صاحبتُ فاكا
ولولا أنّ أكثر ما تمنى معاودةً لقلت ولا مناكا
أي : لو أن أكثر ما تمنى قلبي أن يعاودك لقله له : ولا بلغت أنت أيضاً
منتك ، وهذا أيضاً من ذلك ، ومنه :

قد استشفيت من داءٍ بداءٍ وأقتل ما أعلّك ما شفاكا
أي : قد أضمرت يا قلب شوقاً إلى أهلك ، وكان ذلك داء لك ، فاستشفيت منه بأن فارقت عضد الدولة ، ومفارقتة داء لك أيضاً أعظم من داء شوقك إلى أهلك ، وهذا شبه قول النبي ﷺ « كفى بالسلامة داء » وقول حميد بن ثور [من الطويل] :

* وحسبك داءً أن تصحّ وتسلما *

و « أقتل ما أعلك ما شفاكا » من ألفاظ الطيرة أيضاً ، ومنه :

وكم دون الثوية من حزينٍ يقول له قدومي ذا بذاكا
الثوية : من الكوفة ، يقول له « قدومي ذا بذاك » أي هذا القدوم بتلك الغيبة ، وهذا السرور بذلك الحزن ، لم يقل « إن شاء الله تعالى » ومنه :
ومن عذب الرّضاب إذا انخنا يقبل رحل تروك والوراكا

تروك : اسم ناقة لم ير مثلها لعضد الدولة أمر له بها ، والوراك : شيء يتخذه الراكب كالمخدة تحت ورکه .

يحرّم أن يمسّ الطيب بعدي وقد عبق العبير به وصاكا^(١)
وهذا أيضاً من تلك الألفاظ ، ومنه :

وفي الأحباب مختصّ بوجدٍ وآخر يدّعي معه اشتراكا
إذا اشتبهت دموعٌ في حدودٍ تبيّن من بكى ممّن تباكى
وهذا أيضاً من ذاك ، ومنه :

فزّل بعد عن أيدي ركابٍ لها وقع الأسنّة في حشاك
هذه استعارة حسنة لأنه خاطب البعد وجعل له حشا ، ومنه :

وأياً شئت يا طريقي فكوني أذاةً أو نجاةً أو هلاكاً

جعل قافية البيت الهلاك فهلك ، وذلك أنه ارتحل عن شيراز بحسن حال ووفور مال ، فلما فارق أعمال فارس حسب أن السلامة تستمر به كاستمرارها في مملكة عضد الدولة ، ولم يقبل ما أشير به عليه من الاحتياط باستصحاب الخفراء والمبذرقين^(٢) ، فجرى ما هو مشهور من خروج سرية من الأعراب عليه ومحاربتهم إياه ، وتكشف الواقعة عن قتله وابنه محسد ونفر من غلمانة ، وفاز الأعراب بأمواله وذلك في سنة أربع وخمسين وثلثمائة .

أنشدني أبو القاسم المظفر بن علي الطبسي الكاتب لنفسه في مرثية المتنبّي
[من الخفيف] :

لا رعى الله سرب هذا الزمان إذ دهانا في مثل ذاك اللسان

(١) صاك : أراد أنه لصق به .

(٢) المبذرقين : الحرّاس والخفراء .

ما رأى الناس ثانيَ المتنبّيّ أيّ ثانٍ يرى لبكر الزمان ؟
كان من نفسه الكبيرة في جيدٍ وفي كبرياء ذي سلطان
كان في لفظه نبياً، ولكنّ ظهرت معجزاته في المعاني

فصل - وقد جمع بي القلم في إشباع هذا الباب وتذييله ، وتصويره كتاباً
برأسه في أخبار أبي الطيب والاختيار من أشعاره والتنبيه على محاسنه ومساويه ،
وقد كان بعض الأصدقاء سألني عمل ذلك ، وله الآن فيه كفاية ، وبه غنية ، فإن
أحب إفراده عن الأبواب كان كتاباً على حدة ، وإن نشط لانتساخ الجميع تضاعفت
الفوائد لديه ، وانتالت القلائد عليه ، بمشيئة الله وإرادته .

والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
تسليماً .

* * *

الباب السادس

١٦ - في ذكر النامي والناشي والزاهي وإخراج غرر أشعارهم

أبو العباس أحمد بن محمد النامي - شاعر من فحولة شعراء العصر ،
وخواص شعراء سيف الدولة ، وكان عنده تلو المتنبي في المنزلة والرتبة ، وقد
أخرجت من ديوانه ما هو شرط الكتاب من عقائل شعره وفرائد عقده ، فمن ذلك
قوله من قصيدة [من الطويل] :

له من هواها ما لصبٍّ متيمٍ وذمة حبٍّ عهده لم يذممٍ
أفارق نفسي شعبةً بعد شعبةٍ فريقين باتا منجداً بعد متهمٍ^(١)
فقد كثرت في كلِّ أرضٍ ديارهمُ ككثرة عذالي عليٍّ ولوئمي
ولم أر يوماً كان أثلم للحشا من اليوم بين الجزع والمثلّم^(٢)

ومنها :

لكم يا بني العباس سيفٌ على العدا حسامٌ متى يعرض له الداء يحسم
أخفُّ إلى يوم الوغى من حمامةٍ وأثبت من شوقٍ بقلبٍ متيمٍ

(١) الشعبة : الجزء والقسم ومنجدو متهم : نسبة الى نجد وتهامة .

(٢) أثلم : أي أمر وأقطع .

وقوله من أخرى [من الطويل] :

أمير العلاء ، إنَّ العوالي كواسبٌ
يمرُّ عليك الحول : سيفك في الطلاء ،
ويمضي عليك الدهر : فعلك للعلاء ،
ومنها في وصف أشعاره :

رياحن أذهانٍ : سماحك غارسٌ
من المذهبات الدارميات شرِّدٌ
لها ، فاجنِّها بالعرف من روضة الحمد
تدقُّ معانيها على الملك الكندي^(٣)

وقوله من أخرى [من الوافر] :

أحقَّأ أنْ قالتي زرود
وقفت وقد فقدت الصبرحتي
وشكَّتْ فيَّ عدالي فقالوا
وأنْ عهدها تلك العهد^(٤)
تبين موقفي أني الفقيدُ
لرسم الدار : أيكما العميد ؟

ومثل هذا النمط من التشبيه قول السري [من الوافر] :

إذا ما الراح والأترج لاحا
لعينك قلت : أيهما الشراب ؟

وقول بعض أهل العصر [من المنسرح] :

لي سيدُ فاتنٌ يعلمني بحسنه كيف يعبد الصنمُ
لما رأني وفي يدي قلمٌ لم يدر مولاي أينما القلمُ

(١) الطلاء : الدم المطلول والشكيمة : حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس .

(٢) الرفد : العطاء .

(٣) الملك الكندي : يعني امرؤ القيس .

(٤) زرود : إسم علم .

ومنها :

وفيهنّ السخائم والحقر^(١)
وأسقية السنان لها جلود^(٢)

إليك صدعن أئدة الليالي
فعيدان الأراك لها عظام

ومنها :

إليه لظلّ لي عبداً عبيد
ونودي من حفيرته ليبد^(٣)

وشعر لو عبيد الشعر أصغى
كأن لفكرة نشر ابن حجر

وقوله من أخرى [من البسيط] :

إذ لا أمانة في دارٍ لها أمم
بناعبٍ كاعبٍ والبين يحتكم ؟
بدار سلمى وترب الدار مستلم
يوم الحمى وهواها ليس ينصرم

إلمامةً بمغاني داره لمم
بأيّ حكمٍ لأيام الفراق نات
عقلت عيساً كأنّي كنت حاسدها
إحدى الحسان أساءت بي وقد صرمت

أخذه من قول ابن الرومي [من البسيط] :

سوءاً وقد يفعل الأسواء حسّان

يا ربّ حسّانةٍ منهنّ قد فعلت

[رجع] :

من قلب قرن عليّ وهو منهزم
وفي الحمائل قد نيطت به الهمم^(٤)
أو سيفه قدر في الروح يحتكم

كأنّ قلبي معارٍ للنوى جزعاً
ناط الحمائل في ليثٍ وفي قمر
كأنه أجلّ ، أو طرفه وجلّ ،

(١) السخائم : الضغائن .

(٢) الأراك : شجر طيب الرائحة يستعمل عوده سواماً .

(٣) ابن حجر : امرؤ القيس ، وليبد : ليبد بن ربيعة وعبيد : عبيد بن الأبرص .

(٤) ناط : أوكل وكلف وعهد .

والخيل تشرب من أشداقها اللَّحْم^(١)
تشابه العالم النوري^(٢) والسَّم
إلّا وسبح إجلالاً لك العلم
واليوم من نفعه قد كاد ينكتم^(٣)
والحزم أمسك بالأسراج لا الحزم
وللمنايا شمسٌ غمدها القم :
وتلك خيلٌ فأين الأرض وهي دم ؟
قواعد الشرك والأرواح تحطم
ويخبر النسر نسرٌ وهو مبتسم
ورمحك ابن رضاعٍ ليس ينقطم
والمال مقتسمٌ والحمد مقتنم
جار السماح عليهم في الذي حكموا
فأنت ذا والحيا والصارم الخدم^(٤)
كذا الجواد من الإعجاب يحتدم
إن الأسود تمطى ثم تعترم^(٥)
فشك فيك يقيني أنك الأمم
ما حيلتي ؟ قد تناهى دونك الكلم^(٥)
فعطّلتُ كلَّ ما قالوا وما نظموا

يا مظمىء الخيل أو تروى ذوابله
إذا ملائكة النصر اختلطت بها
لم تدعَ يا علم المجد المقابلنا
لا يكتم النصر يوماً أنت شاهده
النصر أسرجها ، والعزُّ أجمها
قال النهار له والشمس مغمدةٌ
هذا عجاجٌ فأين الأفق وهو قنا ؟
بحدّ سيفك سيف الدولة انحطمتُ
يحدثُ الذئب ذئبٌ وهو مبتهجُ
قد أرضعتك ثديي الأرض درتها
من آل حمدان حيث الملك مقبلُ
قومٌ إذا حكموا يوماً لأنفسهم
أمن علاً أم ندى أدعوك ؟ أم بهما ؟
إن يعجل الرأي تلحقه بغايته
وإن تأتيت عزمًا لم يفتك عدًا
إن لم أقم أمماً للمدح من فكري
إذا طلبتك لم ألحقك في أمدٍ
وما عليّ إذا ما كنت ناظمها

(١) الزوايل : الرواح .

(٢) النقع : الغبار .

(٣) الخدم : القاطع .

(٤) نمطى : تنهياً .

(٥) أمد : مجال .

وقوله من أخرى [من الطويل] :

أمرن هوانا أن يصحّ لنسقما فأدمى قلوباً صادياتٍ إلى الدمي^(١)

ومنها :

أرتنا جنى العناب للورد ظالمأً ومن أقحوانٍ مرمضٍ متظلمأً^(٢)

ما أحسن هذا البيت وأظرفه ، وفيه كناية عن حك الوجه بالبنان المخضب وعض اليد بالشعر الأشنب :

طوى البين ديباج الخدود ، ونشّرت
تقسّمت الأهواء قلبي كما غدا
ويومٍ كأجياذ العذارى حليّه
جلونا به وجهي عروسٍ وكاعبٍ
وأخرس يصيينا بخمسة السنّ
لذن غدوة حتى إذا الشمس ودعتُ
ثوينا كأننا بعض أبناء قيصرٍ
أطعت العلا حتى كأنك عبدا
مكارم لا تنفكّ تتعب حاسداً
زكت فكري فيها وأينع هاجسي
وولّد شعري فيك شعراً لمعشرٍ
يد البين وشياً للخدود منمنما
نوال عليّ في العلا متقسّما
فريد ندىً في جيده قد تنظّما^(٣)
على طفل زهر قد بكى وتبسّما^(٤)
إلى أيّها مدّ السنّان تكلمّا
مغاربها واستأذنتها التصرّما
غدا فيهم سيف الأمير محكّما
وإن كنت مولاها وكنت لها ابنما
يؤخّره سعيّ لها قد تقدّما
فظلّتُ على أهل القريض مقدّما
فكنت عليهم مثل نعامك منعما

(١) الصادي : الظامى ، والدمي : الفتيات .

(٢) مرمضٍ : اشتدت عليه الحرارة .

(٣) الجيد : العنق .

(٤) جلونا : زينا .

وقوله من أخرى [من الطويل] :

وإلا سلاني كيف بيّض مسودّي ؟
فقد كثر استثمان جندي إلى جندي
تحير لا يهدي لقصد ولا يهدي^(١)
على قصدها والنجم ليس على قصد
جناحيه ورساً علّ بالعنبر الوردى^(٢)
إزاء الثريا وهي مقطوعة العقدي
أم الفجر يرمي الليل سداً على سدّ ؟
وبين طريفات المكارم والتلد^(٣)
وبيّض يوماً بالفضائل والمجد
فغودرت العقبى لذي الحق لا الحشد ؟
وليس مع التقصير عندي سوى جهدي
وقد غودر ابن العبد في نظمها عبدي^(٤)

سلاها لم اسودّ الهوى في ابيضاضه ؟
كان برأسي عسكريين تحاربا
وليل له نجمٌ كليلٌ عن السري
كأني وابن الغمد والطرف أنجمٌ
إلى أن رأيت الفجر والنسر خاضبٌ
وحلّت يد الجوزاء عقد وشاحها
فقلت : أخيلُ التغلبي مغيرةٌ
فتى قسّم الأيام بين سيوفه
فسودّ يوماً بالعجاج وبالردى
ألم تر فرعوناً وموسى تجاريا
جهدت فلم أبلغ مداك بمدحة
يزيد على شأوي زيادٌ وجرولٌ

وقوله من أخرى [من الطويل] :

وثبتت في صحف العطاء وتكتب^(٥)
رأيت العلا أنوارها تتحلّب^(٦)
كذا البحر في أزاته متهيّب^(٧)

له سورة في البشر تقرأ في العلا
إذا ما عليّ أمطرتك سماؤه
يرجى ويخشى ضره وهو نافعٌ

(١) كليلٌ : متوانٍ والسرى : المسير ليلاً .

(٢) الورد : نبات أحمر للصباح وعلّ : مزج .

(٣) الطريف والتلد : المال الحديث والموروث .

(٤) زياد : هو النابغة الذبياني ، وجرول : هو الحطيئة وابن العبد : هو طرفة بن العبد البكري .

(٥) السورة : السطوة ، والعلاء والمجد .

(٦) تتحلّب : تتصبّب ، والنوء : المطر .

(٧) أزاته : تموجه .

يروع ويبدو الأنس منه كأنه ال
وأزهر يبيضُ الندى منه في الرضى
أمير الندى ، ما للندى عنك مذهبٌ
إذا فاخرت بالمكرمات قبيلةٌ
قناةٌ من العلياء أنت سنانها
وخيلٍ كأمثال القنا في لبودها
وضربٍ يريك الخيل مجّ نجيعه
وقوله من أخرى [من الخفيف] :

سألت بالفراق صبّاً ، وما يد
هو بين الحشا صدوعٌ ، وفي الأعد
نحن أبناء ذا الهوى تسكن الأند
نال منا يوم الفراق كما نا
في خميسٍ للتصر فيه لواءٌ
رجله كالدبا ، وفرسانه كالأ
وسجايك يا أبا الحسن الغد
لوغدا الدهر صافحاً لي عن الحد
لتعطّرت من غبار مذاكي
ثم صيرت من دماء أعادي

هوى لذعه بين الجوانح يعذب
وتحمرُّ أطراف القنا حين يغضب
ولا عنك يوماً للرغائب مرغب
فتغلب أبناء العلابك تغلب
وتلك أنابيبٌ عليها وأكعب
فإن سهلت فهي اليراع المثقّب^(١)
وأشبهها من لون أشقر يخضب^(٢)

بئها بالفراق مثل خبير
بين ماءً ، وجمرةً في الصدور^(٣)
فس منا إلى الضنا والزفير
ل من الناكثين سيف الأمير
عقده من لوائه المنصور
سد بأساً ، وخيله كالصقور^(٤)
رّ وإتاعهنّ شكر الشكور
ظّ وأعلى من جدّ حالٍ عثور^(٥)
ك رواحي ، وكان عطري بكوري^(٦)
ك خلوقي ، وكان منه طهوري^(٧)

(١) اليراع : القصبه التي يزمربها .

(٢) الأشهب : الذي يميل لونه إلى الحمرة والسواد .

(٣) صدوع : شروخ .

(٤) الدبا : القرع .

(٥) الجد : الحظ ، والعاثر : السوء .

(٦) المذاكي : جباد الخيل .

(٧) الخلقوق : الطيب .

ولقيت المنون تحت عواليك معداً ذخراً ليوم نشوري
سر على السعد تستظل من الأيام ظلّي سلامة وجبور
بين فرضين من جهادٍ وشهرٍ أنت في الناس مثله في الشهور
سمع النصر فيه أمرك لما خاطبته الأقدار بالتأمير
أنتم دارة العلا يا بني حم جال مرتابةً بذاك المسير
وتسيرون في القنا فترى الآ أنجمٌ يفترون فوق بدور
في شمسٍ من الحديد عليها د يلقى الهواء بالتعطير^(١)
وعجاجٍ كأنه من دخان الند أرض مسكٌ، والجو من كافور
عبقٌ من علاكم فكان ال نة حملاً تبقى بقاء الدهور
فتحيوا بمدحتي فهي ريحا
وقوله من أخرى [من الكامل] :

ومنازلين إذا بدوا في شارقٍ شَبَّوا ضياء وقوده بوقود^(٢)
ردوا على داود صنعة سرده لغناهم بالصبر عن داود
لا يصبحون إذا انتضوا بيض الظبا وشبا القنا غير المنايا السود^(٣)
وقوله من أخرى [من الطويل] :

ألم تر أعداء الأمير كوفروهم يظلّ لتوفير العلا غير وافرٍ
وحسّاده ممّا تذوب كخيله بلغن مدى أنفاسهنّ الزوافرِ
وقوله من أخرى [من البسيط] :

وصارمٍ مثل لحظ البرق أسلك في مثال جدول ماء فيه منسكب

(١) المعجاج: الغبار، والندّ: نوعٌ من الطيب.

(٢) شَبَّوا: أوقدوا، وأسعروا.

(٣) انتضوا: شهروا، وبيض الظبا:، وبيض الظبا: يقصد بها السيوف، وشبا القنا: رؤوس الرماح.

تنأى به الهام عن أجسامهنّ كما
وقوله من أخرى [من البسيط] :

في ناظر الشمس إن عنت له رمدٌ
يردها ونظام الملك متسِقٌ
أسعد بعيدٍ إذا كارمته حكمت
عيدٌ وفتحٌ وملكٌ والأمير له
الله أعطاك أقسام الفخار ، فما
لو كان يرضى لك الدنيا لما فنيتُ
وقوله في صفة منارة [من الرجز] :

ساميةٌ في الجوِّ مثل الفرقد
يكاد عاليها - وإن لم يبعد -
وقوله [من الطويل] :

خليلي ، هل للمزن مقلّة عاشقٍ ؟
أشارت إلى أرض العراق فأصبحت
تسربل وشياً من خروزٍ تطرّزتُ
سحابٌ حكّت ثكلى أصيبت بواحدٍ
فوشي بلا رقمٍ ، ونقشٌ بلا يدٍ

تنأى الخواتيم عن مقروءة الكتب

ومسمع الرعد إن أصغى له صممٌ^(١)
والموت في خرز الأعناق ينتظم
لك المعاني وأمضى حكمها الكرم
دامت سلامته ما أورك السلم !
خلقٌ يساميك مذ حيزت لك القسم^(٢)
ونلت فيها خلوداً أنت والتعم

قاعدةٌ فيه وإن لم تقعد
يغرف من حوض الغمام باليد

أم النار في أحشائها وهي لا تدري
وكاللؤلؤ المبتول أدمعها تجري^(٣)
مطارفها طرزاً من البرق كالتبر^(٤)
فعاجت له نحو الرياض على قبر^(٥)
ودمعٌ بلا عينٍ ، وضحكٌ بلا ثغر

(١) عنت : بدت وخطرت ، والرمد : وجع يصيب العين ، والصمم : فقد السمع .

(٢) حيزت لك القسم : جعلت ملكك .

(٣) المبتول : المقطع المفصول عن غيره .

(٤) المطارف : أوشحة من الحرير ، والتبر : الذهب .

(٥) الثكلى : الفاقدة ، ولدها وعاجت ، المّت ونزلت .

ودخل على ناصر الدولة ويده وجعة قد لطخت بلطوخ ، فقال له : هل قلت شيئاً؟ قال : ما علمت ، قال : فقل ، فقال ارتجالاً [من الوافر] :

يدٌ في برئها برءُ الأيادي ووعكٌ للطريف وللتلاد^(١)
يد الحسن التي خلقت سماءً موكلّةً بأرزاق العباد

* * *

١٧ - أبو الحسين الناشيء الأصغر

أنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني أبو الحسين الناشيء بحلب لنفسه [من الطويل] :

إذا أنا عاتبت الملوك فإنّما
وهبهُ ارعوى بعد العتاب ، ألم يكن
أخطُ بأقلامي على الماء أحرفاً
تودّده طبعاً فصار تكلفاً؟^(٢)

قال : وأنشدني لنفسه [من الكامل] :

ليس الحجاب من آلة الأشراف
ولقلّ من يأتي فيحجب مرةً
إنّ الحجاب مجانِبُ الإنصاف
فيعود ثانيةً بقلبٍ صافي

وله في سيف الدولة يودعه [من الطويل] :

أودّع ، لا أني أودّع طائعاً
وأرجع لا ألقى سوى الوجد صاحباً
وأعطي بكرهي الدهر ما كنت مانعاً
تحمّلت عنّا بالصنائع والعلّا
لنفسى إن القيت بالنفس راجعاً
رعاك الذي يرعى بسيفك دينه
فنتسودع الله العلا والصنائعا
ولقّاك روض العيش أخضر يانعا

(١) البرء : الشفاء ، والوعك : المرض .

(٢) ارعوى : تراجع وأتاب .

وله [من المتقارب] :

إذا لم تنل همم الأكرمين وسعيهم وادعاً فاغترب
فكم دعة أتعبت أهلها وكم راحة نتجت من تعب^(١)

[وله أيضاً] [من مجزوء الخفيف] :

يا خليلي وصاحبي من لؤي بن غالب
حاكم الحب جائر موجب غير واجب
لك صدغ كأنما نونه نون كاتب
يلذع الناس - إذ تعف رب - لذع العقارب

* * *

١٨ - أبو القاسم الزاهي

وصاف محسن ، كثير الملح والظرف ، ولم يقع إلي شعره مجموعاً ، وإنما
تطرفته من أفواه الرواة ، واستفدته من التعليقات .

أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان فيما أنشدنيه من التثف التي استفادها
ببغداد ، وأتحفني به من اللطائف التي استصحبها : منها للزاهي [من الطويل] :

سفرن بدوراً ، وانتقبن أهلةً ومسن غصوناً ، والتفتن جاذراً^(٢)
وأطلعن في الأجياد بالدر أنجماً جعلن لحبات القلوب ضرائراً^(٣)

(١) الدعة : الراحة .

(٢) سفرن : أظهرن محاسن وجوههن انتقبن اي لبسن النقاب ومسن : تمايلن وتثنين والجاذر : البقر
الوحشي .

(٣) الضرائر : جمع ضرة وهي الزوجة الثانية مع الأولى في البيت الواحد .

وإنما احتذى في البيت الأول مثال المتنبي في قوله [من الوافر] :

بدت قمراً ، ومالت غصن بانٍ وفاحت عنبراً ، ورنّت غزالا
وممن نسج على هذا المنوال أبو عامر إسماعيل بن أحمد الشاشي ، فإنه قال .^(١) من
قصيدة [من الطويل] :

رأيت على أكوارنا كلَّ ماجدٍ يرى كل ما يبقى من المال مغرماً
ندوّم أسيفاً ، ونعلو قواضباً ، وننقضُّ عقباناً ، ونطلع أنجماً^(٢)
وقال أبو الحسن الجوهري في الخمر إلا أنه قلب التشبيه [من الطويل] :

يقولون : بغداد التي اشتقت برهةً دساكرها والعكبريُّ المقيراً^(٣)
إذا فضّ عنه الختم فاح بنفسجاً ، وأشرق مصباحاً ، ونورّ عصفراً^(٤)
ولبعض أهل العصر في غلام مغن [من الوافر] :

فديتك يا أتمّ النَّاس ظرفاً وأصلحهم لمتخذٍ حيباً
فوجهك نزهة الأبصار حسناً وصوتك متعة الأسماع طيباً
وسائلةٌ تسائل عنك ، قلنا لها في وصفك العجب العجيبا :
رنا ظيباً ، وغنى عندليباً ، ولاح شقائقاً ، ومشى قضيباً^(٤)
وللزاهي [من الطويل] :

أرى الليل يمضي والنجوم كأنها عيون الندامى حين مالت إلى الغمضِ
وقد لاح فجرٌ يغمر الجوَّ نوره كما انفجرت بالماء عينٌ على الأرضِ

(١) القواضب : السيوف ، والعقبان : جمع عقاب ، وهو نوع من الطيور الجارحة .
(٢) العكبري : الشراب من الخمر ، والمقيراً : المطلي بالقار .
(٣) فضّ : أزيل ، والعصفر : نبات يصبغ به .
(٤) رنا : نظر وتطلع .

وأشدني أبو سعد نصر بن يعقوب في كتابه « كتاب روائع التوجيهات ، من بدائع التشبيهات » للزاهي [من البسيط] :

الريح تعصف والأغصان تعتقُ والمزن باكية والزهر معتبق^(١)
كأنما الليل جفنٌ والبروق له عينٌ من الشمس تبدو ثم تنطبق

ومن مشهور شعر الزاهي قوله [من الكامل] :

لولا عذارك ما خلعت عذارى ولكنك في وزرٍ من الأوزار^(٢)
ما كنت أحسب أن أعاين أو أرى تخطيط ليلٍ في بياض نهار
حتى نظرت إلى عذارك فاغتندي سقم القلوب ونزهة الأبصار
فتركت قولِي في الوعيد لأجله وعزمت فيك على دخول النار

ووجدت في كتاب أبي الحسن علي بن أحمد بن عبدان ، في مجموعة المترجم بحاطب الليل ، قصيدة للزاهي أولها [من الكامل] :

الليل من فكري يصير ضياءً والسيف من نظري يذوب حياءً
والخيل لو حملتها علمي بها لتركتها تحت العجاج هباءً
ومنها :

أحصي على دهري الذنوب بمقلةٍ لدموعها لا أملك الإحصاء

سرقه من قول ديك الجن [من الخفيف] :

أنا أحصي فيك النجوم ولكنْ لذنوب الزمان لست بمحص

(١) المزن : السحب ، ومعتبق : أي مليء بالعبق الذكي .

(٢) الوزر : الأثيم .

رجع :

عجباً لصرف الدهر كيف يخون من غمر البرية نجدةً ووفاءً
عدم الصباح فتاب عنه بفكره وعلت يدها فطاول الجوزاء

وأشدت له بيت معمي ، وما أراه قاله [من الكامل] :

من كان آدم جملاً في سنه هجرته حواء السنين من الدمى^(١)

آدم في حساب الجمل خمس وأربعون ، وحواء خمسة عشر .

وله في وصف الأترج [من البسيط] :

وذا ت جسم من الكافور في ذهب دارت عليه حواشيه بمقدار
كأنها - وهي قدامي ممثلة في رأس دوحته - تاج من النار

* * *

(١) جملاً : حساب الجمل ، وهو حساب الأحرف الهجائية المقرونة بأرقام من الواحد الى الألف .
والمعنى : أن الذي في عمر آدم لا بد أن تهجره النساء .

الباب السابع

١٩ - في ذكر أبي الفرج عبد الواحد الببغاء

وغير نثره ونظمه

هو : أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي ، من أهل نصيبين .
نجم الآفاق ، وشمامة الشام والعراق ، وظرف الظرف ، وينبوع اللطف ،
واحد أفراد الدهر ، في النظم والنثر ، له كلام بل مدام ، بل نظام من الياقوت ، بل
حب الغمام ، فثره مستوف أقسام العذوبة ، وشروط الحلاوة والسهولة ، ونظمه
كأنه روضة منورة تجمع طيباً ومنظراً حسناً . وقد أخرجت من شعره . ما يشهد
بالذي أجريت من ذكره ، وإنما لقب بالببغاء للثغة فيه سيجري وصفها في ذكر ما دار
بينه وبين أبي إسحاق الصابي من طرف المكاتبات وملح المجاوبات ، وكان في
عنفوان أمره وربعان شبابه متصلاً بسيف الدولة ، مقيماً في جملته ، ثم تنقلت به
بعد وفاة صاحبه الأحوال في وروده الموصل وبغداد ومناذمته بهما الملوك
والرؤساء ، وإخفاقه مرة وإنجاحه أخرى ، وآخر ما بلغني من خبره ما سمعت الأمير
أبا الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي يورده من ذكر التقائه معه عند صدره من
الحج وحصوله ببغداد في سنة تسعين وثلاثمائة ، ورؤيته بها شيخاً عالي السن ،
متناول الأمد ، نظيف اللبسة ، بهي الركبة ، مليح اللثغة ، ظريف الجملة ، قد
أخذت الأيام من جسمه وقوته ، ولم تأخذ من طرفه وأدبه ، وأنه مدح أباه الأمير أبا
نصر بقصيدة فريدة أجزل عليها صلته ، ثم السلامي وغيره من شعراء العراق ، ثم
عرض على القاضي أبو بشر الفضل بن محمد بجرجان سنة إحدى وتسعين كتاب

أبي الفرج الوارد عليه من بغداد مشتملاً من النظم والنثر على ما أثرت فيه حال من بلغ ساحل الحياة ، ووقف إلى ثنية الوداع ، ولست أدري ما فعل الدهر به ، وأغلب ظني أنه إلى الآن قد لحق باللطيف الخبير ، وأنا أبدأ بسياق قصة له من عبارته وحكايته ، لم أسمع أظرف منها في فنها ، ولا ألطف ولا أعذب ، ولا أخف ؛ وإن كان فيها بعض الطول ، والبديع غير مملول .

قال أبو الفرج : تأخرت بدمشق عن سيف الدولة رحمه الله مكرهاً ، وقد سار عنها في بعض وقائعه ، وكان الخطر شديداً على من أراد اللحاق به من أصحابه ، حتى إن ذلك كان مؤدياً إلى النهب وطول الاعتقال ، واضطرت إلى إعمال الحيلة في التخلص والسلامة ، بخدمة من بها من رؤساء الدولة الإخشيدية ، وكان سني في ذلك الوقت عشرين سنة ، وكان انقطاعي منهم إلى أبي بكر علي بن صالح الروزباري لتقدمه في الرياسة ، ومكانه من الفصل والصناعة ، فأحسن تقبلي ، وبالغ في الإحسان بي ، وحصلت تحت الضرورة في المقام ، فتوفرت على قصد البقاع الحسنة ، والمنتزهات المطرفة ، تسلياً وتعللاً ، فلما كان في بعض الأيام عملت على قصد دير مران ، وهذا الدير مشهور الموقع في الجلالة وحسن المنظر ، فاستصحت بعض من كنت آنس به . وتقدمت لحمل ما يصلحنا ، وتوجهنا نحوه ، فلما نزلنا أخذنا في شأننا وقد كنت اخترت من رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقعة الطبع وسجاجة الخلق ، حسبما جرى به الرسم في غشيان الأعمار وطروق الدير ، ومن التطرف بعشرة أهلها والأنسة بسكانها ، ولم تزل الأقداح دائرة بين مطرب الغناء وزاهر المذاكرة إلى أن فض اللهو ختامه ، ولوح السكر لصحبي أعلامه ، وحانت مني نظرة إلى بعض الرهبان فوجدته الى خطابي متوثباً ، ولنظري إليه مترقباً ، فلما أخذته عيني أكب يزعجني بخفي الغمز ووحى الايماء ، فاستوحشت لذلك ، وأنكرته ونهضت عجلان ، واستحضرت ، فأخرج إلي رقعة مختومة ، وقال لي : قد لزم فرض الأمانة فيما تضمنته هذه الرقعة ، ووني وسقط

ذمام كاتبها في سترها بك عني ، ففضضتها ، فإذا فيها بأحسن خط وأملحه وأقرته
وأوضحه :

بسم الله الرحمن الرحيم

لم أزل فيما تؤديه هذه المخاطبة يا مولاي : بين حزم يحث على الانقباض
عنك ، وحسن ظن يحض على التسامح بنفيس الحظ منك ، إلى أن استزلتني
الرغبة فيك على حكم الثقة بك من غير خبرة ، ورفعت بيني وبينك سجف
الحشمة ، فأطعت بالانبساط أوامر الأنسة ، وانتهزت في التوصل إلى مودتك فائت
الفرصة ، والمستماح منك - جعلني الله فداك ! - زورة أرتجع بها ما اغتصبتنيه
الأيام من المسرة مهناة بالانفراد إلا من غلامك الذي هو مادة مسرتك .

وما ذاك عن خلق يضيق بطارق ، ولكن لأخذي بالاحتياط على حالي ، فإن
صادف ما خطبته منك - أيدك الله ! - قبولاً ، ولديك نفاقاً ، فمنية غفل الدهر
عنها ، أو فارق مذهبه فيما أهدها إليّ منها ، وإن جرى على رسمه في المضايقة
فيما أوثره وأهواه ، وأترقبه من قربك وأتمناه ، فذمام المروءة يلزمك ردهذه الوقعة
وسترها ، وتناسيها واطراح ذكرها . وإذا بأبيات تتلو الخطاب ، وهي [من
المنسرح] :

يا عامر العمر بالفتوة والـ	قصف وحث الكؤوس والطرب
هل لك في صاحب تناسب في الـ	غربة أخلاقه وبالأدب
أوحشه الدهر فاستراح إلى	قربك مستنصراً على النوب ^(١)
فإن تقبلت ما أتاك به	لم تشن الظن فيه بالكذب ^(٢)
وإن أتى الزهد دون رغبتنا	فكن كمن لم يقل ولم يُجِب

(١) النوب : المصائب والأحداث .

(٢) تُشِنُ : تُعِبُ .

قال أبو الفرج : فورد عليّ ما حيرني ، واسترد ما كان الشراب حازه من تمييزي ، وحصل لي في الجملة أن أغلب الأوصاف على صاحبها الكتابة خطأ وترسلا ونظما ، فشاهدته بالفراصة من ألفاظه ، وحمدت أخلاقه قبل الاختبار من رقعته ، وقلت للراهب : ويحك ! من هذا ؟ وكيف السبيل إلى لقائه ؟ فقال : أما ذكر حاله فإليه إذا اجتمعنا ، وأما السبيل إلى لقائه فمتسهل إن شئت قلت : دلني ، قال : تظهر فتورا ، وتنصب عذراً تفارق به أصحابك منصرفاً ، وإذا حصلت بباب الدير عدلت بك إلى باب خفي تدخل منه ، فرددت الرقعة عليه ، وقلت : ارفعها [إليه] ليتأكد أنسه بي وسكونه إلي ، وعرفه أن التوفر على أعمال الحيلة في المبادرة إلى حضرته على ما آثره من التفرد أولى من التشاغل بإصدار جواب وقطع وقت بمكاتبته ، ومضى الراهب ، وعدت إلى أصحابي بغير النشاط الذي نهضت به ، فأنكروا ذلك ، فاعتذرت إليهم بشيء عرض لي ، واستدعيت ما أركبه ، وتقدمت إلى من كان معي ممن يخدم بالتوفر على خدمتهم ، وقد كنا عملنا على المبيت ، فأجمعوا على تعجل السكر والانصراف ، وخرجت من باب الدير ومعني صبي كنت أنس به وبخدمته ، وتقدمت إلى الشاكري برد الدابة وستر خبري ومباكرتي ، وتلقاني الراهب ، وعدل بي إلى طريق في مضيق ، وأدخلني إلى الدير من باب غامض ، وصار بي إلى باب قلاية متميز عما يجاوره من الأبواب نظافة وحسناً ، فقرعه بحركات مختلفة كالعلامة ، فابتدرنا منه غلام كأن البدر ركب على أزراره مهفهف الكشح مخطفه^(١) ، معتدل القوام أهيفه^(٢) ، تخال الشمس برقعت غرته ، والليل ناسب أصداعه وطرته ، في غلالة تنم على ما تستره^(٣) ، وتجنف مع رقتها عما تظهره ، وعلى رأسه مجلسية مصمت فبهر عقلي ، واستوقف نظري ، ثم أجفل كالظبي المدعور ، وتلوته والراهب إلى صحن القلاية ، فإذا أنا ببيت فضي

(١) المخطف : دقيقة وناعمة .

(٢) الهيف : اعتدال القوام .

(٣) الغلالة : الثياب الشفافة .

الحيطان ، رخامي الأركان ، يضم طارقة خيش ، مفروشة بحصير مستعمل ، فوثب إلينا منه مقتبل الشبية ، حسن الصورة ، ظاهر النبل والهيئة ، متزي من اللباس بزي غلامه ، فلقيني حافياً يعثر بسرويله ، واعتقني ، ثم قال : إنما استخدمت هذا الغلام في تلقيك يا سيدي لأجعل ما لعلك استحسنته من وجهه مصانعاً عما ترد عليه من مشاهدتي ، فاستحسنت اختصاره الطريق إلى بسطي ، وارتجاله النادرة على نفسه حرصاً في تأنيسي ، وأفاض في شكري على المسارعة إلى أمره . وأنا أوصل في خلال سكناته المبالغة في الاعتداد به ، ثم قال : يا سيدي أنت مكدود بمن كان معك ، والاستمتاع بمحادثتك لا يتم إلا بالتوصل إلى راحتك ، وقد كان الأمر على ما ذكر ، فاستلقيت يسيراً ثم نهضت ، فخدمت في حالتي النوم واليقظة الخدمة التي ألفتها في دور أكابر الملوك وأجلة الرؤساء . وأحضرنا خادم له لم أر أحسن منه وجهاً ولا سواداً طبقاً يضم ما يتخذ للعشاء مما خف ولطف ، فقال : الأكل مني يا سيدي للحاجة ، ومنك للممالحة والمساعدة ، فلنا شيئاً ، وأقبل الليل فطلع القمر ففتحت مناظر ذلك البيت إلى فضاء أدى إلينا محاسن الغوطة ، وحبانا بذخائر رياضها : من المنظر الجناني ، والنسيم العطري ، وجاءنا الراهب من الأشربة بما وقع اتفاقنا على المختار منه ، ثم اقتعدنا غارب اللذة ، وجربنا في ميدان المفاوضة ، فلم يزل يناهيني نوادر الأخبار ، وملح الأشعار ، ونخلط ذلك من المزح بأظرفه ، ومن التودد بالطفه ، إلى أن توسطنا الشراب فالتفت إلى غلامه ، وقال له : يا مترف ، إن مولاك ما ادخر عنا السرور بحضوره ، وما يجب أن ندخر ممكنا في مسرته ، فامتقع وجه الغلام حياءً وخفراً ، فأقسم عليه بحياته وأنا لا أعلم ما يريد ، ومضى فعاد يحمل طنبوراً ، وجلس فقال لي : يا سيدي تأذن لي في خدمتك ؟ فهممت بتقبيل يده لما تداخلني من عظم المسرة بذلك ، فأصلح الغلام الطنبور وضرب وغنى [من المجتث] :

يا مالكي وهو ملكي وسالبي ثوب نسكي

نزّه يقين الهوى فيك عن تعرّض شكّ
لولاك ما كنت أبكي إلى الصباح وأبكي

فنظر إلى الغلام وتبسم ، فعلمت أن الشعرله ، فكادت والله أطيّر طرباً وفرحاً
بملاحة خلقه وجودة ضربه وعذوبة ألفاظه وتكامل حسنه ، فاستدعيت كيزاناً
فأحضرنا الخادم عدة قطع من فاخر البلور وجيد المحكم ، فشربت سروراً
بوجهه ، وشرب بمثل ما شربت ، ثم قال لي : أنا والله يا سيدي أحب ترفيهك وأن
لا أقطعك عما أنت متوفر عليه ، ولكن إذا عرفت الاسم والنسب والصناعة واللقب
فلا بد أن تشي ليلتنا بشيء يكون لها طرازاً ولذكريها معلماً ، فجذبت الدواة وكتبت
ارتجالاً وقد أخذ الشراب مني [من المجتث] :

وليلةٍ أوسعتني حسناً ولهواً وأنسا
ما زلت أثلّم بدرأً بها وأشرب شمساً
إذ أطلع الدّير سعداً لم يبق مذّبان نحسا
فصار للروح مني روحاً وللنفس نفساً

فطرب على قولي « أثلّم بدرأً وأشرب شمساً » ، وجذب غلامه فقبله ،
وقال : ما جهلت ما يجب لك يا سيدي من التوقير ، وإنما اعتمدت تصديقك فيما
ذكرته ، فبحياتي إلا فعلت مثل ذلك بغلامك ، فاتبعت آثاره خوفاً من احتشامه ،
وأخذ الأبيات وجعل يرددّها ، ثم أخذ الدواة وكتب إجازة لها [من المجتث] :

ولم أكن لغريمي والله أبذلُ فلساً
لو ارتضى لي خصمي بدير مرّان حبساً

فقلت : إذا والله ما كان أحد يؤدي حقاً ولا باطلاً ، وداعبته في هذا المعنى
بما حضر ، وعرفت في الجملة أنه مستتر من دين قد ركبه ، وقال لي : قد خرج لك
أكثر الحديث ، فإن عذرت ، وإلا ذكرت لك الحال لتعرفها على صورتها ، فتبينت
ما يؤثره من كتمان أمره ، فقلت له : يا سيدي ، كل ما لا يتعرف بك نكرة . وقد

أغنت المشاهدة عن الاعتذار ، ونابت الخبرة عن الاستخبار ، وجعل يشرب وينخب عليّ من غير إكراه ولا حثّ ولا استبطاء ، إلى أن رأيت الشراب قد دب فيه ، وأكب على مجاذبة غلامه والفتنة تشنيه في الوقت بعد الوقت ، فأظهرت السكر وحاولت النوم ، وجاء الغلام ببرذعة ففرشها لي بإزاء برذعته ، فنهضت إليها وقام يتفقد أمري بنفسه ، فقلت له : إن لي مذهباً في تقريب غلامي مني ، واعتمدت بذلك تسهيل ما يختاره من هذه الحال في غلامه ، فتبسم وقال لي بسكره ، جمع الله لك شمل المسرة كما جمعه لي بك ، وأظهرت النوم ، وعاد يجاذب غلامه بأعذب لفظ وأحلى معاتبة ، ويخلط ذلك بمواعيد تدل على سعة وانبساطيد ، وغلامه تارة يقبل يده وتارة فمه ، وغلبتني عيناى إلى أن أيقظني هواء السحر ، فانتبهت وهما متعانقان بما كان عليهما من اللباس ، فأردت توديعه وحاذرت إنباهه وإزعاجه ، فخرجت ، ولقيني الخادم يريد إيقاظه وتعريفه انصرافي ، فأقسمت عليه أن لا يفعل ، ووجدت غلامي قد بكر بما أركبه كما كنت أمرته ، فركبت منصرفاً وعملاً على العود إليه والتوفر على مواصلته وأخذ الحظ من معاشرته ، ومتوهماً أن ما كنت فيه منام لطيبه وقرب أوله من آخره ، واعترضتني أسباب أدت إلى اللحاق بسيف الدولة ، فسرت على أتم حسرة لما فاتني من معاودة لقائه وقلت في ذلك [من الطويل] :

ويوم كانّ الدهر سامحني به
جرت فيه أفراس الصبّا بارتياحنا
بحيث هواء الغوطتين معطر ال
فمن روضة بالحسن ترفد روضة
وفي الهيكل المعمور منه افترعها
ونزّهت عن غير الدنانير قدرها

فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر
إلى دير مرّان المعظم والعمر
نسّيم بأنفاس الرياحين والزهر
ومن نهرٍ بالفيض يجري إلى نهرٍ
وصحبي حلالاً بعد توفية المهر^(١)
فما زلت منها أشرب التبر بالتبر

(١) افترع : افتضّ.

وحلّ لنا ما كان منها محرماً
فأهدت لي الأيام فيه مودةً
أتى من شريف الطبع أصدق رغبةٍ
وكان جوابي طاعةً لا مقالةً
فلاقيت ملء العين نبلاً وهمّةً
وأحشمني بالبرّ حتى ظننته
ونزه عن غير الصفاء اجتماعنا
و شاء السرور أن يلينا بثالثٍ
بمعطي عيونٍ ما اشتهدت من جماله
جيناً جنياً الورد في غير وقته
وقابلنا من وجهه وشرابه
وغنّى فصار السمع كالطرف آخذاً
وأمتعنا من وجنته بمثل ما
سرورٌ شكرنا منّة الصحو إذ دعا
كانّ الليالي نمّن عنه فعندما
مضى وكأني كنت فيه مهوماً
وهل يحصل الإنسان من كل ما به

وهل يحظر المحظور في بلد الكفر^(١)
دعتني في سترٍ فلبّيت في ستر
تخاطبني عن معدن النظم والشر
ومن ذا الذي لا يستجيب إلى اليسر
محلّى السّجايا بالطلاقة والبشر
يريد اختداعي عن جناني ولا أدري^(٢)
فكنت وإياه كقلبين في صدر
فلاطفنا بالبدر أو بأخي البدر
ومضني قلوبٍ بالتجنّب والهجر
وزهر الرّبا من روض خديّه والثغر
بشمسين في جنحيّ دجى الليل والشعر
بأوفر حظاً من محاسنه الزهر
تمزج كفّاه من الماء والخمر
إليه ولم نشكر به منّة السكر^(٣)
تنهّن نكبّن الوفاء إلى الغدر
يحدث عن طيف الخيال الذي يسري^(٤)
تسامحه الأيام إلاّ على الذكر

ولم أزل على أتم قلق وأعظم حسرة ، وأشدّ تأسف على ما سلبته من فراق
الفتى ، لا سيما ولم أحصل منه على حقيقة علم ولا يقين خبر يؤديانني إلى الطمع

(١) المحظور : الممنوع .

(٢) الخبان : العقل .

(٣) المنّة : التفضّل .

(٤) نكبّن : حولن وغيرن .

(٥) التهؤم : النوم القليل ، وهؤم : هزّ رأسه لشدة النعاس .

في لقائه ، إلى أن عاد سيف الدولة إلى دمشق ، وأنا في جملته ، فما بدأت بشيء قبل المصير إلى الراهب ، وقد كنت حفظت اسمه ، فخرج إليّ مرعوباً ، وهو لا يعرف السبب ، فلما رأيته استطار فرحاً ، وأقسم ألا يخاطبني إلا بعد النزول والمقام عنده يومي ذلك ، ففعلت ، فلما جلسنا للمحادثة قال : مالي لا أراك تسأل عن صديقك ؟ قلت : والله مالي فكر ينصرف عنه ، ولا أسف يتجاوز ما حرّمته منه ، ولا سررت بعودي إلى هذه البلدة إلا من أجله ، ولذلك بدأت بقصدك ، فاذا كرّلت خبره ، فقال لي : أما الآن فنعم ، هذا فتى من المادرائين جليل القدر ، عظيم النعمة ، كان ضمن من سلطانه بمصر ضياعاً بمال كثير ، فخاص به ضمّانه^(١) ، لقعود السعر ، وأشرف على الخروج من نعمته ، فاستتر ولما اشتد البحث عنه خرج متخفياً إلى أن ورد دمشق بزيت تاجر ، فكان استتاره عند بعض إخوانه ممن أخدمه ، فإني عنده يوماً إذ ظهر لي وقال لصديقه : إني أريد الانتقال إلى هذا الراهب إن كان عليّ مأموناً فذكر له صديقه مذهبي ، وأظهرت السرور بما رغب فيه من الأناجيب وأنا لا أعرفه ، غير أن صديقي قد أمرني بخدمته ، وحصل في قلايتي ، فواصل الصوم ، فلما كان بعد أيام جاءنا الرسول من عند صديقنا ، ومعه الغلام والخادم ، وقد لحقا به ومعهما سفّاتج^(٢) وعليهما ثياب رثة . فلما نظر إليّ الغلام قال : يا راهب ، قد حلّ الفطر وجاء العيد ،^(٣) ووثب إليه فاعتنقه ، وجعل يقبل عينيه ويبكي ، ووقف على السفّاتج فأنفذهما مع درج رقعة منه إلى صديقه فلما كان بعد يومين حمل إليه ألفي دينار ، وقال له : ابتع لنا ما نستخدمه في هذه الضيعة ، فابتاع آلة وفرشاً ، ولم يزل مكباً على ما رأيت إلى أن ورد عليه بالبغال والآلات الحسنة ، وكتب أهله باجتماعهم إلى صاحب مصر وتعريفهم إياه الحال في بعده عن وطنه لضيق ذات يده عما يطالب به والتوقيع

(١) خاص : خسر .

(٢) السفّاتج : هي أن تدفع أموالاً في بلد معين لرجل معين ويعطيك لقاء ذلك صكاً أو رسالة تستردّها مالك من عميل له في بلد آخر .

بحظيطة المال عنه مقترناً بالكتب ، فلما عمل على المسير قال لغلامه : سلم جميع ما بقي معك من نفقتنا إلى الراهب ليصرفه في مصالح الدير إلى أن نواصل تفقده من مستقرنا ، وسار وما له حسرة غيرك ، ولا أسف إلا عليك ، يقطع الأوقات بذكرك ، ولا يشرب إلا على ما يغنيه الغلام من شعرك ، وهو الآن بمصر على أفضل الأحوال وأجلها ، ما يبخل بتفقدتي ، ولا يغيب بري^(١) ، فتعجلت بعض السلوة بما عرفت من حقيقة خبره ، وأتممت يومي عند الراهب ، وكان آخر العهد به (انتهى كلامه) .

* * *

في بيان غرر من رسائله الموصولة بمحاسن شعره

كتب إلى سيف الدولة يذكر منصرفه من بعض الغزوات ظافراً إلى الثغر ومقامه على ابن الزيات صاحبه ، وقد عصي ، وأخذه إياه ، وانكفاه بعد ذلك إلى حلب :

الرياسة - أيد الله سيدنا ! - حلة موموقة ، ومرتبة مرموقة ، يتفاضل الناس فيها بقدر الهمم ، وينالونها بحسب مراتبها من الكرم ، فما تدرك إلا بالسماح ، ولا تملك إلا بأطراف الرماح . ولا تتقمص إلا بالحمد . ولا تخطب إلا بلسان المجد ، فكل من أدركها طلبا ، واستحقها بأفعاله لقباً ، من غير الدخول لسيدنا تحت شرف التعبد ، ورق الإخلاص لا التودد ، فقد حرم نيل الكمال ، وعدل عن الحقيقة إلى المحال [من البسيط] :

لأنه الغاية القصوى التي عجزت
عن أن تؤمّل إدراكاً لها الهممُ
ما تستحق ملوك الدهر مرتبةً
في الفضل إلاّ له من فوقها قدمُ

(١) لا يغيب بري : أي لا تقطع صلته عن الوصول إلي .

ذكاؤه إن دجا ليل الشكوك ضحياً وظلّه إن خطا صرف الردى حرم^(١)
فلو عدا الكرم الموصوف راحته عن أن يجاوزها لم يكرم الكرم

الشجاعة أقل أدواته ، والبلاغة أصغر صفاته ، يطرق الدهر إذا نطق ،
وينطق المجد إذا افتخر . فالآمال موقوفة عليه ، والثناء أجمع مصروف إليه ،
نهض بما قعدت همم الملوك عن ثقله ، وضعف الدهر عن معاناة مثله . بهمم
سيفية ، وعزائم علوية ، فرد شمل الدين جديداً ، وذميم الأيام حميداً ، بحق
أوضحه ، وخلل أصلحه . وهدى أعاده ، وضلال أباده [من الطويل] :

فلا انتزع الله الهدى عزّ بأسه ولا انتزع الله الوغى عزّ نصره
وأحسن عن حفظ النبي وآله ورعي سوام الدين توفير شكره
فما تدرك المدّاح أدنى حقوقه بإغراق منظوم الكلام ونثره

لأن أدنى نعمة تستغرق جماع الشكر ، وأيسر منة تفوت المبالغة في جميل
الذكر ، فأما هذا الفتح الشريف خطره ، الحميد أثره ، المشهور بلاؤه ، الواجب
ثناؤه ، الباسق فرعه ، العام نفعه ، فأشرف من أن يحد بالصفات ، أو يعد بأفصح
العبارات ، لإجراء الله تعالى سيدنا فيه من نيل الإرادة ، على مشكور العرف
والعادة ، فيما ابتسم به من ثغر الدين ، وشمل صلاحه كافة المسلمين [من
البيسط] :

كأثما ادّخر الرحمن معظمةً دون الملوك لسيف الدولة البطل^(٢)
رأه أكرمهم في الخير إن ذكروا وصفاً ، وأفضلهم في القول والعمل
فهزه وظباً الأسياف مغمدةً واستلّه غير منسوبٍ إلى الفلّل^(٣)

(١) دجا : أظلم ، والردى : الموت .

(٢) ادّخر : أبقى ، وجمع ، ومعظمة : أي أمراً عظيماً .

(٣) الفلّل : التقطع والتلثم في حدّ السيف .

حتى غدا الدين من بعد العبوس به جذلان يرفل من نعماه في حلل
فلو تكلم في حالٍ وقيل له: من خير هذا الوري؟ لم يسم غير علي

وله من رسالة أخرى :

شهاب ذكاء ، وطود وفاء ، وكعبة فضل ، وغمامة بذل ، وحسام حق ،
ولسان صدق . فالليالي بأفعاله مشرقة ، والأقدار لخوفه مطرقة ، تحمده أولياؤه ،
وتشهد له بالفضل أعداؤه [من المتقارب] :

يقابلنا البدر من برده ويشملنا السعد من سعده
ولو فخر المجد لم تلقه فخوراً شيء سوى مجده

وله من رسالة أخرى :

ثم إن شكري نعمة الله تعالى بما جدت من ملاحظة سيدنا حالي ، وتداركه
بطول التطول مرض آمالي ، ما لا أوئل - مع المبالغة والإغراق فيه - فك نفسي
بحال من رق أياديه ، غير أنني أحسن لها النظر ، وأجمل عندها الأحدوثة والخبر ،
بالدخول في جملة الشاكرين ، والاتسام بفضيلة المخلصين ، إذ كان - أدام الله
عزه ! - قد نصر نباهتي على الخمول ، واستنقذني من التعهد للتأميل [من
البيسط] :

فصرت أمسك عن أوصاف نعمته
لما تحصنت من دهري بمعقله
وواصلتني صلوات منه رحت بها
فلينظر الدهر عقبي ما صبرت له
عجزاً ، وينطق عن آثارها حالي
سمتُ بحملانه الحاظ إقبالي^(١)
أختال ما بين عز الجاه والمال
إذ كان من بعض حسادي وعذالي^(٢)
أن صنت حظي عن حل وترحال
ألم أكده بحسن الانتظار الي

(١) المقل : الحصن .

(٢) العقبى : العاقبة والنتيجة .

بلغت ما لا يجوز السؤل نائله
يا عارضاً لم أشم مذ كنت بارقه
ولا يدافع عن فضل وإفضال
إلا رويت بغيث منه هطال^(١)
وردد عني برغم الدهر إقلالي
دهري لأنك قد أفنيت آمالي
لم يبق لي أمل أرجو نذاك به

والله ينهضني من شكر طوله ، والنهوض بحقوق فضله . لما يبلغني رتبة
الزيادة ، ونيل السؤل والإرادة ، بمنه وكرمه .

وله من رسالة إليه يلتمس رسمه من الكسوة :
والعادة جارية بإعانتني على ما أوثره من التجمل في الخدمة بمتابعة النظر
ومواصله التفقد [من البسيط] :

فإن رأى - لا رأى سوءاً ولا برح ال
إقبال مشتملاً أيام دولته -
أن يقتضي لي من إنعامه خلعاً
تنوب عن منطقي في شكر نعمته^(٢)
إذا تأملها الحساد لائحة
تيقنوا أنها عنوان نيته
فعل إن شاء الله .

وله من رسالة إلى المهلب الوزير :

ولما كانت مناقب سيدنا من المعجز الذي لا يتعاطى استطاعة الوصف
مطالوته ، ولا إمكان البلاغة مساجلته ، عدلت إلى شكر الله تعالى على ما ألهمنيه
من تأميل سيدنا ، والتجمل بحمل منته ، واكتساب الشرف بسمة ذكره . متحققاً
أني على البعد منه حاضر بالإخلاص ، لا حق بذوي الحظوة والاختصاص . إذ
كانت خدمة مثلي إنما هي بلبه لا بقربه وبفهمه لا بجسمه [من البسيط] :

وفي الحقيقة لولا أن معتقلي عن السرى جود سيف الدولة الملك

(١) أشم : انظر واتطلع ، والعارض : السحاب .

(٢) الخلع : العطايا والهبات .

لما اقتصرت على غير المسير إلى
لكنه فلك الفضل المحيط، وما
من حظّه في المعالي غير مشترك
من عادة الشمس أن تنأى عن الفلك
وفي هذه الرسالة [من البسيط] :

وإن رأى المتناهي من سيادته
أن يقتضي لي حظاً من مكارمه
إلى المحلّ الذي لم يرقه أحد^(١)
يغري على العدى من أجله الحسد
فالشمس تدنو ضياءً وهي نازحة^(٢)
والسحب تروي ومن أوطانها البعد^(٣)

وله من رسالة إلى أبي محمد جعفر بن محمد بن ورقاء :

وقد كنت أوثر أن لا يصدر كتابي هذا إلا بقصيدة في الأمير ، غير أن الوقت
لم يتسع لما أوثره فأنفذت هذه الأبيات ، وأرجو أن يكون موقعها باسطاً لي إلى ما
أوثره من المواصلة بأمثالها ، ولا والله ما حسبت فيها ، ولا فيما تقدمها من
المنثور ، عنان القلم ، وهي [من الخفيف] :

جاد ربعاً حللته يا همأم
فقيبحُ إن استزدت له صو
من ندى كَفَك العزير رهام^(٣)
ب غمامٍ وأنت فيه غمامُ
ما بآرضٍ لم تبد فيها صباحُ
ما بدارٍ حللت فيها ظلامُ
وإذا ما حللت في بلدٍ فهـ
سؤددٌ عنده التفاخر ذلُّ
و ندى عنده الكرام لثام
و سجايا كأنها الروض ، إلّا
أنتمُ أنفسُ العلا يا بني ور
أنها للعدو موتٌ زؤام^(٤)
قاء والناس كلهم أجسام

(١) لم يرقه : لم يصعده ، أو لم يصل إليه .

(٢) النازحة : البعيدة .

(٣) الرهام : بكسر الراء : هو المطر الضعيف الدائم .

(٤) الزؤام : المحتمّ القاتل .

سَخَطَ المالَ من أَكْفَكُمُ ما حمَدته السِيفُ والأقلامُ
وله من رسالة كتبها بعد وفاة سيف الدولة ، إلى عدة الدولة أبي تغلب بن
ناصر الدولة ، يذكر رغبته في قصده وإيثاره الانقطاع إليه ، وذلك في سنة ثمان
وخمسين وثلاثمائة :

ومن أبرز لسيدنا صفحة رجائه ، ووفق للانقطاع إلى سعة نعمائه - فقد
استظهر لما بقي من عمره ، وحكم لنفسه بالفوز على دهره [من المتقارب] :

فما يقدح الفقر في حاله ولا يطمع الدهر في قصده
وكيف وقد صار ضيف الغما م وهو قريبٌ على بعده؟
ومن علقَت بأبي تغلبٍ يداه احتذى البدر من سعده
همامٌ قضى الله من عرشه له بالإمارة في مهده
فظود السيادة في دسته وشمس الرياسة في برده^(١)

ولما ورد الجواب عن مکتوبه مقروناً بإزاحة العلة في جميع ما يحتاج إليه في
سفره ، والتوقيع بالمبادرة في المسير إلى الموصل ، وردها ، ولقي أبا تغلب
برسالة طويلة منها :

أفصح دلائل الإقبال ، وأصدق براهين السعادة - أطال الله بقاء سيدنا ! - ما
شهدت العقول بصحته ، ونظقت البصائر بحقيقته ، ونعمة الله تعالى على الدين
والدنيا بما أولاهما من اختيار سيدنا لحراستهما بناظر فضله ، وسترهما بظل
عدله ، مفصحة بتكامل الإقبال ، مبشرة بتصديق الآمال [من البسيط] :

محروسةً ضمن الشكر الوفي لها عن الزيادة نيل السؤال في الدرك^(٢)
تحقق الدهر أن الملك منذ نشأ له أبو تغلب اسمٌ غير مشترك

(١) الدست : المجلس • وصدر البيت .

(٢) الدرك : اللحاق وإدراك الحاجة .

واستخلف الفلك الدوَار همته فلو ونى أغنت الدنيا عن الفلك^(١)
موفر الحسنات ، مأمون الهفوات ، متناصر الصفات ، رباعي النفاس ،
حمداني السياسة ، ناصري الرياسة ، عطاردي الذكاء ، موفق الآراء ، شمسي
التأثير ، فلكي التدبير ، قمري التصوير ، للصدق كلامه ، والعدل
أحكامه ، وللوفاء ذمامه . وللحسام عناؤه ، وللقدر مضاهؤه ، وللشهاب عطاؤه
[من البسيط] :

دعوتهُ فأجابتنى مكارمهُ ولودعوت سوى نعماه لم تُجِبِ
وجدته الغيث مشغوفاً بعبادته والروض يجني بما في عادة السَّحْبِ
لوفاته النسب الوضّاح كان له من فضله نسبٌ يغني عن النَّسْبِ
إذا دعتهُ ملوك الأرض سيّدها طراً دعتهُ المعالي سيد العرب^(٢)

فأجمل بره ، وتقبله مدة مقامه بحضرته ، إلى أن سار عنها إلى مدينة السلام سنة
تسعة وخمسين وثلاثمائة ، وجعل يعاود الموصل مرة ، ومدينة السلام اخرى .
وله من رسالة شكر :

وكأنني أرى عواقب اشتالك علي ، وتفقدك المتواصل إلي ، من مرآة العقل ،
وبصيرة الذكاء والفضل ، إذ كانت امارات الإقبال على حالي بك لائحة ، وشواهد
السعادة لدي بعنايتك واضحة [من الوافر] :

فمن نظري يسارع في صلاحي ومن وصفٍ يحثُ علي نفاقي
فإنعامٌ أسرُّ من التداني علي عدمٍ أفضُّ من الفراق^(٣)

(١) ونى : ضعف .

(٢) طراً : قاطبة ، جميعاً .

(٣) العدم : الفقر : وأفضُّ : أغلظ وأقسى .

وله في مثلها :

من كان جميل رأي سيدنا عدته ، أمن من الدهر شدته ، ومن فزع إلى
إحسانه ، استظهر على زمانه ، ومن توجه برغبته إليه ، لم تقدم الأيام عليه [من
الكامل] :

وأنا الذي علمت من طلب الغنى كيف الطريق إلى الغنى برجائه
فظللت مخصوصاً بحمد عفاته وغدوت ممدوحاً بشكر عطائه^(١)
وأفدت قدماً معجزات فضائلي من نور فطته ونار ذكائه
فاذا نطقت نطقت من ألفاظه وإذا وهبت وهبت من نعمائه

* * *

ذكر ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابي

كان كل منهما يتمنى لقاء صاحبه ، ويكاتبه ويراسله ، فانفق أن أبا الفرج
قدم مرة بغداد وأبو إسحاق معتقل منذ مدة بعيدة ، فلم يصبر عنه ، فزاره في
محبسه ، ثم انصرف عنه ولم يعاوده ، فكتب إليه أبو إسحاق [من الطويل] :

أبا الفرج اسلم وابق وانعم ولا تزل يزيدك صرف الدهر حظاً إذا نقص
مضى زمن تستام وصلي غالباً فأرخصته ، والبيع غالٍ ومرتخص^(٢)
وأنستني في محبسي بزيارة شفت كمداً من صاحب لك قد خلص
ولكنها كانت كحسوة طائر فواقاً كما يستفرص السارق الفرص^(٣)
وأحسبك استوحشت من ضيق محبسي وأوجست خوفاً من تذرك القفص
كذا الكرز اللّماح ينجو بنفسه إذا عاين الأشرار تنصب للقفص^(٤)

(٣) الحسوة : الجرعة .

(٤) الكرز : البازي .

(١) العفاة : عطائه .

(٢) استام البضاعة : سأل عن ثمنها .

إذا أنشد المنظوم أو درس القصص^(١)
ومن بندق الرامي ومن قصة المقص^(٢)
لفرسانكم عند الطعان بها قعص^(٣)
إذا الدهر من أحداثه جرّع الغمص^(٤)

وبدر تمام مذ تكامل ما نقص^(٥)
هلال توارى بالسّرار فما خلص^(٦)
لسؤده في خطة المشتري خصص
علمت بأن الحرّ بالبرّ يقتنص
بليّك إذ بالحزم تنتهز الفرص
بدائع من مستحسن الجدّ والرخص
وأحرزت درّ البحر منها ولم أغص
فكم لقب بالجور لا العدل مخترص^(٧)
وقلبك لي وكرّ ورأيك لي ققص !

فانتهى الابتداء والجواب إلى عضد الدولة ، فأعجب بهما واستظرفهما ، وكان ذلك أحد أسباب إطلاق أبي إسحاق من اعتقاله ، ثم اتصلت بينهما المكاتبة والمودة .

فحوشيت يا قسّ الطيور فصاحة
من المنسر الأشغى ومن حزة المدى
ومن صعده فيهما من الدبق لهذم
فهذي دواهي الطير وقّيت شرّها
فأجابه أبو الفرج في الحال مع رسوله :

أيا ماجداً مذ يمّم المجد ما نكص
ستخلص من هذا السّرار ، وأيما
برأفة تاج الملة الملك الذي
تقنصت بالألطف شكري ، ولم أكن
وصادفت أذنى فرصة فانتهزتها
أتني القوافي الباهرات تحمل الـ
فقابلت زهر الروض منها ولم أرع
فإن كنت بالبيغاء قدماً ملقباً
وبعد ، فما أخشى تقنص جارح

(١) قسّ الطيور : يعني أفصحها ، وقسّ : هو قسّ بن ساعدة الايادي .

(٢) المنسر : المنقار والأشغى : الطويل .

(٣) الدبق : غراء تصاد به الطيور ، واللهمذم : الحاد القاطع من السيوف والقمص : القتل والإجهاز .

(٤) جرّع : شرب .

(٥) يمّم : قصد ، ونكص : ولّى وهرب .

(٦) السّرار : المحاق ، ماخر أيام الشهر .

(٧) مخترص : مختلق ، والتخريص : الكذب .

وكتب أبو إسحاق إلى أبي الفرج أبياتاً في صفة القبح^(١) والخطاطيف ، ثم

كتب إليه هذه الأرجوزة في صفة البيغاء :

أنعتها صبيحةً مليحة
غدت من الأطيار ، واللسانُ
تنهي إلى صاحبها الأخبارا
سكّاء إلا أنّها سميعه
وربّما لُقنتِ العضيّه
زارتك من بلادها البعيده
ضيفُ قراه الجوز والأرزُ
تراه في منقارها الخلوقي
تنظر من عينين كالفضين
تميس في حلتها الخضراءِ
خريدهُ خدورها الأفاصُ
تحبسها وما لها من ذنبِ
تلك التي قلبي بها مشغوفُ
نشرك فيها شاعر الزمان
وذاك عبد الواحد بن نصر

ناطقَةٌ باللّغة الفصيحةُ
يوهمني بأنّها إنسانُ
وتكشف الأسرار والأستارا
تعيد ما تسمعه طبيعه^(٢)
فتغتدي بذيةً سفيهة^(٣)
واستوطنت عندك كالقعيده
والضيف في أبياتنا يعزُ
كلؤلؤٍ يلقط بالعقيق
في النور والظلمة بصّاصين^(٤)
مثل الفتاة الغادة العذراءِ
ليس لها من حبسها خلاص^(٥)
وإنّما تحبسها للحبِّ
كُنيت عنها واسمها معروفُ
والكاتب المعروف بالبيان
تقيه نفسي عاديات الدهر!

فأجابه أبو الفرج بهذه الأرجوزة :

من منصفي من حكم الكتاب

شمسُ العلوم قمر الآداب؟

(١) القبح: هو الحجل.

(٢) السكّاء: أي أذنها صغيرة ، او مقطوعة من أصلها

(٣) العضيّه: الكذب والزور البهتان.

(٤) بصّاصين: مضيين ، ناظرين.

(٥) الخريده • البكر.

وسام أن يلحق لَمَّا بَرَزَا
 أم هل يساوي المدرك المعذّر؟
 ولي بما يصدره مستنهضاً
 بيدعٍ تستغرق الأوصافا
 من منطقٍ لفضله محتج^(١)
 ومقصدي في شعره مفهوم
 وسلّم التلويح للتصريح
 بكلّ ما كان قديماً يورده
 فيها ولا لخاطرٍ مجالا
 وصاغ من حلي المعاني أزينه
 وباحمرار طوقها والمنسر^(٢)
 وأخضر الميناء بالعقيق
 ومقلّة كسبجٍ في عسجد^(٣)
 كأنما صيغ من المرجان
 بنطقها من فصحاء الإنس
 عن كلّ مخلوقٍ سوى الإنسان
 من غير تغيير لجدّ أو لعب
 لا تشرب الماء ولا تخشى الصدا^(٤)
 لا ترتضي غير الأرز قوتا^(٥)

أضحى لأوصاف الكلام محرزا
 وهل يجاري السابق المقصّر؟
 ما زال بي عن غرضٍ معرضاً
 فتارةً يعتمد الخطافا
 وتارةً يعني بنعت القبيح
 يحوم حول غرضٍ معلوم
 حتى تجلّت رغبة الصريح
 وصحّ أن البيغاء مقصده
 فلم يدع لقاتلٍ مقالا
 أهدى لها من كل نعتٍ أحسنه
 أحال بالريش الأشيب الأخضر
 على اختلاط الروض بالشقيق
 تزهى بدوّاجٍ من الزمرد
 وحسن منقارٍ أشمّ قاني
 صيرها انفرادها في الحبس
 تميّزت في الطير بالبيان
 تحكي الذي تسمعه بلا كذب
 غذاؤها أركى طعامٍ رغدا
 ذات شغى تحسبه ياقوتا

(١) القبيح : الحجل .

(٢) الأشيب : المختلط، والمنسر : المنقار .

(٣) الدوّاج : لحاف يلبس، والسبج : خرز أسود ناعم .

(٤) الصدا : الظمأ .

(٥) الشغى : المنقار، أو السن الزائدة طولاً عن رفيفاتها .

كأثما الحبة في منقارها
 إقدامها بأسها الشديد
 فهي كخود في لباسٍ أخضرٍ
 ووصفها المعجز ما لا يدركُ
 لو لم تكن لي لقباً لم أحتصرُ
 وإنما تنعتُ باستحقاق
 شرفها وزاد في تشریفها
 فكيف أجزى بالثناء المتخبُ

حبايةً تطفو على عقارها^(١)
 أسكنها في قفص الحديد
 تأوي إلى خركاهة لم تستر^(٢)
 ومثله في غيرها لا يملكُ
 لكن خشيت أن يقال منتصرُ
 لوصفها حذق أبي إسحاق
 بحكمٍ أبدع في تفويها^(٣)
 من صرف المدح إلى اسمي واللقبُ

وكتب إليه أبو إسحاق بأحسن ما قيل في مدح الأثغ [من الطويل] :

أبا الفرج استحققت نعتاً لأجله
 بياناً منيراً كاللجين مضمناً
 فلولا مرء القيس انتدبت مجارياً
 متى ما يرمُ ذا الاسم غيرك رائمُ
 فإني أسميه به ثم أنثني
 إذا أنا سلمت البلاغة طائعاً
 كفتك على رغم الحسود شهادتي
 وما هجنت منك المحاسن لثغة

تسميت من بين الخلائق بيغا
 نضاراً من المعنى أديباً وأفرغا
 كبا أو لقس في فصاحته صغا^(٤)
 ليبلغ من غايات فضلك مبلغا^(٥)
 فأسلبه باءً من الاسم إذ بغى
 إليك فأبي الناس خالفني طغي
 بأن كنت منه ثم مني أبلغا
 وليس سوى الانسان تلقاه ألثغا^(٦)

(١) العقار : الخمرة، والحباب : فجاجُ يعلو الخمرة حين تصبُّ في الكأس .

(٢) الخود : الفتاة القاعمة .

والخركاة : إسم مكان فارسي .

(٣) التفويف : التنزيين والتوشية .

(٤) صغا : مال .

(٥) يروم : يبتغي .

(٦) اللثغة : تكون في نطق الحرف كالسين ينطق شيئاً .

أتعرفها فيما تقدم خالياً لعيرٍ إذا ما صاح أو جمل رغا^(١)
فيا لك حرفاً زدت فضلاً بنقصه فأصبحت منه بالكمال مسوغاً
بقيت ولا تعدم بقاء مرفهاً وعشت ولا تعدم معاشاً مرفغاً^(٢)

ولما نقل عز الدولة بختيار ابنته المزوجة بعدة الدولة أبي تغلب إليه
بالموصل - كتب عنه أبو إسحاق في معناها فصلاً من كتاب استحسنة الناس
وتحفظوه وأقرله بالبراعة والبلاغة كل بليغ ، وهو :

قد توجه أبو النجم بدر الحرمي ، وهو الأمين على ما يلحظه ، الوفي بما
يحفظه ، نحوك يا سيدي ومولاي - أدام الله عزك ! - بالوديعة ، وإنما نقلت من
وطن إلى سكن ، ومن مغرس إلى معرس . ومن مأوى بر وانعطاف ، إلى مثوى
كرامة وإطاف . ومن منبت درت لها نعمائها ، إلى منشأ تجود عليها سماؤها . وهي
بضعة مني انفصلت إليك ، وثمره من جنى قلبي حصلت لديك . وما بان عني من
وصلت حبله بحبلك ، وتخيرت له بارع فضلك . وبوأتها المنزل الرحب من جميل
خلائقك ، وأسكنته الكنف الفسيح من كرم شيمك وطرائقك . ولا ضياع على ما
تضمه أماتك ، ويشتمل عليه حفظك ورعايتك . وأرجو أن يقرن الله موردها
بالطائر السعيد . والأمر الرشيد . والعز الزائد ، والمجد الصاعد . والنماء في
الائتلاف ، والعصمة من الفرقة بالخلاف . حتى تكون عوائد البركة بأحوالها
منوطة ، ومن عوادي الأيام وغيرها محوطة .

وإنما ألم أبو إسحاق في تسميته لها بالوديعة بالفصل الذي كتبه جعفر ابن
محمد بن ثوبان عن المعتضد إلى ابن طولون في ذكر ابنته قطر الندى المنقولة إليه ،
وهو :

وأما الوديعة - أعزك الله ! - فهي بمنزلة ما انتقل من شمالك إلى يمينك ،

(١) رغا : أزيد وهاج .

(٢) الرفاغية : السعة في العيش .

عناية بها ، وحياطة لها ، ورعاية لمولاتك فيها .

فلما عرضه على الوزير عبد الله بن سليمان ارتضاه جداً واستحسنه ، وقال له : تسميتك إياها بالوديعه نصف البلاغه ، ووقع له بالزيادة في إقطاعه ومشاهرتة .

ولما قرىء الفصل من إنشاء الصابي بحضرة أبي تغلب اعتمد في الجواب عنه على أبي الفرج البيهقي ، وكتب كتاباً يشتمل على هذا الفصل الذي هو الجواب عن الفصل المذكور ، وهو :

وأما أبو النجم بدر الحرمي - أيده الله ! - المستوجب للارتضاء والإحمام ، الموفى بمناصحته على كل مراد ، فقد أدى الأمانة إلى متحملها ، وسلم الذخيرة الجليلة إلى متقبلها ، فحلت من محل العز في وطنها ، وأوت من حمى السؤدد إلى مستقرها وسكنها : متنقلة من عطن الفضل والكمال ، إلى كنف السعادة والإقبال . وصادرة عن أنبل ولادة ونسب ، إلى أشرف اتصال وأنبه سبب ، وفي اليسير من لوازم فروضها وواجبات حقوقها ، ما صان رعايتي عن الوصاة بها ، ونزه وفائي عن الاستزادة لها ، وكيف يوصي الناظر بنوره ؟ أم كيف يحض القلب على حفظ سروره ، وإن سببا قرن بإحمام أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه ! - ذكرى ، ووصل بحبل السيد العم ركن الدولة - أدام الله تأييده ! - حبلي . ومنع عز الدولة - أيده الله ! - مكنون ودي ، واختص الأخوة من ولد أبيه السعيد رضي الله عنه وأيدهم بوثيق عهدي ، إلى أن صرت بفضل الجماعة قائلاً ، ودونها بالنية والفعل مناضلاً ، وبمحاسنها المجموعة إلى ناطقاً ، وبمالي عندها من المساهمة والمشاركة واثقاً - لحقيق بالتناهي في الأعظام ، وخليق بالمبالغة في الإيجاب والإكرام ، والله يعين على ما اعتقده من ذلك وأخفيه . ويوفيني لما يوفني على المحبة والبغية فيه . بمنه وقدرته ، وحوله وقوته .

* * *

هذا ما أخرج من شعر أبي الفرج الذي يتغنى به

[فمته قوله] [من الوافر] :

لقد عزّ العزاء عليّ لما تصدّى لي لتقتلني الصدودُ
إذا بُعدَ الحبيبَ فكلُّ شيءٍ من الدنيا ولذتها بعيدُ

وقوله [من البسيط] :

يا سادتي ، هذه نفسي تودّعكمُ إذ كان لا الصبر يسليها ولا الجزعُ^(١)
قد كنت أطمع في روح الحياة لها فالآن إذ بتّم لم يبقَ لي طمعُ
لا عذبَ الله روعي بالبقاء فما أظنني بعدكم بالعيش أنتفعُ

وقوله [من الوافر] :

حصلت من الهوى بك في محلِّ يساوي بين قربك والفرقِ
فلو واصلت ما نقص اشتياقي كما لو بنت ما زاد اشتياقي

وقوله [من البسيط] :

يا مسقمي بجفونٍ سقمها سببُ إلى مواصلة الأقسام في جسدي
وحقّ جفنيك لا استعفيت من كمدي دهري ، ولو متُّ من همٍّ ومن كمدٍ^(٢)
عذرت من ظلِّ في حبّيك يحسدني لأنّه فيك معذورٌ على جسدي

وقوله [من البسيط] :

يا من تشابه منه الخلقُ والخلقُ فما تسافر إلاّ نحوه الحدقُ
توريدُ دمعيّ من خديك مختلسُ وسقم جسمي من جفنيك مسترقُ^(٣)

(١) الجزع : الخوف والياس .

(٢) استعفيت : طلبت الخلاص والكمد : الحزن الشديد .

(٣) مختلس : مأخوذ ومسروق .

لم يبق لي رمتقُ أشكو هواك به
وقوله [من الكامل] :

ومهفهفٍ لَمَّا اكتست وجنَّتهُ
لَمَّا انتصرتُ على عظيم جفائه
كملت محاسن وجهه فكأنما اقد
وإذا ألحَّ القلبُ في هجرانه
وقوله [من الكامل] :

ما ضرَّ من بعد السرور ببعده
يبدو فأطرق هيبَةً ومخافةً
قد صرت أعجب أن علةً طرفه
وقوله [من الكامل] :

يا طيف من أنا عبده من أين لي
ينأى فتدنيه إليَّ على النوى
ما كان أحسن حالتي لو أن ما
وقوله [من البسيط] :

علمتُ طيفك اسعافي فما هجعتُ
فكيف أشكر من إن نمت واصلني

وإنما يتشكى من به رمتق^(١)

حلل الملاحه طرّزتُ بعداده
بالثلب كان القلب من أنصاره
تبس الهلال النور من أنواره
قال الهوى : لا بدّ منه فداره^(٢)

لو كان يجمل في صيانة عبده^(٣)
من أن يؤثّر ناظري في خده
ليست تؤثّر علةً في وده

شكرٌ يقوم ببعض ما توليه
فأراه كالتحقيق في التشبيه
أوتيت من كرمٍ وعطفٍ فيه

عيناى إلاّ وطيفٌ منك يطرفني^(٤)
بالطيف منه وإن لم أغف قاطني

(١) الرمتق : بقية الروح.

(٢) فداره : من المدارة ، أي التمهّل والتأني.

(٣) يجمل : يحسن.

(٤) يطرفني : يسكن طرفي ولا يفارقه فيمنعه النوم.

وقوله [من الوافر] :

خيالك منك أعرفُ بالغرامِ
فلو يستطيع حينَ حضرتِ نومي
وأرأفُ بالمحبِّ المستهامِ
عليّ لزار في غير المنامِ^(١)

وقوله [من البسيط] :

قد كان أحسن شيءٍ بعد بعدهمِ
هم بالوصالِ أعادوها إليك ، فلمْ
ذخرتها بعدهمُ للصبرِ والجلدِ؟
أظهرت ما ليس موجوداً لدى أحدٍ
وعدت بالدمعِ تعليلاً كأنك قد

وقوله [من البسيط] :

يا من إذا خفت فيه العذلِ آمِنِي
ما يستحقُّ زمانِي - وهو سامحني
جميل إنصافه من عدلِ عدائي
بمثل ودك - أن أشكوه في حالِ
تسعى لِياليه حتى نلت آمالي
رآك غاية آمالي ، فما برحتُ

وقوله [من الكامل] :

أوليس من إحدى العجائب أني
يا من يحاكي البدر عند تمامهِ
فارقتَه فحييت بعد فراقه
أرحم فتىً يحكيه عند محاقهِ^(٢)

وقوله [من البسيط] :

جاورت بالحبِّ قلباً لم تذرْ فكري
مفرقاً بين همٍّ غير مفترقِ
للحبِّ مستمتعاً فيه ولم تدعِ^(٣)
عنه ، وبين سلوٍّ غير مجتمعِ

* * *

(١) - خطرت : منعت .

(٢) - يحاكي : يماثل ، والمحاق : القمر في السرار آخر الشهر .

(٣) - جاورت : من الجوار ، وهو القرب والجيرة ولم تذر : لم تترك .

وهذه غرر من شعره في الغزل والخمر

أنشدت له في رمد المحبوب ، وهو أحسن ما سمعت في معناه [من الطويل] :

بنفسي ما يشكوه من راح طرفه
أراقت دمي ظلماً محاسن وجهه
غدت عينه كالخدّ حتّى كأنما
لئن أصبحت رمداً مقلّة مالكي
ونرجسه ممّا دهى حسنه وردّ
فأضحى وفي عينيه آثاره تبدو
سقى عينه من ماء توريده الخدّ
لقد طالما استشفت بها مقلّ رمد^(١)

وله في الفصد [من الخفيف] :

بأبي الغائب الذي لم يغبْ ع
باشرته كفّ الطيب ، فلو ند
فعلت في ذراعه طبّة المب
فأسالت دمّاً كأنّ جفوني
طاب جدّاً فلو به سمح الده
نبي فأشكو إليه همّ المغيب
ت الأمانى قبّلت كفّ الطيب
ضع أفعال لحظه بالقلوب^(٢)
عصفرته بدمعها المسكوب^(٣)
ر لأمسي عطري وأصبح طيبي

وله في غلام خرج غازياً [من البسيط] :

يا غازياً أتت الأحزان غازيةً
إن بارزتكم كماء الروم فارمهم
إلى فؤادي والأحشاء حين غزا
بسهم عينيك تقتل كل من برزا

وله في وصف معصرة [من مجزوء الوافر] :

ومعصرة أنخت بها
فخلت قزازها بالرأ
وقرن الشمس لم يغب
ح بعض معادن الذهب

(١) المقلّة : العين ، والرمد : أذى يصيبها .

(٢) طبّة المبضع : أي حده القاطع .

(٣) العصفر : نبات أصفر يصغ به .

وقد ذرفت لفقـد الكر م فيها أعين العنب
 وجاش عباب واديها بمنهل^(١) ومنسكب
 وياقوت العصير بها يلاعب لؤلؤ الحب^(٢)
 فيا عجباً لعاصرها وما يغني به عجيبي !
 وكيف يعيش وهو يخوض في بحر من اللهب؟

قوله في الخمر والقـدح [من المنسرح] :

بالقفص للقفص منزل كتبُ ما للتصابي في غيره أربُ
 جادت به ديمة السّرور، وحلّ اللهب فيه ، وعرس الطرب^(٣)
 دارت نجوم السّرور في فلكٍ منه له من فتوتَي قطب^(٤)
 من كلّ جسمٍ كأنه عرضُ يكاد لطفاً باللحظ يتهب
 نورٌ وإن يغبّ ، ووهمٌ وإن صحّ ، وماءٌ لو كان ينسكب
 لا عيب فيه سوى إذاعته الـ سرّ الذي في حشاه يحتجب
 كأنما صاغه التّفاق فما يخلص صدقٌ منه ولا كذبُ
 فهو إلى لون ما يجاوره على اختلاف الطّباع ينتسب
 إذا ادعاه اللّجين أكذبه بالراح في صبغ جسمه الذهب
 جلست عروس المدام حاليّة فيه علينا الأوتار والنخب^(٥)
 فالراح بدرٌ ، والجام هالته والأفق كفّي ، والأنجم الحب^(٥)
 حال به الماء عن طبيعته بالمزج حتّى خلناه يلتهبُ

(١) الحب : فقاغ يعلو الماء والخمر وغيرهما .

(٢) الديمة : السحابة الممطرة ، وعرس : أقام .

(٣) القطب : نجم يهتدي به .

(٤) النخب : أي نخب الشراب .

(٥) الجام : إناء الخمر .

خمر علينا الأقداح لا العلب
أوطان من بالسرور ويعترب
من بعد بغداد سلوتي حلب

ونحن في مجلسٍ تدير به الـ
ينسى بأوطانه الحنين إلى الـ
لولا حفاظي المشهور ما أمنتُ

وله [من الخفيف]:

صباحٌ مقارنٌ لمساءٍ
لم تمتع فيه بطول البقاء
لم ناراً تذكي بقرع الماء^(١)
بُفلاحت كالشمس في الظلماء^(٢)
ه لأننا عن نوره في غناء
كشعاعٍ ممازجٍ لهواء
يتلاشى باللحظ والإيماء
ر حتى ترفض مثل الهباء^(٣)
تتهادي كواكبُ الجوازاءِ
وكان المدير في الحلة البيضاء منها في حلة صفراءِ
حبذا العيش حيث تسري الأماني بين جد الغنا وهزل الغناء
حيث سكر الشباب أفضى على قلبي وأمضى من نشوة الصهباء

ومدام كأنها في حشا الدن
فهي نفس لها من الطين جسم
ما توهمت قبلها أن في العا
بزلت والضحي عن الليل محجو
وتلاه الفجر المنير فعنا
مازجت جوهر الزجاج فجاءت
وتحلت من الحباب بدر
بينما تسكتسي به زرد البلو
فكأننا بين الكؤوس بدور
وكان المدير في الحلة البيضاء منها في حلة صفراءِ
حبذا العيش حيث تسري الأماني بين جد الغنا وهزل الغناء
حيث سكر الشباب أفضى على قلبي وأمضى من نشوة الصهباء

وله [وهو] من أبلغ ما قيل في عتق الخمر [من الكامل]:

وعريقة الأنساب والشيم موجودة والخلق في العدم
قدمت فلا تعزى إلى حدثٍ إلا إذا عزيت إلى الهرم^(٤)

(١) تذكي : تسعر.

(٢) بزلت : شقت.

(٣) ترفض : تزول.

(٤) تعزى : تنسب ، والحدث : الجديد .

هي آدمُ الكرم المولدُ في الدنيا وحوّاً الخمر في القدم
 كملت فضائلها وقصرَ عن أوصافها الإغراق في الكلم
 ظهرت ونور الشمس في فلكِ من قبل خلق الصبح والظلم
 فانهلّ جوهرها بمنسكبٍ لم يعتصرُ بيدٍ ولا قدم
 واشتق معنى اسم السُّلاف لها من كونها في سالف الأمم^(١)
 فكأنّها في صفوها خلقي وكأنّها في عتقها كرمي

وله [من الخفيف]:

غادني بالصبوح قبل الصباح واجرّ في حلبة الصبَا والمراح
 واغتتم زائر الغرام فقد بشّ ر بالغيث من نسيم الرياح
 عاطنيها كالجلنار إذا ما كلّلت من حبابها بالأقاح^(٢)
 في اختصاص التفاح بالطيب والخمر رة لا في كثافة التفاح
 غير نكرٍ أن تستمدّ شعاع ال شمس منها كواكب الأقداح
 فهي أصل الأنوار لطفاً كما كا ساتها عنصر الزلال القراح^(٣)
 خدمتها الأجسام بالطبع لما شاهدت قربها من الأرواح
 فتداركُ بها حشاشة أفرا حي وحركُ بها سكون ارتياحي
 بين وردين من بنانٍ وخذٍ وشرايين من رضابٍ وراح^(٤)
 ونشيدٍ مستنبطٍ من حديثٍ وغناءٍ يُغني عن الأقتراح
 فالذُّ الحياة ما خلط العا قل فيه فساده بصلاح

(١) السلاف : من اسماء الخمر ، وسالف الأمم : قديمها .

(٢) كلّلت : أي علاوجها حباب الخمر والأقاح والجلنار : من الورود .

(٣) الزلال القراح : العذب الصافي .

(٤) الرضاب : اللعاب .

وله في وصف شراب في قدح أزرق فيه صور [من المنسرح] :

بجمع شملٍ وضُمّ معتق
من قلقٍ ساطعٍ إلى فلق
كأنها في صفائها خلُقي
لحظ وإن كان غير منخرق
حسناً ولطفاً من زرقة الحدق
مذ أسكرتها السُّقاة لم تفق
فجر وبعد المزاج في الشَّقق
تنقذها شربنا من الغرق
من صبغها في معصفرٍ شرقٍ
بالشمس في قطعةٍ من الأفق

كم منةٍ للظلام في عنقي
وكم صباحٍ للراح أسلمني
فعاطينها بكرأ مشعشةً
في أزرقٍ كالهواء يخرقه الـ
كأنَّ أجزاءه مركبةٌ
ما زلت منه منادماً لعباً
تختال قبل المزاج في أزرق الـ
تغرق في أبحر المدام فيسـ
فلو ترى راحتي وزرقته
لخلت أنَّ الهواء لاطفني

وله من قصيدة [من الكامل] :

ما بين كلوا ذا إلى قطربل
أغنته عن صوت الحيا المتهلّل^(١)
فرعوده حثّ الثقيلِ الأوّلِ
تهمي على كرب النفوس فتنجلي
نحوي بجيدٍ رشاً وعيني مغزل
بممزجٍ من نسجها ومثقل
لو أنه من وقته لم ينصل^(٢)
فتهاقت مثل الشراب المرسل^(٣)

كم للصبابة والصبأ من منزل
جادته من ديم المدام سحائبُ
غيثُ إذاما الرّاح أو مض برقه
لطفت مواقع صوبه فسجاله
راضعت فيه الكأس أهيف ينثني
فأتى وقد نقش الشعاع ثيابه
وكسا البنان بها خضاباً ياله
قدح البزال زانداها من دونها

(١) صوب الحيا المتهلّل : أي المطر المنهمر.

(٢) ينصل : يتغير لونه.

(٣) البزال : أداة يتقب بها الشيء.

وطغت لعجز الماء عن إطفائها
فوردت أروي مورده وشربت أحـ
ونزعت لافي السكر خنت تصونني
وقال في الورد [من الخفيف]:

حتى ظننت الكأس جذوة مصطلي^(١)
لى مشربٍ ونهلت أعذب منهلٍ
بخناً ولا في الصحو شنت تجملي^(٢)

زمنُ الورد أظرف الأزمانِ
أدرك النرجس الجنِّيَّ وفزنا
أشرف الزهر زارفي أشرف الدهـ
وأجلُّ شمس العقار في يد بدر الـ
وأدرها عذراء وانتهز الإمـ
في كؤوسٍ كأنها زهر الخشـ
واختدعها عند البزال بألفا
فهي أولى من العرائس إن زفـ
وقال في النرجس [من السريع]:

وأوان الربيع خير أوانٍ
منهما بالخدود والأجفان
ر فصِّلْ فيه أشرف الإخوان
حسن يخدمك منهما النيران
كان من قبل عائق الإمكان
خاش ضمَّت شقائق النعمان
ظِ المثاني ومطربات الأغاني
ت بعزف النايات والعيان

ونرجسٍ لم يعدُ مبيضةُ الكأس
تخال أقحاف لجينٍ حوتُ
كأنما تهدي التحايا به
يلهي عن الورد إذا مارنا
أحببُ به من زائرٍ راحلٍ
فانتهزِ الفرصة في قربه

ولا أصفره الرّاحا
من أصفر العسجد اقداحاً^(٣)
لطفاً إلى الأرواح أرواحاً
ويخلف المسك إذا فاحا
عوضَ بالأحزان أفراحا
وكنُ إلى اللذات مرتاحا

(١) الجذوة : النار أو قيسٌ منها.

(٢) الخنا : الفحش، والشين : العيب.

(٣) الأقحاف : جمع قحف، وهو إناء من الخشب مثل قحف الرأس كأنه نصف قدح واللجين : الفضة
والمسجد : الذهب.

وهاتها عذراء لم تفترع في الليل إلا عاد إصباحاً
كأنما كل بنان حوت كاساتها تحمل مصباحا
واجن بالحاظك من وجتي مديرها ورداً وتفاحا

* * *

غرر شعره في سائر الفنون

وله من قصيدة [من الوافر]:

صحبت الدهر في سهلٍ وحزنٍ فلم أر مذ عرفت محلّ نفسي
ولم تتضمّن الدنيا لحظي حملت على السوابق ثقل همّي
وشمت بوارق الآمال دهرأ ولم أر كالجياذ أصح ودأ
نكلّفها عزائمنا فتكفي وهبت لمثل قطع الليل منها
وكانت بحيث ظنّ من اعتزامٍ وثالثنا ابن جدّ لا يرى أن
حجبت لجنه الأبصار عنه سقيت نداي ما أسنى محلي
رسا في تربة العلياء أصلي

وجرّبت الأمور وجرّبتني^(١)
بلوغ غنى يساوي حمل من^(٢)
منال مسرّة إلا بحزن
وشاهدت العواقب صفو ذهني
فلم أظفر على ظمأ بمزن^(٣)
إذا عدل الودود إلى التضني
ونستدني الحظوظ بها فتدني
أغرّ كمثل ضوء الصبح مني
وكان من المضاء بحيث ظني
يصاحب في تصرفه ابن وهن^(٤)
ومن لي أن يكون الجفن جفني
وأرفع همّي وأعزّ ركني
وأينع في بروج العزّ غصني

(١) الحزن : المصاعب.

(٢) المنّ : ذكر التفضل في كل مناسبة.

(٣) شمت : نظرت.

(٤) ابن وهن : ابن ضعف.

وليس عليّ غير الجد فيما
فإن أحرم فلم أحرم لعجز
سعت له لأستغنى وأغني
وإن أبلغ فنفسى بلغتني
وله من أخرى [من المنسرح] :

ما الذلّ إلاّ تحمل المنن
إذا اقتصرنا على اليسير فما الـ
فكن عزيزاً إن شئت أو فهن
علة في عتبنا على الزمن
وله من أخرى [من البسيط] :

جزيت أفضل ما يجزاه ذو كرم
حماء وهو غلامٌ غير مكتهل
أخلافه في دياجي دهره شعل
عن المطامع فضلٌ فيه مكتهل
وله من أخرى [من الوافر] :

أكلٌ وميضٌ بارقةٌ كذوبٌ
أبى لي أن أقول الهجر قدرٌ
أما في الدهر شيءٌ لا يريبُ؟
بعيد أن تجاور العيوب
وله من أخرى في سعد الدولة بن سيف الدولة [من المنسرح] :

لا غيث نعماء في الورى خلب الـ
جاد إلى أن لم يبق نائله
برق ولا ورد جوده وشل^(١)
مالأً، ولم يبق للورى أمل
وله [من الكامل] :

واليوم من غسق العجاجة ليلة
وعلى الصفاح من الكفاح وصدقه
والكرُّ يخرق سحفها الممدودا^(٢)
روعُ أحال بياضها توريدا^(٣)

(١) الوشل : الماء القليل .

(٢) السحف : السائر، وشدة الظلام .

(٣) الصفاح : السيوف .

والضرب يقدح في التّريك وقودا
والخوف ينشد صبرها المفقودا
ليلاً ، ومنخرق الفضاء حديدا
في طاعة الهرب الجياد القودا^(١)
وغدا اليقين على الظنون شهيدا
عنه تناجي النصر والتأييدا

وله من أخرى [من البسيط] :

للخطب إن ضاقت الأخلاق والحيل
في صورة الموت إلاّ أنّه رجل
ظهر وهادي جوادٍ ما له كفل^(٢)

من كلّ متسع الأخلاق مبتسم
يسعى به البرق إلاّ أنّه فرس
يلقى الرماح بصدرٍ منه ليس له

وله من أخرى [من الكامل] :

بعجاجةٍ ملء الفضاء هام^(٣)
من عثيرٍ ونجومه من لام^(٤)
يلقى الضحى من نعهه بظلام

في سالبٍ للشمس ثوب ضيائها
كالليل إلاّ أنّ ثوب ظلامه
يلقى الدجى من بيضه بضحي كما

وله من أخرى [من الكامل] :

شعثاً ولولا بأسه لم تنقذ
كالقطر صافح موج بحرٍ مزبد
فيه اعتناق تواصلٍ وتودّد

قاد الجياد إلى الجياد عوابساً
في جحفلٍ كالسيل أو كالليل أو
متوقّداً الجنبات يعتنق القنا

(١) حثها : العمل على إسراعها .

(٢) الكفل : الردف أو المؤخرة .

(٣) اللهام : العظيم من الجيش وغيره .

(٤) العثير : الغبار والتراب واللام : الأشخاص والناس .

مُتَعَجِّرٌ بظبا الصوارم مبرقٌ
 ردّ الظلام على الضحى فاسترجع الـ
 وكأنّما نقشت حوافر خيله
 وكانَ طرف الشمس مطروفٌ وقد
 تحت الغبار وبالصواهرل مرعد^(١)
 إظلام من ليل العجاج الأربد^(٢)
 للناظرين أهلةً في الجلمد
 جعل الغبار له مكان الإئتمد^(٣)

ما أحسن هذا التشبيه وأوقعه ! وكل هذه الأوصاف مالا مزيد عليه حسنا
 وبراعة . وله من أخرى [من المنسرح] :

من كلِّ مِخْتَالَةٍ تنقب بالـ
 تضم أحشائها على أسدٍ
 عثير وجه الضحى من الخجل^(٤)
 تزار في غابةٍ من الأسل^(٥)
 وله من أخرى [من الخفيف] :

في خميس كأنّما السمر والأبـ
 سلب الشمس ضوءها بشموسٍ
 عارضٌ كلّما جلته بروق الـ
 طال غيلٌ حمته أسود^(٦)
 طالعات أفلاكهن حديدٌ
 بيض حثته بالصهيل الرعود
 وله من أخرى [من الطويل] :

وموشيةً بالبيص والزغف والقنا
 بعيدة ما بين الجناحين في السرى
 حجرة الأعصاب بالضمر القب^(٧)
 قريبة ما بين الكمين بالضرب

(١) مُتَعَجِّرٌ : متسلح وتمنطق .

(٢) الأربد : الكالح المتجهم .

(٣) مطروفٌ : لحقه بعض الأذى ، والإئتمد الكحل .

(٤) العثير : الغبار والتراب .

(٥) الأسل : والرماح .

(٦) الخميس : الجيش من خمس فرق ، والغيل : الشجر الملتف .

(٧) الزغف : الدرع الفضفاضة الواسعة والمحكمة الصنع . والغمر : القب الخيل الهزيلة الخصر والبطن .

بثوبٍ تولّى نسجه عثير الترب
 إذا التقيا فيها على قلّة الشرب
 وردت إلينا الصبح في الليل بالشهب
 وتفتّر عن طودي علا تغلب الغلب
 بصيرٌ بأدواء الكريهة والحرب^(١)
 وأنفذ حكماً من غرامٍ على صبّ

من السالبات الشمس ثوب ضيائها
 يعاتب نشوان القنا صادح الظبا
 أعادت علينا الليل بالنقع في الضحى
 تبلّج عن شمسي نزار ويعرب
 موقرةً يقتاد ثني زمامها
 أصح اعتزاماً من خؤونٍ على فلا

وله من أخرى [من المتقارب]:

ء جيشٌ لمن أمّه مهولٌ
 إذا ما تراءى له أوّلٌ
 من الخيل ما تبعث الأرجل
 م زرقك والظلمة القسطل^(٢)

ويومٍ أغصّ اتساع الفضا
 يخيل أن ماله آخرٌ
 ويغصب شمس الضحى نورها
 دجى أنت بديرٌ به والنجو

وله من أخرى [من البسيط]:

عن سراه إذ سال فيها سيله العرمُ
 يخفى عليه ولا فيجّ ولا علمٌ
 كأنّها فيه سرٌّ ليس ينكتُمُ
 والموت يسفر أحياناً ويلتئم
 وكتاب النصر عنه السيف لا القلم
 إذا سرى صاحبتّه في السرى الأجم^(٣)

في عارضٍ ضاقت الأرض الفسيحة
 كأنّه الليل لا قربٌ ولا بعدٌ
 يهدي الغبار إليه الشمس كاسفةً
 شقّ الغضنفر آجام الرماح به
 فراسل الدهر في الأعداء عزمته
 وما سمعنا بليثٍ قبل رؤيته

(١) بصيرٌ: خبير، والكريهة: الحرب.

(٢) الزرق: كناية عن السيوف، والقسطل: الغبار.

(٣) السرى: المسير ليلاً، والأجم: جمع أجمة، وهي غابة الأسد.

الباذل العرف والأنواء باخلة
حيث الدجى النقع، والفجر الصوارم،
والمانع الجار والأعمار تخترم^(١)
والأسد الفوارس، والخطية الأجم^(٢)

وله من أخرى [من الطويل]:

وكلّ بعيدٍ قربَ الحين نحوه
تباشر أقطار البلاد كأنها
لخفتها فوق السروج قلوب
تماشي بفتيانٍ كأن جسمهم^(٣)

وله من أخرى [من الطويل]:

أتاهم بالحاظ الجياد ولم تكن
من اللاء يهجرن المياه لدى السرى
ليناى عليها المنزل المتباعدُ
مرنٌ على لدغ القنا فكأنما
ويعتضن شمّ الجوِّ والجوراكُدُ
نسجن ملاء النقع ثم حرقه
عليهنّ من نسج الغبار غلائلُ
عليهنّ من نسج الغبار غلائلُ
رقاقٌ ومن نضح الدماء قلائد^(٤)

وله من قصيدة في وصف فرس [من الكامل]:

إن لاح قلت أدميةً أم هيكلُ
تتخاذل الأحاظ في إدراكه
أو عنّ قلت أسابحُ أم أجدلُ^(٥)
فكانه في اللطف فهمٌ ثاقبُ
ويجار فيه الناظر المتأملُ
وكانه في الحسن حظٌّ مقبلُ

(١) تخترم : تقطع .

(٢) الخطية : الرماح .

(٣) السلاهب : الطويل من الخيل ، والجرد : القصيرة الشعر .

(٤) لدغ القنا : آثارٌ جراحها والمجاسد : جمع مجسد ، وهو الثوب الذي يلامس الجسد .

(٥) نضح الدماء : فيضها .

(٦) السابح : الفرس ، والأجدل : الصقر .

وله من قصيدة يشكر بها بعض إخوانه وقد أهدى إليه بغلة [من البسيط] :

قد جاءت البغلة السفواء يجنب من
عريقةً ناسبت أخوالها فلها
ملء الحزام وملء اللبد مجفرةً
أهدى لها الروض من أوصافه شيةً
ليست بأول حملانٍ شريت به
كم قد تقدمها من سابح بيدي
وله في وصف بركة [من المتقارب] :

وقوراء كالفلك المستدير
حبتها البحار بأمواجها
كأنّ تدفّق تيارها
وجودك أغزر من جريها
تروق العيون بالألائها^(١)
وسحب السماء بأنوائها
يداك تفيض بنعمائها
وخلقك أعذب من مائها

* * *

(١) السفواء : السريعة التي تسفّ الغبار خلفها كما تسفّ الريح الرمال والغبار.
(٢) الجفرة : جوف الصدر ، ومن الشيء معظمه .
(٣) القوراء : المحوّقة .

الباب الثامن

٢٠ - في ذكر الخليع الشامي ، والوآء الدمشقي وأبي طالب الرقي

أما الخليع فكنته أبو عبد الله ، وقد ذهب عني اسمه وكان شاعراً مفلحاً قد أدرك زمان البحري وبقي إلى أيام سيف الدولة فانخرط في سلك شعرائه .

فحدثني أبو بكر الخوارزمي قال : رأيت الخليع بحلب شيخاً قد أخذت منه السن العالية ، وثقلت عليه الحركة ، فمما أنشدنيه لنفسه قوله [من الكامل] :

جيراننا جار الزمان عليهمُ إذا جار حكمهم على الجيران
ما الشأن ويحك في فراق فريقهمُ الشأن ويحك في جنون جناني
خذ يا غلام عنان طرفك فائنه عني ، فقد ملك الشمول عناني^(١)
سكران سكر هوىً وسكر مدامة أتى يفيق فتىً به سكران؟!

وقوله وهو مما يتغنى به [من المتقارب] :

بأيّ المدامين لم أسكر بكأسك أم طرفك الأحور^(٢)
سقيت من الشمس مشمولاً على غرة القمر الأزهر
إذا الماء خالطها جنتحت أكاليل درّ على جوهر

(١) اثنه : اطوه ، والشمول : الخمر .

(٢) الطرف : النظر : والأحور ، الشديد البياض والشديد السواد .

كَانَ عَلَى الشَّرْبِ مِنْ لَوْنِهَا ثِيَاباً مِنَ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ
وقوله لسيف الدولة [من الكامل] :

أنا شاعرٌ ، أنا شاكِرٌ ، أنا ناشِرٌ ، أنا راجِلٌ ، أنا جائِعٌ ، أنا عاري
هي ستّةٌ فكن الضمين لنصفها أكن الضمين لنصفها بغير
والنار عندي كالسؤال فهل ترى أن لا تكلفني دخول النارِ
وأشدني غيره للخليع ، وأنا أشك فيه [من السريع] :

لولم تحل ما سميت حالا وكلُّ ما حال فقد زالا
انظر إلى الظل إذا ما انتهى يأخذ في النقص إذا طالا

* * *

٢١ - أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني الدمشقي الملقب بالوأواء

من حسنات الشام ، وصاغة الكلام ، ومن عجيب شأنه ما أخبرني به أبو بكر الخوارزمي قال : كان الوأواء منادياً في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفوكه ، وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه ، ووقع فيه ما يروق ، ويشوق ويفوق ، حتى يعلو العيوق^(١) . ثم أخبرني أبو الحسن المصيصي بما يصدقه ، وأنشدني لمعاً يسيرة من شعره ، وذكر أنه سمعها من إنشاده . وأول من حمل ديوانه إلى نيسابور أبو نصر سهل بن المرزبان ، فإنه استصحبه من بغداد في جملة ما حصله من اللطائف والبدائع التي عنى بها ، وأنفق الرغائب عليها ، وأتحفني بذلك في دفتر صغير الجرم ، خفيف الحجم ، ثم ألحق به ما استملاه من القوال المعروف بعين الزمان . وهو غير ثقة في الرواية والحكاية ، وكنت تأنقت في إخراج ما يفتقر الأديب

(١) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا ولا يتقدمها .

إلى فقره ، ولا يستغنى الشاعر عن غرره . من شعر الوأواء في النسخة الأولى من هذا الكتاب ، ولم أزد في هذه المقررة كثير زيادة .

وقرأت في بعض الكتب عن ابن حمدون قال : كان الفتح بن خاقان يأنس بي ، ويطلعني على الخاص من سره ، فقال لي مرة : أشعرت يا أبا عبد الله أني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين فلما دخلت منزلي استقبلتني فلانة (يعني جارية له) فلم أتمالك أن قبلتها فوجدت فيما بين شفيتها هواء لو رقد المخمور فيه لصحا ، فكان هذا ما يستحسن ويستظرف من كلام الفتح وكان الوأواء قد سمع ذلك فألم به ونظمه في قوله [من الطويل] :

سقى الله ليلاً طاب إذ زار طيفه فأفئته حتى الصبح عناقا
بطيب نسيم منه يستجلب الكرا ولو رقد المخمور فيه أفاقا
تملكني لما تملكت مهجتي وفارقني لما أمنت فراقا

ومما أنشدنيه كل من الخوارزمي والمصيبي له ، ووجدته في ديوان شعره والبيت الرابع منه نهاية في الملاحاة [من الوافر] :

أتاني زائراً من كان ييدي لي الهجر الطويل ولا يزور
فقال الناس لما أبصروه : ليهنك ! زارك البدر المنير
فقلت لهم ودمع العين يجري على خدي له درٌ نثير :
متى أرعى بروض الحسن منه وعيني قد تضمّنها غديرٌ ؟
ولو نصبت رحي بإزاء دمعي لكانت من تحدّره تدور^(١)

وأقدر أنه ألم في البيت الرابع بقول ابن المعتز [من الطويل] :

وإن تك في خديك للحسن روضةً فإن على خدي غديراً من الدمع

(١) الرّحى : الطاحون .

ومن ملح قوله في وصف الدمع [من الخفيف] :

كلُّ دمعٍ فبالتَّكَلَّفِ يجري غير دمع المحبِّ والمهجورِ
ورَّد البين دمع عيني فأضحى كعقيقٍ أذيب في بلور^(١)

ومن ملحه في الخمر [من المنسرح] :

عذَّبْتُهَا بالمزاج فابتسمت عن بردٍ نابتٍ على لهبٍ
كأن أيدي المزاج قد سبكتُ في كأسها فضةً على ذهبٍ

وقوله [من الكامل] :

فامزجُ بمائك نار كأسك واسقني فلقد مزجت مدامعي بدمائي
واشربُ غفى زهر الرياض مدامةً تنفي الهموم بعاجل السراءِ
لطفت فصارت من لطيف محلِّها تجري كمجرى الروح في الأعضاءِ
وكانُ مخنقةً عليها جوهرُ ما بين نارٍ أذكيت وهواءِ^(٢)
وكانها وكانَ حامل كأسها إذ قام يجلوها على الندماءِ
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها بدر الدجى بكواكب الجزاءِ

وقوله [من الطويل] :

يطوف براحٍ ريحها ومذاقها نسيم الصِّبَا والعيش في زمن الصِّبَا

ومن ملحه في الخط [من الطويل] :

وشمسٍ بأعلاه ولبلين أسبلا بخديهِ إلا أنها ليس تغربُ^(٣)
ولما حوى نصف الدجى نصف خدِّهِ تحيرٌ حتى ما درى أين يذهبُ

(١) البين : الفراق .

(٢) المخنقة : سلك ينظم به الجوهر .

(٣) أسبلا : أرخيا ، وأسبل الستر : أرخاه .

وقوله [من مخلع البسيط] :

زار بليلٍ على صباح
حتى أتت ألسن الليالي
فيا لها زورةٌ أخذنا
على قضيبٍ على كتيب^(١)
معتذراتٍ من الذنوبِ
بها أماناً من الخطوبِ

وقوله [من الكامل] :

بدرٌ تقنّع بالظلا
تدعو محاسنه القلو
فعلت به ريح الصبا
عقلت ركائب حسنه
وتلطمت وجناتنا
وكأتما تشوينا
يا بدر بالبدر الذي
وبعقرب الصدغ الذي
ترعى وما استرعيتها
هب لي مزارك في الكرا
م على قضيبٍ في كتيب
ب إلى مشافهة الذنوبِ
ما ليس تفعل بالقضيبِ
بعقولنا عند المغيب^(٢)
بيد الدموع من النحيبِ
تشويش ألقاظ المريبِ
أطلعت من فلك الجيوبِ
زرقت من حسنٍ وطيب^(٣)
ثمر القلوب بلا ديب^(٤)
كما أراك بلا رقيب

ومن بدائع تشبيهاته قوله [من البسيط] :

قالت وقد فتكت فينا لواحظها
وأسبلت لؤلؤاً من نرجسٍ ، وسقت
كم ذا ؟ أما لقتيل الحب من قودٍ ؟^(٥)
ورداً ، وعضت على العناب بالبرد^(٦)

(١) الكتيب : التلُّ من الرمل

(٢) عقلت : من العقال .

(٣) زرفن صدنميه : أدارهما وجعلهما كالحلقة .

(٤) الديب : مشي النمال .

(٥) القود : القصاص .

(٦) العناب : يقصد بها الشفاه ، والبرد يقصد بها الأسنان .

هذا البيت مما أحسن فيه ، وضمنه خمس تشبيهات بغير أداة التشبيه :

إنسانةً لو بدت للشمس ما طلعتُ
من بعد رؤيتها يوماً على أحدِ
كأنما بين غاباتِ الجفون لها
أسد الحمام على طرقِ الهوى رصدي
وقوله [من المنسرح] :

قد سترت وجهها عن النظر
بساعدٍ حلَّ عقد مصطبري
كأنه والعيون ترمقه
عمود نورٍ في دارة القمرِ

وقوله [من الخفيف] :

جعلت تشتكي الفراق وفي أج
فكان الكحل السحيق مع الدم
فانها عقد لؤلؤٍ منثورٍ
ع على خدّها بقايا سطورٍ

وقوله في قوس قزح مع البروق والشمس [من البسيط] :

سقياً ليوم ترى قوس السماء به
والشمس مسفرةً والبرق خلاسُ
كأنها قوسُ رامٍ والبروق له
رشق السهام وعين الشمس برجاس^(١)

وقوله وهو مما يتغنى به [من الكامل] :

لا تنكري ما بي فليس بمنكرٍ
يا هذه روعي إليك هديةً
وتأملي غير الزمان فإنها
فتجملي في أخذها لي واعذري
ولرب ليلٍ ضلَّ عنه صباحه
تحكي تغيرُ عهدك المتغيرِ
والبدر أول ما بدا مثلثماً
وكانه بك خطرةً المتذكر^(٢)
عند التفرُّق دهشة المتحيرِ
بيدي الضياء لنا بخدِّ مسفرِ

(١) البرجاس : غرض ينصب في الهواء على رأس رمح أو نحو.

(٢) ضلَّ : لم يهتد ، والخطرة : الفكرة.

فكأنما هو خوذةٌ من فضةٍ قد ركبّت في هامةٍ من عنبرٍ
وقوله في غلامٍ عليلٍ [من مخلع البسيط] :

إبيضٌ واصفرٌ لاعتلالٍ فصار كالنرجس المضعفُ
كأنّ نسرينٍ وجنتيه بشعرٍ أصدغه مغلفُ
يرشح منه الجبين ماءً كأنه لؤلؤٌ مصنفُ

وقوله [من الخفيف] :

ليت ليلى أمدٌ من نفس العا شق طولاً إذ زار فيه الخليلُ
ما اعتنقنا حتى افترقنا وخفأً ن الدجى عن قميصه محلول^(١)
وكانّ الهلال تحت الثريا ملكٌ فوق رأسه إكليلُ

وقوله [من الخفيف] :

وغدافُ الظلام في شرك الفج ر شريكى في قبضة الارتهان^(٢)
وكانّ النجوم أحداق رومٍ ركبّت في محاجر السودانِ

وقوله من أبيات [من المنسرح] :

كم حثّ شربي بكأسه قمرٌ بقدّ غصنٍ وخصرٍ زنبورِ

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

يقمن لنا برق الثغور أدلةً إذا ما ضللنا في ظلام الذوائب^(٣)

(١) الخفان : الجوانب .

(٢) الغداف الغراب الأسود ، وهو لا يبيض أصلاً .

(٣) الذوائب : خصلات الشعر في مقدّمة الرأس .

ومما يتغنى به من شعره [من مجزوء الكامل] :

يا من سقام جفونه لسقام عاشقه طيبُ
حزت المودة فاستوى عندي حضورك والمغيبُ
كن كيف شئت من البعا د فانت من قلبي قريبُ

وقوله [من البسيط] :

أستودع الله في بغداد لي قمرأ
ودعته وبودي أن تودعني
وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى
وكم تشفع في أن لا أفارقه
بالكرخ من فلك الأزرار مطلعهُ
روح الحياة وأني لا أودعهُ
وأدمعي مستهلاتٌ وأدمعهُ
وللضرورة حالٌ لا تشفعهُ

وقوله [من البسيط] :

بالله ربكما عوجا على سكني
وعرضاً بي وقولا في كلامكما :
فإن تبسم قولاً عن ملاطفةٍ
وإن بدا لكما من سيدي غضبُ
وعاتباه لعل العتب يعطفهُ
ما بال عبدك بالهجران تتلفهُ ؟
ما ضرَّ لو بوصالٍ منك تسعفهُ
فغالطاه وقولا ليس نعرفهُ

وقوله [من المتقارب] :

زمان الرياض زمانٌ أنيقُ
وقد جمع الوقت حالهما
فيا من هو الفوز لي والمني
أدرُ لحظ عينيك وامرجه في
وعيش الخلاعة عيشٌ رقيقُ
فمن ذا يفيق ومن يستفيقُ
ومن هو بالود مني حقيقُ
مروج الرياض تجدها تشوقُ^(١)
جليلُ المحاسن فيه دقيقُ
تري مزوج الحسن في مفردٍ

(١) امرجه : ارسله ينظر إليها.

فكيف الخلاص وأين الطريق؟
 على نرجسٍ وشقيقٍ شقيق^(١)
 وذا خجلٍ وكذاك العشيقُ
 فهاتيك تبرٌ وهذي عقيقُ
 وتشر منها التي لا تطيقُ
 فبعضٌ نشاوى وبعضٌ مفيقُ
 وقد طرّزت رفرفيها البروقُ
 ومن شرر الراح فيه حريقُ
 كأنّ اصطباحك فيه غبوقُ
 لماء الجداول منها شهيق
 وقد نصرتنا عليها الرحيقُ
 على غير الفجر منها خلوق^(٢)
 وإلاّ فيكفيك لحظٌ وريقُ
 ومن هو بالودّ منّي حقيقُ
 فوجه الحوادث وجهٌ مفيقُ
 فمتسعُ الهمّ فيه يضيقُ

إذا ضاحك الزهر زهر الوجوه
 بهارٌ بهيرٌ به غيرةٌ
 فذا عاشقٌ وجلٌ خائفٌ
 مداهن يحملن ظلّ الندى
 تنظّم أوراقها درّها
 يميل النسيم بأغصانها
 ويوم ستارته غيمة
 جعلنا البختور دخاناً له
 تظلّ به الشمس محجوبةً
 على شجراتٍ رافعات الذيول
 سجدنا لصلبان منثورها
 وقلنا بها ولضوء الصباح
 أدرُ يا غلام كؤوس المدام
 أيا من هو الفوز لي بالمنى
 تغتم بنا غفلة الحادثات
 وحثّ الصبوح لضوء الصباح

وقوله [من البسيط] :

أحلى من الأمن عند الخائف الوجل^(٣)
 فهابه الصبح أن يبدو من الخجل
 فاستلّ بالوصل روعي من يدي أجلي

وزائرٍ راع قلب الناس منظره
 ألقى على الليل ليلاً من ذوائبه
 أراد بالهجر قتلي فاستجرت به

(١) البهار : نبات طيب الرائحة ، والبهير : المنقطع النّفس من شدة التعب .

(٢) الخلق : الطيب .

(٣) راع : أخاف ، والوجل : الخائف .

صارت إمارة أهل العشق من قبلي

وصرت فيه أمير العاشقين فقد

وقوله [من الوافر] :

سوى روح تردّد في خيال
كأنّ الروح منّي في محال

وما أبقى الهوى والشوق منّي
خفيت عن النواذب أن تراني

وقوله [من البسيط] :

ولا انتضى سيفه إلا أراق دما
فربّما جهل المشتاق ما علما
ندمت إذا لم أمت في إثرهم ندما
فازددت كيما يسروا بالضنا سقما^(١)

ما حكّم البين إلا جار محتكماً
يا دارهم خبرينا ما الذي فعلوا
الله يعلم أتى يوم بينهم
قد سرّني أنهم قد سرّهم سقمي

وقوله [من مجزوء الرجز] :

ب القلب منه إذ رمي^(٢)
بأنه ما علما
ينصفني من ظلما؟
جسمي منه سقما
من طرفه تعلّما
مخيراً محكّما
نحراً ووجها وفما

رماه ريماً فأصاب
واحتج في قتلته
يا معشر الناس أما
علم سقم طرفه
فسقم جسمي في الهوى
لو قيل لي ما تشتهي
لقلت أن أئتمه

وقوله [من المتقارب] :

عقول الرجال إذا ما ابتسم

له مضحك برقه خاطف

(١) الضنا : المرض والألم .

(٢) الريم : الظبي الخالص البياض .

أقول له إذ بدا درّه : شهدنا لصانعه بالحكم
أرى الدرّ يثقبه الناظمو ن وما ثقبوا ذا فكيف انتظم !؟
وقوله [من المتقارب] :

تملّكت يا مهجتي مهجتي وأسهرت يا ناظري ناظري
وفيك تعلّمت نظم الكلام فلقبني الناس بالشاعر
وما كان ذا أملّي يا ظلوم ولا خطر الهجر في خاطري
وقوله [من مجزوء الخفيف] :

وحدِيثٍ كأنه أوبئةٌ من مسافر^(١)
كان أحلى من الرقا د لدى طرفي ساهر
بت ألهو بطيبه في رياضٍ زواهر
بين ساقٍ وسامرٍ ومغنٍ وزامرٍ

حدثني أبو بكر الخوارزمي ، قال : حضرت مع الشيخ أبي الحسن النمري
دعوة القاضي أبي بكر الحميري ، فغنى بعض القوالين بهذه الأبيات [من
الكامل] :

قم يا غلام إلى المدام قم داوني منها بجام
قم فاسقني برق الثغو رفقد مضى برق الغمام
بادر إلى صرف الحميّا سابقاً صرف الحمام^(٢)
وتغنّم الغفلات من دهرٍ يجور على الكرام

فاستملحها أبو الحسن ، وسألني عن قائلها ، فأخبرته أنها لأبي الفرج

(١) الأوبة : العودة .

(٢) حرف الحميّا : أي الخمر الخالصة والحمام : الموت .

الوأء ، فاقترح عليّ معارضتها ، فارتجلت أبياتاً ثم أنتمتها قصيدة منها [من
الكامل] :

لما بدت روح الضياء تدبّ في جسم الظلام
وغدت نجوم الليل وهي تفرّ من حلق الأنام
والديك يتلو دائماً هجو النيام على القيام
* ناقضت ما قال المؤذّن بالفعال وبالكلام
هو قال حيّ على الصلاة وقلت حيّ على المدام

ومنها :

لما رأيت الهم يطرق من أتاه بلا سلام
ضيفاً يزور فليس يأكل غير لحمي أو عظامي
والدهر قد حمل السلاح على الكرام عن اللثام
داويته بالراح إن الرّاح ترياق الكرام^(١)

ومن ملح الوأء وطرفه قوله في جرب معشوقه [من مجزوء الرمل] :

يا صروف الدهر حسبي أي ذنبٍ كان ذنبي ؟
طرقنتي نائبات الدهر في إعلال حبي
علة عمّت وخصت في حبيبٍ ومحبٍ
دبّ في كفيه ما من حبه دبّ بقلبي
فهو يشكو حرّ حبّ واشتكائي حرّ حبّ

وقوله في زرقه عين محبوبه [من البسيط] :

يا من هو الماء في تكوين خلقته ومن هو الخمر في أفعال مقلته^(٢)

(١) الترياق : دواء السموم ، والراح : الخمر .

(٢) طلّ صمي : سفكه .

ومن بزرقه سيف اللحظ ظلّ دمي والسيف ما فخره إلا بزرقته
علّمت إنسان عيني أن يعوم فقد جادت سباحته في بحر سمعته^(١)

وللسري الموصلي في مثله [من المتقارب] :

وقالوا بمقلته زرقه تشين فظلّ لها مطرقا
وهل يقطع السيف يوم الوغى إذا لم يكن منته أزرقا؟^(٢)

ومن ملح الوأواء [من البسيط] :

يا ذا الذي ورد خديّه إذا أخذت منه اللواحظ شيئاً رده الخجل
ماذا يضرُّك أن تجني وقد ضمنت أضعاف ما تجتني من لحظها المقل
هذا لعمرك ماعونٌ بخلت به على العيون، وبس الخلة البخل^(٣)

وله [من السريع] :

رثى له ممّا به نابه صبّ غدا صبّاً بأوصابه^(٤)
ميتٌ يرى حياً ولكنه تربته ما بين أثوابه
أيّ حياة لامرئٍ قد بلى بالقرب من فرقة أحبابه؟

وقوله من قصيدة [من الخفيف] :

قد أطلت الصلاة في قبلة الكأ س بتسييح السن العيدان
كم صلاةٍ على فتى مات سكرأ قد أقيمت فينا بغير أذان

* * *

(١) إنسان العين : يؤؤها .

(٢) المتن : الحدّ .

(٣) الماعون : كلُّ ما انتفع به من أشياء البيت والخلة : السجّة والصّفه .

(٤) الأوصاب : الأمراض .

٢٢ - أبو طالب الرقي

لم أجد ذكره إلا عند أبي بكر الخوارزمي ، وسمعتة يقول : إنه أحد المقلين المحسنين ، الذين يطبقون المفصل في أغراضهم ، وينظمون الدر المفصل في معانيهم وألفاظهم ، ثم أشدني له قوله [من الكامل] :

ولقد ذكرتك في الظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق
وكانَ أجرام النجوم لوامعاً دررٌ نثرن على زجاجِ أزرقِ
والفجر فيه كأنه قطر الندى ينهلُ من سحِّ الغمامِ المغدقِ^(١)

وقوله [من الكامل] :

ومعيرُ وجهِ البدر ما في وجههِ والغصن ما في قدّه المتأوّد^(٢)
رمدت جفوني من تورّد خدّه فكحلّتها من عارضيه بإثمِدِ^(٣)

وقوله [من الكامل] :

ديباجُ خدكُ بالعذار مطرّزُ وشبيه وجهك في البرايا معوز
وكأنما إنسانُ عينك شاهرُ سيف اللحاظِ يصيح : من ذا يبرزُ؟
يا من أعزّ بذلتي في حبه مثلي رأيت بذلّةً يتعزّزُ؟

وقوله [من الطويل] :

ومشتملِ ثوبي عفافٍ وفتنةٍ يرى قتل من يهوى إلى النّسك مسلكا
إذا طاف بالأركان طاف به الورى فيقضي ولا يقضون للحجّ منسكا^(٤)

(١) سح الغمام : مطوله .

(٢) المتأوّد : المشتمّي والمتمايل .

(٣) العارض : صفحة الخدّ ، والاثمد : الكحل .

(٤) المنسك : فرض من فروض الحج .

ومن عارضيه ياسميناً ممسكاً^(١)
تجهّز لعام بعد هذا لعلّكا

جنى اللحظ من خديّه ورداً مورداً
فيا رائحاً منه بأوفر فتنة
وقوله [من الرجز] :

أبدع في صنعها ربّ السّما
مبعد يحسبُ أيام الجفا

مصفرة الظاهر بيضاء الحشا
كأنها كفّ محبّ دنفٍ

وقوله [من المنسرح] :

جئت بها في لطيف أسرارٍ
نقطها عاشقٌ بدينار

ووردو في بنان معطار
كأنها وجنة الحبيب وقد

(١) الممسك : المشوب بالمسك .

الباب التاسع

في ملح أهل الشام ومصر والمغرب وطرف أشعارهم ونواديرهم

هذا باب كثرته على غرر تلقفتها من أفواه الرواة ، وتطرفتها من أثناء التعليقات ، ولم أجد لأصحابها أشعاراً مجموعة يتفسح في طريق الاختيار منها ، وإنما هي تفاريق تلتقي أطرافها ، وتجتمع حواشيتها ، ولن تعدم القلائد فيها بحمد الله ومشيبته .

أنشدني أبو بكر الخوارزمي للتلعفري ولم يسمه ولم يكنه [من السريع] :

ما أصعب العيش على بائسٍ معاشه في حلب النحو
ليس له في بردها جبةٌ ولا قميصٌ لا ولا فروٌ

ثم أنشدني له مرة هذين البيتين ومرة لبعضهم وزعم أنهما مما يتغنى بهما [من مخلع البسيط] :

يا راكب العيس قفْ وعرجٍ واقراً سلامي على بني طي
وقل لهم ظبيكم جفاني لما رأني وما معي شي

ووجدت للسري والسلامي هجاء في التلعفري يدل على أنه من المذكوري الشعراء بتلك البلاد .

ثم أنشدني محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني أبو الحسن علي بن أحمد

التلعفري بنصيين لنفسه من قصيدة أولها [من الكامل] :

من ذا يدلّ على الرقاد جفوني قد ضاع بين صبابتي وشجوني
أما النجوم فقد ألفتن رعائتي والعائدات فقد ملن أنيني

قال : وأنشدني أيضاً علي بن محمد الشاشي بميا فارقين ، قال : أنشدني
لنفسه في غلام نصراني [من الوافر] :

غريب الحسن ، مَنْ سَمَّاكَ بدرا ؟ وبدر التّم ، في خديك خالُ
كتمت هواك إذ قلبي سليمُ فذاب القلب وانحلّ العقل
وكنت كمودع الحلفاء ناراً وكنتم النار في قصبٍ محال^(١)

وأنشدني أيضاً [من الخفيف] :

ربّ ليلٍ سهرت حتى تجلّي مغرماً في ظلامه أتقلّي^(٢)
والثرياً كأنها رأس طرفي أدهم زين باللّجام المحلّي^(٣)

وقوله [من الكامل] :

ومتيمٌ أبدى إليّ غرامه فعذلته والعذل فعل الجاهلِ
حتى إذا أبصرت مالك رقه كادت لوحظه تصيب مقاتلي
إن عدت أعذل عاشقاً من بعده فأصابني ربّي بحتفٍ عاجلِ

* * *

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني أبو نصر بن أبي الفتح بن كشاجم بصيداء

(١) الحلفاء : نبات محدّد الأطراف يصنع من ورقه القفف والحصر والحبال وهي سريعة الاشتعال.

(٢) أتقلّي : أتحرّق.

(٣) الطرف : الحصان.

الشام لنفسه في وصف الكتاب من أبيات [من المنسرح] :

وصاحب مؤنس إذا حضرا
جسم موات تحيا النفوس به
ملكته منه كنزاً غنيت به
أظل منه في مجلس حفل
وإن أطفل به فيا لك من
أعجب به جامعاً ولو جعلت
جالسني بالملوك والكبرا
يجل معنى وإن دنا خطرا
فما أبالي ما قل أو كثرا
بالناس طراً ولا أرى بشرا
مستحسن منظرأ ومختبراً^(١)
عليه كف المجلس لاستترا

وله في شمعة [من المنسرح] :

بركة صفر عمودها شمع
تبكي إذا ما المقصر خمسها
كانها عاشق مخايله
صفرة لون، وذوب معتبة
تفيض ناراً من موضع الماء
فرط حياء من الأخلاء
فيه بواد لمقلة الرائي
ودمع حزن، ونار أحشاء^(٢)

قلت : شبه أربعة بغير حرف تشبيه ، وقال في بخيل [من الطويل] :

صديق لنا من أبداع الناس في البخل
دعاني كما يدعو الصديق صديقه
فلما جلسنا للطعام رأيت
ويغتاظ أحياناً ويشتم عبده
فأقبلت أستل الغذاء مخافة
أمد يدي سرّاً لأسرق لقمة
وأفضلهم فيه وليس بذي فضل
فجئت كما يأتي إلى مثله مثلي
يرى أنه من بعض أعضائه أكلي
وأعلم أن الغيظ والشتم من أجلي
والحاذ عينيه رقيباً على فعلي
فيلحظني شزراً فأعبث بالبقل^(٣)

(١) أطفل : أي يبقى حتى الغروب .

(٢) المعتبة : أي عاتبة من العتاب ، أو غاضبة .

(٣) الشزر : النظر بغضب .

إلى أن جنت كفي لحتفي جنايةً وذلك أنّ الجوع أعدمني عقلي
فجرّت يدي للحين رجل دجاجةٍ فجرّت كما جرّت يدي رجلها رجلي
وقدم من بعد الطعام حلاوةً فلم أستطع فيها أمرٌ ولا أحلي
وقمت لو اني كنت بيت نيةً ربحت ثواب الصوم مع عدم الأكل

وكتب على تفاحة حمراء بالذهب إلى الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل
ابن الفرات وأنفذها إليه وقد خرج إلى منزله بالمقس [من المنجث] :

إذا الوزير تجلّى للنيل في الأوقات
فقد أتاه سمياً ه جعفر بن الفرات

وله في طيب [من المجث] :

عيسى الطيب ترفقُ فأنت طوفان نوح
يأبى علاجك إلاً فراق جسم لروح
شتان ما بين عيسى وبين عيسى المسيح
فذاك محي مواتٍ وذا مميتٌ صحيح

وقال في فصد إسحاق بن كيغلق [من المنسرح] :

يا فاصداً شقّ عرق إسحاق أي دم لو علمت مهراقٍ؟^(١)
سفكته من يدر معوده لنيل مالٍ وضرب أعناقٍ
لو يوم حرب أصبت من دمه إذا أقام الدنيا على ساقٍ

وأشدني له يصف جونة الطعام من قصيدة مزدوجة [من الرجز] :

وجونة موصوفة من الجون قد جمع الطباخ فيها كل فن^(٢)

(١) الفاصد : الذي يخرج الدم من الجسم بألة حادة .

(٢) الجونة : سلّة مستديرة تكون مع العطارين ويوضع عليها الطيب .

ما بين ألوانٍ إلى بوارد
 يحمد في المنظر والمذاق
 كما تشفُّ أوجه المرائي
 كأنما كانت ترفُّ في الجبل^(١)
 تصلح للمخمور أو للمحتمى
 فهي كمثل نرجسٍ في روض
 كأنه العقيق ما لم يقشر
 أبرز من تحت عقيقٍ دررا
 رأيت منه ذهباً تحت ورق
 أعاره تلوينه قوس قزح
 مقدودة كمثل قدِّ الندِّ
 بملحها وبقلها متبلِّه^(٢)
 مقطَّعٌ باللفظ والنظافه
 كأنها سلاسل من فضه^(٣)
 مثل قدود أكر الميدان^(٤)
 تقارن الكرات بالصوالجه
 كمثل أنوارٍ من اللخالخ^(٥)
 وفيجنٍ غضٍّ وبين كزبر^(٦)

من كلِّ سخنٍ منضجٍ وباردٍ
 فمن رفاقٍ ناعم رفاق
 وأرغف تشفُّ للصفاء
 ومن مصوصٍ من مخاليف الحجل
 ومن فراريج بماء الحصرم
 قد شوشت أكبادها ببيض
 وجاءنا فيها ببيضٍ أحمر
 حتى إذا قدمه مقشراً
 حتى إذا ما قطع البيض فلق
 يخال أن الشطر منه من لمح
 ما بين أوساطٍ لطاف القدِّ
 من صدر دراجٍ وصدر حجله
 فيها جن صادق الحرافه
 قد ألبست قضبان طلعٍ غضه
 وجاءنا فيها بياذنجان
 قد قارن الهليون بالمازجة
 ثم أتت سكارج الكوامخ
 ما بين طرخونٍ وبين صعتر

(١) المصوص : الفراريج الطرية اللحم .

(٢) الدراج : طائر يشبه الحجل .

(٣) الطلع من النخل شيء كالكوز يخرج منه وفيه حب منضود .

(٤) الأكر : جمع أكرة وهي الكرة .

(٥) السكارج : الأنبة التي يؤكل فيها الكوامخ : جمع كامخ نوع من الأدم معرب اللخالخ : ضرب من الطيب .

(٦) الطرخون : نبات ، والفيجن : الزاب .

وبين بن عدة المشطور
 ثم أتى براضع لم يعتلف
 وحمل مبرز مشبر
 يتلوه جدي قارس بخل
 تخاله في خله المزعفر
 وقد عملت أطرافه سلاقه
 زيدت من الخردل والصباغ
 وصف فيه فلق الرمان
 ثم أتى بناطف هياج
 كأنه في العين والقياس
 ثم أتانا بعده لوزينج
 تشله من دهنه العميق
 وجاءنا الغلطة بالمدام
 بغير ترتيب ولا صواني
 لأن في الجونة أنواع الأرب
 هذا هو النوع الذي اختاره
 كأنه تعليه النحور^(١)
 كأن في جنبه قطناً قد ندف
 كأنه مضمخ بعنبر
 كأنه بالزعفران مطلي
 مركباً تحت عقيق أحمر
 عجيبة الصنعة والمذاقه
 وكشف القحف عن الدماغ
 مثل رصيغ خرز المرجان
 يحرطبع البارد المزاج^(٢)
 سبائك جاءت من الروباس^(٣)
 كأنه في الأتحمي مدرج^(٤)
 كما أخذت بيد الغريق
 ونحن لم نهض من الطعام
 وغير أنقال ولا ريحان^(٥)
 وعضاً من كل شيء يطلب
 ليس الذي عذبنا انتظاره

* * *

وأنشدني عبد الصمد بن وهب المصري ، قال : أنشدني أبو نصر بن أبي

(١) المشطور : الخبز المطلي بالكامخ .

(٢) الناطف : نوع من الحلوى البيضاء .

(٣) الروباس : الفضة .

(٤) الأتحمي : نوع من البرد .

(٥) الأنقال : ما يقدم مع الخمرة من فستق وغيره .

الفتح كشاجم لنفسه [من الخفيف] :

غبط الناس بالكتابة قوماً حرموا حظهم بحسن الكتابة
وإذا أخطأ الكتابة حظاً سقطت تاؤها فصارت كآبه

* * *

وأنشدني الخوارزمي لعبد الرحمن بن جعفر النحوي الرقي [من مجزوء الرمل] :

قل لمن تاب ولم يقض من اللذات نجة
توبة الحشوي لا تعدل عند الله حبة
أم من تسبقه أن ت إلى الجنة فحبه

* * *

وأنشدني أبو الحسن علي بن مأمون المصيبي ، قال : أنشدني أبو العميد
هاشم بن محمد المتيّم الاطرابلسي لنفسه [من الهزج] :

مضت للهو أوقات ولأوقات لذات
إليها أنا مشتاق وقد فاتت بمن فاتوا
وما لي عوض عنهم وأحيا الناس أموات
مضى أهل المروءات فلم تبق المروءات

* * *

وقرأت في كتاب التحف والظرف لابن لبيب غلام أبي الفرج البيغاء لأبي
عمارة الصوفي في ثقل خفيف على القلب [من الخفيف] :

وثقل لو كان في حسناتي وجميع الأنام في سيئاتي
لاستخف الذنوب بل كسر الميزان من ثقله على الكفات

وله في ثقیل [من الطویل] :

ثقیلٌ براه الله أثقل من برى
مشى فدعا من ثقله الحوت ربّه
ففي كلّ قلبٍ بغضةٌ منه كامنه^(١)
فقال : إلهي زدت في الأرض ثامنه ؟

* * *

وأشدنا أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المتيّم في كتاب أشعار الندماء لأبي
الحسن الممشوق الشامي - ولست أتحقّق اسمه - في المشمش [من الرجز] :

أما ترى المشمش يا خلّ الأدب مشطباً أكرم بهاتيك الشطبُ
مثقّبُ الهامات من غير ثقبُ كأنها بنادقٌ من الذهب

* قد صاغها صائغها بلا تعب * *

وله في جام فالوذج [من الكامل] :

إنني اتخذت أبا عليّ ذا العلا
فقد اغتدت في جامها وكأنتها
معمودةٌ لك ذات طعمٍ طيبٍ
وتخال فيها اللوز وهو منصف
شمسٌ على بدر أوانٍ المغرب^(٢)
فتعال نخمش وجهها بأكفناً
أنصاف درٌ فوق صحنٍ مذهبٍ
غضبت علينا أو غدت لم تغضب

وأشدني غيره للممشوق [من المتقارب] :

فؤادي كفيك إذا ما نطقت
وما آس عارضك المستني
وصبري كخصرك في دقته
وبالجسم مني الذي يشتكيه
ر كالقلب مني في حرقة^(٣)
من غير ما علته

(١) براه الله : أنحله .

(٢) الجام : الإناء من فضة .

(٣) الآس : الريحان ، ورقه عطر ، خضرته دائمة .

أشبهه وعدك إمّا وعدت بعقرب صدغك في عطفته
وأزداد في كلّ يوم هوى وحبّيك يزداد في فنتته

وأنشدني محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني أبو الحسن الممشوق
صاحب المتنبي لنفسه [من الخفيف] :

ليلةً بتها بقرتم أسقي عاتقاً عتقت مداها الدهورُ
وكأنّ السماء والبدر والأنجم روضٌ ورجسٌ وغديرُ

* * *

وأنشدني أيضاً محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني أبو الحسن علي بن
محمد الأنطاكي [من الكامل] :

لما تأمل جودك القطرُ وسما ليدرك صدرك البحرُ
خجلاً جميعاً مثل ما خجلاً إذ قابلاك الشمس والبدرُ
يا صالح الخيرات ما صلحا إلّا لك التأييد والأمر

* * *

وأنشدني أيضاً للحسن بن عبد الرحيم الزلالي صاحب كتاب الأسجاع على
معنى الحمدوني في طيلسان ابن حرب [من مجزوء الرمل] :

طيلسانُ كان رسماً ثم قد أصبح وهماً^(١)
لا تراه العين إلّا بعد أن يهجع حلماً
تتعب المقلّة كي تدرك منه أثراً ما
تعب الفكرة في إخراجها البيت المعنى

(١) الطيلسان : كساء أخضر لا تفصيل له يلبسه خواص العلماء والمشايخ .

وقوله [من الرمل] :

نظرةً كانت لحتفي سببا جلب الحين لها ما جلبا
ضحكت أسماء من ذي لمةٍ ضاحك الأشيبي فيه الأشياء
إنما يعرف أيام الصبا من صبا في غير أيام الصبا

* * *

وللأنطاكي في وصف عود [من البسيط] :

وبربطٍ صحب الترنام نغمته أحلى من اليسر وافى بعد إعسار^(١)
يملي القريض عليه لفظ محسنه فينيري مخبراً عنها بإجهار
ما حث أوتاره في وجه نائبةٍ إلا استفاد بتاراتٍ وأوتار
تحنو عليه أمٌ تخاطبه سرّاً فيخبر بالنجوى بإظهار^(٢)
وإن هفا عركت آذانه شفقاً عليه من وصمة النقصان والعار

* * *

وأنشدني أبو الحسن علي بن مأمون المصيبي وغيره لتميم بن معد أبي تميم

صاحب مصر ، وهي مشهورة [من الكامل] :

ما بان عذري فيه حتى عذراً ومشى الدجى في خده فتحيراً
همت تقبله عقارب صدغه فاستلّ ناظره عليها خنجراً
والله لولا أن يقال تغيراً وصباً وإن كان التصابي أجدر
لأعدت تفاح الخدود بنفسجاً لثماً وكافور الترائب عنبراً^(٣)

* * *

(١) البربط : آلة موسيقية تشبه العود والترنم : النغم والغناء .

(٢) النجوى : السرّ .

(٣) الترائب : جمع تريبة ، وهي موضع الفلادة من الصدر .

وأشدني أبو نصر سهل بن المرزبان ، قال : أنشدت بمدينة السلام لمعد
ابن تميم ويروي للوأواء [من السريع] :

لا تظلموا الناس ولا تطلبوا بثأريَ اليوم أذى مسلم
ويا لقومي دونكم شادناً معتدل القامة والمبسم
وإنَّ أبى إلّا جحوداً له واكتتم الأمر فلم يعلم
قولوا له يكشف عن وجهه فإنَّ فيه نقطةً من دمي

وأشدني المصيبي له [من المنسرح] :

وَجَنَّةٌ من شَفَنِي هواه ومن أفنيت فيه دموع آماقي^(١)
كأئما الصيرفيُّ دَنَّر ما نجم منها ودرهمَ الباقي^(٢)

ووجدت له من قصيدة [من الطويل] :

وما بلد الإنسان إلّا الذي به له سكنٌ يشاقه وحبیبٌ
إلى الله أشكو وشك بين وفرقة لها بين أحشاء المحبِّ ندوبٌ
ترى عندهم علمٌ وإن شطَّت النوى بأنَّ لهم قلبي عليَّ رقيب^(٣)

* * *

وأشدني أبو حفص عمر بن علي الفقيه لأبي منصور نزار بن معد أبي تميم
وقد وافق بعض الأعياد وفاة ابنه وعقد المأتم عليه [من المنسرح] :

نحن بنو المصطفى ذوو محنٍ يجرعها في الحياة كاظمنا^(٤)

(١) شفني : براني وآلمني ، والآماق : عروق الدمع .

(٢) دَنَّر : أي جعلها كالدينانير .

(٣) شطَّت : باعدت .

(٤) الكاظم : المتحمل للمحن والصابر عليها

عجيبَةً في الأنام محتنتنا أولنا مبتلى وآخرنا
يفرح هذا السورى بعيدهم طراً وأفراحنا مآتمنا

* * *

وأنشدني المصيصي للأمير تميم [من الطويل] :

شربنا على نوح المطوقة الورق وأردية الروض المفوفة البلق
معتقةً أفنى الزمان وجودها فجاءت كفوت اللحظ أو رقة العشق
كان السحاب الغراً أصبحن أكوساً لنا ، وكان الراح فيها سنا البرق
فبتنا نحث الكأس فينا ، وإننا لنشربها بالحث صرفاً ونستسقي^(١)
إلى أن رأيت النجم وهو مغربٌ وأقبلن رايات الصباح من الشرق
كان سواد الليل والفجر طالعٌ بقية لطح الكحل في الأعين الزرق
أحسن في هذا البيت ما شاء .

* * *

وأنشدت للمرواني في الهلال وأجاد [من الكامل] :

والبدر في جو السماء قد انطوت طرفاه حتى عاد مثل الزورق
وتراه من تحت المحاق كأنما غرق الكثير وبعضه لم يغرق
وهو من قول ابن المعتز [من الكامل] :

* قد أثقلته حمولة من عنبر *

قال : وسمعت الشيخ الإمام أبا الطيب يحكي أن المرواني صاحب الأندلس
كتب إليه صاحب مصر كتاباً يسبه ويهجوه فيه . فكتب إليه « أما بعد فإنك عرفتنا

(١) الصرف : الصافية الغير ممزوجة .

فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجبنك ، والسلام .

وأشدني أبو سعيد بن دوست ، قال : أشدني الوليد بن بكر الأندلسي
الفقيه المالكي أميرهم محمد بن أبي مروان بن أخي المستنصر بالله المدعو
الخليفة بالأندلس ، وهو الحكم بن عبد الرحمن المرواني ، من قصيدة كتب بها
إلى صاحب مصر يفتخر [من الطويل] :

ألسنا بني مروان كيف تبدلت بنا الحال أو دارت علينا الدوائر؟
إذا ولد المولود منا تهللت له الأرض واهتزت إليه المنابر
وذكر أن المستنصر وهو أبو الحسن قتل ابن أخيه خوفاً منه على المملكة .

* * *

قال : وأشدني لوزير المستنصر وهو أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي
[من البسيط] :

يا مَنْ أراني بالحاظِ يصرِّفها
جمعت فيك غليل العاشقين كما
عني الصبا والهوى رشدي وتوفيقي
جمعت ما تشتهي من كلِّ معشوق
وله أيضاً [من الطويل] :

لعينيك في قلبي عليَّ عيونُ
لئن كان جسمي مخلقاً في يد الهوى
وبين ضلوعي للشجون شجونُ
فحبُّك غضُّ في الفؤاد مصونُ
نصيبي من الدنيا هواك ، وإنه
وله أيضاً في الخمر [من الكامل] :

صفراء تطرق في الزجاج فإن سرتُ
في الجسم دبت مثل أيمٍ لاذع^(١)

(١) ضنين : حريص .

(٢) الأيم : الحية ، ولدغ : عض .

لم يحسن في تشبيه ديبب الخمر في جسم شاربها بديبب الحية اللادغة ،
وقد أحسن في البيت الذي يليه جداً :

خفيت على شربها فكأنهم يجدون رياً من إناء فارغ

* * *

قال : وأنشدني لعيسى بن وطيس كاتب المستنصر [من البسيط] :

يا سيداً أفرطتْ بالعبد سطوتهُ ما كلُّ مالك رِقٌّ مغضبٌ حنقُ
أعتقُ وإلّا فبعُ، كم ذا تعذبني؟ إنَّ العبيد إذا ما عذبوا أبقوا^(١)
وثقت مني بأنَّ الحبَّ قيّدني أجل وحقك إنّي فوق ما تثق

ومعنى بيته الثاني مما يزيفه نقدة الشعر المتغزلون ولا يرضونه . وإنما
يميلون إلى مثل ما قال أهل العصر [من الخفيف] :

لي مولى أفسى البرية قد قا سيت فيه الهموم والأشواقا
قلت إذ لجّ في جفائي واحتجّ عليه فساق نحوي السّياقا
أيهذا المليك رأيك في سو ء امتلاكي فلن أروم الفراقا

* * *

قال : وأنشدني حبيب بن أحمد الأندلسي لنفسه [من الطويل] :

ثلاثون من عمري مضين فما الذي أوْمَلُ من بعد الثلاثين من عمري
أطايب أيامي مضين حميدةً سراعاً ولم أشعر بهنّ ولم أدرِ
كأنّ شبابي والمشيب يروعه دجى ليلةٍ قد راعها وضح الفجرِ

(١) اعتقُ : من العتق : وهو التحرير والأبق : الهرب .

وأنشدت لأحمد بن عبد الرحمن المتيم النحوي^(١) [من الوافر] :

إذا ما نلتَ من دنياك حظاً فأحسنْ للغنيِّ وللفقيرِ
ولا تمسك يدك على قليلٍ فإنَّ الله يأتي بالكثيرِ

* * *

٢٣ - عبد المحسن بن محمد الصوري

أحد المحسنين الفضلاء ، المجيدين الأدباء ، وشعره بديع الألفاظ ، حسن المعاني ، رائق الكلام ، مليح النظام ، من محاسن أهل الشام ، فمن شعره قوله [من الكامل] :

أترى بشأري أم بدينٍ علقتمحاسنها بعيني
في خصرها وقوامها ولحافظها ما في الرديني
وبوجهها ماء الشبا ب خليط نار الوجنتين
بكرت عليّ وقالت اخ ترخصلَةً من خصلتين^(٢)
إمّا الصدود أو الفرا ق فليس عندي غير ذين
فأجبتها ومدامعي منهلةٌ كالمرزمين^(٣)
يا هذه لا تعجلي إن حان بينك حان حيني^(٤)
فكأنما قلت اذهبي فمضت مسارعةً لييني

قال : وأعطاه بعض الأمراء عمامة حسنة فلبسها أياماً ، ثم باعها ، وليس عمامة

(١) سينشد البيتين فيما يأتي لأحمد بن محمد بن عبد الكريم النحوي .

(٢) بكرت : أتته باكراً .

(٣) المرزم : المطر المصحوب بالرعد .

(٤) الحين : الأجل .

لطيفة ، ومشى ، فقال بعض من رآه : ثقلت عليه العمامة فباعها . فقال ارتجالا
[من الكامل] :

قالوا عسى ثقلت علي ه فباعها من غير عدم
والله ما ثقلت علي عمامتي بل خف كمي

وقوله [من الطويل] :

وكم أمر بالصبر لم ير لوعتي وما صنعت نار الأسى بين أحشائي
ومن أين لي صبرٌ وفي كل ساعة أرى حسناتي في موازين أعدائي ؟

وقوله [من الوافر] :

ومعتذر العذار إلى فؤادي لجرمٍ سابقٍ من مقلتيه
وكم أعرضتُ عنه فأعرضتُ بي عن الإعراض خضرةً عارضيه
ولمّا قلت إنّ الشعر يسعى لقلبي في الخلاص سعى عليه

وقوله [من مجزوء الرمل] :

لحظاتٌ تترامى بي الى المرمى القصي
طرحتني من علي بين الحاظ علي
فادعى رقي وما رقي بدعوى المدعي
أنا عبد المحسن الصو ري لا عبد المسي

وقوله [من مجزوء المتقارب] :

جنى ما جنى وانصرف وأنكر ثم اعترف
وظنّ بأن القضا ص يمنع منه الترف
سلوا صدغهُ لِم جرى؟ ولمّا جرى لِم وقف؟
وكان على أنه يجوز المدى فانعطف

وقوله [من مجزوء الرمل] :

بالذي ألهم تعذيبي ثناياك العذابا
والذي ألبس خديك من الورد نقابا
والذي صير حظي منك هجراً واجتنابا
يا غزلاً صاد باللحظ فؤادي فأصابا
ما الذي قالته عينا ك لقلبي فأجابا؟

وقوله [من السريع] :

تعلمت وجته رقية لعقرب الصدغ فما تلسع
صمت عن العاذل في حبه أذني فما لي مسمع يسمع

وقوله في صبي اسمه عمر [من السريع] :

نادمني من وجهه روضة مشرقة يمرح فيها النظر
فانظر معي تنظر إلى معجز سيف علي بين جفني عمر

وقوله [من الطويل] :

زففت إلى نيهان من عفو فكري عروساً غدا بطن الكتاب لها خدرا^(١)
فقبلها عشراً وهام بذكرها فلما ذكرت المهر طلقها عشرا

وأشدني له وقد مر بقبر صديق له [من الخفيف] :

عجباً لي وقد مررت بآثا رك أتي اهتديت قصد الطريق
أتراني نسيت عهدك يوماً صدقوا ما لميت من صديق

(١) الخدر : الستر والخياء .

وقوله [من الخفيف] :

أمنون بدت لنا أم جفونُ
بعتها ما حيت طول هجوعي

وقوله [من الطويل] :

تعلّقتَه سكران من خمرة الصبا
وشاركني في حبّه كلُّ أغيدٍ
فلا تلموني غيراً ما عرفتها

وقوله [من السريع] :

قلت وقد أوردني حبهُ
أفسدت دنيائي ولا دين لي

وقوله [من الطويل] :

أتابعت أهل البيعة اليوم في دمي
ولا تورثنُ عينيك سقمي فائنهُ

وقوله [من السريع] :

رأيت ما لم يره رائي
أومات باللحظ إلى جسمه

وقوله [من مجزوء الكامل] :

ظبيُّ أقامَ قيامتي
من قبل أن تأتي القيامةُ

(١) المغبون : المنتقص حقه .

(٢) اصدغ : امثل .

عطب القلوب جفونه فعلام سمّوه سلامه؟

وقوله [من الخفيف] :

ولئن كنت قد رحلت بقلبي لا تقولي ضيِّعته بعد بين
فاعلمي أن سرّ حبك فيه ضيعه إن شئت أو فاحفظيه

وقوله [من مجزوء الكامل] :

رقت فكادت لا ترى لولا الحجاب لخالها
في كأسها إلا التماسا شرابها في الكأس كاسا

وقوله [من المنسرح] :

لما تبيّنتُ أنّ حبكم بشرت طرفي بحسن عاقبتني
يحسن عندي وليس يحسن بي فيكم وقلبي بسوء منقلبي

وقوله [من الخفيف] :

يا مطيع العذول في عصياني ومذيقي حرارة الهجران
اتق الله لا ترعني بالصدِّ وجاز الإحسان بالإحسان^(١)
كيف أبقى على الزمان وهجرا نك ممّا جنت صروف الزمان
صرت أجفوك مكرهاً وعلى الحسب دليلٌ من ناظري ولساني
فإذا عدت بالتجلّد عنكم كذبّني نواظر الأجفان
كيف تجني ولا تخاف عقاباً وفؤادي معاقبٌ غير جاني
خلّ ما بين مقلتيك وقلبي فعلينا يدٌ من السلطان
لا تكونن ثالثاً لقويّـن من فلو كان واحداً لكفاني
لك والله في صميم فؤادي لذة الماء في فم العطشان

(١) ترعني : تخفني ، والصدّ : الإعراض .

وقال يهجو بعض من أضافه [من الخفيف] :

وأخِ مسّه نزولي بقرحٍ مثل ما مسّني من الجوع قرح^(١)
قيل لي إنه جوادٌ كريمٌ والفتى يعتريه بخلٌ وشحٌ
بت ضيفاً له كما حكم الدهر وفي حكمه على الحرّ قبحٌ
قال لي إذ نزلت وهو من السكرة والهّم طافحٌ ليس يصحو
لِمَ تغرّبت قلت قال رسول الله والقول منه نصحٌ ونجحٌ
سافروا تغنموا فقال وقد قال لتمام الحديث صوموا تصحّوا

وقوله [من الخفيف] :

بدر تمّ يثنيه دعصٌ وخوطٌ عذري في عذاره مبسوطٌ
أيّ درٌ للثقب أيّ كتابٍ لو تأتت بصفحتيه الخطوط
وإذا اغترّ قلت ظبيّ غريّ وإذا افتّرّ قلت درٌ سقيط^(٢)

وقوله [من الرجز] :

يستوجب العفو الفتى إذا اعترفْ وتاب مما قد جناه واقترفْ
لقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلفْ

وقوله [من المنسرح] :

طرّة مسكٍ وشاربٌ أخضرٌ وثغرٌ درٌ ومقلتا جوذر^(٣)
ريمٌ إذا رمت أن أكلمه كلمني من جفونه خنجرٌ
وإن تعوّضت من عوارضه لثماً تجنّى عليّ واستكبر^(٤)

(١) القرح : الجرح ، والمرض .

(٢) افتّر : ضحك وتبسّم .

(٣) الجوّذر : البقر الوحشي .

(٤) تعوّض : استبدل .

سماء حسنِ نجومها تزهَرُ
فذلك الله خير من قدر

كأنَّ خيلانه ووجنته
سبحان من صاغه على قدر

وقوله [من السريع] :

فاذهب تجسّس لمن النَّارُ
وإنَّ أضاءت لهم ساروا^(١)
له بفضل الزَّاد إيثار
أو مسَّها من قربكم عار
قلت كما تهوى وتختار
مما أسرَّ الطين والقار^(٢)
كأثما طرفك خمَّارُ
تتلوه لوعاتٌ وأفكارُ
ما بعد رأي العين إخبار
ألست من جفنيك أمتار!^(٣)

يا حار إنَّ الركب قد حاروا
تبدو وتخبو إنَّ خبت وقفوا
قام عليها موقد مرشدُ
فلا تلوموني إذا مسكم
وسائل يسأل عن حالتي
وأين ما أسررت في لحظه
ما نظرة إلا لها سكرة
هذا هوى يصدر عنه جوى
وهذه أفعالها هذه
ولست أعتدُّ عليك الضنا

وقوله [من الطويل] :

وسؤلي في دار الخلود وفي الدنيا
وكفّي التي أرمي الأعادي بها رميا
إذا فطواني عنه صرف الردى طيباً
وقد زاد حتى ما أطيق له نفيا
إذا فأراني الله أعينهم عميا

هواي الذي أبدى وأضمّره يحيى
وعيني التي أرعى بها من يودّني
أصبر عن يحيى وأطوي وصاله
كتمت الهوى جهدي ونفيت طاقتي
يودُّ أناسٌ لو عميت عن الصبا

(١) خبت : انطفأت أو ضعفت .

(٢) القار : القطران .

(٣) أمتار : أجمع الطعام والمونة ، أتغذى .

ولا حاط ميتاً منهم لا ولا حياً
 رأى وجهه لاستقبح اللوم واستحيا
 أرى غيهم رشداً ورشدهم غياً
 فزدتك حباً كلما زادني نعيًا^(١)
 فلا سمعت أذني إذا بعدهم شيئاً
 وإن غبت عن عيني فما أقبح الدنيا

فما بالهم لا قدس الله بالهم
 يلومون في يحيى ولو أن لائماً
 فيا منيتي كم فيك عاصيت عاذلاً
 وكم جاءني ما قاله فيك كاشح
 أسمع فيك العدل ممن يلومني
 فما أحسن الدنيا إذا كنت جانبي

وله يهجو [من مجزوء الرجز] :

يرفث كل الرفث^(٢)
 لو أنه في جدث^(٣)

حديثه كالحدث
 يود من يسمعه

وله يرثي [من الكامل] :

دفنوه قلت هناك بش المحضر
 محمولة وأرى المكارم تقبر
 فأقول هذا مثل ذاك فأصبر
 جزء، ولكن الأقل الأكثر
 وأقلهم إذ شيعوك، وكبروا

قالوا ألم تحضر علياً بعد ما
 لا أستطيع أرى المعالي بينكم
 لم يمض قبلك من أراه أسوة
 قد كنت جزءاً والأكارم كلهم
 ما كان أكثرهم وأنت جليسهم

ومما يتغنى به من شعره قوله [من الخفيف] :

ما عليها سهرت أم بت نائم
 بعد أن لا يلسم بي طيف حالم
 تسأل الناس كيف حالي ومن أعلم منها؟
 وفاعل الشيء عالم
 وغزال أغن أغيد ساجي الطرف مستحسن الخلائق ناعم^(٤)

(١) الكاشح : المبغض .

(٢) الحدث : ما يخرج المرء من فضلات وريح والرفث : الجماع والفحش .

(٣) الجدث : القبر .

(٤) الأغن : الذي في صوته غنة ، وساجي الطرف : ساكنه .

لم يصلني ولم يعدني وقال اكتم فماذا أسرّ حتى أكاتم
وقوله [من المنسرح] :

قبلتها أشتفي بقبلتها
وساءلتنني عن مبتدا سقمي
فزادني ذلك اللّمي ألما^(١)
مسقم جفنيك مسقمي بهما

وقوله [من السريع] :

يا علّة الأجنان كفيّ كفيّ
وساعدينا واعلمي أنّها
ما حملت منك وما استوثقت
قد نذرت قتلي وما أعتقت

وقوله [من البسيط] :

أرى الليالي إذا عاتبها جعلت
وليس عند الليالي أن أقبح ما
إن كان لا بدّ من مدحٍ فها أنا ذا
تمنّ أن جعلتنني من ذوي الأدب
صنعن بي أن جعلن الشعر مكتسي
بحيث آمن في قلبي من الكذب

وقوله [من الطويل] :

إذا كسدت سوق الثناء فجوده
تضيق بما تحوي يده ، وصدرة
طلبوبٌ لأسباب الثناء كسوبٌ
بتفريق ما تحوي يده رحيبٌ

وقوله [من الخفيف] :

وغزالٍ مثل الغزالة يحكي
رقّ جسماً فرقّ دمعي عليه
ها كمالاً إلاّ بقلب وودّ
فجرى مثل خده فوق خدي

وقوله [من السريع] :

والله ما عورضتُ في مهجتي
إلاّ لأن أرفع عنها يدي

(١) اللّمي : السمرة في الشفة .

الأهيف الأغيد والنفس ما
يعجبها أن ترتدي حسنه
طوفان نوح طبّق الأرض لا
طاف علينا فاستوينا على الجودي من جود أبي أحمد^(٣)
أبو العلا إذ ذكرتُ وابنها
غير من حالي ومن نيتي
لو كان من أحببته بعض ما
يا ذا المكانين من السؤدد
في غيره كم مصلح مفسد
في يده زارت بلا موعد

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

فتى كلما قالوا تناهى صعوده
ترى كل ملقى المقاليد في الوغى
ولست ترى بيتاً من المجد أو ترى
لقد شرفتُ أبيات عوفٍ وطهرتُ
وكل يعاف الورد من بعد ربّه
ترى منهم يوم الوغى كلّ ناشر
ينالون ما أمسى بعيداً مناله
وقلبت الهيجاء أعيان خلقهم
إلى كلّ مجدٍ خالف القول صاعداً
إليه إذا لاقاه ألقى المقالداً^(٤)
من الجود أركاناً له وقواعدا
من الرجس حتى خلتهن معابداً^(٥)
وأرمح عوفٍ لا تعاف الموارد^(٦)
من النقع فوق الدار عين مطاردا
كأنهم طالوا الرماح سواعدا
فقد وثبوا أسداً ودبّوا أسوداً^(٧)

(١) الأغيد : الجميل ، وآلفها : من الألفة ، وهي الصحبة والمحبّة .

(٢) يردي : يقتل .

(٣) الجودي : جبل في العراق ، استوت عليه سفينة نوح عليه السلام بعد الطوفان .

(٤) المقالد : القيادة ، أي أوكله بالأمور .

(٥) الرجس : الاثم .

(٦) يعاف : يملّ .

(٧) الأسود : الحيّات ، واحدها أسود .

على أن من لا قيتَ منهم مسلماً لقيت به نوء السماء مجاوداً^(١)
وقوله [من البسيط] :

وقد حسدت على ما بي فواعجبي حتى على الموت لا أخلو من الحسد
ما بعتمك مهجتي إلا بوصلكم ولا أسلمها إلا يداً بيد
ومن قصيدة يقول في مدحها [من الخفيف] :

طالما جاد لي وظنُّ بأنَّ الجود يبلي في كلِّ يومٍ مجدِّدٌ
بيمينٍ طالَّت فكم تضرب الأيدِ ام عني بها وكم تتجلَّدُ
أحسن الفعل بي فأحسنت قولاً فاشتبهنا فليل جادٌ وجودٌ
وقوله [من الكامل] :

وغريرة مغرورةً بجهاها وتظنُّ أنَّ المنتهى كالمبتدي
ظلت تناكرني الهوى من بعد ما اعترفت به زمناً فقلت تقلدي
ليكن عقابك لي بقدر تجلدي لا بالنوى فضعيفةً عنها يدي
وقوله في أبي الجيش حامد بن سلهم [من الكامل] :

ما زال ينحلني أبو الجيش اسمهُ فيما يجدُّ وكلُّ يومٍ جوداً
حتى غدوت أنا المسمى حامداً وغدا يسمى حامداً محموداً
وقوله [من البسيط] :

نام الخليون من حولي فقلت لهم : ما كلُّ عينٍ لها عينٌ تسهِّدها
لا تنكروا عقلي عامين في يده فإنَّ صيداء معروف تصيِّدها^(٢)

(١) نوء السماء : نجم السماء المضيء ومجاودا : متكرماً.

(٢) عقلي : عقالي وأسري.

كأئماً أهلها أهل المقيم بها فذلك الزهد في الأوطان يبعدها
وقال يهجو أخاه عبد الصمد [من الرمل] :

قال لي : أنت أخو الكلب ، وفي ظنّه أن قد تناهى واجتهد
أحمد الله كثيراً أنه ما درى أنني أخو عبد الصمد
وقوله من قصيدة أولها [من السريع] :

لا بتأديك على هجري ولا بإكثارك من ذكري
عهدتكم من حيث عاهدتكم لم تعرفوا شيئاً سوى الغدر
فما لكم لما نذرتم دمي صرتم من الموفين بالندر
جاءت عطاياك موفرة فلم يكن عندي سوى النشر^(١)
مقرونة بالعدر إنني لفي الت قصير أولى منك بالعدر

وقوله من قصيدة أولها [من المنسرح] :

حتى متى كلّ مشتك زاجر واللوم مثل الهوى بلا آخر
كم عاذل عاشقٍ وكنت أرى أن الذي جرّب الهوى عاذر
يا نافرأ نفرة الغزال وكا ن الحزم لو أنني أنا النافر
بيت ما تستعدّ مقلته من خمرها فوق ثغره قاطر
فطرفه عاصرٌ وليس به خمرٌ وفوه خمرٌ بلا عاصر
وشادنٍ طائفٌ على نفرٍ شخص الكرى من يمينه دائر
صرعهم حوله وأوجسهم بما اشتكى نائبٌ له ساهر^(٢)
فحطني ساعةً فلم ترني في أثر القوم بعدهم سائر
فقال أوصيك بي وأسلمه الصبر على رغمه إلى الصابر

(١) في الأصول: «جاءت عطاياك موفورة» وغيرناها لإقامة الوزن.

(٢) أوجس: شعر وأحسن.

فتُ في روضه ألفاً على الغادة طرفي وأمرح الناظر

يقول في مدحه بالكتابة وأجاد :

لا يخطر الفكر في كتابته كأنّ أقلامه لها خاطر
القول والفضل يجريان معاً لا أول فيها ولا آخر

وقوله [من مجزوء الكامل] :

وأغنّ أعيد، ودّه مستأنسٌ بي، وهو نافرُ
إن قلت زربي قال نمُ فالطيف ليس يزور ساهر
ويقول لي فيما يقو ل نعم وما للقول آخر
حتّى أشاور قلت لـكنّي هويت ولم أشاور!

وقوله [من الخفيف] :

سهلت عنده المسالك حتّى أوصلته إلى العلا وهي وعرة
ثم هامت به المعالي فصارت تتقي صدّه وتحذر هجرة

وقوله من قصيدة يقول فيها [من المتقارب] :

هلموا اسألوا عن سلوٍ يباع أو استخبروا عن كرىٍ يكترى^(١)
هل الناس مثلي؟ وإلاّ فما أشدّ القلوب وما أصبرا
وصفراء تنفذ من كأسها فترك ما حولها أصفرا
بدّ إذا شعشت كالهباء لمن كان قدّامها أو ورا^(٢)
وفي القوم من لم يكن عنده إذا سكر القوم أن يسكرا

(١) الكرى : النعاس : ويكتري : يشتري .

(٢) شعشت : أضاعت ، والهباء : غبارٌ دقيق يظهر مع نور الشمس إذا دخلت من كوة بيت مظلم .

سقاني وشدّ معي مئزرأ فما شدّ من بعدها مئزرا
وقوله [من البسيط] :

عندي حدائق شكرٍ غرسٍ جودكم قد مسّها عطشٌ فليسقٍ من غرسا
تداركوها وفي أغصانها رمقٌ فلن يعود اخضر العود إن ييسا
وقوله من قصيدة يقول في مدحها [من الكامل] :

بش السياسة والرياسة منزلٌ أصبحت وحدك في ذراه مقيا
وجعلت تفعل مثل ما فعل الألى فيه وتتخذ الخطوب خصوما
ولو اختصرت على القديم كفى العلا إن القديم ليجب التقدما
للحادثات معي حديثٌ مبهمٌ أضحى النهار عليّ منه بهما
وصناعتي عريبةٌ وكأنتي ألقى بأكثر ما حفظت الروما
فلمن أقول وما أقول فأين بي فأسيره أولا أين بي فأقيا
وإذا اشتكيت إلى امرىءٍ ما حلّ بي فأقول يرحمني أراه حلما
وقوله من قصيدة يقول فيها [من الطويل] :

يروح إلى كسب الثناء ويغتدي إذا كان همّ الناس كسبُ الدراهم
وإن جلس الأقوام عن واجب الندى وحق العطايا كان أوّل قائم
يزيد ابتهاجا كلما جاء قاصدٌ كأنّ به شوقاً إلى كلِّ قادم
وقوله [من السريع] :

إنّ لها من لوعةٍ شانا أضمرت الأحشاء نيرانا
وحالفت دمعي فلم يطفها وقد جرى سحاً وتهتانا^(١)

(١) سحاً: متصبياً، والتهتان: المطر الذي يتقطع ثم يعود فيهطل.

مذ كانت النار ومذ كانا^(١)
ما يجعل الأعداء خلاناً^(٢)
أسعى إلى التفريق عجلانا
زوراً على الحبِّ وبهتاناً
لم ييكه اليبين وأبكانا؟
ففاض من أجفان أجفانا^(٣)

وآل ما زال عدواً لها
لكنَّ في حيني وفي شقوتي
وغادةٍ قمت لتوديعها
ففاض دمعي وجرى دمعا
ثم انثنت قائلةً : ما له
فقلت : جار الدمع في حكمه

وقوله [من السريع] :

ويجعل الجود لها ركناً
وقبلوا راحتها اليمنى

ما زال ييني كعبةً للعلا
حتى أتى الناس فطافوا بها

وقوله في أبي الجيش حامد بن سلهم [من الطويل] :

أبا الجيش ، حسب الشعر ما أنت صانعٌ فقد عجزت عن وصف ذاك القصائدُ
أما انصلحت للمال منك طويةً فتصلحه حتى متى أنت حاقدٌ^(٤)
سبقت بني الدنيا فما هبَّ قائمٌ سواك إلى جودٍ ولا قام قاعدٌ

وقوله [من السريع] :

عن سيفه سيوف أجفانه^(٥)
أشدَّ من سطوة سلطانه

ومن بني القواد من بغته
سلطان عينه له سطوة

(١) آل : أقسم .

(٢) الحين : الموت والخلان : الأصحاب .

(٣) جار : ظلم ، وأجفانا : أكثرنا جفاءً وهجرأ .

(٤) الطوية : دخيلة النفس ، وما تضمه .

(٥) في الأصول : « عن سيفه سيف أجفانه » وغيرناه لإقامة الوزن .

وقوله [من الكامل] :

يا ذا الذي في خدّه
هذا يغير على القلو
إنّي وقفت من الهوى
كوقوف عارضك الذي
جيشان من زنجٍ ورومٍ
ب وذا يغير على الجسوم
في موقفٍ ضنكٍ عظيم
قد حار في ماء النعيم

وقوله [من الخفيف] :

غنتي يا أعزّ ذا الخلق عندي
واسقني ما يصير ذو البخل منه
لي وما فوق وجتتيك من الو
فاسقنيها ملأى فقد فضح اللـ
والثريا خفاقةً بجناح الـ
في أوان الشبّاب عاجلني الشـ
حيّ نجداً ومن بأكناف نجد^(١)
حاتماً والجبان عمرو بن معدي
رد مدام كالمسك في لون ورد
لَ هلالٌ كأنّه فترٌ رند^(٢)
غرب تهوي كأنّها رأس فهد
ب فهذا من أوّل الدنّ دردي^(٣)

وقوله [من السريع] :

إنّ خيالاً زارنا وهنا
أحبابنا، لا بلغت منكم
فلم يغب عنكم على بعدكم
أيسر ما في عهدكم أنّا
من عندكم هاج لنا حزنا
أيدي النوى ما بلغت منّا
ما فعلت غيبتكم عنّا
لما حفظنا عهدكم ضعنا

* * *

(١) الكفاف : الجنبات .

(٢) الفتر : ما بين الخنصر والابهام والرند : عودٌ طيب الرائحة .

(٣) دردي : أي الكدر الذي يبقى في أسفل الإناء راسباً .

٢٤ - أحمد بن سليمان الفجري

شاعر ماهر ، كتب إلى عبد المحسن الصوري هذه الأبيات [من الوافر] :

أعبد المحسن الصوريّ لم قدُ
فإن قلت العباله أفعدتني
فهذا البحر يحمل هضب رضوى
وإن حاولت سير البرّ يوماً
إذا استحلّ أخوك قلاك يوماً
تحركّ علّ أن تلقى كريماً
فما كلُّ البرية من تراه
جثمت جثوم منهاضٍ كسيرٍ؟^(١)
على مضضٍ وعاقث عن مسيري^(٢)
ويستثني بركنٍ من ثبير^(٣)
فلست بمثقلٍ ظهر البعير
فمثل أخيك موجودٌ النظير^(٤)
تزول بقربه إحن الصدور^(٥)
ولا كلُّ البلاد بلاد صور

فأجابه عبد المحسن [من الوافر] :

جزاك الله عن ذا النصح خيراً
وقد حدثت لي السبعون حداً
ومذ صارت نفوس الناس حولي
ولكنّ جاء في الزمن الأخير
نهى عما أمرت من المسير
قصاراً عدت بالأمل القصير

* * *

٢٥ - أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي

المعروف بأبي الرقعمق

نادرة الزمان، وجملة الإحسان ، ومن تصرف بالشعر الجزل ، في أنواع الجد

(١) المنهاض : المقعد .

(٢) العباله : الضخامة : والمضض : الألم والإرغام .

(٣) رضوى : إسم جبل معروف ، وثبير إسم جبل .

(٤) قلاك : أبغضك .

(٥) إحن الصدور : أحقادها .

والهزل ، وأحرز قصب الفضل ، وهو أحد المداح المجيدين ، والفضلاء المحسنين ، وهو بالشام كابن حجاج بالعراق ، فمن غرر محاسنه قوله يمدح من قصيدة أولها [من الخفيف] :

قد سمعنا مقاله واعتذاره وأقلناه ذنبه وعثاره^(١)
 والمعاني لمن عنيت ، ولكن بك عرضت فاسمعي يا جاره
 من مراديه أنه أبد الدهر ر ترأه محلاً أزراره
 عالم أنه عذاب من اللد ه مباح لأعين النظاره
 هتك الله ستره فلکم هت ك من ذي تستر أستاره
 سحرتني ألحاظه وكذا كل ملح لحاظه سحاره
 ما على مؤثر التباعد والأع راض لو أثر الرضى والزياره
 وعلى أنني وإن كان قد عد ب بالهجر مؤثر إثاره
 لم أزل لا عدته من حبيب أشتهي قربه وأبى نفاره

يقول في مدحها :

لم يدع للعزیز في سائر الأرز ض عدواً إلا وأحمد ناره
 فلهذا اجتباه دون سواه واصطفاه لنفسه واختاره
 لم تشيد له الوزارة مجداً لا ولا قيل رفعت مقداره
 بل كساها وقد نخرمها الدهر ر جلالاً وبهجة ونضاره^(٢)
 كل يوم له على ثوب الدهر ر وكر الخطوب بالبذل غاره^(٣)
 ذو يد شأنها الفرار من البخ ل وفي حومة الوغى كزاره

(١) أقلناه : أعفيناہ : والعثار : من التعثر أي السقوط في الخطأ وغيره .

(٢) نخرمها الدهر : ترك بها خروماً .

(٣) كر الخطوب : تجددھا واستمرارھا .

هي فلتٌ عن العزيز عداه بالعطايا وكثرت أنصاره^(١)
هكذا كلُّ فاضلٍ يده تمسي وتضحى نقاعةُ ضراره
فاستجره فليس يأمن إلاً من تفيًا بظله واستجاره
فاذا ما رأته مطرقاً يُعمل فيما يريده أفكاره
لم يدع بالذكاء والذهن شيئاً في ضمير الغيوب إلاً أناره
لا ولا موضعاً من الأرض إلاً كان بالرأي مدركاً أقطاره
زاده الله بسطةً وكفاه خوفه من زمانه وحذاره^(٢)

وقوله من أخرى أولها [من الخفيف] :

إنَّ ربعاً عرفته مألوفاً كان للبيض مربعاً ومصيفاً
غيرت آيةُ صروف الليالي وغدا عنه حسنه مصروفاً
ما مررنا عليه إلا وقفنا وأطلنا شوقاً إليه الوقوفاً
ألفاً فيه للبكاء كأنِّي لم أكن فيه للغواني ألوفاً
حاسداً للجفون لما أزلت في مغانيه دمعها المذروفاً
إنَّ يعقوب قد أفاد وأقنى وأعاد الندى وأغنى الضعيفاً^(٣)
سلَّ سيفاً من البصيرة والرأى فأغنائه أن يسلَّ السيوفاً
باذلاً للعزيز دون حماه مهجةً حرّةً ورأياً حصيفاً
لم تزل دونه تخوض المنايا وتردُّ الردى وتلقى الصفوفاً
ناصرها مشفقاً محبباً ودوداً قائماً في رضاه صعباً عسوفاً
ليس يخشى فساد أمرٍ تولاه وأضحى برأيه مكنوفاً^(٤)

(١) فلتٌ : قطعت .

(٢) البسطة : القوة والهيبة .

(٣) أقنى : أملك واعطى .

(٤) مكنوناً : محاطاً .

خلقاً طاهراً وفعلاً شريفاً
 منعماً مفضلاً رحيماً رؤوفاً^(١)
 د وأعطى يرى الكثير طففاً^(٢)
 يستلذُّ التّدى ويقري الضيوفاً
 د ويعطي ويسعف الملهوفاً^(٣)
 أبداً عن فئاته مصروفاً

ما رأيناه قطُ إلا رأينا
 ورأينا قرماً كبيراً هماماً
 لذّ طعم العطاء وهو إذا جا
 خلقٌ منه - منذ كان - كريمٌ
 ويريش الفقير بالبذل والجو
 فأرانا الإله صرف الليالي

وقوله من أخرى [من المجتث] :

مغرى بأهل الخيام
 بصائبات السّهام
 ن لأشفين سقامي^(٤)
 والهجر غير حرام
 إلا بطول الغرام
 بشرتي وغرامي^(٥)
 ش كان في الأحلام
 لحادث الأيام
 ل والأيادي الجسم
 من واكفات الغمام
 مستبشر بسّام

حيّ الخيام فإني
 بالراميات فؤادي
 أسقمتني وتألّي
 أيام وصلي حرام
 لا عذب الله قلبي
 سقياً لدهر تولّي
 كأنما ذلك العي
 لم يبق من نرتجيه
 إلا ابن أحمد ذو الطو
 كفاه أغدق جوداً
 يلقى العفاة بوجه

(١) القرم : السيّد .

(٢) الطفيف : القليل .

(٣) يريش : يقوي ويفغي .

(٤) تألّين : أقسم ودعون الله .

(٥) الشّرة : حدّة الشباب ونشاطه .

معظماً ترتجيه
يرمي الخطوب برأي
قمرٌ له عزماتٌ
للنائبات العظام
أمضى من الصمصام
تفلُّ حدَّ الحسام

وله من أخرى [من المتقارب] :

توهمت أمراً فلم أنبس
حمياً كأن سنا نورها
يعاطيها رشاً طرفه
بخدرٍ يروقك توريده
بحرفٍ وناديت بالأكؤس
سنا بارقٍ لاح في الحندس^(١)
سريعٌ إلى تلف الأنفس
وعينٍ تنوب عن النرجس

يقول في مدحها :

له قلمٌ أبداً ناطقٌ
إذا ما انتضاه لأمرٍ رمى
رآه الوزير على غاية
بأسعد قومٍ وبالأنحس
به الدهر عن صائبات القسي^(٢)
من الفضل تعلقو على الخنس^(٣)

ومن أخرى [من الوافر] :

أظن ودادها من غير نية
فتاة لا تملُّ عذاب قلبي
ولا ذنبٌ له إلا التوافي
ويعجبني التمتع والتشاجي
وهل هي فيه إلا مدعية
ولا تخليه وقتاً من أذية
لمن في الحب ليست بالوفية
من الخود الممنعة الشجية^(٤)
فوا أسفاً على حرٍ يعزي
أخا رزءٍ على عظم الرزية^(٥)

(١) الحمياً : الخمر ، والحندس : الظلام .

(٢) انتضاه : استلّه وشهره ، والقسي : جمع قوس .

(٣) الخنس : الكواكب .

(٤) التشاجي : شدة الشوق والتذكر والخود : الفتاة الناعمة .

(٥) الرزية : المصاب .

ومنها^(١) :

وذلك أن إيري فيه رطلٌ
ومن بعث المدام فليس بدٌ
فثمّ هناك حرٌّ شافعيٌ
ونفسي غير مائلةٍ إليها
أحبُّ دنوّها وتحبُّ قربي
وما لاقيتها إلا تلاقى
وهذا الرأي لا رأيٌ سواه
ولا عيشٌ سوى تقلابٍ بظُرٍ
على أنّي أقول بكلّ شيءٍ
ولا ألوي على أحدٍ يراني
ومن نال العلاء حجاً ومجداً
تشابه خلقه والخلق حسناً
تشاهد منه طوداً مشمخراً
له الأقلام كيف يشاء تجري
كانّ اللفظ في القرطاس زهرٌ

ومن أخرى [من البسيط] :

كفّي ملامك يا ذات الملاماتِ فما أريد بديلاً بالرقاعاتِ

(١) لم نشأ أن نحذف شيئاً ممّا في هذا الكتاب من المجون - كما يفعل بعض الناشرين ، تحرجاً منهم وتأنماً كما يزعمون ، وحرصاً على مكارم الأخلاق لأننا لا نؤلّف ، وإنّما نحقق نصّاً قيده صاحبه في زمن كان الناس فيه أشدّ تحرجاً من هذا الزمن الذي نعيش فيه ، ولأننا نرى من حقنا ان نتصرّف في كتب الناس ثم نبقها منسوبة إليهم . . .

(٢) القذمية : الواسعة .

(٣) الحجى : العقل والرأي .

كأنني وجنود الصفع تتبعني
 قسيس دبير تلا مزماره سحراً
 وقد مجنتُ وعلمتُ المجون فما
 وذاك أني رأيت العقل مطرحاً
 إنني سأدخل عذالي على عدلٍ
 أفدي الذين نأوا والدار دانيةً
 كم قد نفتت سبالي في صدودهم
 سقياً ورعياً لأيامٍ لنا سلفتُ
 إذا لا أروح ولا أغدو إلى وطنٍ
 أيام أسحب أذيال الهوى مرحاً
 عوضت منهن أحزاناً تؤرقني
 لولا عذارُ تعالي كيف صوره
 كأنه مشقةٌ من خدٍ من شقيت
 لما حللت بدارٍ مالها أحدٌ
 لو كنت بين كرام ما تهضمني
 ومنها :

وقد تولت مزامير الرطانات^(١)
 على القسوس بترجيعٍ ورناتٍ
 أدعي بشيءٍ سوى ربِّ المجاناتِ
 فجئت أهل زمانني بالحماقاتِ
 في الحبِّ أن عذلوني في الحراماتِ
 وشئتوا بالجفا شمل الموداتِ
 والصدِّ أصعب من ننف السبالات^(٢)
 بالقفص قصرها طيب اللذاتِ
 إلا إلى ربع خمائرٍ وحاناتِ
 مصرعاً بين سكراتٍ ونشواتِ
 بعد السرور وفرحاتٍ بترحاتِ
 ربُّ العباد لتعذيبي وحسراتي
 روحي بهجرانه أو عطف نونات^(٣)
 إلا أناسٌ تواصلوا بالخسباتِ
 دهرٌ أناخ على أهل المروءات^(٤)

لنال بالمجد أعنان السمواتِ
 إذا دجا الرأي من أهل البصيراتِ
 أو واقفاً في صدور السّمهرياتِ^(٥)

(١) الرطانة : الكلام الأعجمي .

(٢) السبال : الشارب .

(٣) المشقة : طول ورقة في الخد .

(٤) تهضمني : أنقصني حقوقي - ظلمي .

(٥) السمهري : الرمح .

بجوده مستهلاتٍ منيراتٍ
وقد حرمت عطايك الجزيلاتِ
مستطرفاتٍ بالفاظٍ طريفاتِ

يا من غدت أوجه الأيام مشرقةً
مالي بلا سبب غودرت مطرحةً
ولي مدائح قدماً فيك سائرةً

ومن أخرى [من البسيط] :

وجيد الشعر منعوتٌ وموصوفٌ
ومن يقوم بأمرٍ فيه تكليفٌ
والذقن إن دام ذا الإعراض منتوفٌ
هذا ورأسي وما والاه مكشوفٌ
رزقي قذالٌ أصمٌ السمع مكشوفٌ^(١)
قدم الذين لهم منها مجاديفٌ^(٢)
لا شك ما فيه تنفيسٌ وتفويفٌ
على الأخادع مثنيٌ ومعطوفٌ
وطيب الشيء مجنيٌ ومقطوفٌ
فلليالي وللأيام تصريفٌ
لم يأكل اللحم إلا وهو معلوفٌ
يديه إلا وفي اليمنى تطاريفٌ^(٣)
حتى يرى وهو بعد النشر ملفوفٌ
إلا نتيجة رأسٍ فيه تخفيفٌ؟^(٤)
دون البرية والمحبوب مألوفٌ

كلُّ بشعري مفتونٌ ومشغوفٌ
كلفت من أمرهم ما لا أقوم به
لأنتنن سبالي طاعةً لهم
أمسي وأصبح مجفواً ومطرحةً
وبي وعندي وفي ملكي ولا رزقوا
من تلك أافية القوم الكشاخنة الـ
مفوقات بتنفيسٍ وأطبعها
معطوفةً وبنفسي يا ابن أم قفا
كم قاتلٍ ويداه في أطايه
فإن يكن ذا فلا غرو ولا حرج
هذا الذي من رآه دون ملمسه
ولم يمد إلى رأسٍ على طربٍ
بيناً يرى الثوب منشوراً بلا سببٍ
فكم ألام؟ وكم ألحي؟ وهل حمقي
ألفته حسب مالي من محبته

(١) القذال: القفا.

(٢) الكشاخنة: الفسدة والفسقة والقدم الأحمق الغليظ.

(٣) التطاريف: من الأطراف.

(٤) ألحي: الألام.

إلف المكارم والجدوى فتى أسد
 حرٌّ إذا ذكر الأحرار مشتملٌ
 بمثله يدفع الخطب الجليل إذا
 ندبُ نماء كرام سادة نجبٌ
 تحصى النجوم ولا تحصى فضائله
 محمدٌ خير من ناداه ملهوفٌ
 على السّماح ببذل العرف معروفٌ
 تصرّفت بيني الدنّيا تصاريفُ
 شمّ الأنوف بها ليلُ غطاريفُ^(١)
 ولا يحيط بها وصفٌ وتكليفُ

ومن أخرى [من الهزج] :

لمن أمدح بالشعر؟ لمن أقصد؟ لا أدري !
 إلى من إن دجا خطبٌ ونابت نوب الدهر
 فقد والشفع والوتر ومن أقسم بالفجر
 تحيرت فما أدري الذي أصنع في أمري
 على أني بالدهر وبالأيام ذو خبر
 ولكنني للخير ة سكرانٌ بلا سكر
 كاني لست مخلوقاً لغير الجهد والضر
 ومذ كنت فمدفوعٌ إلى الفاقة والفقير
 فما أصنع في مصر إذا لم أحظ في مصر؟
 وفي الأفاق أقوامٌ يميلون إلى شعري
 ونبتت بأن القوم لا يخلون من ذكري
 فقيم الترك للسير؟ وهل في ذاك من عذر؟
 وقد قدمت أثقالي وسيري غرة الشهر
 فأما أكثر الحمق فقد سيرت في البحر
 وباقه معي يذهب في البر على ظهري

(١) الندب : السريع الى الفضائل والبهاليل : جمع بهلول، وهو السيد المحب للخير وكثيرة
 والغطاريف : جمع غطريف وهو الفتى الجميل .

ولا أترك في مصر
فمن بعدي ليطيب
ومن يلعب في الرأس
ومن من شدة الصفع
ومن هامته أقوى
ومن يضطر في الذقن
ومن يتنف بالدبق
ولكنني لا كنت
إذا أمراني الصفع
وهيات ترى صفعاً

لذكر الحمق من أثر
ه في النظم وفي النثر؟^(١)
من العصر إلى العصر؟
له رأس بلا شعر؟
على الصفع من الصخر؟
بلا كيل ولا حزر؟^(٢)
سبالات بني البظر؟^(٣)
لما في من الكبير
تجشأت من الدبر؟^(٤)
لغيري أبداً يمري

ومنها :

ألا يا منتهى الجود
ويا ابن السادة الغر
ويا أبهى من الشمس
لماذا أنت لا تعدي
همام طاهر الذيل
كريم الأصل والخيم
جواد غير مدفوع

ويا ذا المجد والفخر
ويا ابن الأنجم الزهر
ضياءً ومن البدر
على الأيام والدهر؟
سليل السادة الغر
رحيب الباع والصدر؟^(٥)
عن الأفضال والبر

(١) أطباه : دعاه .

(٢) الخزر : المقدار والمعرفة .

(٣) سبالات بني البظر : أي شعر العانة .

(٤) أمراني : يقال أمرى الدم : استخرجه وربما الصفع أمرى دموعه .

(٥) الخيم : السجايا .

وما زال إلى كلِّ
لقد عمّت أياديه
له عارفةٌ تسري^(١)
جميع البدو والحضر

ومن أخرى [من المديد] :

عجبٌ ما مثله عجبٌ
قرقرت بطنسي فواحزني
هرباً من شرّها هرباً
ذهب الناس فما أحدٌ
حزّني أتّي مذّ زمنٍ
ولكم بتنا على طربٍ
وكؤوس الصفع دائرةٌ
وانتخبناها وهامهمُ
وكأنّ الصفع بينهمُ
والعمى منهم وإن شغلوا
سوف يدرون أيما رجلٍ
بسيوفٍ شركها أدمُ
وعجيبٌ والحسين له
أنّ شربي عنده رنقُ
وله الورْدُ المعاذ به

فعلوا بي غير ما يجبُ
ذقن من بالسّلع يختضب^(٢)
فعسى أن ينفع الهربُ
يشتهي أن تنفخ القربُ
ما لعيناه ولا لعبوا
ورؤوس القوم تستلب
ملؤها اللذات والطربُ
وأكفُ القوم تصطخبُ
شعلُ النيران تلتهبُ
عنه باللذات مقتربُ
ضيّعوا مني إذا طربوا
مرهفاتٍ للعمى سببُ^(٣)
راحةً بالجدود تنسكب
ولديه مربعي جذب^(٤)
والجناب الممرع الخصب

(١) العارفة : النوال والفضل .

(٢) القرقر : أصوات الريح في البطن .

(٣) الشرك : ما ينصب من الحبال ليصطاد به .

(٤) الرنق : الكدر .

وهو الغيث الملت إذا أعوزتنا دَرَّها السُّحب^(١)
وإلى الرسيّ ملجؤنا من صروف الدهر والهرب
سيد شادت علاه له في العلا آباؤه النجب
وله بيت تمد له فوق مجرى الأنجم الطنب^(٢)
حسبه بالمصطفى شرفاً وعليّ حين ينتسب
رتبة في العز شامخة قصرت عن نيلها الرتب
ذاك فخر ليس تنكره لكم عجم ولا عرب
ولأنتم من فضلهم جاءت الأخبار والكتب
وإليكم كل منقبة في الوري تعزي وتنسب^(٣)
وبكم في كل معركة تفخرالهنديّة القضب^(٤)
وبكم في كل عارفة ترفع الأستار والحجب
وإذا سمر القنا اشتجرت فيكم تستكشف الكرب^(٥)

وقوله من قصيدة في الرسيّ أولها [من مجزوء الرمل] :

باح وجدأ بهواه حين لم يعط مناه
مغرم أغرى به السقم فما يرجى شفاه
كاد يخفيه نحول الـ جسم حتى لا تراه
لوضناً يخفى عن العين لأخفاه ضناه

ومنها :

حبذا الرسيّ مولى رضي الناس ولاه

(١) الغيث الملت: المطر الهاطل والدرّ: يعني به مطر السحاب .

(٢) الطنب : الجبال .

(٣) المنقبة : المائرة .

(٤) الهنديّة القضب : السيوف القاطعة المنسوبة الى الهند .

(٥) اشتجرت : تداخلت وتشابكت في العراك .

جعل الله أعاديهِ من السوء فداهُ
 فلقد أيقن بالثروة من حلّ ذراهُ
 من رقى حتى تنهى في المعالي مرتقاه
 فات أن يبلغ في السؤدد والمجد مداهُ
 ملكٌ مذ كان بالسطوة ممنوعٌ حماهُ
 بحر جودٍ ليس يُدزى أين منه منتهاهُ
 لم يضع من كان لإبراهيم في الناس رجاهُ
 لا ولا يفرق من صرّف زمان إن عراهُ^(١)
 من به استكفى أذى الأيام والدّهري كفاهُ
 كيف لا أمدح من لم يخلُ خلقٌ من نداهُ
 وقوله من أخرى يقول فيها [من مجزوء الرمل] :

لو برجلي ما برأسي لم أبت إلا بنجدي
 خفةً ليست لغيري لا أراني الله فقدي
 ومحالٌ أن يرى مثلي أو يبصر بعدي
 رجلٌ لا يضطر الضرّ طة إلا بعد جهدي
 فلذا الأمر تراه يأكل التمر بزبد
 غير أنّي قيل عني إنني مغرّ بدعدي
 وبليلي وبسلمي ويسعدى وبهندي
 ثم لا أملك شيئاً غير سنورٍ وخلدي^(٢)
 وحماقاتٍ وعمري إن لي رأساً مرندي^(٣)

(١) يفرق : يخاف ، وعراه : أصابه وحلّ به .

(٢) السنور : الهرّ ، والخلد : حيوان يشبه الجردون يعيش داخل الأرض ويتخذ له فيها طرقاً عدّة .

(٣) المرندي : الصلب والقوي التحمل .

أصبر الأروُس في صفح بلا حزرٍ وعدّ

ومنها :

خلقت كَفَاه من جو دٍ لراجيه ورفدٍ
موردٌ يورد راجيه إلى أعذب وِردٍ
لا خلا من منةٍ منه إلى الأحرار يسدي^(١)
فهو القائم بالحقّ وموفي كلّ عهدٍ

ومن أخرى [من البسيط] :

قلبي لك الخير بالأفراح معمورٌ
مستبشّرٌ جدلٌ بالفتح مسرورٌ
يقول فيها :

خذ في هناتك ممّا قد عرفت به ممّا به أنت معروفٌ ومشهور^(٢)

واحك العصافير صي صي صي
إذا تجاوبن صصي صصي صصي
ففيك ما شئت من حمقٍ ومن هوسٍ
في الصبح العصافير
كم رام إدراكه قومٌ فأعجزهم
وكيف يدركُ ما فيه قناطيرُ
لا تنكرن حماقاتي لأنّ بها
لواء حمقي في الآفاق منشورُ
ولست أبغي بها خلاً ولا بدلاً
هيهات غيري بترك الحمق معذور
لا عيب فيّ سوى إنسي إذا طربوا
وقد حضرت يرى في الرأس تفجير

(١) يسري : يقدّم ويتكرّم .

(٢) الهناة : الدهاء .

(٣) الإكسير : ما يلقي على الفضة أو نحوه فيحوّكه إلى ذهب خالص ، وذلك من خرافات أصحاب الكيمياء القديمة .

لكثرة المزمح توريمٌ وتحميمٌ^(١)
 صفعٌ ونقعٌ وتيسيرٌ وتعسيرٌ
 كذا الليلي لها صفوٌ وتكديرٌ
 لغير شيءٍ وما في الصّحف مسطور
 وبات يردعها خوفٌ وتحذيرٌ
 ذخرٌ لمثلك عند الله مذخور
 سواه في الناس محمودٌ ومشكور
 وماله في سوى العلياء تشميرٌ^(٢)

والأخدعان فما زالا يُرى بهما
 وذا الفعال مع الإعراض مطردٌ
 فذا وذاك وهذا ثم ذاك وذا
 أستغفر الله ممّا قلته عبثاً
 أقول للنفس لما استشعرتُ جزعاً
 إنّ الإمام نزاراً مدحه فثقي
 هو الذي ليس بعد الله من أحدي
 مشمّرٌ في المعالي ذيل مجتهدٍ

ومن أخرى [من الوافر]:

على ضرب اللّجاجة والحران؟^(٣)
 تزهد في المثلث والمثاني؟
 وتقت إلى معتقة الدنان^(٤)
 إلى أصوات قهقهة القناني
 على الخدين منها وردتان
 تثنتٌ كالقضب الخيزران^(٥)
 ولا قمرأ بأعلى غصن بان
 ضجيجٌ ضراطه بالنهروان
 صبورٌ عند مختلف الطعان

أترضى بالتخلف والتواني
 وما أنا والأحاديث اللواتي
 ألا طربست إلى النشوات نفسي
 كما طربست أباريق الندامي
 ويومك إذ تطوف به فتاةٌ
 مهفهقة القوام إذا تثنتٌ
 ولم أر قبلها شمساً تبدت
 لحاه الله من شيخٍ ضروطٍ
 ولكن رأسه جلدٌ جليدٌ

(١) الأخدعان : عرقان في العتق .

(٢) مشمّر : متأهب .

(٣) الحران : العناد .

(٤) تقت : اشتقت .

(٥) تثنت : تمايلت .

ولم أر قبله رأساً سواه
ولا سيماً إذا الأيدي توالَتْ
غداً وقفاً على حربِ عوان^(١)
عليه والتقت حلقِ البطان^(٢)
ومنها :

إلى من راحتها ندى وجودٌ
كريمٌ لا يدافع عن سماحٍ
تناهت عنده الآمالُ لَمَّا
غداً أقصى النهاية في الأمانِي
علينا بالمواهب ثرُتان^(٣)
جوادٌ ماله في الجودِ ثان

ومن أخرى [من مجزء الرمل]

كلُّ يومٍ أنا من إِيْرِي في أمرٍ عجاب
ليس يخليني من همٍّ وحزنٍ واكتئاب
لم يدع لي ذهباً إلا رماه بالذهب
وابتدى المشؤوم أن يع مل في امر التَّباب^(٤)
هل مجيرٌ لي منه أهلٌ ودِّي وصحابي
أو وإلا تبت والرح من من لعب الكعاب
أنا مبلي من بلايا هُ بنصبٍ وعذاب
أنا لولاه لألفيت قليل الاضطراب
وتجزيت بنزير من طعام وشراب
ولما طال انتزاحي عن بلادي واغترابي^(٥)
لعنة اللُّه عليه وبراعيتُ الكلاب

X
طلا ٣
لا يصح

- (١) الحرب العوان : الحرب الضروس المتتابعة .
(٢) حلقِ البطان : أي بطون الأكف .
(٣) الثرة : المنعمة بالخير الكثير .
(٤) التباب : الهلاك والخسران .
(٥) الانتزاح : الابتعاد .

فَلَكُمْ أوقفني مو قف خزي واكتئاب
ولكم أغلقت باباً من هواه دون باب
ربُّ قد أبليتني مذ ه بمعتوه مصاب
عينه في كلُّ من د بٌ على وجه التراب
ثم لا يرضيه منه غير دبرٍ مستطاب

ومنها :

وبإحسان تميم عذتٌ من عظمِ مصابي^(١)
بالأمير السيد الما جد والقرم اللباب^(٢)
والهمام المنعم المفضل والبحر العباب
والذي لا فرق ما بين جداه والسحاب^(٣)
تشني منه الى ذي كرمٍ رحبِ الجنب
رافع دون بني الأ مال أستار الحجاب
لم أزره قطُّ إلا بتُ محمود الاياب
ذكره أعذب في الانفس من ذكر الشباب
ولقد رقُّ عن الماء وعن طبع الشراب
أكثمُ في الرأي والفضل وقسُّ في الخطاب^(٤)

وقوله [من الكامل] :

كتب الحصير إلى السرير أن الفصيل ابن البعير

(١) عذتٌ : احتमित .

(٢) القرم : السيد ، واللباب : الخالص من كل شيء .

(٣) جداه : تفضله وكرمه .

(٤) أكثم : هو أكثم بن صيفي حكيم العرب وقس : هو قس بن ساعدة خطيبهم .

فلمثلها طرب الأمير إلى طباهجة بَقِيرٍ^(١)
 فلا منعنَّ حمارتي ستين من علف الشعير
 لا همَّ إلا أن تطير من الهزال مع الطيور
 فلاخبرتك قصتي فلقد وقعت على الخبير
 إن الذين تصافعوا بالقرع في زمن القشور
 أسفوا عليَّ لأنهم حضروا ولم أك في الحضور
 لو كنت ثمَّ لقيت : هل من آخذ بيد الضَّيرِ؟
 ولقد دخلت على الصديق البيت في اليوم المطير
 متشمراً متبخرأ للصفع بالدكو الكبير
 فأدرت حين تبادروا دلوي فكان عمى المدير
 بالرجال تصافعوا فالصفع مفتاح السرور
 لا تغفلوه فأنه يستلُّ أحقاد الصدور
 هو في المجالس كالبخور فلا تملّوا من بخور
 ولأذكرنَّ إذا ذكر ت أحبتي وقت السحور
 ولأحزننَّ لأنهم لما دنا نضجُ القدور
 رحلوا وقد خبزوا الفطير ففاتهم أكلُ الفطير
 لا والذي نطق النبيُّ بفضلِه يوم الغدير
 ما للإمام أبي عليٍّ في البرية من نظير

وله من أخرى أولها [من المتقارب] :

سلام على الربع ربع الجدا سلام على تمره واللبا^(٢)

(١) طباهجة : اللحم المشرح ، بقير : مقطّع ومشقق .

(٢) اللبا : أول اللبن عند الولادة .

معنى بتذكار ما قد مضى^(١)
وقفناه فيه ندير الدلا
غلاظ الرقاب عراض اللحي
وناديت بطني أجاب الخرا
أقمنا نصافع شهراً ولا
أخادع من لا يعيب الوفا
إذا الصفع دار وكلّي قفا
إذا الصفع دار أتاني الجشا
فما أطيب الصفع لولا العمى
رأضرب بالطبل تحت الكسا
لأية حال أذم الفراء^(٢)
خلقت رقيقاً كما قد ترى
لقد فقت فيه كما الفارسي في الرمي فاق جميع الوري
فهنّ يصبن له ما اشتهى
ولو أنه بمكان السها^(٣)
عجيب ومن منظرٍ مُشتهى
وأضيافه عنده في القرى

سلامٌ عليه سلام امرئ
سلامٌ عليه فكم موقف
لعهدي فيه شيوخٌ لنا
إذا ما قبضت على لحيه
وكنّا من الظرف لو أننا
نعيب الوفاء ولهفي على
ولا عذر إلا أدير اللطام
وقد كنت تبت ولكنتي
فلا تترك الصفع جهلاً به
ومالي أكاتمكم قصتي
إذا كان في الصيف لي جنة
ولم أكسب الحمق لكنتي
لقد فقت فيه كما الفارسي
كانّ البنادق طوعاً له
إذا ما رمى طائراً حطه
فيالك من موقفٍ مبهج
فعيد الطيور به ماتم

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

وكم إلى كم تؤنّبيني
لكنك لاشك تعذريني

عاذل كم فيه تعذريني
لو بك ما بي من التصابي

(١) معنى : مولع ومغرم ومُشقى .

(٢) الفراء : يعني الفراء .

(٣) السها : النجوم .

إنّ الذي قد أذاب جسمي
بدر تمامٍ على قضيبٍ
ما شئت من نرجسٍ جنّي^١
عيناه تسطو على فؤادي

بالثغر والجيد والجفون
ركباً من نغمةٍ ولين
غضٍ ووردٍ وياسمين
والموت في سطوة العيون

ومنها :

فأطيب العيش كان عندي
وكنت طباً به بصيراً
فكم غزالٍ أخذت قسراً
والناس يسعون نحو داري
فذا يوافي بثوب خزّ
وذا يفديّ وذاك يهدي
وكلُّ علقٍ الى مراحي
وكان خلقي لهم رضيعاً
قد أجمع الناس أن حمقي
قد عشت دهرأ أعول عقلي
فمذ تحامقت قد كساني
ومن بلائي أبو عمير
منتصبٌ ما ينام وقتاً
من كان ذا زوجةٍ فإني
عميرةٌ قد جلدت حتى

أيامٍ للفسق قلّدوني
وأقوّدُ النَّاسَ في سكونٍ^(١)
وكم مليحٍ حوتٍ يميني
من كلِّ أرضٍ ويقصدوني
وذا يوافي بثوب توني^(٢)
وذاك يمضي وذا يجيني
أهدى من الطير للوكون^(٣)
أصفعهم ثم يصفعوني
أحسن من عفتي وديني
والنَّاسَ إذ ذاك يبعدوني
حمقي وقد عالني جنوني
معرّضٌ لي إلى المنون
وليس يهدي من الرنين
لشقوتي زوجتي يميني
خشيت والله يجلدوني

(١) طباً : عالماً .

(٢) التوني : نوع من الحرير .

(٣) الوكون : أعشاش الطيور .

وزوجوني

فطلقوها

فراقبوا الله في أموري

ومن أخرى [من السريع] :

يا أهل ذا المنزل هل حيلةٌ
عقرب صدغيه فقلبي إذا
وكلّما لاحظني طرفه
يسم إن ناولني ثغرةً
أنجبت في الحمق وهل فاضلٌ
لو علموا مالي من لذّة
أعتبني الدهر ولولا الذي
لما رأى الآمال مصروفةً
فارقني من شره صاحبٌ
هناك لو تبصرني نائهاً
تطلب مني نائلاً بعد أن
كذاك من صاحبٍ من لم يزل
أكرم من جاد فما بعده
أول من يثني به خنصرٌ
مهذب الآراء محمودها
لا فرق عندي بين أعلامه
ما استلها إلا أدلت له

تنجي فمن ظبيكم مُعطي
هم توقى لدغة العقرب
لاحظني عن مقلّة الرّرب
عن ذي غروبٍ واضح أشنب^(١)
كناقص في الحمق لم ينجب
لم ألح في الحمق ولم أعتب^(٢)
عمّ الوري بالبذل لم يعتب
إلى السّديد ابن أبي الطيب
كان لعمرى شرٌ مستصحب
على بني الدهر تعلقت بي
كنت أرى الرّزق مع الكوكب
ربّ جنابٍ ممرعٍ مخصب
لطالبي جدواه من مطلب
وأصفح النفس عن المذنب
مفضّل في الشرق والمغرب
وبين فعل الصّارم المقضب
من الأعادي كلّ مستصعب

(١) عن ذي غروب أشنب : يقصد الرضاب البارد .

(٢) ألحى : الام .

ومن أخرى [من المجتث] :

إني	ليرتاح	قلبي	إلى اصطحاب	المثاني
بحيث	تنفي	همومي	معتقاتُ	الدُّنان
مع	شادنٍ	ذي	لِ	مهفهفٍ
يرنو	إليَّ	بطرفِ	وناظرٍ	وسنان ^(١)
أعار	حسن	الشَّني	تثني	الأغصان
إذا	تبسم	تيهاً	يفترُّ	عن
لأسخطنُ	عذولي	فيه	بخلع	العنان
فقمُ	رفيقي	فاحثُ	كؤوسنا	غير
وهاتها	كسنا	البر	ق لا ح	من نعمان
صفراء	مما	اقتناها	كسرى	أنو
صفت	ورقت	ففاتت	إدراكها	بالعيان
فليس	تدرك	بالحسُّ	لا ولا	الأذهان
روحٌ	من الراح	لكنَّها	بلا	جثمان
فالريحُ	للمسك	منها	واللون	للزعفران ^(٣)

يقول في مدحها :

من قال	من غير	خيرٍ	بأن	في	الناس	ثاني
لسؤدد	ابني	عليَّ	قد	جاء	بالبهتان ^(٤)	
يداهما	بالعطايا	وبالندي	ثرتان			

(١) يرنو : ينظر ، والوسنان : الناعس .

(٢) فاحث : أسرع وعجَل ، والواني : المبطيء .

(٣) الزعفران : نبات له أصل كالبصل زهره أحمر إلى الصفرة .

(٤) البهتان : الزور والكذب .

ومن أخرى [من مجزوء الرومل :

ربُّ يومٍ قد قطعنا هـ حديثاً وعتابا
وجمعنا بين خمريـن مداماً ورضابا
وشفينا غلّة النّفس دنواً واقترابا
وترشّفت على شو ق ثناياه العذابا
وسألنا ذلك الشي ء جهازاً فأجابا
يقول في مدحها :

ورحلنا نطلب السّيد والقرم اللبابا^(١)
فرأينا العزّ والثروة والبحر والعبابا
ورأينا أفضل الناس وأحلامهم خطابا
يقظاً يدرك بالفطنة ما فات وغابا
هذبته فطنة العلم فما يخشى معابا
عرف اللذة للبدل فأعطى وأتابا
وإذا ما كرم الأصل زكا الفرع وطابا

ومن أخرى يقول فيها [من مجزوء الرجز] :

كأنما عذاره سطرًا سوادٍ في يقق^(٢)
كأنما رضابه خمرٌ بمسكٍ قد فتق

ومنها :

إنّ نكته فاستمعن نصحك من خلّ شفق

(١) اللباب : الخالص من كل شيء .

(٢) اليقق : الشديد البياض .

كن حذراً كن حذراً
 لأنه من سعة
 ان قلت اني حسن
 قلنا مقالاً بيناً
 كل امرئ صورته
 كن غصناً كن قمراً
 كن يوسف الحسن الذي
 هل أنت إلا خلق
 يا أيها العلق الذي
 خانك في الود الذي
 كن حذراً من حذراً
 يصلح للبحر طبق
 والحسن مني مسترق
 لا كذباً ولا خرقاً^(١)
 خالقه كما اتفق
 كن شمس دجن في الأفق^(٢)
 من طينة الحسن خلق
 زدت على كل خلق
 فقحته بلا غلق^(٣)
 بودّه كنت تشق

ومن أخرى [من المتقارب] :

خليلي من عامر اسعدا
 قفا وقفة بربوع الحمى
 لما عجت بالركب مستنجداً
 معاهد لهو كأن الهوى
 فسبحان من جعل المكرمات
 وقال له كن كما تشتهي
 وهل غيره أحد يرتجى
 على الشوق خلاً بلا مسعد
 فلولا الوفا لهوى الخرد^(٤)
 دموعي على الطلل الملبد
 بها بعد زينب لم يعهد
 جميعاً بكف أبي أحمد
 فكان النهاية في السؤدد
 ويعدى على الزمن المعتدي

-
- (١) الخرق : الجهل والطيش .
 (٢) الدجن : الغيم الكثير المظلم .
 (٣) العلق : المخنث ، والفقحة : فتحة المخرج .
 (٤) الخرد : الناعمات من النساء .

ومن اخرى [من مجزوء الرمل] :

عدُّ عن قالٍ وقيل وصعودٍ ونزولٍ
حصحص الحق فما [ذا] شتٍ من قولٍ فقولي
غير أني أقبل النا س لشيءٍ مستحيل
فاسمعن مني ودعني من كثيرٍ وقليل
وصغيرٍ وكبيرٍ ودقيقٍ وجليل
قد ربحنا بالحماقا ت على اهل العقول
فرعى الله ويبقى كلُّ ذي عقلٍ قليل
ماله في الحمق والخفّة مثلي من عديل^(١)
فمتى أذكر قالوا شيخنا طبلُ الطبول
شيخنا شيخٌ ولكنّ ليس بالشيخ النبيل
طالما نادى نداما ه إلى شرب الشمول^(٢)
قائلاً بالشادن الأغيد ذي الطّرف الكحيل
أطرب الناس إذا غنّى على ثاني الثقل
قفّ على المنزل بالنحستين فالرسم المحيل
وقفّة الواله للتد آل ما بين الطلول
أهملنّ دمعك فالرا حة في الدمع المهمول
عدُّ عما أنت فيه من محالٍ وفضول^(٣)
واصرف المدح إلى ذي السطّول والفعل الجميل^(٤)

(١) العديل : المثل .

(٢) الشمول : الراح .

(٣) عدُّ : تجاوز .

(٤) ذي الطول : ذي القوّة والبأس .

الذي ذكره في كل محل وقبيل^(١)
 ذى يد بالجود أندى من ندى الغيث الهطول
 لم يكن قط لراجيه سوى سمح منيل
 أسمع الأمة بالمال وبالئيل الجزيل
 وإذا ما سيل الفي بالتدى غير بخيل
 لم يزل يذخر للحادث والخطب الجليل
 ناهض إذ عجز الأقوام بالعبء الثقيل
 ليس يصغي في المقالات إلى عدل العذول
 وإذا ما قال قولاً لم يكن غير فعول
 ولقد عزت به الأداب من بعد الخمول

ومن أخرى في الرثاء [من الوافر] :

لعمرك إنه رزء عظيم	وخطب أمره جليل جسيم
رزئنا من صلاة الله تترى	عليه ما دجا ليل بهيم
وما أطت إلى البيت المطايا	وما طلعت على الأرض النجوم ^(٢)
لعمرك ما المصاب به خصوص	ولكن المصاب به عموم
سقى جدثاً به حماد أضحى	من الوسمي هطال سجوم ^(٣)
ففيه المجد أمسى والمعالي	وفيه العز والفخر القديم
أبعد وفاته يدعى همام	لخطب أو يقال بقي كريم
كأننا يوم منعه إيلنا	وقد فتكت بأنفسنا الهموم ^(٤)

(١) القبيل : الجماعة .

(٢) أطت : سارت وشقت الأرض .

(٣) الجدث : القبر ، والوسمي : مطر الربيع والساجم : اللامنقطع .

(٤) منعه : من النعي ، وهو نبأ الوفاة .

ثواكل حزنهنّ على الليالي
وكان ربيعنا في كلِّ محلٍ
جميل الفعل محمود السجايا

ومن أخرى [من البسيط] :

هل من سبيلٍ إلى بيتي وجاريتي
أم هل سبيلٌ إلى البيت الذي سكنتُ
لا أحمد البعد عنها بعد معرفتي
أشكو إلى الله دهرًا غير مثبِّدٍ
ما زدت فيه اجتهاداً في معاتبَةٍ
أقول والدهر لا يألُو مراغمةً
يا واحداً ليس إلّا من يؤمِّله
وامنن عليّ على أني وإن نزحت
ناشدتك الله فيما أشرت به
واستعمل السخف واترك ما سواه فما
والصفع إياك منه فالعمى أبداً

ومنها :

لكن مدحت حميداً فامتدحت فتىً
رأيته فرأيت البدر في أفقٍ
والبحر معترضاً والغيث منبجساً

وإن قدم المدى حزنٌ مقيم
إذا ضنّت بوابلها الغيوم
يزين فعاله كرمٌ وخيمٌ^(١)

أنى ؟ وكيف وما داري بدانية ؟ !
فيه التي بفراقني غير راضية
بأنها لبعادي غير حامدة
من قبح ما لجّ فيه من معاندتي^(٢)
إلّا وزاد اجتهاداً في مغايظتي
وليس يشبه شيءٌ عن مراغمتي^(٣)
ويرتجى عفوه جدّ لي بواحدة^(٤)
عني فما هي عن قلبي بنازحة
إلّا قبلت ولا تهمل مناشدتي
لذاذة العيش إلّا في المساخفة
بغير شكٍّ منوطٌ بالمصافعة

وقفاً على منّة تسدى وعارفةٍ
والشمس طالعةً من كلِّ شارقةٍ
برائحٍ لمرجيهِ وغادية^(٥)

(١) السجايا : الصفات ، والخيم : المائر والمزايا الحميدة .

(٢) اتنّد : تواقف وامتنع وتمهّل .

(٣) يألُو : يترك ويمتنع ، ويقصّر .

(٤) جدّ : تكرم .

(٥) انبجس الغيث : هطل ، وانبجس الماء : تفجّر .

صوادرٍ بين أفكارٍ وبادرة
موفِّقُ الرأي محمودُ المخاطبة
إلاَّ وفلَّ شباه كلِّ حادثة^(١)
ليست إذا طلعت عنَّا بأفلة
جوداً ويجهد نفساً في معاونتي
من بعد ضربتي وحربي بالمسامة

وعن حال الصلاح إلى الفساد
ولو شاهدت ما لك في فؤادي
وتصبح دون غيرك في السواد
ولا آلوك جهداً في اجتهاد^(٢)
أبا عبد الإله لك اعتقادي
إذا ما اسطعت فيه على ازدياد
وكسب الحمد غير فتى جواد
كالفك جاد عن غير اعتداد
وأن يهب الطريف مع التلاد^(٣)
ولست أريده يوم التناد^(٤)

كشكر الروض منهلُ الغوادي

ساس الأمور بآراءٍ مهذبةٍ
مستحسن اللفظ في القرطاس موجزه
ذو أنملٍ ما انتضت في حادثٍ قلماً
في كلِّ يومٍ له نعمى مجددةٌ
ما زال يتبع معروفاً بعارفةٍ
حتى رأيت صروف الدهر عائدةً

ومن أخرى [من الوافر] :

نشدتك أن تحول عن الوداد
ولو عاينت ما لك في ضميري
إذا لعلمت أنك منه تُمسي
فما آلوك نصحاً في وداي
وليس سوى المودة والتصافي
ولو في ذاك حاولت ازدياداً
ولم أعهدك في طلب المعالي
ومن ألف المكارم والعطايا
ويوشك أن يجود بما حواه
ووعدك في الحياة له مرادي
ومنها :

فكم ممن قرنت بهنَّ شكراً

-
- (١) انتضت : استلّت وحملت ، فلَّ شياه كلِّ حادثة : أي قصمها وقطعها وأعان من أصابته عليها .
(٢) آلوك : أقصّر في نصحك .
(٣) الطريف والتلاد : المال المكتسب والموروث .
(٤) يوم التنادي : يوم القيامة .

وكم لك يا محمد من آيات
ومن أخرى [من البسيط] :

ليلى بتيس ليل الخائف العاني
أقول إذ لج ليلى في تطاوله
لم يكف أني في تيس مطرَح
حتى بليت بفقدان المنام فما
ما صاعد البرق من تلقاء أرضهم
ولا حننت إلى نجران من طرب
لا تكذبن فما مصر وإن بعدت
ليالي النيل لا أنساك ما هتفت
أصبر إلى هنوات فيك لي سلفت
مع سادو نجب غر غطارفة
وذي دلالة إذا ما شئت أنشدني
سقيته وسقاني فضل ريقته
ما زلت أجنبي بلحظي ورد وجتته
ما زال يأخذها صفراء صافية
الله يعلم ما بي من صبابته
كم بالجزيرة من يوم نعمت به
سقياً ليلتنا بالدير بين رباً

تفنى الليالي وليلى ليس بالفاني^(١)
يا ليل أنت وطول الدهر سيان
مخيم بين أشجان وأحزان
للنوم إذ بعدوا عهداً بأجفاني
إلا تذكرت أيامي بنعمان
إلا تكثفني شوق لنجران^(٢)
إلا مواطن أطرابي وأشجاني
ورق الحمام على دوح وأغصان
قطعتهن وعين الدهر ترعاني^(٣)
في ذروة المجد من ذهل بن شيبان^(٤)
وإن أردت غناء منه غناني
وجاد لي طرفه عفواً ومثاني
وأستغير على تفاح لبنان
حتى توسد يسراه وخلاني
وما علي جناه طرفه الجاني
على تصاخب نايات وعيدان
باتت تجود عليها سحب نيسان^(٥)

(١) العاني : الشاكي والقلق .

(٢) تكثفني : أحاط بي ، وشملني .

(٣) الهنوات : أوقات جمع هنو .

(٤) الغطارفة : جمع غطريف وهو الشاب الفتي الجميل .

(٥) سقياً : دعا له بالمطر والخير .

عن أصفري فاقعٍ أو أحمرٍ قانٍ^(١)
كأنَّ أجفانه أجفان وسان

والطلُّ منحدرٌ والروض مبتسمٌ
والنرجس الغضُّ منهلٌ مدامعه
ومنها :

مالي وللعقل ليس العقل من شاني؟!
أحدوثه وبحبِّ الحمق أغراني
ولا له في اصطناع العرف من ثان
رحبُّ المكارم سمحٌ غير مثان
لم يخله الجود من فضلٍ وإحسان
يراقب الله في سرٍّ وإعلان
إذا كفرت بمعبودي وديّاني
تبليج الطرس عن درٍّ وعقيان^(٢)
بكلِّ ما شاء من فهمٍ وتبيان

أستغفر الله من عقلٍ نطقتُ بهِ
لا والذي دون هذا الخلق صيرني
ما للشذائيِّ من مثلٍ يقاس بهِ
مهذبُ الرأي محمودٌ خلائقه
من كان في الجود والإفضال لذته
وجملة الأمر فيه أنه رجلٌ
إن كنت قلت سوى ما فيه أعرفه
إذا جرت يده في الطرس كاتبةً
وإن تكلم جاءت به براعته

٢٦ - أبو القاسم الحسين بن الحسين بن واسانة بن محمد

المعروف بالواساني

أعجوبة الزمان ونادرته ، وفريد عصره وبقاعته^(١) ، وهو أحد الفضلاء
المجيدين في الهجاء ، وكان في زمانه ، كابن الرومي في أوانه : فمن شعره قوله
يهجو ابن أبي أسامة [من الكامل] :

يا ساكني حلب العوا صم جادها صوب الغمامة
أنا في مدينتكم غريبٌ لست من أهل الإقامة

(١) الباقع : الخالص الصافي من الألوان .

(٢) الطرس : الصحيفة ، تبليج : أشرق

والخان يحدث للغريب إذا أبى به سامة^(٢)
فقرضت من طول المقام بها وأعوزت المدامه
وخرجت في بعض الليالي قاصداً باب السلامه
وشربت من بشر بها من ياتها ينقع أوامه^(٣)
ورفعت في فلواته وعلوت مرتقياً أكامه^(٤)
فلمحت في بعض الوها د وقد قعدت سواد هامه^(٥)
فسعيت أحسبها غرا بأ أو حداة أو حمامه^(٦)
وإذا بأسود كالفنيق يقل إيراً كاللدعامه^(٧)
وإذا بشيخ تحته حسن الوسامة والقسامه
والشيخ يعصر تحته قد بل من عرق حزامه
فجزرت نايكه فقا ل له ألس تری مقامه
انهض فديتك علنا نقضي بنهضتنا ذمامه
ونعود بعد عزوبه عنا وتربحنا خصامه
فسطا عليه وقال نك لا كان ذاك ولا كرامه
هذا الرقيق بعينه لي في رقاعته علامه
لولا فضول فيه لم يصرف إلى دبري اهتمامه
وبكى وقال لي امض ويحك واسأل الله السلامه

(١) الباقعة : الرجل الذكي الداهية .

(٢) أبى : أقام بالمكان .

(٣) الأوام : العطس .

(٤) الأكام : القمة والمرتفع .

(٥) الهامه : طائر كان العرب يعتقدون أنه يخرج من رأس القليل ويطلب الثار .

(٦) الحدأة : طائر كبير من الجوارح يصطاد الجرذان والحيوانات الداجنة .

(٧) الفنيق : الفحل من الإبل .

واشكره لما صار سر
 واعلم بأنني كنت من
 يومي إلي إذا عبر
 حتى ابتليت بمبعري
 فعجبت من تلك الفصا
 شيخ له سمة تخا
 والأير يغرق في استه
 فتضحك الحبشي منه وقال لا تسمع كلامه
 هذا وعيشك دأبه
 أبدا يباري باسته
 واستله من دبره
 مك لا يريد له صمامه (١)
 أهل الرياسة والزعامه
 ت يقال ذا ابن أبي أسامه
 فحصلت بين الناس شامه
 حة وهو يعفج والعرامه (٢)
 طبني بالفاظ مقامه
 قد غاب في مفساه قامه
 من قبل مبلغه احتلامه
 بين الوري صوب الغمامه
 وكأنه عنق النعامه

وقال يهجو منشا بن إبراهيم القزاز [من المنسرح] :

قال منشا يوماً لسعدانه
 من بعد أن غلّف العوارض بال
 وامتنص من خمرة معتقة
 وكان خشف قد باسها بقم
 هل لك في قبله وهاك خذي
 قالت له هاتها ودونك فاس
 فباسها ثم قال قد بقيت
 وهي سحور العينين فتانه
 طيب وغلا بالمسك أسنانه (٣)
 تحول بين الدنان في الحانه
 وهي من البوس بعد شعبانه
 خمسين حمراً وحل هميانه (٤)
 طعني بجعص وعجل الآنه
 أخرى فقالت وعظمت شأنه

(١) الصمامة : السدة .

(٢) يعفج : يلاط ، والعرامة : الشدة والقوة .

(٣) العوارض : الأسنان .

(٤) الهميان : حزام من الجلد توضع فيه الدراهم .

ما هي قل لي ألم أبس شرحاً
ألم أقدم فما أضنّ به
فقال أن تدخلني لسانك في
يا ألف كشخان وابن زانية
لم ترض أنني قبلت مقعدةً
حتى تناهيت في الهوان فشبّه

وقوله فيه [من المنسرح] :

إن منشا قد زاد في التيه
فلا ابن هندرو ولا ابن ذي يزن
وهو مغیظٌ علي الوصي ومن
يذكر أيام خبير بهم
وقد حكى أن فاه أطيب من
ومن يقول القبيح فيه ومن
فسوكوه بكل طيبة الر
ومضمضوه بالخل واجتهدوا
وأطعموه من الجوارش ما
واسقوه من خمر معتقة
واستفحوني واستنكهوه فإن

جمّشت أعفاجه ومصرانه^(١)
إلى كنيف أطرت ذبانه ؟
في فردت مرد حردانه
نعم ويا زوج ألف كشخانه^(٢)
تحت سبال كأنها عانه
ت لساني بينت وردانه^(٣)

وزاد في شامنا تعديه
ولا ابن ماء السما يدانيه
يعزى إليه من يواليه
وهم قذى جال في أماقيه
سرمي وأني تمن يعاديه
أصبح بالمعضلات يرميه
يح تعفي على مساويه^(٤)
معاً بكل اجتهادكم فيه
يعمل بالمسك والأفاويه^(٥)
قد صانها القس في خوابيه
كان لسرمي فضل على فيه

(١) الشرح : المخرج ، وجمّش : داعب وقبل .

(٢) الكشخان : الفاسد والفاسق .

(٣) بنت وردان : بنت أوى .

(٤) سوكوه : من السواك ، وهو عود تخلل به الأسنان من بقايا الأطعمة .

(٥) الجوارش : نوع من الحلوات .

فحملوا الكلب والحمار على عياله واصفحوا محببه

وقوله فيه [من السريع] :

يا راكباً يقطع عرض الفلا
أبلغ أبا سهل إذا جئته
وقل له عرنين ذاك الفتى
قد ذاب مذ ليلة ساررته
يبكي فما ترقا له عبرة
حزناً على أرنبه غودرت
فهو بسم الكلب يا سيدي
من عاذري من رجل زرته
فقال عندي لك أهدوثة
فادن لكي تسمعها واحتفظ
فقلت للغفلة مستعجلاً
فناه عن أتن من جعسه
وشارب فيه دم فارث
تحوم ذبان الخلا حوله
كشعر زق الدبس أو شعرة الـ
وشك خيشومي بنشابة

على أمون جسر حرف^(١)
رسالة عن عبده المنفي
في حالة جلت عن الوصف^(٢)
وصار للسقم على النصف
ويسهر الليل فما يغفي
تقطر قطراً من دم صرف
من داء أنفاسك يستشفي
للحين والإدبار والحرف
مليحة تكتب في الصحف
بالسر في مكنون ما تحفي
أشي برجلي إلى حنفي
يعد بين البحر بالألف^(٣)
ولث تشخب كالحلف^(٤)
مثل حمام طار من كف
حائض أو مكنسة الكنف^(٥)
من يد حر طامش وجف^(٦)

(١) أمون : الناقة ، الحرف : الناقة القوية .

(٢) العرنين : الأنف .

(٣) الجعس : الرجيع مولد ، أو اسم الموضع الذي يقع فيه الجعموس .

(٤) الفارث : من الفرث وهو بقايا الطعام في الكرش ، والدم الفارث : المتجمد .

(٥) الكنف : المرحاض .

(٦) الوجف : المضطرب .

تسمى العرانبين ولو أنها في الدلص الموضونة الزغف^(١)
وتدرك الهارب منها ولا ينجو ولو كان على طرف^(٢)
فانغمرت روعي وناديته يا أيها الثعبان بالكهف
بحق من كلم موسى على الطور فدك الطور بالرجف
هب لي ما أبقيت مني فقد أشفى على مثل شفا الجرف^(٣)
ولم أزل أدفعه جاهداً وقد تقاعست إلى خلف
فانقد بعض الثوب في كفه وقال أفلت فيالهفي
وكان للحين على موضع مستشف مرتفع السقف
فانكسرت ساقى وهيضت يدي واندق صدري ووهى كني^(٤)
وقمت أجري بعدها هاربا أسعى على رجلي كالحشف^(٥)
يا معشر الناس اسمعوا ما أنا قائله واسمعوا وصفي
إذا أردتم سرم أستاذنا فلتكن الأناف في غلف^(٦)
ثم اغسلوا شعر اللحي بعدها غسل الدرايبك أو القطف
وبخروها بعد تطيبها بكل شيء طيب العرف
وما أرى سائر ما قلته يغني ولا أحسبه يكفي
أو فانتفوها واستريحوا فما ينجيكم شيء سوى التنف
وسووكوه بخروا أمه في رأس كرناف من الرعف^(٧)

(١) تسمى : تقتل ، والدلص : الدروع ، والموضونة : المنسوجة ، والزغف : الدرع الفضفاضة الطويلة .

(٢) الطرف : الجواد السريع .

(٣) شفا الجرف : شفير الهاوية .

(٤) هيضت يدي : ضعفت ورضضت ، ووهى : ضعف .

(٥) الحشف : صغير الغزال ، غلف : أي في غلاف .

(٦) الكرناف : أصول قضبان النخل التي تبقى في الجذع بعد قطع القضبان .

فإن جالينوس ما عالج الـ بخرة إلا بخرا القلف^(١)

وقال في الغزل ، ويعرض بابن بسطام في الهجاء ، ويذكر أنها لميسر [من الكامل] :

ومهفهف يزهو عليّ بجيده
وإني إليّ وقلبي متخوف
حتى إذا مددته وحللت عن
وافت إليّ أصنة من دبره
فأجبتة ماذا فقال بحرقه
هذا ابن بسطام أتاني طارقاً
وعلا على كفلي وبلغم مثقي
فبقى صنان رضابه في مثقي
فالله يجرمه معيشته كما
وبخصره وبردفه ويساقه
كتخوف المعشوق من عشاقه
كفل مباح الحل بعد وثاقه
بخلاف ما قد فاح من أطواقه^(٢)
ودموعه تنهل من أماقه
بلطيف حيلته وحسن نفاقه
برياله المنهل من أشداقه^(٣)
زماً لحاه الله بعد فراقه
قد سد مكسب مثقي ببصاقه

وقال يصف ما جرى عليه في الدعوة التي عملها في قرية حرايا من أعمال دمشق [من الخفيف] :

من لعين تجود بالهملان
يا خليلي أقصرا عن ملامي
ومتى ما ذكرت دعوة أولاً
فانتفا لحيّتي وجزاً سبالي
ما الذي ساقني لحيّني إلى حتـ
ولقلب مدله حيران؟^(٤)
وارثيا لي من نكبتني وارحماني
د البغايا والعاهرات الزواني
وبنعل الكنيف فاستقبلاني^(٥)
في؟ وما غالني؟ وماذا دهاني؟

(١) القلف : الذي لم يختن .

(٢) الأصنة : الرائحة الكريهة من البول .

(٣) الكفل : المؤخرة .

(٤) المدله : المعذب من العشق .

(٥) السبال : الشارب .

من عذيري من دعوة أوهنت عظ
كنت في منظرٍ ومستمتعٍ عند
فنزت بطنتي وهاجت على نفد
كان عيشي صافٍ فكدره أه
فارثوا لي يا معاشر الناس من ضد
ضرب البوق في دمشق ونادوا
النفيرَ النفيرَ بالخيـل والرجـل
جمعوا لي الجموع من خيل جيلا
ومن الرّوم والصقالب والتّر
ومن الهند والطماطم والبر
لم يبقوا ممن عدت من الآ
والبوادي من الحجاز إلى نجد
كلّ ضربٍ فمن طوالٍ ومن حُد
وشيوخٍ مثل الفراخ وشبّا
مِعْدٌ جَوْعَتْ ثلاثين يوماً
من مرندٍ ومن تكينٍ وطرخا
وخمارٍ وزيركٍ وعجيبٍ
وجريحٍ ونار قسطا ويونا
وطرادٍ وجَهْلٍ وزيادٍ
قَمْسٌ جَمَعُوا بغير عقولٍ

مي وهدتُ بهولها أركانِي ؟
ها ومن ذا يغتربُ بالحدثانِ (١)
سي بلاءٌ ما كان في حسابي (٢)
ل صفائي بنو أبي صفوانِ
رّي ومن طول عطلتي وامتحاني
لشقايتي في سائر البلدانِ
ل إلى فقر ذا الفتى الواساني
ن وفرغانةٍ إلى ديلمانِ
ك وخلقاً من بلغرٍ واللآنِ
بر والكيلجوح والبيلقانِ
فاق من مسلمٍ ولا نصراني
لر معدّتها مع القحطاني
ب قصارٍ والحول والعورانِ
ن رحاب الأشداق والمصرانِ
بسلاحٍ شاكٍ من الأسنانِ
ن وكسرى وخرّذٍ وطعانِ
وبديعٍ وفارسٍ وجوانِ
ن وبرحفثيا ويوحانِ
وشهابٍ وعامرٍ وسنانِ
ردعتهم عني ولا أديانِ (٣)

(١) الحدثان : الليل والنهار .

(٢) فزت : وثبت ، والبطنة : كثرة الأكل .

(٣) القمس : رتبة كنهوتية عند الأقباط

هل سمعتم بمعشر جمعوا الخيد
 رحلوا من بيوتهم ليلة المر
 يركضون البريد تسعة أميا
 شره باردٌ وحرصٌ على الأك
 ما شعرنا ونحن من آمن العا
 أدركوني فهذه غرر الخيد
 لست أنسى مصيبتني ويوم جاءو
 وردوا ليلة الخميس علينا
 متلثب كالسبيل لا يلتقي من
 شزروني بأعينٍ تقدح الذ
 أشرفوا لي على زروعٍ وأحطا
 لبنٌ قارسٌ وخبزٌ كثيرٌ
 وشواءٌ من الجداء ومعلو
 وشرابٌ ألدٌ من زورة المع
 ينجل الورد في الروائح والطع
 أذكرتني جيوشهم يوم جاءو
 بقدوم القوم هاشمي هريت الشـ
 لدق رجب المعى طويل اللسان^(٨)

(١) الوجيف : الاضطراب والخفقان ، والذملان : الإسراع .

(٢) الديدبان : الحارس والرقيب .

(٣) الأشطان : الحبال .

(٤) الخميس : الجيش ، والمحاني : الأرض المنحنية كالأودية .

(٥) متلثب : مندفع .

(٦) الشزر : النظر بغضب ، والخوص : الضيقة .

(٧) الدادكان : المواقد .

(٨) الهريت : الواسع .

هو نمسُ الدجاج والبَطِّ والأو
والشريفان أشرفا في خلال الـ
وسوادٍ من عظمه طَبَّق الأرض
وأبو القاسم الكبير على طير
وأخوه الصغير يعترض الخيـ
وهما يهويان بالسوط والرجـ
أي قلب يطيق شتم بني خيـ
غير أنني يوم القيامة أشكو
وأنادي يا بنت خير النبيـ
أي شيء صنعت بابنيك حتّى
والسريُّ الذي سرى في جيوشـ
بفمٍ أشوهِ وشدقٍ رحيبـ
وأخوه الفضل الذي بان للعا
والشموليُّ خلقه خلق تراء
لست أنساه جاثياً جاحظ العيـ
كالعقاب الغرثان يقتنص اللحـ
والأديب الذي به كنت أعتـ

زَ وذئب النعاج والخرفان (١)
خيل في موكبٍ من الحبشان
وخيل تهوين كالظلمان (٢)
في كميتٍ أقبُ كالسرحان (٣)
ل على قارحٍ عريض اللبان (٤)
ل إلى ما يسوءني مسرعان
ر البرايا وأكرم النسوان؟
هم إلى الحرّة الحصان الرزان (٥)
ن ويا أم أكرم الفتيان
غزواني في الزنج والسودان؟
أضعفتني وقصرت من عناني
وبكفٍ يجول كالصولجان
لم من فضل أكله نقصاني
س عريض الأكتاف جبل الحران (٦)
من عبوساً في صورة الغضبان
م ويهوي إلى طيور الخوان
مد غزاني للحين فيمن غزاني

(١) النمس : حيوان قصير اليدين والرجلين .

(٢) الظلمان : ذكور النعام .

(٣) الطرف : الجواد ، والكميت : الذي لونه أحمر مائل إلى السواد ، والأقب : الضامر الخصر
والسرحان : الذئب .

(٤) القارح : القوي من الخيل ، واللبان : الصدر .

(٥) الحصان الرزان : العفيفة الراجعة العقل .

(٦) ترأس : صانع التروس ، جبل الحران : ضخم .

وكذا الكاتب الذي كان جاري
غيرته الأيام حتى أتاني
وصديق الأشراف أخنى على خد
كلما شقق الفراريج شققاً
وهو في أمره مجدٌ رخيُّ الـ
مجهدٌ كالسوس في الصوف في الصيف
قلت قل لي يا ابن البشر ما شأ
ليس هذا من شهوة الأكل هذا
قلت للفيلسوف لما غدا في الـ
واستحث الكؤوس صرفاً بلا مز
ليت شعري أمن رسائل بقرا
أنت تزداد يا خليلي بهذا الـ
ثم لاتنس ما لقيت وما مرَّ
أعجمي اللسان أفصح من قد
قال قم فأتنا بخبزٍ ولحمٍ
وغلامٍ مقينٍ حسن الوجـ
لم توكل فرغان إلا بتفريد
إن من أعظم المصائب يا قو
رجلٌ كالفنيق قدمٌ بلا لـ

وصديقي ومُشتكى أحزاني
جائعاً للشقاء مذ سستان
ري وأفنى بالكرع ما في دناني (١)
ت لغيطي من فعله قمصاني
بال لم يعنه الذي قد عناني
بقلبٍ خالٍ من الإيمان (٢)
نك من بين من غزاني وشاني
من طريق البغضاء والشنآن
أكل أعني فتى أبي عدنان
جـ مكباً كالهائم العطشان (٣)
ط تعلّمت ذا وسمع الكيان
فعل علماً بالعالم الروحاني
لشؤمي من عسكر الفرغاني
س إذا ما نشا ومن سبحان
ونبيذٍ في حمرة الأرجوان
ه يحاكي بقده غصن بان (٤)
غ دناني وصبها في الجفان
م بلائي بذلك الطرمذان (٥)
ب طويلٌ في صورة الشيطان (٦)

(١) أخنى : جثم وأفحش في الشراب .

(٢) المجهد : المشتغل والعاث .

(٣) استحث الكؤوس : أكثر منها .

(٤) المقين : المؤدب من القيان .

(٥) الطرمذان : الأبله .

(٦) الفنيق : الفحل من الإبل ، والقدم : الأحمق .

ع ورأسُ أصمُّ كالسندان^(١)
 ن غليظ القذال كالقلتان^(٢)
 غ ويحسو النيذ كالثعبان
 ر من فضل طوله شبران
 كي ضراط العبيد والرعيان
 ن ويأتي بالقيء والغثيان
 يا لهتكى وذلتى وامتحاني
 ما طعمنا الطعام منذ ثمان
 م عبوسٍ عصبصٍ أرونان^(٣)
 س بين الرطبان والقصلان^(٤)
 تى رأيت الزروع كالفلحان
 ر ولا ضيعة ولا بستان
 ت بليداً كالذاهل السكران
 وهو لفظٌ يجري لغير معاني
 خ وأعرى ظهراً من الأفعان
 ن بين تشتاقه العارضان^(٥)
 ر ومالوا إلى سميد الفران
 قريصاً بالخل والزعفران^(٦)

يققاً كالعمود يستغذب الصف
 زائد الخلق ناقص العقل والديب
 ييلع الطيبات بلعاً بلا مض
 لا تمتني حتى أراه وقد قص
 وأتوني بزامرٍ زمرة يح
 ومغنٍ غناؤه يطلق البط
 قصدت هذه الطوائف حمرا
 قلت ما شأنكم قالوا أغشنا
 وأناخوا بنا فيا لك من يو
 نزلوا حجرتي وأطلقت الأفرا
 لم يكن مربعاً سوى ساعة ح
 أفقروني وغادروني بلا دا
 حيروني ودهوني فقد صر
 أسمع اللفظ كالطين لسهوي
 تركوني يا قوم أفقر من فر
 أكلوا لي من الجرادق ألفيد
 أكلوا لي أضعافها غير مسطو
 أكلوا لي من الجداء ثلاثين

(١) اليقق : الشديد البياض .

(٢) القذال : القفا حيث يكون الصفع .

(٣) عصبص : أي عصب شديد ، والأرونان : الصعب من الأيام .

(٤) الرطبان والقصلان : العلف الطري والناضج .

(٥) الجرادق : الأرغفة .

(٦) الجداء : جمع جدي ، وهو الحمل الصغير ، والقريص : ضرب من الأدم .

لها طيخاً من سائر الألوان
 لي بعشر من الدجاج السمان
 ي بروس الجداء والعصبان
 سبي وهاجت لفقدها أشجاني
 ر طرياً من أعظم الحيتان
 وي ملقى في الخل والأنجدان
 ني والمعقلي والصرقان
 دي واللؤلؤي والصبخاني
 ز معاً والخلاط والأجبان
 جز عن جمعه قرى حوران
 فاح والرازقي والرمان
 جبتي عند أحمد الفاكهاني
 جس ما ليس مثله في الجنان
 س ثمانين من معين وضان
 ية حتى أحنوا على الثيران^(١)
 ي انسياباً مثل انسياب الجمان
 وشالي وما حوى جيرانني
 ت غلامي قم ويك فاخبأ حصاني
 ر سواه وذا شطوب يمانني^(٢)
 واستباحوا عرضي بكل لسان
 ني ومن كان مفحماً يلحاني^(٣)

أكلوا ضعفها شواءً وضعفياً
 أكلوا لي تباله تبلى عقداً
 أكلوا لي مضيقاً ضاعفت ضرراً
 أكلوا لي كشكية قرحت قدراً
 أكلوا لي سبعين حوتاً من النه
 أكلوا لي عدلاً من المالح المشد
 أكلوا لي من القريشاء والبر
 ألف عدل سوى المصقر والبر
 أكلوا لي من الكوامخ والجو
 ومن البيض والمخلل ما تعد
 فتتوا لي من السفرجل والتد
 والرياحين ما رهننت عليه
 درسوا لي من البنفسج والنر
 ذبحوا لي بالرغم يا معشر النا
 ما كفاهم ما مر من غنم القر
 ذبحوها والدمع يجري على خد
 أكلوا كل ما حوته يميني
 ثم قالوا هلم شيئاً فناديت
 لم تدع لي بطونكم يا بني البظ
 فمالوا علي شتماً ولعنأ
 من له قدرة على الشعر يهجو

(١) أحنوا : أفحشوا بقتلها وذبحها .

(٢) شطوب يمانني : سيف يمانني .

(٣) مفحماً : عاجزاً .

ر وغيرت صورة الحيوان
 سة والشاكري والعبدان
 مع وكدم الأنوف والأذان
 م غباراً من الفسا والصنّان
 ختموا محتتي بكسر الأواني
 شق والمحدقات والزربطان^(١)
 ضر وبعضاً ملقى على الأغصان
 ية ملقى مكسر السيّقان
 يا ثقاتي كراً من الأسنان^(٢)
 ن وماء الكافور سبع براني
 ح لذيد المذاق أحمر قان
 ن إلى أن سمعت صوت الأذان
 ها فبالطير مرّ لي غيضان
 ل وكانت ظليلة الأفنان
 باً أنيقاً يحفه نهران
 طلّ بين البهار والأقحوان
 بجميع اللغات والألحان
 ر وذخري لنائبات الزمان
 ز وضرب الأحطاب بالنيران
 كيف تبقى بغير شاذوران^(٣)
 بأ ومالوا بها على غلماي

وكأني أنا الذي عنت في الخي
 ثم جاء المعقبون من السأ
 فرأيت النخاع واللطم والدف
 وتفانوا صفعاً وفاح من القو
 ثم لما أتوا على كل شيء
 ثم قاموا إلى الجلاهدق والبا
 فرأيت الحمام بعضاً على بع
 ورأيت الدجاج في وسط القر
 أكلوا ما ذكرت واستعملوا لي
 ومن المحلب المطيب بالبا
 شربوا لي عشرين ظرفاً من الرا
 فأقاموا سواسهم والمكاريد
 ينقلون الأحطاب من حيث وافو
 جوزة كان حملها أحسن الحم
 كان لي في فنائها منزل رح
 ورياض مثل البرود علاها ال
 وطبور ما بينها تتغنى
 هي كهفي ومستظلي من الح
 أحرقوها يا قوم في ساعة القف
 كسروا السكر فاختلطت فقالوا
 قطعوا اللوز والسفرجل أحط

(١) الجلاهدق : القوس التي يرمى بها البندق .

(٢) الأسنان : حمض تغسل به الأيدي والثياب .

(٣) الشاذوران : نوع من الحلوى .

والنواطير مددوا وعلوهم طالبوني بالنيك في آخر الليد
 قسم فأسرع فبعضنا يطلب المر فتوهمته مزاحاً فجدوا
 ليس يبقي على أرامل حمرا لو سمعتم يا قوم في غسق الليد
 يتنادون بالعويل والويد ويقولون ويلنا من أبي القا
 قصده الأعداء فاستملكونا أوجروني النيذ بالرطل حتى
 فجعوني لما سكرت بهميا كان في أول النهار على رأ
 ثم راحوا بعد الهدوء إلى دا كان لي مفرشٌ وكلٌ مليح
 وبساطٌ من أحسن البسط مذخور لعرسٍ أو دعوة أو ختان^(١)
 غرقوه بالزيت والبول والقذ أوقدوا زيتنا جزافاً بلا كيد
 خلعت داراي يا إخوتي المسجد الجا مع ليلاً للنصف من رمضان
 سرقوا جبتي وسيفي وسكيني وخفي وجوربي ورآني

(١) المطرمد : الأبله . والمخرقان : الكاذب المختلق .

(٢) الفرزان : من حجارة الشطرنج .

(٣) الختان : طهور الطفل الذكر .

ثم لما انتهت بهم شدة الكظة خرّوا صرعى على الأذقان^(١)
هوّموا ساعة كتهويمة الخائف في غير أرضه الفزعان
ثم قاموا ليلاً وقد جنح النسر ومال السمّاك والفرقدان
يصرخون الصبوح يا صاحب البيت فأبكوا عيني وراعوا جناني
سحبوني من جوف بيتي على وجهي كأني أدعى إلى السلطان
بقلوب أشدّ حرّاً من الجمر وأقسى من الصفا الصوان
قلت رَقُوا لذلك الطفل ميمو نْ ولا تؤتموه يا إخواني^(٢)
ما تفي أكلةً بقتل غريبٍ ذي عيالٍ ناءٍ عن الأوطان
علّقوني بفرد رجلٍ إلى السَّقْفِ فعدّبت ليلتي بالدخان
لو رأني أبي وأمي على رأسي ورجلاي بالعصا تنقران
بكيا لي من ذاك واشترياني من يديهم بكلّ ما يملكان
وقع الضرب يا خليلي على جسمٍ من السّوط والعصا قرحان^(٣)
قلت للفضل والسريّ غثاني ومماتي قد حلّ بي خلصاني
واذكرا عشرتي وودّي وإخلاصي وحنّاً عليّ واستبقاني
أنتما إن قتلتماني وحقّ اللدّه من أجل أكلةٍ تندمان
أيّ شيءٍ تركتماه لضعفي قد مضى لي بالأمس ما قد كفاني
أحلفاني أن ليس عندي مشروءٌ ولا في خزانتي لقمتان
فاستشاطا عليّ غيظاً وقال الـ فضل قلّ لي بأيّ عينٍ تراني
نحن من أجهل البرية طراً إن حصلنا منكم على الأيمان
قطعوا الجبل فانقلبت على رأسي وظهري فاندقّ لي ضلعان

(١) الكظة : التخمة .

(٢) تؤتموه : أي تجعلوه يتيماً .

(٣) قرحان : سريض .

ثم لما تمكّن اليأس خلّو نبي ومالوا حشواً على الأتبان^(١)
وأجيري مسخّر ينقل الأتبان بالذل عارياً والهوان
وهو يبكي فقلت ويحك ما تصدّنع بالتبن بعد موتة الفدان
سرقوا السُّرج والقناديل والزيت وأقداحنا وكلّ القناني
والنيذ استقوه واغتموه آخر الليل كاستقاء السواني^(٢)
زودوه سواسهم والمكاريب ن معاً بالجرار والكيزان
لوترى الفضل وهو يحمل في السر ج قميصاً مخيَّط الأردان
قد حشاه لحماً وطيراً وسبعيد ن رغيفاً من أعظم الرغفان
سرقوا الراح في الزقاق وراحوا بطعامٍ منضدٍ في الصواني
ميزوا خيلهم بكلّ كسير وعقيرٍ مدبّرٍ جربان
خلّفوه يرعى بقية زرعى رعي لا خائفٍ ولا متوان
مارثى لي سوى المبارك من ضري وذاك القصير الدحدحاني
رفهاني وخفقا الثقل عني فهما من ملامتي سالمان
والسري السرى حقاً كما س مى أيضاً من بطنه أعفاني
هل سمعتم فيما سمعتم بإنسا نِ عراه في دعوة ما عراني
أسعدوني يا إخوتي وثقاتي بدموعٍ تجري من الأجفان
إخوتي من لواقف الدمع محزو نِ كئيبٍ مدله حيران
هائم الفكر ساهر الليل باكي ال عين واهي القوى ضعيف الجنان
لم يكن ذا القران إلا على شؤ مي فويلي من نحس ذاك القران

قد أحسن في هذه القصيدة غاية الإحسان، وأبان فيها عن مغزاه أحسن بيان . وتصرف فيها وأطال، وأمكنه القول فقال . وإذا تخلص الشاعر عند الإطالة

(١) الأتبان : قصب القمح والشعير وغيره اليابس ، يطحن ويستعمل علفاً للحيوانات .

(٢) السواني : البهم .

والوصف هذا التخلص ، وسلم مما يؤديه الى التكلف والتلصص . فهو الذي لا يدرك غوره ، ولا يخاض بحره .

وقال أيضاً يهجو أبا الفضل يوسف بن علي ، ويعرض فيها بمنشأ بن إبراهيم ابن القزاز ، ويقال : إن هذه القصيدة كانت سبب عزله من عمله ، وقد تصرف فيها كل التصرف ، وهي سالمة عن التكلف ، ولم يقل في معناها مثلها ، وهي [من المنسرح] :

يا أهل جيرون هل لسامرکم
في ملح كالرياض باكرها
أو مثل نظم العقود بالشذر وال
يلذ للسامع الغناء بها
كنت على باب منزلي سحراً
وطال ليلي لحاجة عرضت
فمرّ بي في الظلام أسود كال
أشغى له منخر ككوة تد
ومشفر مسبل كخب رحي
مشق الكعب أقدع اليد والر
فأهدت الريح منه لي أرجاً
مسكاً وقفصية معتقة
فقلت ما هكذا يكون إذا

إذا استقلت كواكب الحمل
نوء الثريا بعارض هطل
درّ ووشي البرود والكلل^(١)
على خفيف الثقل والرمل
أنتظر الشاكري يسرج لي
باكرتها والنجوم لم تمل
فيل عريض الأكتاف ذو عضل
ور عين سجاء كالشعل^(٢)
على نيوب مثل المدى عضل^(٣)
جل طويل الساقين في سمل^(٤)
مثل جني الروض في الندى الخضل
شيبا بيان وعبر شمل^(٥)
راح الندامى روائح السفلى

(١) الشذر : العقد ، والكلل : جمع إكليل .

(٢) الأشغى : الطويل المنقر المعقوف ، والمسجور : المحمى والمستعر .

(٣) العصل : المعقوفة .

(٤) أقدع : أعوج ، والسمل : البالي الرث من الثياب .

(٥) شيبا : مزجا .

عرف أميرِ نشوان في فضل
 حمار وحشٍ في البرِّ منتعل
 فشأنه عضلةٌ من العضل
 وليس هذا من أكبر الشغل
 همّة عين الإديبار والكسل
 سلوكه بين هذه السُّبل
 يعجب من عقله ومن خللي
 أسود مالي بالعدوِّ من قِبَل
 أطال في خطبه فلا تطل
 في اللفظ واسكتُ إن أنت لم تسل
 يسلم من خفةٍ ومن خطل^(١)
 مرطٍ كسَاءٍ مبرغثٍ قمل^(٢)
 غرموله في الذبول كالوشل^(٣)
 فيشلةٌ مثل ركة الجمل^(٤)
 أصفر تزهى به على الحجل
 فيك وإن كنت لم تبل قبل
 ليس لأمثالها بمحتمل
 من الفياشي المروضة الذلل
 ملوك خلف السُّتور والكلل
 خزّ بلا سقطةٍ ولا زلل

أسود غادر من الأتون له
 هذا وربّ السَّماء أعجب من
 ارددهُ يانصر كي أسائله
 فقال يخشى فوات حاجتنا
 فقلت ترك الفضول يا ناقص ال
 بادره من قبل ان يفوتك في
 فصدّ عني تغافلاً ومضى
 وصاح من خلفه رويدك يا
 ارجع إلي ذلك الرقيع وإن
 أجب إذا ما سئلت مقتصداً
 وهو بترك الفضول أجدر لو
 فكرّ نحوي عجلان يعثر في
 وقد مذى والمذني يقطر من
 وظنّ أنّي صيدٌ فأبرز لي
 سوداء قد طوّقت بطوق خرا
 وقال ليج داركم لأولجها
 فطالما أسهلتُ طبيعة من
 هذا على أنّها مؤدّبةٌ
 وطال والله ما خدمت بها ال
 وكنت أغشاهم على فرش ال

(١) الخطل : فساد الرأي .

(٢) المرط : الثوب الطويل المذيل .

(٣) المذى : ما يخرج من القضيب عند تهيجه ، والوشل : الماء القليل .

(٤) الفيشلة : عتق القضيب الضخم .

لأنها صنعتي وصنعة آ
وزاد في دولة اليهود بها
حتى لقد فتقتُ فروشهم
فانظر إليها فإن رأيت لها
وخذ عموداً أغلافه شرحُ
قلت له لا عدمت برك قد
وجدت عفواً من غير مسألة
لكنتي والذي يمدُّ لك ال
ما شقّ دبري مذ قطّ فيشلة
ولا لهذا دعيت فاطلب لمي
وهات قل لي بالله من أين أف
فقال لي بت عند عاملكم
فصاك بي طيبه وراك به
تركته بالنهار اخفش لا
قلت تزيّدت وادّعت على
أبوه سمحٌ وجدّه ملكٌ
لعلّ ذا غيره فصفه فما
فإن تكن صادقاً نجوت وأنسحيت عليه باللوم والعدل
وإن تكن كاذباً صفعتك بالنعل فإن كنت قائلاً فقل
فقال يا سيدي عجلت بمكر وهي وكان الإنسان من عجل
هذا الذي بت عند نصف دون مسنّ وفوق مكتهل

(١) الشرح : نهاية المعنى .

(٢) صاك : لزق .

في فيه نتنٌ وتحت عصعصه
آدر رخو العجان منخرق ال
حيضة باسوره إذا اختلطت
له إذا ما علوته نفسٌ
يصرع طير السماء في الأفق ال
أتنن من كلٌ ما يقال إذا
وهو على ذاك مولعٌ أبداً
نعم وفي باب سرمه وضحٌ
أخاف يعدى أيري ببرصته
أسود كالليل بين أكرعه
فقلت هذى صفاته ولقد
فقال أمّا إذ اهتمت به
قد طاب عيشاً وقد أصاب من ال
يكون مثل العروس مفترشاً
فيجمع اللذتين مغتبطاً
وهو عوانٌ لم يخش من ألم ال
وأنت يا ابن الخراء محتفلٌ
فقلت قل لي من أين تعرفه
كنت أجيراً بيدَ معصرة
وكنت أضحي النهار في ظاهر ال

عينٌ تمجُّ الصيد في دغل^(١)
مبعر ألقى مهيج السفل^(٢)
بالسلك كالسمن شيب بالعسل
أمضى من السيف في يد البطل
أعلى ويوهي مخارم القل
بالغ في الوصف ضارب المثل
لشؤم بختي بالعضُّ والقبل
أبيت ليلي منه على وجل
فأغتدى مثلةً من المثل
عمود صبح ينجاب عن طفل^(٣)
شغلت قلبي بذلك الرجل
فإنه في نهاية الجذل
لذة ما لم يصب ولم ينل
طوراً وطوراً كالفحر في الإبل
ذي دبره تارةً وفي قبل
حمل عقيمٌ لم يخش من جبل^(٤)
بأمره وهو غير محتفل
فقال ذرني من هذه العقل
بصور كانت لكاتب البجل
يد إذا ما انصرفت من شغلي

(١) الدغل : في خفاء .

(٢) آدر : فاسق ، والعجان : الإست .

(٣) الطفل : وقت مغيب الشمس .

(٤) العوان : نصف المرأة ، لا بكر ولا متزوجة .

ليل وقيداً كالشارب الثمل^(١)
أشعر وطار الشراع عن قبلي
حمّ منشا في موكب زجل
جل وبيض الصفيح والأسل
صماء قدت من قنة الجبل^(٢)
أهضم طاوي الحشى ولا شغل^(٣)
جرد الهوادي شواذب المقل^(٤)
حين قطاعاً أو كالقنا الذبل^(٥)
ذيل قميصي قد قدّ من قبل
حدق ذئب طاوٍ إلى حمل
مولاي حتّى دعيت بالرسل
عصفور مستكرهاً على الورل^(٦)
وكدت أخرى من شدة الوهل
يسطني بالمزاح والغزل
أنت - بريد النكول والفشل^(٧)
واعتزل الخوف أيّ معتزل
قدري فبعض الهوان أنفع لي

فنمت يوماً وكنت من سهرال
وهبت الريح فانكشفت ولم
واجتاز للحين والقضاء الذي
حف بصفر البنود والخيل والر
على كميّة أقبّ كالصخرة ال
ليس بأشغى ولا أجش ولا
وهو أمام الصفوف تقدمه
مجنّبات كأنهنّ سرا
وحن منه التفاتة فرأى
فاشدّ تحديقه إليّ كما
ولم أبت ليلتي وعيشك يا
فجئته خائفاً كما يلج ال
فارتعت لما رأيت لحيته
وظنّ أني استحيته فغدا
وقال هذا الحياء - يا أببي
فاطرح الهية المضرة بي
إن كنت أكرمتني لترفع من

-
- (١) الوقيذ : المحزون والثقيل والشديد المرض ، والثمل : السكران .
(٢) قنة الجبل : قمة الجبل .
(٣) طاوي الحشى : جائعه وضامره ، والشاذب : الضامر والخشن .
(٤) الجرد : الخيل ، والشاذب : الضامر والخشن .
(٥) السراحين : الذئاب .
(٦) الورل : دابة تشبه الضبّ تكون في الصحارى والرمال .
(٧) النكول : النكوص والهرب .

تنظر إلى قدرتي ولا خولي
 طيبي ولا حلتي ولا حللي
 يسعد بالرهز بعده سفلي^(١)
 في الرأس من حشمة ولا خجل
 قلبي ويختال لي على مهل^(٢)
 يرفع أجلاله عن الكفل
 رطب حول خصيه بالبلل
 يبب أصم الكعوب معتدل
 وظل يدعو بالويل والهبل
 حذرت من مثلها ولم أبل
 أنفى فراولتها على ميل^(٣)
 أظن ذا السرم من بني ثعل
 فقلت: كلا والله لم يسلم
 لطح رجيع كالورس منسحل^(٤)
 شددت من باب سرمك النغل؟^(٥)
 في استى برمح لم يعتصم سفلي^(٦)
 ح استى سلاحي في كل منتضل^(٧)

انتف سبالي واصفع قفائي ولا
 ولا عبيدي ولا فروشي ولا
 إن يشق أعلاي باللطام فقد
 وليس بعد المزاح يا أبني
 ولم يزل دائباً يشمرخ شا
 فحين أدليت كالحمار بدا
 وخرّ للوجه والجبين وقد
 طعته طعنةً بصدق الأنا
 فقال: أوجعت جوف مقعدتي
 وقرقرت بطنه وربتما
 ثم رماني بسلحة خطمت
 فقلت: يا سيدي ويا أمني
 فقال: أخطأت إذ أسلت دمي
 أين النجيع القاني؟ فديتك من
 ألا تبرزت لا أبالك أو
 فقال لما أنشأت تعفجني
 ألم تكن عالماً بأن سلا

(١) الرهز: النهز والإدخال.

(٢) يشمرخ: ينتصب، والشاقول: القضيبي.

(٣) خطمت: أصابت وقطعت.

(٤) النجيع: الدم، ومنسحل: مطحون.

(٥) تبرزت: خرجت، والنغل: الفاسد.

(٦) تعفج: تعالج وتعرك.

(٧) منتضل: معترك.

خذ أبوساً حلّيته ذهباً
 ولا تلمني فكيف أصنع في
 تمنعه اللذة الحياء فتسـ
 نعم وعاجلتني بجانفة
 عاجلت قلبي عن التحفظ في
 وخاض جعسي أيرُّ به هوجُ
 يا سيدي ما اسمه فقلت أبوال
 فقال: يا جبذا أبو الأسود الزا
 هل رابه غيرها وقد جعل الـ
 فامض وعد بعدها لترويني
 ولا تخف بعدها وصاح بفرأ
 فقال ذاك الفراش: مالك قد
 فهذه عادةٌ لسيدنا
 ولم أزل في خزانة الفرش أي—
 حتى اثنت صعدي وبان له
 ثم تغني والأير في يده
 يا دار هندٍ بالخيف من ملل
 وقال لي ويك في دمشق أخُ
 وهو بحبّ السودان أعرفه
 فخذ كتابي وسر إليه ولا

فالحلي أولى به من العطل^(١)
 سرمٍ شديد الحكاك مؤتكل
 ترخي حواشي مثقفٍ نغل
 أصمت ومرّت في موضع العلل^(٢)
 أمري برهز كالبرق مشتعل
 يجوز حدّ الجنون والخبل^(٣)
 أسود يكنى وليس بالدولي
 هد فينا بسلحة قبلي
 ماء طهوراً لكلّ مغتسل
 من بعد نومي علأ على نهل
 شقصير السربال معتمل
 متّ كذا فاغتسل ولا تبل
 موروثه عن أبيه لم تزل
 امأ مخلى في زيّ معتقل
 فيّ اناة الفتور والكسل^(٤)
 قد خفّ بعد العتو والثقل
 حيت من دمنة ومن طلل
 للوقف والخرج والضياع بلى
 وليس عن رأيه بمنتقل
 ترك مقالاً مذ قطّ لم يقل

(١) الجيد العطل : الخالي من الحلي .

(٢) الجانفة : الجالفة ، جلف وجنف بمعنى كشط الجلد .

(٣) الخبل : فساد العقل .

(٤) الصعدة : القوة ، أي ضعفت شهوته وفترقضيه .

وقلّ سرتُ بي في الليل ذعلبةٌ
تمطو جماحاً إذا المطيُّ ونْتُ
أهوى بطون الأقطار في غسق الـ
وليس لي شافعٌ إليك سوى
فإنه سوف يلتقيها ويحد
وتغتدي عنده أعزّ من الـ
فجنته واثقاً بقول أبي
فما حصلنا إلا على سهرٍ
وكان هذا ابتداء معرفتي
وقد مضى يومنا بلا عملٍ
ظننت للنك قد دعيت، ولم
تهدي صدور المهريّة البزل^(١)
حتى تراخى لها من الجذل^(٢)
لميل وآوي مناهل الوعل
فيشلةٍ أسهلت أبا سهل
بوما إذا أقبلت بحيهل^(٣)
أهلين والأقربين والخول
سهلٍ ومن يسمع المنى يخل
يعمي ورهز يوهي القوى نكل
به ، فحسبي فاقطعُ ولا تصل
ترجى له أجره ولا أمل
أدري بأنّي دعيت للجدل

سرف عنه بعض الأدياء وهو ابن خيران العبد لأنه أصال ولم يصرفه سرف
عنه بعض الأدياء وهو ابن خيران العبد لأنه أطال ولم يصرفه بعد مشور يتقدم ذلك :

قلت له : اذهب مصاحباً فلقد
فمرّ يسعى كأنه ثملٌ
يقول في سيره وقد وضح الـ
كان نكاح إبليس زوره
لا بارك الله فيهما فلقد
حدثت عنه بحادثٍ جليل
من سهرٍ كده ومن ملل^(٤)
صبح : ألا ربّ واثقٍ خجل
بلا شهودٍ ولا حضورٍ ولي
جاء بما لا يجوز في الملل

(١) الذعلبة : الناقة السريعة ، البزل : النوق والجمال .

(٢) تمطو جماحاً : أي تسرع في مشيتها ، والوني : الضعف .

(٣) بحيهل : كلمة منحوتة ، من حيّ أي أقبل ، وأهلاً وسهلاً .

(٤) كده : أرهقه .

وعدت بالله أستعيد من الـ سوء ومن كلّ موقفٍ رذل
والحمد للواهب السلامة من جرحٍ يداوي بهذه الفتل^(١)
وإن اتفق وجود المشور ألحقته بعون الله وقدرته .

٢٧ - أحمد بن محمد الطائي الدمشقي

قال [من الخفيف] :

قد غدونا إلى صلاة الغداة ثم ملنا منها إلى الحاناتِ
فشربنا مدامةً كدم الخشد ف عقاراً تضيء في الكاساتِ
فإذا شجّها السقاة بماءٍ أبرزت مثل ألسن الحياتِ^(٢)
وكانّ الأنامل اعتصرتها من شقيق الخدود والوجناتِ

* * *

٢٨ - أبو محمد الموصلي

قال يرثي أم الأمير أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان ، وقد رثاها الناس على
طبقاتهم [من الخفيف] :

يا أميراً علا على النجم همّة مثل ما قد زرى على الخلق عزمه^(٣)
أكثر الناس في التعازي وقالوا كلّ معنى ينسي أخوا الهمّ همّة
فاختصرت العزاء في نصف بيتٍ كلّ خطب إذا تعدّك نعمه

* * *

(١) الفتل : جمع فتيل ، وهو ما يداوى به الجرح ويستخرج به قيحه .

(٢) شجّها : مزجها وشقها .

(٣) زرى : عمّ .

٢٩ - أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي

شاعر بارع . وعالم جامع . قد برع في إبانه ، على أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد في أوانه . وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام . فمن ملح شعره وغرائب قوله من قصيدة مربعة [من الرجز] :

رسالةً من كلفٍ عميد حياته في قبضة الصّدود
بلّغه الشّوق مدى المجهود ما فوق ما يلقاه من مزيد

* * *

جار عليه حاكمُ الغرام فدقّ أن يدرك بالأوهام
فلو أتاه طارقُ الحمام لم يره من شدة السقام

* * *

له اهتزازٌ وارتياحٌ وطربٌ لوجه من أورثه طول الكرب
فهل سمعتم في أحاديث العجب بمن مناهُ قُربٌ من منه العطب

* * *

ما غاب عنه الحزم في الأمور لكنّ مقدار الهوى ضروري
صاحبه يخبط في ديجور منفسد التقدير بالمقدور

* * *

إذا التقى في مسمعيه العذلُ وقيل من دون المراد القتلُ
قال لهم لوم المحبّ جهلُ إنّ الهوى يغلب فيه العقلُ

* * *

ما العذر في السلوة عن غزالٍ منقطع الأقران والأشكال

تستخلف الشمس لدى الزوال ضياء خديّه على الليالي

* * *

بخفة الروح احتوى صلاحي فصرت لا أرغب في الفلاح
والشكل والخفة في الأرواح أملح ما يعشق في الملاح

* * *

من عشق القدم وإن دقّ البصرُ فليقصد البيعة وليهو الصُّور^(١)
من كان يهوي منظراً بلا خبر فما له أوفق من عشق القمر

* * *

ظبيّ سلويّ عنه مثل جودهً أجدفانه أسقم من عهده
خياله أكذب من موعوده أردافه أثقل من صدوده

* * *

يا وصله صل مثل وصل صدّه يا وصله صل مثل وصل صدّه
يا قلبه كن رقةً كخده يا قلبه كن مثل ضعف عهده

* * *

أما وخصر ضعفه كصبري له ووجه حسنه كشعري
له عذارُ قام لي بعذري لا تبتُ من شوقي إليه دهري

* * *

أضحى لإبليس به استقدار على بني آدم واستبشارُ
وقال: في ذا تستطاب النار ما لهم عن مثل ذا اصطبارُ

* * *

(١) القدم : الغليظ الأحمق .

تمت لي الحيلة في العباد أدركت من صالحهم مرادي
بمثل ذا أمكنني إفسادي لأنفس العباد والزهاد

* * *

والهفتي من خده الأسيل إذا انجلى عن صفحتي صقيل^(١)
واحربي من طرفه الكحيل من منصفي منه ومن مديلي؟^(٢)

* * *

من مقلّة كالصّارم البتار ألحاظها أمضى من المقدار^(٣)
تحكم في لبّي وفي اصطباري نظير حكم الدهر في الأحرار

* * *

حلّ قواي العقد من زناره ألهب قلبي خده بناره
عذرّ صبري مبتدا عذاره حيرني بالطرف واحوراره^(٤)

* * *

جاء بوجه حسنه محبوب تطيب في أمثاله الذنوب
وقامة ذلّ لها القضيب والقدر تنقذ به القلوب

* * *

هفا بقلبي منه إفراط الهيف فقلت لما أن تشئ وانعطف :^(٥)
يا سيدي من دون ذا الميل التلف وشرط من كان ظريفاً في القطف^(٦)

* * *

(١) الأسيل : الأملس الناعم ، والصقيل : السيف المصقول .

(٢) الحرب : الأسف والحزن ، والمديل : المعين والمغلب .

(٣) البتار : القاطع .

(٤) الحور : شدة سواد العين وشدة بياضها .

(٥) هفا : حنّ ومال ، والإفراط : الإكثار .

(٦) التلف : الهلاك .

ما قصرُ القامة مثل الطول ولا البدين الجسم كالمهزول
عشق الرشيق الأهيف المجدول شأن ذوي الأفهام والعقول

* * *

لا يعشق الضخم الغليظ الجسم غير غليظ الطبع جافٍ قدمٍ
مكدرُ الحسن ركود الفهم يقول في الحسن بغير علمٍ

* * *

قد صحت لما خفت منه القتلا وكدت من فرط السقام أبلى :
يا حاكماً جانباً في العدلا مهلاً بمن يهواك مهلاً مهلاً^(١)

* * *

يا ظالماً يقتلني مجاهره قد منع الوجد من المساتره
هلم إن شئت إلى المناظره واستعمل الإنصاف لا المكابره

* * *

في أي دينٍ حلّ قتل الروح وهل لما تفعل من مبيحٍ
إن قلت ذا جاء عن المسيح فليس ما تزعم بالصحيح

* * *

مُرْقُصٌ ما أخبرنا بذا الخبر عنه ولا لوقا حكاه في الأثر
وقد نهى عن ذا يوحنا وزجر ولا ارتضى متى به ولا أمر

* * *

أربعةٌ ليس لهم عديلٌ ولا لهم في أمرهم كفيلٌ

(١) جانباً : ابتعد وفارق .

ما فيهم من قال ما تقولُ فهل سوى إنجيلهم إنجيلُ

* * *

فإن زعمت أن ذا موجود في زبرِ جاء بها داودُ
فما الزبور بيننا مفقود فكيف لم تعلم به اليهودُ

* * *

ولم يخبر أحدٌ سواكا من النصارى كلهمُ بذاكا
لا تتقول غير ما أتاكا وغلب الحق على هواكا^(١)

* * *

سفك دمي يحظر في الأديانِ فدع حجاجاً ظاهر البطلانِ
لا تجمع الأئمة مع البهتانِ وكن على خوفٍ من العدوانِ^(٢)

* * *

واعلم بأنني إن تمادى بي الهوى ودمت في هجرك لي كما أرى
وخفت أن أتلف من فرط الضنى ولم أجد منك لما بي مشتكى

* * *

شكوت ما تلقاه نفسي البائسة من خطراتٍ للهموم هاجسه
عفت رسوم الصبر فهي دارسه إلى جميع عصبة الشمامسة

* * *

فإن هم لم يرحموا أنيني وخيوا في قصدهم ظنوني

(١) لا تتقول : لا تخلق الأقوال .

(٢) البهتان : الزور وعدم الحقيقة .

ولم أجد في القوم من معين ينصفني منك ولا يعديني

* * *

شكوت ما يلقي من الأحزان قلبي إلى مشيخة الرهبان
عساك تستحي من الشيخان وإن تهاونت بهم في شاني

* * *

فلا أراك مغضباً عبوساً إذا أتيت أسأل القسيساً
معونةً أرجو لها التنفيساً عن مهجة قاربت النسياساً^(١)

* * *

واعلم بأنني إن رددت شافعي هذا ولم يرجع بأمرٍ نافع
فليس ذا بحاسمٍ مطامعي كم طالب جدٍّ بجدٍّ مانعٍ

* * *

لو كنت مبذولاً لنالم تطلب وإنما نرغب إذ لم ترغب
وكلت النفس بترك الأقرب وشدة الحرص على المستصعب

* * *

وإن تماديت على جفائكَا ودمت بالقلّة من جفائكَا^(٢)
في هجرنا عل قبيح رأيكَا واستيأس الرهبان من إصفاكَا

* * *

(١) النسياس : آخر الرمق والروح .
(٢) الجباء : العطاء والتكرم بالوصل .

فلا تلمني إن قصدت الأسقفا
من برح السقم به رام الشفا^(١)
فلا تقل أبديت مكنون الخفا
أنت الذي أحوجتني أن أكشفا

* * *

سوف إلى المطران أنهي قصتي
إن دام ما تؤثره من هجرتي
فإن رثى لي طالباً معونتي
ولم تشفعه بكشف كربتي

* * *

شكوت ما يلقاه من فرط السقم
قلبي إلى البطرك والحبر العلم^(٢)
عساك إن حالفته فيما حكم
يدخلك الحرم فويل من حرم

* * *

هناك تأتي مستقيلاً ظلمي
تسألني عطف الرضى بالرغم
ترضى بما ينفذ فيك حكمي
إذا بك اشتدّ عذاب الحرم

* * *

دع ذا فهذا كله تهديد
أرجو به قربك يا بعيد
هيات سري أبداً جحود
فيك وقولي كلما تريد

* * *

مولاي قد ضاقت بي الأمور
فقلت ما قلت وقولي زور
قلبي إلا في الهوى جسور
فلا تلم أن ينفث المصدور^(٣)

* * *

(١) برح : ألم وعذب .

(٢) الحبر : العالم النحرير ، وهو رئيس الأساقفة .

(٣) المصدور : المسلول ، مريض الصدر .

مولاي بالرحمن أحي مغرماً
إليك أشكو فعسى أن تنعماً
يخاف أن تغضب إن تظلماً
مهلاً قليلاً قد قتلت المسلماً

* * *

يا جرجس ارفق بفؤادِ هائمٍ
وقد رضينا بك في التحاكمِ
يا سيدي خفُ سوء عقبي الظالمِ
والجور لا يشبه فعل الحاكمِ

* * *

أقصى رجائي منك نيل الودِّ
يا جائراً أفرط في التعديِّ
وقبلتُ تشفي غليل الوجدِ
منك إليك في الهوى أستعدي

* * *

وقال في أزمنة السنة مزدوجة [من الرجز] :

يا سائلي عن أطيب الدهور
سألتني أيّ الزمان أحلى
عندي في وصف الفصول الأربعة
مقالةً تغني الليب مقنعه
وقعت في ذاك على الخبير
وأيةً بالقصف عندي أولى

فصل الصيف :

أما المصيف فاستمع ما فيه
فصل من الدهر إذا قيل حضر
تبصر فيه النبات مقشعرا
نهاره مقسم بين قسم
أولكه فيه ندى مبغض
يلصق منه الجسم بالثياب
من فطن يفهم سامعيه
أذكرنا بحرّه نار سقر^(١)
والأرض تشكو حرّه المضراً
جميعها يعاب عندي ويذم
كأنه على القلوب يقبض
وتعلق الأذيال بالتراب

(١) سقر: جهنم .

حتى تراها مثل منديل الغمر حتى إذا ما طردته الشمس فتحت النار له أبوابها حرٌ يحيل الأوجه الغرانا يعلوبه الكرب . ويشتد القلق تبصره فوق القميص قد علا إن كان رثاً زاد في تمزيقه ثم يعيد الماء ناراً حامية شاربته يكرع في حميم ينسيه ما يلقي من التهابه حتى إذا عنا انقضى نهاره تحركت في جناحه دواهي من عقرب يسعى كسعي اللص وحيّة تنفث سمّاً قاتلاً تبصر ما في جلدها من الرقش لو نهشت بالناب منها الخضرا فإن أردت الشرب في إبانة أبشر بما شئت من الصراع

فيهنّ تخطيطٌ كتخطيط الحبر^(١) وفرحت بأن يزول النفس وشبّ فيها مالكٌ شهابها حتى ترى الروم بها حبشانا^(٢) وتنضج الأبدان منه بالعرق حتى ترى مبيضه مصندلا^(٣) أو مستجداً حلّ حبل زيقه^(٤) تزيد في كرب قلوب الضاويه^(٥) كأنه من ساكني الجحيم أن يحمد الله على شرايه وأرخيت من ليله أستاره ساريةً وأنت عنها ساهي سلاحها في إبر كالشص^(٦) تزود الملدوغ حنفاً عاجلاً كوجنة مصفرة فيها نمش لبترت منه الحياة بتر^(٧) على الذي وصفته من شأنه فضلاً عن التهويس والصداع

(١) الحبرة : الملاعة .

(٢) يحيل : يجعل ويحوّل ، والغران : البيضاء .

(٣) الصندل : شجر هندي أبيض الزهر خشبه طيب الرائحة .

(٤) الزيق : من القميص ما أحاط بالعنق .

(٥) الضاوية : الملتهبة .

(٦) الشص : حديدة معكوفة الرأس تشدّ بها حبال الرحل .

(٧) بترت : قطعت .

وعللٍ تعجز إحصاء العدد
وبعد حمى الكبد لا تنساه
ولا تقل إن جاء يوماً أهلاً

فصل الخريف :

حتى إذا زال أتى الخريفُ
أهويةً تسرع في كلِّ الجسدُ
يخشى على الأجسام من آفاته
لا يمكن الناس اتقاء شرِّه
تبصره مثل الصبيِّ الأرعنِ
فإن أردت الشرب للعقارِ
فأنت منه خائفٌ على حذرٍ
أحسن ما يهدي لك النسيما
وهو على المعدود من ذنوبه

فصل الشتاء :

حتى إذا ما أقبل الشتاءُ
أقبل منه أسدٌ مزيرٌ
لو أنه روحٌ لكان قدما
يأتيك في إبانهِ رياحُ

من جربٍ ومن دُوارٍ ورمدٍ
لأنه أوَّلُ ما تلقاه
فلعنة الله عليه فصلاً

فصلٌ بكلِّ سوءٍ معروفُ
وهو كطبع الموت ييساً وبردُ
فأرضه قرعاء من نباته^(١)
من اختلاف بردهٍ وحرِّه
في كثرة التغير والتلون^(٢)
في حينه بالليل والنهارِ
لأنه يمزجُ بالصَّفْوِ الكدرُ
يقلِّبه في ساعةٍ سموماً^(٣)
خيرٌ من الصيفِ على عيوبه

جاءتك منه غمَّةٌ غمَاءُ^(٤)
له وعيدٌ وله تحذيرٌ
أو أنه شخص لكان جهماً^(٥)
ليس على لاعنها جناحُ^(٦)

(١) قرعاء : جرداء .

(٢) الأرعن : الطائش .

(٣) السَّموم : الريح اللافحة تهب صيفاً فتشوي الوجه شيئاً .

(٤) الغمَّة : الكرب .

(٥) الجهم : العابس المقطب .

(٦) جناح : إثم أو ذنب أو ملامة .

تضرُّ بالأسماعِ والعيونِ
 هذا إذا ما فاتك الصدامُ
 كأنه خصمٌ لنا ملازمٌ
 وعن قضاء الحقِّ للصديقِ
 وإن عفا عنك أتاك الوكفُ^(١)
 وكثرة الإنفاقِ للدراهمِ
 يكفُّ عنا منه غربٌ حدو^(٢)
 كأنما يحمل منها ثقلاً
 لكن تراه سمناً غير حسنٍ
 فيه فقد قاسيت خطباً صعباً
 تطير نحو الحدقِ الشرارِ
 تحكي السعيدِ لك المنقطاً^(٣)
 من خوفه وتغلق الأبوابا^(٤)
 حتى ترى صاحبه ديجورا
 لأنه صار سواءً والدجى
 ليس لأن تلهو أو تسراً
 فشرها ضربٌ من الدواء^(٥)
 عاقك عن تناول المدامِ
 وخشية البردِ على الأطرافِ

حراكها ليس إلى سكونِ
 يحدث من أفعالها الزكامِ
 ثم يليها مطرٌ مداومٌ
 يقطعنا بغضاً عن الطريقِ
 وربما خرَّ عليك السقفُ
 هذا وكم فيه من المغارمِ
 في ملبسٍ يدفع شرَّ بردهِ
 ملابسٌ تعمي الجليدِ حملاً
 يحكي بها المنحوف أصحاب السمنِ
 فإن أردتَ بالنهار الشرباً
 واحتجت أن توقد فيه النارا
 تترك مبيض الثيابِ أرقطاً
 وبعد ذا تسدُّ الثقابا
 نعم وترخي نحوه الستورا
 فحسن لون الراح فيه لا يرى
 تشرب فيه إن شربت الخمر
 لكن لتحمي خضر الأعضاء
 وإن أردت الشرب في الظلامِ
 حسبك أن تندس في اللحافِ

(١) الوكف : الانحراف والثقل والضعف .

(٢) الغرب : السهم .

(٣) الأرقط : المنقط .

(٤) الثقابا : الكوى والفتحات والثقوب .

(٥) خضر الأعضاء : كسلها وفنورها .

وتؤثر النوم وتستحلي الكسل
 نمت على فرشٍ من القتاد^(١)
 لكلِّ ما قلبٍ وجلدٍ تنضج
 كأنما أفرشته مباضعا^(٢)
 لو أنه يظهر لي قتلته
 وزال عنا بعضه لا كانا

ورعدة تشغل عن كلِّ عملٍ
 حتى إذا ملت إلى الرقاد
 إنِّ البراغيث عذابٌ مزعج
 لا يستلذ جنبه المضاجعا
 قبَّح فصلاً فوق ما ذمته
 حتى إذا ما هو عنا بانا

فصل الربيع :

فجاء فصلٌ حسن الجميع
 لم يكتنف حدّهما الاكثار
 وحمد التفصيل منه والجمال
 في غاية الاشراق والاسفار
 كأنها في الأفق جامٌ من ذهبٍ
 مقومٌ في أحسن التقويم
 في حسن إشراقٍ وفرط نورٍ
 أو غرّة الحسناء في نقابها
 جوزاؤه قبل طلوع فجره
 في الجيد منها درةٌ بيضاء
 إسراف مطربها من التقصير
 حاذقةً باللحن لم تعلم
 سامعه ، وهو على ذا يقرمه^(٣)

جاء إلينا زمنٌ الربيع
 لبرده وحرّه مقدارُ
 عدلٌ في أوزانه حتى اعتدل
 نهاره من أحسن النهار
 تضحك فيه الشمس من غير حُجبٍ
 وليله مستلطف النسيم
 لبدرة فضلٍ على البدور
 كجامة البلور في صفائها
 كأنها إذا دنت من نحره
 روميةٌ حلَّتْها زرقاءُ
 هذا وكم يجمع من أمور
 فيه تظلُّ الطير في ترثمٍ
 غناؤها ذو عجمةٍ لا يفهمه

(١) القتاد : الشوك الحاد .

(٢) المباضع : جمع مضع ، يستعمل في الجراحة والشق .

(٣) يقرمه : يقضمه ، والقرم : شدة الشهوة .

وكلُّ قمريٍّ له حنين^(١)
 خاط له الخياط طوقاً أسوداً^(٢)
 يفشي الثرى من سرّها ما يضمّر
 إذا سواه زانه كتمانهُ
 يحكي لباس الجند يوم العرض
 كأنه مخانق الكافور
 كأنها أرض من الفيروزج
 فكأيدت بلونها السماء^(٣)
 قد لبست من حزنٍ حداها
 كأنه مداهنُ العقيقِ
 فأشرفت بين احمرارٍ ودعج^(٤)
 منه إذا لاح عيون الرمد
 يختال في غلائلٍ مبيّنه
 يحكي كراتٍ ظوهرت كيمختا^(٥)
 فإنّه من أحسن الأنوار^(٦)
 قد سمّرت في قصب الزبرجدِ
 فلست في ذلك بالمعنفِ
 يصفراً من خوف المزاج لونها

من كلِّ دبسيٍّ له رنينُ
 في قرطقٍ أعجل أن يورداً
 هذا وفيه للرياض منظر
 سرّ نباتٍ حسنه إعلانهُ
 فيه ضروبٌ للنبات الغضُّ
 من نرجسٍ أبيض كالثغور
 وروضةٍ تزهّر من بنفسج
 قد لبست غلالةً زرقاءً
 تبصرها كثاكلٍ أولادها
 يضحك فيها زهر الشقيقِ
 مضمّناً قطعاً من السّجّ
 كأنما المحمرُّ في المسود
 أما ترى أترجه ما أحسنهُ
 وانظر إلى الخشخاش إن نظرتا
 ورم بعينيك إلى البهار
 كأنه مداهنٌ من عسجدِ
 فانهض إلى اللهو ولا تخلفِ
 واشرب عقاراً طال فينا كونها

(١) الدبسي : طائر أدكن يقرقر .

(٢) القرطق : نوع من الأردية .

(٣) الغلالة : الثياب الرقيقة ، وكأيدت : مائلت .

(٤) السّجّ : خرز أسود ، والدعج : سعة العين مع شدة بياضها وشدة سوادها .

(٥) كيمخت : رفعت رأسها تكبراً .

(٦) البهار : نبت طيب الرائحة .

ألبابنا في حسنه حيارى
قال : تعالى الله ما هذا بشرُ
لو أنه رزقٌ حريصٍ لاكتفى
وسرُّه محشوقٌ بالغالية^(١)
قد سلما من وحشة التنافرِ

من كفّ طبي من بني النصارى
إذا بدا جماله لذي النظرُ
يبيدي جمالاً جلّ عن أن يوصفا
تزينه أحشاءُ كشحٍ طاويةُ
لاسيما مع مسمعٍ وزامرِ

* * *

مشروحةً في أحسن التبيان
ولا تكن لحقها مضيعاً
فإنني أدري بما وصفتهُ
فإنني شيخُ الملاهي والغزلِ

دونك هذي صفة الزمان
فأصغِ نحو شرحها كي تسمعا
وارض بتقليدي فيما قلتهُ
ولا تعارضني في هذا العملِ

وقال أيضاً [من الرجز] :

وعاتبنا من تركنا إمامه^(٢)
فلا تغال في الطعام واقصدِ
فإنني بالطيبات عارفُ
تلذها نواظرُ الأحداقِ
تشف للأعين من صفائها^(٣)
ولطفت أجسامها ومدتِ
تطيرها أنفاسه من راحتهِ
أو مثل جاماتٍ من البلورِ

باعثاً لدعوتي غلامه
إذا أردت أن تزار في غدِ
واعمد إلى ما أنامنه واصفُ
ابعث فخذ عشراً من الرقاقِ
تكاد مما رقّ من حرسائها
أرقها الصانع حتى خفتِ
تكاد لولا حدقه في صنعته
حتى أتت في صورة البدورِ

(١) الغالية : أنواع الطيب .

(٢) الإلمام : الزيارة ، والقصد .

(٣) الحرساء : الغلاف والجلد الحافظ للشيء .

حتى إذا فرغت منها متقناً
 فاعمد إلى مدورٍ من البصلِ
 يحكي لعينيك اخضرار قشره
 غلائلاً خضرا على جسومِ
 حتى إذا أحكمته تقطيعاً
 خلطته باللحم خلطاً جيداً
 حتى إذا أنت أجدت فعله
 صيرته يا ذا العلا السنية
 ثم أغل الشبرق المقشراً
 مكتسباً حلته الخمرية
 ثم أدر كاس الشمول منما
 فلست في فعلك ذا مبدراً

وله في الروض [من الرجز] :

أسفر عن بهجته الدهر الأغر
 أبدى لنا فصل الربيع منظرأ
 وشياً ولكن حاكه صانعه
 عاينه طرف السماء فانثنى
 فالأرض في زيِّ عروسٍ فوقها
 وشي طواه في الثرى صوانه

ولم ير العائب فيها مطعناً^(١)
 فإنه أكبر أعوان العملِ
 إذا رماه ناظرٌ بفكره
 بيضِ رطابٍ من بنات الرومِ
 وقلت قد جودته صنيعاً
 ولم تزل تخلطه مردداً
 ثم جمعت في الرقاق شمله
 شابورةً ليست لها سمية^(٢)
 من فوقه حتى تراه أحمرأ^(٣)
 من بعدما عهدتها فضية
 أكرم بهذا مشرباً ومطعماً
 كلاً ولا في حقنا مقصراً

وابتسم الروض لنا عن الزهر
 بمثله تفتن ألباب البشرِ
 لا لابتذال اللبس لكن للنظرِ
 عشقاً له يبكي بأجفان المطرِ
 من أدمع القطر نثاراً من دررأ^(٤)
 حتى إذا ملّ من الطي نشرأ^(٥)

(١) المطعن : الانتقاص .

(٢) شابورة : ملكة (شاه بور) .

(٣) الشبرق : نبات رطب .

(٤) نثار : ما ينثر من الماء والمال وغيره .

(٥) نشر : فاح وعرض لأشعة الشمس .

أما ترى الورد كخديّ كاعبٍ
 كأنما الخمر عليه نفّضتُ
 أخجله النرجس إذ جاد له
 قال له العين وما الخدُّ لها
 ماذا الذي يرجى لخديّ بهجٍ
 فاحمرّ من حجّته إذ ظهرتُ
 وانظر إلى النارج في بهجته
 مثل دنائير نضارٍ أحمرٍ
 وانظر إلى المثور في ميدانه
 كجوهرٍ مختلفٍ ألوانه
 كأنّ نور الباقل إذا بدا
 كمثل الحاظ اليعافير إذا
 كأنه مداهنٌ من فضّةٍ
 كأنها سوافٌ من خرّيدٍ
 وانظر إلى الأطيّار في أرجائه
 كأنها تصفر في رياضها
 فانهض إلى اللهو ولذات الصبا
 فقلّما يغنيك من يعذل في
 فكيف هجران اللذات ولم
 والنّسك في عصر الصبا كأنه

راودها فامتعت منه ذكرُ
 صباغها أو هي منه تعتصرُ
 فاحمرّ من فرط حياءٍ وخفر^(١)
 موازناً في عظمٍ قدرٍ وخطر
 مستحسنٍ صاحبه أعمى البصر
 والحقُّ لا يدفع يوماً إن ظهر
 يلوح في أفنان هاتيك الشجر
 أو كعقيقٍ خرّطت منه أكر^(٢)
 يرنو إلى الناظر من حيث نظر
 أسلمه سلكُ نظامٍ فانثر
 لناظريه أعينٌ فيها حور
 روعها من قانصٍ فرط الحذر^(٣)
 أوساطها بها من المسك أثر
 قد زينت بياضها سود الطرّ^(٤)
 إذا دعا الشاكل منها وصفر
 سرب قيانٍ فوق بسطٍ من حبر
 لامك من يعذل فيها أو عذر
 ما تشتهي حتى تواريك الحفرُ
 يبدل نهار الشيب في ليل الشعّر
 من قبحه خلعُ عذارٍ في الكيرُ

(١) الخفر: الحياء .

(٢) الأكر: الكتل .

(٣) اليعافير: جمع يعفور، وهو ظبيّ بلون التراب .

(٤) الطرّ: خصال الشعر في مقدمة الرأس .

حسبك قد أكثرت من هذا الهذر^(١)
لعيش من أثره عين الكدر
والعقل ينبوع الهموم والفكر
ما فاز باللذات إلا من جسر^(٢)
لطار من خفته ذاك الحجر
قطُّ به إلا أساءت في الظفر
صرف الزمان الحتم يوماً ما قدر
من رقة شعر جميلٍ وعمر
تحدث في الجسم ديبباً وخدر^(٣)
فليس في العيش لجافيتها وطر^(٤)
بفرط طولٍ لا ولا فرط قصر
كأتما يرمين عن قوس القدر
حتى أحلت الكفر فيمن قد كفر
والحور لا يسكنها الله سقر^(٥)
يمسك ضعف الخصر منه لانتبر
لكنه جاء له على قدر
عقل له أعدمه عند القمر
وذاك إن خوطب لم ينطق حصر^(٦)

يا لائماً يعذلني في طربي
أعرف فضل العقل إلا أنه
الجهل ينبوع مسرات الفتى
فاجسر على ما تشتهي جهالة
واشرب عقاراً لو أصابت حجراً
عدوة الحزن الذي ما ظفرت
لو رام أن يجيره من كيدها
أرقها الدهر إلى أن شاكلت
خفية الحيلة في جسم الفتى
كأتما الأوطار فيها جمعت
لاسيماً من كف ظبي لم يشن
له سهام من لحاظ صيب
مزنر شككني في دينه
لأنه كالحور في تصويره
لو لم يكن زناره في وسطه
وبان منه نصفه عن نصفه
إن قلت يحكي قمراً عتفني
أنى يوازيه وهذا ناطق

(١) الهذر : الهذيان والكلام الذي لا طائل وراءه .

(٢) جسر : تجراً .

(٣) الدبيب : المشي ، والخدر : الضعف والفتور .

(٤) الوطر : الحاجة .

(٥) سقر : جهنم .

(٦) حصرأ : إعياء .

يا لك منه منظراً أشهى إلى
يا طيب ذي الدنيا لنا منزلة

وقال أيضاً [من البسيط] :

علل فؤادك والدنيا أعاليلُ
ولا يصدئك عن أمرٍ هممت به
فخير يومك يوم أنت فيه إذا
وإن أتوك فقالوا كن خليفتنا
فإن ذلك أمرٌ مع نفاسته
وارض الخمول فلا يحظى بلذته
ولا تبع عاجل الدنيا بأجل ما
واسفك دم القهوة الصهباء تحي به
يا خائف الإثم فيها حين تشربها
قم فاسقني النض مما حرموه ، ولا
من قهوة عتقت في دنها حقبا
عروس كرم أنت تختال في حليل
كأنها بأكف القوم إذ جليت
في فتيه جعلوا للهو طاعتهم
جليسهم ليس يروى من حديثهم
لا كالذين إذا ما كنت حاضرهم
تري مجالسهم مملوءة لجبا

قلبي من جنة عدن أو أسر
لو لم تكن نزعج منها بسفر

لا يشغلنك عن اللهو الأباطيلُ
من العواذل لا قال ولا قيلُ
میزت في الناس محموداً ومعذولُ
فقل لهم إنني عن ذاك مشغولُ
ونبله بفناء العمر موصولُ
إلا امرؤٌ خاملٌ في الناس مجهولُ
ترجو فذلك أمرٌ شأنه الطولُ
روحي فإن دم الصهباء مطلولُ^(١)
لا تقنطن فغفو الله مأمولُ
تعرض لما كثرت فيه الأفاويلُ^(٢)
كأنها في سواد الليل قنديلُ^(٣)
صفر على رأسها للمزج إكليلُ
ذوب من الذهب الإبريز محلولُ
فما لهم عن طريق اللهو معدولُ
يوماً وبعض حديث القوم مملولُ
ففي سكوتهم المأمول والسولُ
وكل ذاك فضولٌ عنك معزولُ^(٤)

(١) المطلول : مباح سفكه .

(٢) نض الماء : سال قليلاً ، أو خرج رشحاً ، والناض : الزائد .

(٣) الحقب : مفرداً حقة وهي مدة طويلة من الزمن .

(٤) اللجب : الصخب .

وقال أيضا [من مخلع البسيط] :

اشرب فقد طابت العقارُ
من قهوة ما انبرت لهمُ
لها جيوشٌ من الملاهي
للاؤها في الدجى نهارُ
إذا استقرت حشا لبيبٍ
لم يرها ناظرٌ حديدُ
خيالها جسمه لجينُ
كأنها تحته كميثُ
لها لدى حزن شاريها
فالحزن عن أهلها مطارُ
فلا انتصار لذا عليها
يسعى بها جوذُرٌ غريبُ
يحسن مني الوقار إلا
أغار مني عليه حتى
كلّ جمالٍ ترى فمنهُ
كأن صدغاً له تراه
ميدان أسٍ بدا جنياً
بيتٌ من الحسن لي إليه
زيارة البيت كلّ عامٍ

وابتسم الورد والبهارُ
إلا وولّى له انشمارُ^(١)
للهمّ قدامها الفرارُ
يظلم من نوره النهارُ
رأيته ما له قرارُ
إلا ثنى لحظه انكسارُ
وجسمها شخصه نضارُ^(٢)
عليه من فضةٍ عذارُ
نارُ وعند الحلم نارُ
والحلم في إثره مطارُ
ولا عليها لذا انتصارُ
في لحظ أجفانه احورارُ
فيه فما يحسن الوقارُ
عليه من نفسه أغارُ
إذا تأملت مستعارُ
وهو على خدٍ مدارُ
ألهب في جانبيه نارُ^(٣)
حجٌ مدى الدهر واعتمارُ
ودهرٌ ذا كلّه يزارُ

(١) ولّى : ذهب ، وانشمار : انقباض .

(٢) اللجين : الفضة ، والنضار : الذهب .

(٣) الأس : الريحان .

من لاعج الشوق مستطاراً^(١)
للناس من شرطك اختصاراً
عليك إلا امرؤ حماراً

قلت له إذ بدا وقلبي
يا جامع الحسن كلّ حسنٍ
ما فضّل الغانيات عندي

وقوله أيضاً [من مخلع البسيط] :

وافترّ عن ثغره الغمام^(٢)
والصبر عن مثلها حرامٌ
يدقُّ شأنها الكلامُ
فما له عندها ذمامٌ
ليس لمتشوره نظامٌ^(٣)
عليه من فضةٍ لجامٌ
وهي لإعظامها قيامٌ
ينفع منها ولا اعتصامٌ
وخير من يُصحب الكرامُ
ظرفاً ولا يكسد الغلامُ
بكلِّ ما فعله أنامُ
وصفت من فضلهم إمامُ
في لحظ أجفانه سقامُ
للصبر قدامها انهزام
كمثل ما يثقل الملامُ
من قبل أن يفتن الحمامُ

اشرب فقد طابت المدامُ
من قهوة حرّمت علينا
جلّت عن الوصف فهي شيء
إذا استنذم الأسى إليها
طوّقها الماء سمط درّ
كانها تحته كميّة
إذا بدت للهموم ظلّت
تلوذ منها فلا لوأذ
في فتية كلهم كريمٌ
يكسد سوق الفتاة فيهم
أئمة كلهم عليمٌ
لكنني فيهم على ما
وعندنا شادنٌ غريبٌ
للحسن قدامه جيوشٌ
يخفّ في حبه التصابي
ذا العيش فافطن له وبادرٌ

(١) لاعج الشوق : حرّة وشدّته ، ومستطار : أي شرر يتطاير .

(٢) افترّ : تبسّم .

(٣) السمط : العقد .

يومٌ ، ويومُ الهمومِ عامٌ

وانعم فعام السرور عندي

وقال أيضاً [من الكامل] :

وخلعت في طرق المجون عذاري
تهوى النفوس ممحَق الأعمار^(١)
فالعيش أجمع في ركوب العار
والعيش فهو تهتُّكُ الأستارِ
فبيت من الحسراتِ والأفكارِ؟
بِرمٍ بقرب الصَّاحِب المَهذارِ^(٢)
ولججت في الإرهَاب والإندارِ
بجميل عفو الواحد القَهَّارِ
تعذيب ذي جرمٍ على الإقرارِ^(٣)
فيه عليك طرائف الأنوارِ
شهدت بحكمة منزل الأمطارِ
من درهم بهجٍ ومن دينارِ
جلتُ عن الأثمان والأخطارِ
مثل الشموسِ قرنٌ بالأقمارِ
عرس السرور وماتم الأطيَّارِ^(٤)
لم يحفلوا بنعيم تلك الدَّارِ
ما زال يسكن حانة الخمَّارِ

جانبت بعدك عفتي ووقاري
ورأيت إشار الصبابة في الذي
لا تأمرني بالتستُّرِ في الهوى
إنَّ التوقر للحياة مكدرٌ
من تابعت أمر المروءة نفسه
لا تكثرنَّ عليَّ إنَّ أcha الحجا
خوفتني بالنار جهدك دائماً
خوفي كخوفك غير أتني واثقٌ
أقررتُ أتني مذنبٌ ومحرمٌ
انظر إلى زهر الربيع وما جلتُ
أبدت لنا الأمطار فيه بدائعاً
ما شئت للأزهار في صحرائه
وجواهرٍ لولا تغيرُ حسنها
من أبيضٍ يققٍ وأصفرٍ فاقعٍ
ناحت لنا الأطيَّار فيه فأرهجت
دارٌ له اتصل البقاء لأهلها
فانهضُ بنا نحو السَّرور فإنَّهُ

(١) عمحق الأعمار : متلفها .

(٢) برم : ضجرٌ ومال .

(٣) الجرم : الذنب .

(٤) أرهجت : أقامت .

فاشرب معتقة كأن نسيما
أخفى ديباً في مفاصل شربها
أحكامها في العقل إن هي حكمت
يرضى على الأقدار شاربها الذي
وكانها والكأس ساطعة بها
لا سيما من أعيد شادن
فضل الغصون لأنها من غرسنا
قد غيب الزنار دقة خصره
متنصر قويت على إسلامنا
قالوا أيصنع مثل هذا ربكم
مع مسمع حلفت له أوتاره
فطن يحرك كل عضو ساكن
شدو إذا الحلماء زار حلومهم
والشدو أحسنه الذي لم يستمع
ذا العيش ، لانت المهامه والفلا
لا فرج الرحمن كربة جاهل

وقال أيضا [من الخفيف] :

بغرور العادات والتعليل^(٤)
وهوينا وهو غير منيل

قد رضينا من الغزال الكحيل
وهجرنا سواه وهو منيل

(١) تَضَوَّعَهُ : تشرعبه .

(٢) المسمع : اسم فاعل من مصدر أسمع ، وأراد به المغنى .

(٣) نعت : وصف ، والمهامه : القفار .

(٤) العادات : جمع عدة ، وهي الوعد .

فكثير البغيض غير كثير
يا عدولي زعمت صبري صواباً
هلك العزم بين شوقٍ صحيحٍ
لا تعبٍ من هويتٍ بالبخل ، إني
يجمل البخل بالملاح وإن كا
كلّ من سرّه حبيبٌ جوادٌ
وقال أيضاً [من الطويل] :

أست ترى وشيَ الربيع المنمنا
فقد حكت الأرض السماء بنورها
فخضرتها كالجوّ في حسن لونه
فمن نرجسٍ لمارأى حسن نفسه
وأبدى على الورد الجنيّ تطاولاً
وزهر شقيقٍ نازع الورد فضلهُ
وظلٌّ لفرط الحزن يلطم خدهُ
ومن سوسنٍ لمارأى الصبغ كلّه
تجلب من زرق اليواقيت حلّةً
وألوان مشورٍ تخالف شكلها
جواهر لو قد طال فينا بقاؤها
فقم فاسقني ما حرّموه ، فما أرى

وما رصّع الربعي فيه ونظماً^(١)
فلم أدري في التشبيه أيهما السّما
وأنوارها تحكي لعينيك أنجما
تداخله عجبٌ بها فتبسّماً
فأظهر غيظ الورد في خدهُ دما
فزاد عليه الورد فضلاً وقدّما
فأظهر فيه اللّطم جمراً مضرّماً^(٢)
على كلّ أنوار الرياض تقسّماً
فأغربَ في الملبوس منه وأعلماً^(٣)
فضلٌّ بها شكل الربيع متمّماً
رأيت بها كلّ الملوك مختماً
من العيش حلوّاً غير ما قيل حرّماً

(١) الربعي : مطر الربيع .

(٢) المضرّم ؛ المتقدّم .

(٣) تجلب : أي لبس ، وأعلم : أي صار معروفاً عن غيره .

وقال أيضاً [من البسيط]:

قالوا عشقت كثير البخل ممتنعا
لو جاد هانٍ وقيل الجود عادته
وقال [من الطويل]:

أرجي دنو الوصل من بعد بعده
وأكثر في الهجر العتاب كأنتي
وأهوى مواعيد المنى عنك بالرضى
وقال [من الرمل]:

حبذا زورٌ أتاني طارقاً بعد اجتنابه
شقّ جنح الليل بدرٌ لاح من ثني نقابه
طربت نفسي إليه وإلى طيب اقترابه
طرب الشيخ إذا ذكّر أيام شبابه

وقال [من مخلع البسيط]:

خلعت في حبه عذاري
وذقت طعم الجنون فيه
إن أبرد في حبه خضوعاً
لو كان في الحب لي اختيار
من روحه في يدي سواه
لا تحمدوني على احتمالي
وطاب لي العيش باشتهاري
فكان أحلى من العقار^(١)
فليس ذلّ الهوى بعار
لكان تركي له اختياري
فهو حقيقٌ بأن يداري
هوانه واحمدوا اصطباري

(١) العقار : الخمر .

وقال [من البسيط]:

متى وعدتك في ترك الهوى عدةً
أما ترى الليل قد ولت عساكره
وجدت في أثر الجوزاء يطلبها
كصولجان لجين في يدي ملك
فم بنا نصطحب صفراء صافية
عروس كرم أتت تختال في حلال
وقال [من المنسرح]:

قم فاسقني والخليج مضطرب
كأنها والرياح تعطفها
والجو في حلة ممسكة
وقال [من الخفيف]:

وسحاب إذا همى الماء فيه
مثل ماء العيون لم تجر إلا
وقال [من الخفيف]:

جوهري الأوصاف يقصر عنه
شارب من زبرجد وثنايا
وقال [من السريع]:

صوره خالقه جامعاً
لكل شيء حسن بارع

(١) اللجب : الكثير العدد والصخب .

(٢) العذب : أطراف الرماح .

وكلّ حسنٍ من جميع الوري مختصراً من ذلك الجامع

وقال [من المنسرح]:

عشقت من لا ألام فيه وما رأيُ الوري في سواه مختلفُ
يخلو من اللوم كلُّ مَنْ عشقا وأنت تلقاه فيه متفقاً
وكل قلبٍ إليه منصرفُ كأنه من جميعها خُلِقا

ألمّ فيه بقول إسحاق بن إبراهيم الموصلي : «خلق من كل قلب ، فهو يغني كلاً ما يشتهي» .

وقال [من الخفيف]:

زارني في دجا الظلام البهيمِ قمرُ بات مؤنسي ونديمي
بحديثٍ كأنه عودة الصّحاة في الجسم بعد ياسِ السقيمِ
تتلقى القلوب منه قبولاً كتلّقي المخمورِ برد النسيم

وقال [من الوافر]:

ظفرتُ بقبلةٍ منه اختلاساً وكنت من الرقيب على حذارِ
ألدُّ من الصّبوح على غمامِ ومن برد النسيم على خمارٍ^(١)

وقال [من الكامل]:

لا تلفينٌ مقارناً من لا يزين من الصّحابِ
فالثوب ينفذ صبغه فيما يليه من الثياب

وقال [من السريع]:

ريقٌ إذا ما ازددت من شربه رياً ثناني الريّ ظمّانا

(١) الصبوح : شرب الخمر صباحاً .

كالخمر أروى ما يكون الفتى من شربها أعطش ما كانا
وقال [من الخفيف]:

حملت كأسه إلى شفثيه كفهُ والظلام مرخي الإزارِ
فالتقى لؤلؤا حبابٍ وثغري وعقيقان من فمٍ وعقارِ
وقال [من الطويل]:

وصفرا من ماء الكروم كأنها فراقٌ عدوٌّ أو لقاء صديقِ
كأنَّ الحباب المستدير بطوقها كواكب درٌّ في سماء عقيقِ
صببت عليها الماء حتى تعوضت قميص بهارٍ من قميص شقيقِ
وقال [من الوافر]:

سلا عن حبك القلب المشوق فما يصبو إليك ولا يتوق^(١)
جفاؤك كان عنك لنا عزاءً وقد يسلى عن الولد العقوقِ
وقال [من المجث]:

كانَ أوراق زهرٍ للباقلاء بهيه
خواتمٌ من لجينٍ فصوصها حبشيه
وقال [من الكامل]:

أسنى الأمانى كلها وأجل منها ما ينالُ
كأسٌ ومسمعةٌ وإخوان تحادثهم ومالُ
وقال [من مخرج البسيط]:

أبصره عاذلي عليه ولم يكن قبل ذا رآه

(١) سلا : من السلو ، وهو التجمّل والنسيان ، ويتوق : يشواق .

فقال لي لو هويت هذا
قل لي إلى من عدلت عنه
فقل من حيث ليس يدري
ما لامك الناس في هواه
فليس أهل الهوى سواه^(١)
يأمر بالحب من نهاه

وقال في ثقیل [من البسيط] :

ما السقم في سفرٍ والدين مع عدمٍ
مالي عليه معينٌ حين أبصره
يوماً بأثقل منه حين يلقاني
غير الصدود وتغميضي لأجفاني

وقال [من الكامل] :

إن كان قد بعد اللقاء فودُّنا
كم قاطعٍ للوصل يؤمن وده
دانٍ ونحن على النوى أحبابُ
ومواصلٍ بوداده يرتابُ

وقال [من الرمل] :

لا ووعد الوصل باللحظ على رغم الرقيب
واختلاس القبلة الخلوقة من خد الحبيب
وسماعٍ مستطابٍ جاء في لفظٍ مصيبٍ
ما سوى الراح لداء الهمم عندي من طيبٍ

وقال [من الكامل] :

يا من إذا لاحت محاسن وجهه
النجم يعلم أن عيني في الدجا
إن كان في تعذيب قلبي راحةً
لو كان سفك دمسي إليك محبباً
غفرت بدائعها جميع ذنوبه
معقودةً بطلوعه وغروبه
لك فاجتهد بالله في تعذيبه
لرأيتني متضرجاً بصيبه^(٢)

(١) عدلت : ملت وغيّرت .

(٢) متضرجاً بصيبه : أي مصبوغاً بما يسيل منه من الدماء .

وقال [من الكامل] :

ازهد إذا الدنيا أنالتك المنى
فالزهد في الدنيا إذا ما رمتها
فهناك زهدك من شروط الدين
فأبت عليك كعفة العين^(١)

وقال [من المجتث] :

لا تحسدن صديقاً
فإن ذلك عندي
على تزايد نعمة
سقوط نفس وهمة

وقال [من المجتث] :

وجلنارٍ بهي
بدا لنا في غصونٍ
ضرامه يتوقد
في قبة من زبرجدٍ
يحكى فصوص عقيقٍ

وقال [من السريع] :

أقبل والعدال يلحونني
فقلت: ذا من طال في حبه
قالوا: جهلنا فاغفر جهلنا
عذرك في الحب له واضح
فكلهم قال: من البدر؟
منكم لي التعنيف والزجر
فليس عن ذا لامرئ صبر
وما لنا في لومنا عذر

وقال [من مخرج البسيط] :

بما بعينيك من فتونٍ
وبالعذار الذي تولى
ومن فتورٍ بها وسحرٍ
خلع عذارى وبسط عذري

(١) العَيْن : الفاقد الفحولة .

(٢) مَيَّر : متمائلة .

ومضحكٍ منك لؤلؤي^١ ممتزجٌ مسكه بخمر
جدُّ لي بالصَّفح عن ذنوبي أولاً فعاقبٌ بغير هجر

وقال [من مخلص البسيط]:

عدت إلى الغيِّ بعد نسكي عدت إلى الغيِّ بعد نسكي
أضحك للكاشحين جهراً أضحك للكاشحين جهراً
تمنعي أن أبوحَ نفسُ تمنعي أن أبوحَ نفسُ
عيني التي أوقعت فؤادي عيني التي أوقعت فؤادي

وقال [من مخلص البسيط]:

واحربي من جفون ظبيِّ واحربي من جفون ظبيِّ
أسقم جسمي بسقم طرفي أسقم جسمي بسقم طرفي
عجبت من جمر وجنتيه عجبت من جمر وجنتيه
هذا اختياري فأبصروه هذا اختياري فأبصروه

وقال [من الكامل]:

لا تقبلن من الرشيد كلامه لا تقبلن من الرشيد كلامه
ودع التزمت والتجمل للورى ودع التزمت والتجمل للورى
واشرب مزعفرة القميص سلافة واشرب مزعفرة القميص سلافة
كأس إذا رمت الهموم بسهما كأس إذا رمت الهموم بسهما
تحلو وتعذب في النفوس كأنها تحلو وتعذب في النفوس كأنها

(١) الغيِّ: الضلال ، والمحك : من المماحكة .

(٢) التزمت : التضييق والتشدد .

(٣) المزعفرة : المصبوغة بالزعفران ، وهو نبات زهره أحمر إلى صفرة ، له أصل كالبصل .

معها ويُفتح كلِّ بابٍ مقفل
نارٌ لعمرك ليس تؤذي المصطلي^(١)
ترنو بناظرتي خذولٍ مظل^(٢)

وقال [من الوافر]:

وقد بعد اللقاء على التداني
جعلت فداك يا مولاي ثاني
وما يرضى الخليل إذا أتاني
تأنقه فليس له مداني
وظاهره غلالة زعفران
لها حجبٌ كمنظوم الجمان
تطرّف منه مبيضُ البنان^(٣)
تمكّن طالعاً في غصن بانٍ
محدّقةٌ بأصناف الأغاني
بتحريك الثالث والمثاني
لعمرك ما كفاك وما كفاني
تمّ لنا بزورته الأمانى

حمراء يرحبُ كلِّ صدرٍ ضيقٍ
تحكى ضرام النار إلاّ أنها
لا سيما من كفّ طاوية الحشا

كتبت وفرط شوقي قد عناني
وما في البيت لي ثانٍ فكن لي
فعندي ما يجاوز كلِّ وصفٍ
خروفٌ أظهر الشواء فيه
غلالة باطنٍ منه لجينٌ
وكأسٌ مثل عين الديق صرفٌ
لها في كفّ شاربها شعاعٌ
يطوف بشمسها قمرٌ منيرٌ
وإنّ أحببت مسمعةً أتتنا
تطلّق همّ سامعها ثلاثا
فهذا عندنا، ولدون هذا
فزرنا لاعدمتك من صديقٍ

وقال [من الخفيف]:

فَحَمُّ شِبِّهِ الْغِلامِ وَأدلى في كوانينه حياة النفوس^(٤)

(١) ضرام النار : إيقادها .

(٢) الخذول : الكثيرة الخذل وهي التي تتخلف عن القطيع وتتفرد ، والمطفل : التي تربي أطفالها .

(٣) تطرّف : تزين وتوشّح .

(٤) شبّه : أوقده .

كان كالأبنوس غير على
لقي النار في ثياب حدادٍ
فغدا وهو مذهب الأبنوس
فكسته مصبغاتٌ عروسٍ

وقال [من الخفيف]:

بتُّ ضيفاً لسيدٍ يميني
وأنت عرسه تغازل إيري
ولو أني فعلت ما كنت ممن
فأتاني وقال نكها بعيشي
قلت قد زدت في الضيافة معنى
قال من أجل ذاك طار لي اسمٌ
فمتى يدعى مع اسمي ضيوفٌ
فقراني والجود قدماً يماي
قلت لا تفعلني فليستُ بزاني
يتصدى لنسوة الإخوان
فهي موقوفةٌ على الضيفان
ما عرفناه في قديم الزمان
وألح الضيوف في غشيانني^(١)
فيل مرعى وليس كالسعدان

* * *

٣٠ - القاضي أبو الحسن علي بن النعمان

أنشدني له ابن وهب [من المنسرح]:

ولي صديقٌ ما مسني عدمٌ
أغنى وأقنى فما يكلفني
قام بأمري لما قعدت به
مذ وقعت عينه على عدمي
تقبيل كفاً له ولا قدمٍ
وغت عن حاجتي ولم ينم

وأنشدني له أيضاً [من مجزوء الوافر]:

صديق لي له أدبٌ
رعى لي فوق ما يرعى
صداقة مثله نسبٌ
وأوجب فوق ما يجب

(١) الغشيان : الأم والقصد والنزول .

فلو نقدت خلائقه لبهرج عندها الذهب^(١)

* * *

٣١ - إسحاق بن أحمد بن المارديني

أنشدني له ابن وهب يصف الثريا [من السريع] :

أرقتني الشوق فلم أكتحلُ بلذّة الغمض إلى الفجرِ
تسري همومي فأراعي بها كواكباً دائبةً تسري
حتى كأنّ البدر إذ أشرقتُ على الثريا غرةً البدرِ
صفحة مرآةٍ وقد أذهبتُ بمقبضِ رصعٍ بالدرِّ

وله في الليل والنجوم [من البسيط] :

كم مجهلٍ بسواد الليل ملتبسٍ باتت تقمّه العيسُ المراسيلُ
ليلٌ قد اختلفت أشكال أنجمه كأنهنّ عيونٌ للدجى حولُ
تبدو الثريا ككفٍّ للدعاء بها قد مدها الصبح والجوزاء إكليلُ
تلوى رقاب المطايا من تطاوله وينهض الفجر فيه وهو مشكول

* * *

٣٢ - القاضي أبو عبد الله محمد بن النعمان

أنشدني له عبد الصمد بن وهب هذه الأبيات وهي مما يتغنى بها [من الرمل] :

ربّ ليلٍ لم أذقُ فيه الكرى حظّ عيني فيه دمعٌ وسهَرُ
طال حتى خلته لا ينقضي ونأى الصبح فما منه أثرُ

(١) نقدت : أي جعلت نقوداً ، وبهرج الذهب : زيفه ، أو أصبح رديئاً .

غاب عني قمرٌ أحبته فتعللت بأنوارِ القمرِ
كلما هيج شوقي حزني صحت ياليلي أما فيك سحرٌ
وقال [من الخفيف]:

ربّ خودِ عرفتُ في عرفاتِ سلبتني في حسنها حسناتي
حرّمت يومَ أحرّمت نومَ عيني واستباححت حماي باللحظات^(١)
وأفاضت مع الحجيجِ ففاضت من جنوني سواكب العبراتِ
ولقد أضمرت بقلبي جماً حين راحت للرمي بالجمراتِ^(٢)
لم أنل من منى منى النفسِ حتّى خفت بالخيف أن تكون وفاتي^(٣)
وقال يصف الهلال [من المنسرح]:

انظرُ الى حسنِ ذا الهلالِ وقد بدا لست مضمينَ من عمرة
وقد أطافت به كواكبه حسناً فيئته لمعتبره
مثل زنادٍ قد صيغ من ذهبٍ يقدح ناراً وهن من شره
ثم تولى يريد مغربه في شفق الشمس وهي في أثره
فخلته غائصاً ببحر دمٍ يقذف بالرائعات من دره
فلم أزل ليلتي أراجعه لحظي وأبكي للوقت من قصره
حتى تبدى الصباح متبهاً قبل انتباه المخمور من سكره
وقوله في مליح بعمامة حرير حمراء [من الكامل]:

يا من يمرُّ ولا تمرُّ به القلوب من الحرق

(١) استباححت الحمى : أي جعلته مباحاً لها تدخله ساعة تشاء .

(٢) أضمرت : أشعلت ، والجمرات : من مناسك الحج ، وهو مكان يرمى به بالحصى .

(٣) منى والخيف : أماكن فيها بعض مناسك الحج .

بعمامةٍ من خدّه أو خدّه منها سرق
فكأنّها وكأنّه قمرٌ أحاط به شفقٌ
فإذا مشى وإذا انثنى وإذا رنا وإذا نطقٌ
شغل الجوارح والخواطر والمسامع والحدق

* * *

٣٣ - صالح بن مؤنس

أنشدني له ابن وهب في ابن رشد بن صالح [من السريع] :

يفديك بالمهجة يا صالحُ من كلّ ما يكرهه صالحُ
فأنت غصنٌ صيغ من دروّ على ذراه قمرٌ لائحٌ

وله فيه بديها [من الهزج] :

شربنا مثل ماء الور دفي الطيب على الورد
ونادمت ابن رشد بن فما حدث عن الرشد
فتى كالبدر في الرفعة والإشراق والسعد
كأني منه في الجنة لو أظفر بالخلد

وله فيه [من مجزوء الرمل] :

بك يا صالح أرضى عن زماني حين أسخط
فأدم لي الوصل إني بك في العالم أغبط
أنت والرحمن مذ كنت على قلبي مسلط
ومصيبٌ أنا في الحب ومن بعدي يغلط
يا جواداً في لهاه بندها أتبسّط^(١)

(١) لهاه : عطايه ، واتبسّط : أتكرّم وأتوسّع في العيش .

أسقط الحشمة في العشرة فالحشمة تسقط

وله جارية اسمها خمرة وأضمرة [من الكامل] :

ما اسم إذا صحفته وعكسته ونقصت حرفاً منه كان سلاحاً^(١)
وإذا قام ولم يحل عن حاله عادى العقول وصالح الأرواحا

وله في بعض آل الفرات [من المجث] :

قد مرَّ عيدٌ وعيدٌ ما اخضرَّ لي فيه عودٌ
وكيف يخضرُّ عودي والماء منه بعيد؟
يا من له عددُ المجد كَلْها والعديدُ
آل الفرات ندامُ على الفراتِ يزيدُ
وأنت فضلك فيهم عليك منه شهودُ
وكلَّ يومٍ لغيري من راحتك مدودُ
هل لي إلى الرزق ذنبٌ إن كان منه صدود؟
ما النَّاسُ إلاَّ شقيُّ في دهرنا وسعيدُ

وقال في صفة جدي [من الرجز] :

جدُّ لي بجدي نعته من اسمه لم يلج التنور مثل جسمه
كأن بين جلده ولحمه لقات قطنٍ بسطت من شحمه
* يؤكل من نعمته بعظمه *

وله يصف رءوساً [من الخفيف] :

قد غدونا على رءوسِ سمانٍ ناعماتٍ من رؤسِ الخرفانِ

(١) « خمرة » إذا صحفته صار « حمرة » فإذا عكسته بعد حذف حرفٍ منه صار « رمح » وهو من أدوات القتال .

شحماتِ العيونِ والأذنانِ
مسها كفاً آكلٍ بينانِ
ك من الطيبِ مصّ طرف اللسانِ
كوجوه المخدّراتِ الحسانِ
ض وتنسيك خضرة البستانِ
واح مثل الأرواح في الأبدانِ
فراينا السرور في الأحزانِ
وهو عبدٌ لسائر الإخوانِ
فأريت الزّمان حكم الزّمانِ

وارمات الخدود من غير سوءٍ
تتداعى بالوهم من قبل أن تلد
ولأصل اللسان طيبٌ ينسيه
ورقاقٍ ذي نعمةٍ وبياضٍ
وبقولٍ تغنيك عن زهرة الرو
وأنت راحنا التي هي في الأر
ثم وافى بنفسجٍ في حدادٍ
عند حرٍّ يستنفد الوصف مدحاً
أحكمتك الأيام يا ابن حكيمٍ
وقال أيضاً [من الطويل] :

وأمدح من شرّابها كلّ مدمنٍ^(١)
ولا تحسن الأيام إلاّ لمحسنٍ

سأدمنُ شرب الراح ما دمتُ باقياً
فما تكمل الأوقات إلاّ بقهوةٍ
وقال [من السريع] :

وخفض الصّوت عن الرفعِ
فإنّما خاف من الصّقع^(٢)

إذا هجا الشاعر في خفيةٍ
ولاذ بالجحد لما قاله

وقال في يوم شديد البرد [من البسيط] :

من قرّهِ شَعَرُ الهاماتِ بالرّعدِ
قبضت فيه على جمر الغضا بيدي^(٣)

هذا لعمرك يومٌ يستطير له
لو شئت لا خائفاً لذعاً ولا ألماً

(١) أدمن الشراب : أي أصبح الشراب عنده عادة لا يستطيع مفارقتها .

(٢) الجحد : الإنكار .

(٣) الغضا : شجر فحمه أو حطبه شديد التوقّد والحرارة .

وله في غلام صوفي [من السريع] :

عشقت صوفياً له شاهدٌ
قد قصد الله بأحواله
يقيم عذري عند عدائي
فليته يقصد في حالي^(١)

وقال يهجو عبيد الله بن أبي الجوع من قصيدة أولها [من السريع] :

هاجيك فيما قاله ماحٌ
وما يقوت الفيل من بقّةٍ
وربّ من ترفعه خزيةٌ
ففخر عبد الله في الناس أن
يا ابن أبي الجوع قدحت امرأاً
لقد تعرّضت على غرةٍ
فاركب ذلول الأمر أو صعبه
وعقّ من أهلك من شتته
واغد بما تهوى وروح إنني
يا أيّها الصعو الذي لم يزل

فأنت في صفقتك الرابحُ
أمثالها في فمه طائحُ
ميسمها في وجهه لائحُ^(٢)
يقول قد ناقضني صالحُ
من فكره يحترق القادح
قريحةٍ صاحبها قارحُ^(٣)
فيّ فقد جدّ بك المازح
فإنما أنت له فاضحُ^(٤)
غادٍ بما تكرهه رائحُ
يرقص حتى دقه الجارحُ^(٥)

ومنها :

إن زار الليث على ما أرى
وودّ أن يفلت من بعدما
وهاج يوماً شرط النابحُ
أنحى على أوداجه الذابحُ

(١) أحواله : طرائقه بالعبادة .

(٢) الميسم : الأثر والعلامة .

(٣) الغرة : الجهل ، والقارح : من ذي الحافر : ما شقّت نابه وطلعت ، يقصد أنه قادر على مواجهته وليس صغيراً .

(٤) عقّ : من العقوق ، وهو نكران الجميل ووجود الفضل .

(٥) الصعو : العصفور الصغير .

إِنَّ الَّذِي تَطْمَعُ فِي قَرْبِهِ
 يَا شَارِباً فِي يَدِهِ حَتْفَهُ
 أَرَاكَ قَدْ لَجَجْتَ فِي غَمْرَةٍ
 فَقَدْ تَمَرَّسْتَ بِمَنْ شَعْرَهُ
 كَمْ جَامِحٍ قَبْلَكَ أَلْجَمْتَهُ
 نَجْمٌ لِمَنْ يَرْمِقُهُ لَائِحٌ
 لَمْ تَدْرِ مَا خَاضَ لَكَ الْجَارِحُ
 يَغْرُقُ فِي تِيَارِهَا السَّابِحُ
 كَالْبَحْرِ لَا يَنْزِفُهُ الْمَاتِحُ^(١)
 بِالذَّلِّ حَتَّى سَكَنَ الْجَامِحُ^(٢)

وقوله فيه [من السريع] :

يَا ذَا الَّذِي عَنِ رَشْدِهِ قَدْ عَمِي
 لَوْ كُنْتَ شَهْماً حَازِماً ضَابِطاً
 مَا أَنْتَ فِي فَعْلِكَ إِلَّا كَمَنْ
 كَيْفَ يَخْوِضُ الْبَحْرَ مِنْ مِثْلِهِ
 فَائْتَبْتُ أَوْ أَجْزَعُ كُلِّ ذَا وَاحِدٍ
 اسْتَقْدَرَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ مَا
 تَجَاسَرَ الْجُوعُ عَلَى صَالِحٍ
 وَفَاهٍ بِاسْمِي مَفْصِحاً بَعْدَمَا
 وَقَالَ قَوْماً قَدْ غَدَا شَاعِراً
 فَقُلْتُ لَا لَوْمَ عَلَى مِثْلِهِ
 أَنَا الَّذِي أَلْبَسْتَهُ حَسْرَةً
 وَاللَّهُ لَا يَجْهَلُ مِنْ بَعْدِهَا
 لَوْ كُنْتُ جِلْداً حَدَثَ عَنْ أَسْهَمِي
 لَمَا تَقَلَّبْتَ عَلَى الشَّيْهَمِ^(٣)
 تَطَعَّمَ الرَّيِّقَ مِنَ الْأَرْقَمِ^(٤)
 يَغْرُقُ فِي دَائِرَةِ الدَّرْهَمِ
 لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ لِمُسْتَعْصِمِ
 أَلْصَقَ مِنْكَ الْأَنْفَ بِالْمَرْغَمِ
 تَجَاسَرَ الْكَلْبُ عَلَى الضِّيغَمِ^(٥)
 تَرَكْتَهُ أَسَكْتَ مِنْ أَبْكَمِ^(٦)
 وَالشَّعْرَ لَا يَعْرِفُ لِلْمَفْحَمِ
 مِنْ أَخَذِ الصَّقْعِ قَفَاهُ حَمِي
 بِمَا جَرَى مِنْ ذَكَرِهِ فِي فَمِي
 وَفِي قَفَاهُ لِلرَّدَى مِيسَمِي

(١) الماتح : الغارِف منه وينزفه : يقنيه .

(٢) الجامح : الشرود .

(٣) الشيهم : الدلدل ، وذكر القنفذ ، أو ما عظم شوكة من ذكرانها .

(٤) الأرقم : الأفعى السامة .

(٥) الضيغم : الحيوان المغترس .

(٦) الأبكم : الأخرس .

أبين به من ميسمٍ واضحٍ يضيء كالغرة في الأدهم^(١)
فليت شعري كيف رام العلا وهم أن يرقى بلا سلم؟!

ومنها :

ثم أتت بالصعو مستبشراً
في الثمر المرّ دليل على
يروم أن يلحق بالقشعم^(٢)
رداءة الأصل لمستطعم

وله فيه [من البسيط] :

لا تعجبي لسكوتي بعد أشجاني
قد أرقأ الله دمعي بعد جريته
فما أرى أحداً يُصفي الهوى أحداً
لم يبق بين الوري إلا مكالفة
أقول لابن أبي الجوع المنافق إذ
أراك تفرعني سرّاً وتعجمني
تردّ في جهة النّقار معوله
العزّ داري وظهر العزم راحلي

وله في العناق ، وأحسن ما شاء [من السريع] :

لي سيّد ما مثله سيّد
عانقته عند موافاتها
تصدّت الحمى له فاشتكى
والأفق بالليل قد احلولا

(١) الميسم : الأثر والعلامة . والغرة : بياض في رأس الفرس ، والأدهم ، من الخيل : ما كان لونه مائلاً إلى الحمرة والسواد .

(٢) القشعم : النسر المسن .

(٣) أرقأ : كفّ .

(٤) تفرع : تطرق ، وتعجم : تحك وتنفخص .

(٥) الكدّان : القوي الكثير الشحم واللحم .

فجاءت الحمى كعادتها فلم تجد ما بيننا مسلكا

وقوله يصف برادة على حامل نحاس [من الكامل] :

أم الحياة على سرير نحاسٍ عريانةُ أبدأً بغير لباسٍ
هي في الموات لدى الورى معدودة لكنها ضمنت حياة الناسِ

وقوله [من الوافر] :

بعين الله أنت فإن عيني إذا ما غبت دامية الجفون
كأنك مهجتي فإذا تدانى فراقك حمٌ لي ريبُ المنون^(١)

وقال يصف البنفسج والورد [من مixel البسيط] :

بنفسجٌ جاء في حدادٍ ووردنا في معصفراتٍ
فاشرب على ماتمٍ وعرسٍ جلا جميعاً عن الصفاتِ

وسأله ابن رشد بن المسير معه إلى القاش فقال مرتجلاً [من المنسرح] :

يا أمري بالمسير في لجم النيل كأن سخرت لي الريح
ما جمد الماء لي فأركبه كلاً ، ولا صامت التماسيح

* * *

٣٤ - محمد بن الحسن اليماني

أنشدت له في صالح [من المجتث] :

يا قاطعي بعد وصل تسوم ما لا أسومك^(٢)

(١) حمّ : نزل ، وحمّ القضاء : أي نزل .

(٢) الوصل : من الوصال وهو القرب ، وتسوم : من سام : أي عرض البضاعة وغيرها للبيع وذكر ثمنها ،

وسامه الخسف : أذله .

يا ليت أتى يوماً من الزمان نديمك
فالشوق عندي غريمٌ كما السلوُ غريمك
وقوله [من مجزوء الرمل] :

فاضحَ الغصنِ النضيرِ كاسفِ البدر المنيرِ
أنت عذري في حياتي ومماتي ونشوري
ما سرورٌ غاب عنه صالحٌ لي بسرورِ

٣٥ - محمد بن هرون بن الأكتمي

أنشدت له في بعض الوزراء يهجوهُ [من مجزوء الخفيف] :

يا وزيراً إلى المكايل والبيع ينسب
من يرُمُ حبك يتعبُ وأمانيه تكذبُ
وإذا ما رجوته قلت ما مات أشعب
يا وضيعاً ترجل الـمجد مذ صار يركب^(١)

وله يهجو ابني كشاجم أبا النصر وأبا الفرج [من الكامل] :

يا ابني كشاجم أنتما مستعملان مجربان
مات المشوم أبوكما فخلفتماه على المكان^(٢)
وقرنتما في عصرنا ففعلتما فعل القرآن
لغلاء أسعار الطعاهم وميتة الملك الهجان

وقوله في عزاء [من الوافر] :

بقاؤكما يعيد الميت حياً وإن غطاه دونكما الترابُ

(١) ترجل : أي أصبح يمشي على رجليه .

(٢) المشوم : من المشؤم خففت الهمة للضرورة الشعرية .

فلا تستشعرا حزناً عليه فيذهب لاعدمتكما الثوابُ

وله في غلامه راشد [من مخلع البسيط] :

يا قمر الليل كن شهيدي
هل نمت أو ذقت طعم غمضٍ
وكيف يلتذُّ باغتماضٍ
فكن شفيعي إلى حبيبٍ
فأنت من أعدل الشهود
مذ هجعت أعين الرقودِ
من لَجِّ مولاة في الصدودِ
قد زاد في كثرة الجحودِ

وقال رحمه الله [من المتقارب] :

كأنَّ الأباريق مملوءةٌ
رماها بأسهمه قانصٌ
ظباءٌ وقوفٌ على ساحلٍ
فخضبها بالدمِّ السائلِ

وقوله في شمعة [من مجزوء الرجز] :

باكيةٌ ضاحكةٌ
مظهرةٌ أنوارها
كأنَّها عاشقةٌ
تذيبها خدامها
إن جُرَّ منها رأسها
أنفاسها جلاَسها

وقال [من السريع] :

لو أنصفتُ عطفتُ أو رقتُ
أفدي التي إن أقبلتُ أقبلتُ
ما أضنتُ الجسم ولا سلَّتِ
دنيايَ أو غنَّتْ لنا أغنتِ

وقال [من مخلع البسيط] :

يا أيها ذا أستمعُ مقالِي
ثلاثةٌ مالها مثالٌ
إن دام هذا عليَّ منهمُ
أليس إن متَّ مات شعري
فليس في قصتي ضلالٌ
صححت ما شنعوا وقالوا
أفنى وما قلته يقالُ

وقوله [من مجزوء الرمل] :

أكثر العذال لومي يا ابن رشدين وزادوا
وبقلبي منك وجدٌ ماله الدهر نفاذُ
قد تجافى عن جفوني مذ تجافيتُ الرقادُ
فيك يا صالح للقلب صلاحٌ وفسادُ
أنا من حبك مولا ي عليلٌ لا أعاد^(١)

وقوله [من السريع] :

دافعت أيامي بأيامي حتى مضى أكثر أعوامي
وإنما عمر الفتى كله كأنه طارقٌ أحلام
يا ويح من أمسى على غرةٍ وأنفه من حتفه دامى^(٢)
يرمى بسهمٍ للردى صائبٍ من حيث لا يشعر بالرامي

* * *

٣٦ - عبيد الله بن محمد بن أبي الجوع

أحد رواه المتنبي الأدياء ، وأصحابه العلماء ، وممن تمهر في لغات العرب
وأجاد أنواع الأدب ، فمن شعره قوله رحمه الله تعالى [من المتقارب] :

أظنك يا سيدي إذ جفوت توهّمت بي نبوة الغادر^(٣)
وخلت بأني ملالاً سلوتُ ولست بسالٍ ولا صابرٍ
وقد علم الله أنني عليه ك أشفق منّي على ناظري

(١) أعاد : أزار .

(٢) الغرة : الغفلة ، والحتف : الموت والهلاك .

(٣) النبوة : الجفوة والبعد .

وقال [من السريع] :

صالح يا مشبه بدر الدجى
وجهك في الليل كشمس الضحى
بالحسن والإشراق والرفعة
نوراً فما تصنع بالشمعة

وقال [من المجتث] :

يا أطيب الناس ريحاً
وما به أتصدى الـ
هات اسقني أو تراني
واحفظ عليّ فؤادي
لو كنت كاسمك يا صا
لح اعتمدت الصلّاحا
لكن أبى الله إلّا
وأطيب الناس راحا
أطراب والأفراحا
لا أعرف الأقداحا
من أن يطير ارتياحا
لح اعتمدت الصلّاحا
أن تفسد الأرواحا

قال : وكتب إلى بعض إخوانه يستدعيه بهذه الأبيات [من المجتث] :

شعبان قد صار نضواً
ولم نفذ فيه لهوا؟! (١)
وليس ذلك منّا
جهلاً ولا كان سهواً
فبالمودة إلّا
بكرت للقصف عدواً (٢)
حتى نقوم فنرفوا
ما خرق الدهر رفواً (٣)
من بعد تقديم جدي
مسمّن ظلّ يشوى
له ثلاثون يوماً
يجبو إلى الضرع حبواً (٤)
وأوفر الزور في الخـ
لّ قد تبوّأ مثوى

-
- (١) النضو : الهزيل ، أي أنّ قمر شعبان أصبح في لياليه الأخيرة وهذا دليل على انتهائه .
(٢) القصف : اللهو ، والعدو : الإسراع في السير .
(٣) نرفوا : أي نصلح عيب الثوب أو ما تمزق منه .
(٤) الضرع : الثدي .

لما انتزعت حشاه	عوضته البقل حشوا
وقد عنيت بجامٍ	ملأته لك حلوى
وقهوة بنت كرمٍ	صفت من الذمّ صفوا
ما شعشت قطُّ إلاّ	سظت على الهمّ سطوا
جبتّها كلّ وغدٍ	يمحو المحاسن محوا
إلاّ إذا ما اقتنصنا	عذب الخلائق حلوا
وشادنٍ ذي دلالٍ	يشدو فيلهيك شدوا
إمّا غناءً وإمّا	عجائباً عنه تروى
حتى تظلّ بما فيه	من وقارك خلوا
وعندنا لك وردٌ	يحدو المسرة حدوا ^(١)
ريحانه لا يوازي	لوناً وطرّاً وسروا
فما اعتذارك في أن	تُنفي زمانك صحوا
وأنت بعد قليلٍ	بالصّوم والله تطوى
أبا عليٍّ ألا اسمعُ	نصيحةً ليس تزوى ^(٢)
فإنما نحن سقرٌ	على محجة بلوى
ولا تعرجّ ذميماً	على معاهد حزوى

وله في أبخر [من الخفيف] :

لا تنفّس في مجلسٍ أنا فيه	وتنفّس سرّاً وراء البابِ
ثم لا تعترض لسرّ صديقٍ	إنّ ذاك السّراء سوطُ عذابِ
إنّما فوك فقحة كلّ وقتٍ	تصدى الأنوف كالنّشابِ

(١) الورد : المنهل ، ويحدو : يسوق .

(٢) تزوى : تبعث ولا يعمل بها .

تصرع الطائر المحلّق في الجوّ ولو غاب في سواء السّحاب

وقوله [من الوافر]:

أرى اللذاتِ تعبر بي يميناً على رغمي وتعبر بي شمالاً
فأجرعُ دونها غصصاً لأنّي أشاهدها وما اعطيت مالاً

وقوله [من مجزوء الخفيف]:

وعذارٍ مجعدٍ فوق خدٍّ مورّدٍ
كلّما رمّتُ فرصةً لسعتْ عقربُ يدي

* * *

٣٧ - الحسن بن محمد الشهاجي

كتب إلى صالح بن رشدين يستهديه مشوراً في يوم نيروز [من السريع]:

اليوم يا صالح ما تبصرُ وصحو مثلي فيه مستنكرُ
وقد مضى الوعد وحصلته وصفوه من مظهله يكدر^(١)
فهات ما يحضر إنّي امرؤُ يقنعه منك الذي يحضرُ

وله [من المنسرح]:

قوليّ ماض على العباد فما يُردُّ في جدّه ولا لعبه
ولي لسانٌ كأنه ظبّةُ السّيفِ طويلٌ أكاد أعثر به^(٢)

وقوله [من البسيط]:

وقهوة كشعاع انّشمس صافيةً شربتها مع شربٍ سادةٍ كرما

(١) المظل : التسويف بالوعد وعدم الوفاء به .

(٢) ظبّة السيف : شفرته .

حازو الفخار وأجروا بالسيوف دما^(١)
نجومٌ كلٌّ فخارٍ لا نجوم سما

وقوله [من الطويل]:

وأسرح في أقطارها حين تقرب
وسيفي الذي أسطوبه حين أضرب

وقوله [من الرجز]:

ترمي الندامي بالشرر
وبرد انفاس السحر^(٢)
على غناء ووتر
كعبتها ثم اعتمر

إذا ثنوا أرؤس الفرسان في رهج
إذا رأيتهم أيقنت أنهم

تضيق بي الدنيا إذا كنت غائباً
وأنت جناحي كلما طرت للعلا

وقهوة في كأسها
قد جمعت نشر الربا
أطيب ما شربتها
طوبى لمن حجَّ إلى

وقوله [كن الكامل]:

في كلِّ حالٍ من علو الكوكب
ألبيسته ثوب الثناء الطيب
أقصى حديثك من بأرض المغرب

وعلو قدرك وهو أبعد غايةً
لأسيرن مديحك الحسن الذي
حتى يحدث من بأرض المشرق الـ

وقوله [من الكامل]:

قبل الصبوح سلافةً عذراء
حتى توسد كفه اغفاء
لما استقلَّ لسانه فافاء^(٣)

ومهفهفٍ ساقٍ أغنَّ سقيته
ما صاح ديك الصبح إلا صيحةً
جعلته قبل رقادَه كاسلته

(١) الرهج : غبار الحرب .

(٢) نشر الربا : عبقها الطيب .

(٣) الفأفاء : الذي يفأفء في كلامه فيخرج الكلام من بين شفثيه كثير الفاء .

٣٨ - أبو علي صالح بن رشدين الكاتب

أحد أئمة الكتاب ، المهرة في سائر الآداب ، صحب المتنبي وروى شعره ، وكان جيد المعاني ، أنشدني له محمد بن عمر الزاهر [من مجزوء الخفيف] :

قل لمولاي منعماً لم صرمت المتيمماً^(١)
أنت أعطشتني إليك وأبكيتهني دما
فإذا شئت أن ترى عاشقاً ميتاً ظما
فأدر في ناظريك تجدني توهماً

وقوله [من المَجْتَث] :

أَجِنَّةٌ نحن فيها أم نحن في المرزجوش^(٢)
ما بين آسٍ وماءٍ ينساب بين العروش
وقهوة ذات حسنٍ وطاجنٍ ذي نشيش^(٣)
وسيدٍ رشت منه لما تطاير ريشي^(٤)

وزاره ابن أبي الزلازل في منزله ، فلم يره ، فطرح له رقعة من طاق في المنزل ، وكتب اسمه على الباب . فلما أتى صالح ورأى اسمه على الباب ووجد الرقعة فقرأها فوجده يعتبه فيها على انقطاعه عنه ، فذهب صالح في

(١) صرمت : هجرت وقطعت .

(٢) المرزجوش : معرب مرزنكوش ، ويسمى أيضاً مردقوش ، وعربيته السمق وهو نبات الياسمين ، ويطلق على الزعفران .

(٣) الطاجن : ما يقلى فيه ، والنشيش : الغليان وصوته .

(٤) رشت : تقويت واستغنيت .

الوقت إلى منزل ابن أبي الزلازل فلم يجده . فكتب اسمه على بابه وترك رقعة فيها [من الخفيف] :

قد ، ومن خصني بوذك ، أذكى
سرت فيه تلقاء داري قصداً
فتعجبت أن أرى الأفق ليلاً
وإذا خطك البديع على الباء
فتمنيت أن خدي نعلًا
غير مستنكر لمثلك أن يسبق فضلاً وأن يفوت فخارا
ثم أصبحت أشتكى عثر السكر وعزمي زيارتيك ابتكارا
فإذا رقعة تمرُّ بها الريح يميناً طوراً وطوراً يسارا
فتأملتها وكانت من اللات
ما توهمت أنني قبلها أقرأ خطأ يزيل عني الخمارا
قابلتني منها سهام عتاب
وأحاشيك أن تكون خليلاً
طول شوقي إليك في القلب نارا^(١)
فإذا النور قد تغشى الديارا
مدلهما وجوف داري نهارا
ب يبت الضياء والأنوارا
أحمصيك للذين نحوي سارا
ب يبت الضياء والأنوارا
أحمصيك للذين نحوي سارا
ب يبت الضياء والأنوارا
أحمصيك للذين نحوي سارا

فلما رأى ابن أبي الزلازل الرقعة كتب إليه بهذه الأبيات [من الخفيف] :

بأبي أنت سابق لا يجارى
عاقني الحظ أن أراه وأن نق
يا ابن رشدين قد أفدت بك الرش
كنت بالأمس عند إخوان صدق
قد جعلنا محمود ذكرك نقلاً
قاده نحوي اشتياق فزارا
ضي عند اجتماعنا الأوطارا
د وبدلت بعد عسر يسارا
أدباء ندير كأساً عقارا
وشربنا من قبله تذكارا^(٢)

(١) أذكى : أوقد .

(٢) المذق : المداهن .

(٣) النقل : ما يؤكل مع الخمر كالفتق وغيره .

ثم إنني انصرفت سكران أعتسُّ طريقِي تمايلاً وعشاراً^(١)
والدَجى كَالهَموم فِي قلب من فا رَقَ عشقاً وِغربةً وأدكاراً
أخبط الليل مفرداً إذ تراءى لي نورُ أضواء ثم استطارا
فهنيئاً إنني أودك ودأ ترتضيه مغيباً وجهارا
ثم أخبرتني بشكواك فيها فوقاني الإله فيك الحذارا
لم أزل دائباً أكرّر قولي كان لي فيك حافظ الجار جارا

* * *

٤٠ - أحمد بن محمد العوفي

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر قوله [من المجتث]:

يا حسرةً في نفوسٍ ويا شجىً في حلوقٍ^(١)
يا فضةً بين ثنبي غلالةٍ من عقيقٍ
عليّ لا زلت همي في صبحتي وغبوقي
ودون سلوةٍ وجدي وجدان بيض الأنوق^(٢)

وأنشدني أيضاً [من المجتث]:

يا موقظاً طرف همي من بعد ما كان أغفى
تظنّ ما بتُ أخفيهِ من جوى بك يخفي
ولي لسان دموعٍ ما يكتم الناس حرفا
إذا تظلم طرفي وقعت بالطرف تكفى

(١) عسّ: طاف بالليل .

(٢) الشجى : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه .

(٣) الأنوق : العقاب ، أو طائر أسود يحرز بيضه فلا يكاد يوصل إليه .

وأشدني له [من المجتث] :

قد عابني برقادي خياله حين زارا
ولا وحبّيه ما إن فعلت ذاك اختيارا
طمعت في أن أراه طوعاً فتمت اضطرارا
فتلك علّةٌ نومي يا ملزمي فيه عارا

* * *

٤١ - القائد أبو تميم سليمان بن جعفر

كتب إلى صالح بن رشدين رسالة يستدعيه فيها إلى الشراب ، فامتنع
عليه وكتب له هذه الأبيات [من المنسرح] :

يا أيها القائد الجليل ومن أصبح بالمكرمات يفتخرُ
آليت لا أشرب المدام ، وإن كانت ذنوب المدام تغتفرُ
يكفي أخا العقل أن سورتها تجني على عقله ويعتذر^(١)

فكتب إليه القائد ابو تميم [من المنسرح] :

أبا عليّ حاشاك يا أملي من أن أراك الغداة تعتذرُ
قلبي إذا غبت ساعةً قلقُ يكاد شوقاً إليك يستعرُ
فسرّ إلينا فوقتنا حسنُ ساعد فيه السحاب والمطر

قال ابن رشدين : حضرت عند القائد أبي تميم في ضيعة له ، فلما
عمل فينا الشراب نظرت إلى جارية له تسمى عبدة ذاهبة وجائبة ، فحملني

(١) سورة الخمر : حدّتها .

النيذ أن أخذت رقعة وكتبت فيها إليه [من الخفيف] :

صالحٌ لا يزال يطلب عبده من كريمٍ يصفي الأخلاء وده
قد بثت الغداة وجدي وحيي من ولي يولي لمولاه مجده
فإذا شئت أن أرى لك عبداً ففضل أبا تميم بعبده

فقرأها وأمسك ، فارتعت وخفته ، وتماديت في الشرب معه ، ثم
نهضت الى منزل أنزلي فيه بقربه ، فلما استقربني انفذ لي الجارية ومعها
درجٌ فيه طيب كثير، وعليها ثياب رقيقة حسنة ، ورقعة فيها شعر [من
الخفيف] :

قد بعثنا أبا عليّ بعبده وقضينا بذاك حقّ المودة
وحمداً إذ خطبت إلينا أسأل الله أن يهنّيك حمده
فخذنها فأنت أكرم كفاء وهي ما عشت كاسمها لك عبده

وقال الخادم الذي جاء بها : يقول لك مولاي : لا تخرج غدا من
منزلك او يأتيك رسولي . فلما أصبحت جاءني القائد أبو تميم بجواريه
المغنيات وطباخه ، معه طعام كثير قد أعده وشراب ، فمازلنا نأكل ونشرب إلى
الليل وانصرف فرحاً مسروراً .

٤٢ - أبو هريرة أحمد بن عبد الله بن أبي العصام

أنشدني له ابن وهب [من الطويل] :

لئن ذهبت أيام لذتنا الأولى بذني الأسل ما وجدي عليها بذهاب
ألليت أياماً مضت لم تكن مضت ففقدني لها يا صاحٍ إحدى المصائب
رعى الله أيام السرور فإنها تمر سريعاً كمر السحاب

وقوله في رثاء صالح [من السريع]:

كلّ الذي اصلحه صالحُ
وصاح في مجلسه الصائِحُ
وناح في اوطانه النائح
إذراح في حفرته الرائح
قولي فأني مشفقٌ ناصحُ
ففرقُ ما بينهما واضح
كلّ امرئٍ عن أهله نازحُ

قد أفسد الموت على صالح
وانصرف البواب عن بابه
خلّوه في دار البلى مفرداً
يا ليت شعري ما الذي قاله
يا أيّها الناس ألا فاسمعوا
لا تؤثروا الدنيا على غيرها
فالحمد لله وشكرُ له

وقوله [من الخفيف]:

ياشبيه الهلال عند الطلوع ؟
من ضميري وأنت بين ضلوعي

مَنْ رسولي إليك أو من شفيعي
أنت في القلب شاهدٌ ليس يخلو

وقوله [من البسيط]:

والأرض تضحك كالجدلان من فرح
من الزمان وما نلقى إلى القدح

أما ترى الغيم كالباكي بأربعةٍ
فقمّ فديتك نشكو ما نكابدهُ

وقوله [من المنسرح]:

مع كل ذي نشوةٍ وذي ظُرفٍ^(١)
تقصر عنه بدائع الوصفِ

كم لي بدير القصير من قصفِ
لهوت فيه بشادنٍ غنجِ

وقوله [من السريع]:

من أهل ودي ومصافاتي

أذكرتني ياديرٌ مَنْ قد مضى

(١) القصف : المجون .

من طيب أيامٍ وليلاتٍ
وفقدنا أهلَ المروءاتِ

كم كان لي فيكَ وفيهمُ معاً
أشكو إلى الله مصاباتهم

وقوله [من البسيط]:

هذا وليس له شغلٌ سواه مَعَهُ
رأيت فيها فنون الحسن مجتمَعَهُ
أصغيت أذناً إلى العَدَالِ مستمعهُ^(١)
بكلِّ شيءٍ على الدنْيَا لَمَّا نفعهُ

كتمتُ حَبِكَ في قلبي فما وسعهُ
يا من إذا ما بدت للناس صورتهُ
والله ما حلتُ عَمَّا قد عهدت ولا
رفقاً بمن لو تسلَّى عنك يا أملي

* * *

٤٣ - أبو القاسم بن علي بن بشر الكاتب

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر يصف العذار [من الخفيف]:

مَنْ رسولي إلى القريب البعيدِ؟
ظلمة النَّحس في بياض السَّعودِ

مَنْ عذيري إلى العذار الجديدِ؟
دَبَّ في خدِّه العذار فحاكى

وقوله [من السريع]:

بالحَبِّ والأعينُ رسلُ القلوبِ
تخبر عَمَّا في فؤادي الكئيبِ
لأن عند المِرْدِ علمُ الغيوبِ

أما ترى لي ناظراً شاهداً
ودون إلحاح جفوني به
وأنت لا شك به عالمٌ

وقوله [من المنسرح]:

لا كأبٍ مشفقٍ ولا أمٍّ
جسمين مستودعين في جسمٍ

ضممته ضمَّ مفرط الضمِّ
ولم نزل والظلام حارسنا

(١) حلت : تحوكت وتغيّرت .

ياه يريني مواقع اللثم
أثرت فيه كهيئة الختم

ألثمه في الدُّجا وبرق ثنا
ثم افرقنا عند الصُّباح وقد

وقوله [من البسيط]:

مع قبح فعلي وزلاتي ومجترمي
علمُ بأنك مجبولٌ على الكرم

إذا ذكرت أياديك التي سلفتُ
أكاد أقتل نفسي ثم يدركني

وقوله [من الخفيف]:

وبحث افتقاد طيب المنامِ
في فؤادي وناظري وهما منك قرينا صبابيةً وانسجامِ

أنت مني بحيث مأوى الغرامِ
في فؤادي وناظري وهما منك قرينا صبابيةً وانسجامِ

وقوله [من الوافر]:

لتكتمه وفضَّ الله فاهُ^(١)
أنمُّ من الزُّجاج بما حواهُ^(٢)

لحي الله امرءاً يوعيك سرّاً
فإنك بالذي استودعت منه

وقوله [من الكامل]:

في ليل طرَّتها البهيمُ
رتشُّتِ الصُّبرِ المقيمُ
أكباد من برد النَّسيمِ
فنعمت في صفة النعيمِ

بيضاء جنح جبينها
ضدَّان ما اجتمعا لغي
ولذكرها أندى على الـ
ووصفت نعمة حسنهما

وقوله [من المتقارب]:

كما تقتضى واجباتُ الديونُ

ديون المكارم لا تُقتضى

(١) لحي الله : لعن الله ، يوعيك : يكتمك ويأتمنك ، وفضَّ : فتح وشق .

(٢) أنمُّ : أدل .

ولكنّها في قلوب الكرام تجول مجال القذى في العيون
وقوله [من المنسرح] :

طرفي على ما عهدت في أرقه طرفي على ما عهدت في أرقه
ولي حبيب أقام معتنقي ولي حبيب أقام معتنقي
وجملة الأمر أنني رجل وجملة الأمر أنني رجل
هذا حديثي والشمل مجتمع هذا حديثي والشمل مجتمع
فما حديثي في عقب مفترقه !؟ فما حديثي في عقب مفترقه !؟

قال لي الزاهر : أخبرني ابن بشر أنه كان له جد لأم يعرف بكولان ،
وكان هو من أهل الأدب والكتابة ، وحسن الشعر والخطابة قال لي حججت
سنة من السنين ، وجاورت بمكة حرسها الله ، فاعتلت علة تطاولت بي ،
وضاق معها خلقي ، ثم صلحت منها بعض الصلاح ، ففكرت في أنني
عملت في أهل البيت تسعا وأربعين قصيدة مدحا ، فقلت : أكملها خمسين .
ثم ابتدأت فقلت :

* بني أحمد يا بني أحمد *

ثم ارتج على (٣) فلم أقدر على زيادة ، فعظم ذلك عليّ ، واجتهدت
في أن أكمل البيت فلم أقدر ، فحدث لي من الغم بهذه الحالة ما زاد على
غمي بإصاقتي وعلتي ، فمنت اهتماماً بالحال ، فرأيت النبي ﷺ ، فجنّت إليه
فشكوت إليه ما أنا فيه من الإضاعة وما أجده من العلة وأخرى من القلة ، فقال
لي : تصدق يوسع عليك ، وصم يصح جسمك ، فقلت له : يا رسول الله ،
وأعظم مما شكوته إليك أنني رجل شاعر اتشيع ، وأخص بالمحبة ولدك

(١) الغسق : الظلام .

(٢) الفرق : الخوف .

(٣) أرتج عليه : استغلق عليه الكلام .

الحسين وتداخلني له رحمة لما جرى عليه من القتل ، وكنت قد عملت في أهل بيتك تسعاً وأربعين قصيدة ، فلما خلوت بنفسي في هذا الموضع حاولت أن أكملها خمسين ، فبدأت قصيدة قلت فيها مصراعاً وأرتج عليّ إجازته ، ونفر عني كل ما كنت أعرفه فما أقدر على قول حرف ، قال : فقال لي قولاً نحاً فيه إلى أنه ليس هذا إليّ ، لقول الله تعالى : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ (١) ثم قال لي : اذهب الى صاحبك ، وأوماً بيده الشريفة إلى ناحية من نواحي المسجد ، وأمر رسولا أن يمضي بي إلى حيث أوماً ، فمضى بي الرسول على ناس معهم عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه . فقال له الرسول : أخوك وجه إليك بهذا الرجل ، فاسمع ما يقوله ، قال : فسلمت عليه ، وقصصت عليه قصتي كما قصصت على النبي ﷺ ، فقال لي : فما المصراع ؟ قلت [من المتقارب] :

* بني أحمد يا بني أحمد *

فقال للوقت قل :

بكت لكم عُمَدِ المسجدِ	بيثرب ، واهتزّ قبر النبي
أبي القاسم السيد الأصيد (٢)	وأظلمت الأفق أفق البلاد
وذراً على الأرض كالإثم (٣)	ومكّة مادّت ببطحائها
لإعظام فعل بني الأعبد	ومال الحطيم بأركانه
وما بالبنية من جلمد	وكان وليكم خاذلاً
ولو شاء كان طويل اليد	

(١) من الآية ٦٩ من سورة يس .

(٢) يثرب : المدينة المنورة ، والأصيد : الكريم العظيم .

(٣) ذرّ : نثر ، والإثم : الكحل .

قال : ورددها عليّ ثلاث مرات ، فانتبهت وقد حفظتها :

* * *

٤٤ - الحسن بن خلاد رحمه الله تعالى

أنشدني الزاهر له [من مجزوء الوافر] :

وَمُنْهَتِكِ لَه نَظْرٌ يصون مواقع النظر^(١)
هَلالٌ لو بَدَا لَلسَفَرِ أَلهائِمُ عَنِ السَّفَرِ
فوا وِلاهَ من قمرٍ يريك مساوي القمرِ
لقد أَصَبَحْتُ من كَلْفِي بَغَرْتِهِ عَلى غَررِ^(٢)

وقوله [من مجزوء الرمل] :

يا مَرِيداً مَنِي الوَصَلِ ووَصَلِي في يَدِيهِ
أنا لا اعرف من لا يعرف الحقّ عليه

وقوله من أبيات [من مجزوء الكامل] :

نَحْتال في حَللِ الصِّبا كالبدْرِ في حَللِ الغيومِ
وَإِذا تَشَنَّتْ جالِ في أعطافها ماءُ النعيمِ
ينسِكُ طيبَ نَسْمِيها بعد الكرى بردَ النسيمِ

وله أول قصيدة [من الطويل] :

هو السيف لا يكسوك مالٌ يُجَرِّدُ فجرِّده واسترفدُ بِغريبِهِ تُرْفِدُ^(٣)

* * *

(١) ومنهتك : غير محبوب ،

(٢) الكلف : العشق ، والغرر : الطيش .

(٣) الغريب : الحدّ ، واسترفد : أي اطلب الرزق بحدّه .

٤٥ - أبو الحسن اللطيم

أنشدني ابن وهب قوله [من مخلع البسيط]:

لا تنكري سرعة اختلاسي لذات أيامي القصار
فإن علمي بغدر دهري صيرني خالع العذار

وقوله [من السريع]:

أهديت لي تذكرةً خاتماً اسمك منقوشٌ على فصّه
فما اعترتني زفرات الهوى إلا تروّحت إلى مصّه

٤٦ - سليمان بن حسان النصبي رحمه الله

أنشدني ابن وهب له [من الخفيف]:

وهتوفٍ ورقاءً أرقّت العيّن، وزادت خبل الفؤاد خبالاً^(١)
ذات طوقٍ من الزبرجد يحكي صفو عيشٍ عني تولى وزالا
أيقظتني والصبح قد خالط الليل كما خالط الصدود الوصالا
وتراها كأنما بدموعي خضّبوها أو خاضت الجريالاً^(٢)

وقوله يصف الراي المقلي وهو ضرب من السمك [من مجزوء الرمل]:

ما رأينا مثل هذا السراي حسناً، ما رأينا
صار تبراً بعد أن كان عقيقاً ولجينا

وقوله في شمعة [من المتقارب]:

ومجدولةً مثل صدر القناة تعرّت وباطنها مكتسي

(١) الخبال : فساد العقل والراي .

(٢) الجريال : صيغ أحمر .

لها مقلّة هي روح لها
 إذا رنقت لنعاس عرا
 وإن غازلتها الصبا حرّكت
 وتنتج في وقت تلقيحها
 فنحن من النور في أسعد
 وقد ناب وجهك عن ضوئها
 ولكنها آله للندام
 توقّدها نزهة للعيون
 تكيد الظلام كما كادها
 فيا ربّة العود حثي الغناء
 ويا صالح انعم وعش سالمأ

وله يصف روضة [من الرجز] :

وتاج على الرأس كالبرنس
 وقطت من الرأس لم تنعس^(١)
 لساناً من الذهب الأملس
 ضياءً يجلي دجا الجندس^(٢)
 وتلك من النار في أنحس
 وعن ذا البنفسج والنرجس
 ونجم تألّق في المجلس
 ورؤيتها منية الأنفس
 ففتنى وتفننيه في مجلس
 ويا حامل الكأس لا تحبس
 على الدهر في عزك الأقس^(٣)

وروضة ذات غدير متيق
 ونرجس مثل العيون الرّمق
 باهتة قد فتحت لم تطبق
 يشف فيه كالزجاج الأزرق
 بنفسج مثل اللجين المحرق
 وزهر مثل عشور المهرق^(٤)
 أجفانها من لؤلؤ مفلق^(٥)
 وسوسن غضّ النبات مونتق^(٦)
 وقد حكاها في ضياء الروتق
 يا حسنها من روضة لم تطرق

(١) رنقت : انكسر طرفها ، وخفقت ، عرا : حلّ ، وقطت : أي قطعت .

(٢) الحندس : الظلام الشديد .

(٣) الأقس : المنيع الثابت .

(٤) متيق : المملوء من كل شيء بما يناسبه ، والعشور : المختلطة ، والمهرق : الصحيفة البيضاء .

(٥) الرّمق : المتطلعة من رمق : أي نظر .

(٦) المونتق : المعجب والجميل المنظر .

أَوْ حَسَنَ مَا أَلْفَتَهُ عَنِ مَنْطِقِي
 وَشَهْبَهُ حَائِرَةً فِي الْأَفْقِ
 يَخْطُرْنَ فِيهَا بِقَسِيِّ الْبُنْدُقِ^(١)
 كَأَنَّهُ مِنْ نَفْسِهِ فِي فَيْلِقِ
 وَهُوَ يِرَاعِيهَا بِطَرْفِ شَيْقِ^(٢)
 فَصَادَ مَا شَاءَ بِلَا تَعْوُقِ

كَأَنَّهَا سَافِرَةٌ عَنِ خَلْقِي
 بَاكَرْتَهَا مِثْلَ انْفِلَاقِ الْفَلَقِ
 فِي عَصْبَةِ غَرِّ كِرَامٍ سُبَّقِ
 كُلِّ فَتَى فِي قَصْدِهِ مَوْفَقِ
 مَقْرَطَسٍ فِي رَمِيهِ مَوْئِقِ
 خَوْفًا عَلَيْهَا وَهُوَ عَيْنَ الْمَحْنَقِ

* وراح من نجيعه في يلمق *

وقوله في الحمام [من مجزوء الرمل]:

فُ عَلَى قَلْبِي وَسَمْعِي
 كُؤِنْتُ مِنْ بَعْضِ طَبْعِي
 سِي وَفِيضِ الْمَاءِ دَمْعِي

أَنْتِ فِي الْحَمَامِ مَوْقُو
 فَتَأْمَلُهَا تَجْدُهَا
 جَرُّهَا مِنْ حَرِّ أَنْفَا

وله يصف ناعورة [من السريع]:

حَنِينَهَا كَالْبُرِّ بِطِ النَّاعِرِ^(٣)
 تَرَدَّدَ الزَّمْرَ عَلَى الزَّامِرِ
 فِي مَسْتَهْلٍ وَكَفِّ مَاطِرِ^(٤)
 دَائِرَةٌ فِي فَلَكَ دَائِرِ

كَمْ نَعَرْتُ بِالْحَيِّ نَاعُورَةً
 فَتَارَةً تَحْسِبُهَا قَيْنَةً
 وَتَارَةً تُكَلِّي جَرِي دَمْعَهَا
 كَأَنَّهَا كِيزَانُهَا أَنْجَمٌ

* * *

(١) البندق : ما يرمى بالقسي ليصطاد به .

(٢) مقرطس : الذي يكتب في القرطاس ، مؤنث : متمهل ومتقن أي الصحيفة

(٣) اليريط : آلة موسيقية تشبه العود .

(٤) الواكف : السحاب الممطر .

٤٧ - الحسن بن علي الأسدي كاتب السر

كتب إليه أحمد بن محمد بن إسماعيل الرسي يطلب منه الكتاب الذي عمله المعروف بالأنيس ، فأنفذ إليه الجزء الأول منه وكتب إليه [من الخفيف] :

قد بعثنا بمؤنسٍ لك في الوحشة خلٌ يدعى كتاب الأنيسِ
فيه ما يشتهي الأديب من العلم ، وفيه جلاء همّ النفوسِ
فيه ما شئت من بدور معانٍ ضاحكاتٍ إلى وجوه شمسِ
والنفس البهيُّ ما زال يُهدى كلَّ حينٍ إلى البهيِّ النفسِ

فلما قرأ رفته كتب علي ظهرها ارتجالاً [من الخفيف] :

قد قرأت الكتاب يا خلٌ نفسي فهو لي مؤنسٌ وأنت الأنيسُ
فهو تأليف ذى ذكاءٍ وفهمٍ وهو وقفٌ على العلوم حبيسُ

وحكى عنه أنه قال : قد كان أبو الحسين جنبك الأخشيدي من كرماء الناس ، وكانت بيني وبينه مودة ، فكنت أغشاه كثيراً للحوائج التي تعرض إليه ، فاستخدم بوابا ، فحججني غير مرة ، فكتبت إليه [من المنسرح] :

يا عَلَمَ المكرماتِ والسؤددِ إليك أشكو بوابك الأسودِ
يبعدني كلما دنوتُ ، وما حقَّ كريمِ الوداد أن يبعدُ
في كلِّ يومٍ ألقى بطلعته طالع نحسٍ يسوءني أنكدُ
وجهٌ شتيمٌ بكلِّ فاحشةٍ عليه من كلِّ مشهدٍ يشهدُ
كلبٌ يهرُّ الضيوف إن طرقوا فناءك الرّحب كالحُ اعقدُ
أبعدهُ وانفِ الخبيت عنك كما ينفي القذى عنه خالص العسجدُ
أولا ، فلن تستطيع تنظم ما عنك من المكرمات قد بددُ

وما انتفاع الورى ببحر ندى تذاؤ عنه العطاش لا تورؤ^(١)
 فما شعرت حتى جاءني خادم له يقال له بشرى ، وكان يحبه ، والبواب
 الأسود معه ، وقال لي : إن مولاي يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : قد
 غمني ما جرى من البواب ، وقد قرىء عليّ الشعر . ولو كنت أحسن قوله
 لأجبتك ، ولكني قد أنفذته اليك ، وأمرت بشرى أن يضربه بين يديك ثلاثين
 مفرقة ، ونحبسه ، فشكرت له ، وقلت لبشرى : قل له ياسيدي ما أحب ان
 تبلغ به إلى هذا كله ، وسألت بشرى أن لا يضربه ، فقال : والله مالي إلى
 تركه من سبيل ، وقد قال لي : سيقول لك لا تضربه وعليّ لئن رددته إليّ بلا
 ضرب لأضربه بين يدي مائة مفرقة ، قلت : فإذا كان كذلك فاضربه ضرباً
 خفيفاً . ولا تحنثه^(٢) ، فضربه بحضرتي ضرباً خفيفاً ، وانصرف به ، ولا والله
 ما رأيته في داره بعدها .

٤٨ - أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن طباطبا الحسني الرسي

أنشدني له ابن وهب قوله [من المنسرح] :

يا بدرُ بادرُ إليّ بالكاسِ فربّ خيرٍ أتى على ياسِ^(٣)
 ولا تقبلْ يدي فإنّ فمي أولى بها من يدي ومن رأسي
 لا عاش في الناس من يلوم على حبيّ وعشقي لأحسنِ الناسِ
 وقوله [من البسيط] :

قلّ للذي حسنت منه خلائقهُ باكرُ صبوحك واسبقُ من تسابقهُ

(١) تذاؤ : تمنع وتحجب .

(٢) تحنثه : أي تجعله لا يفي بقسمه .

(٣) يادر : أسرع وتقدّم ، والياس : أي اليأس وهو القنوط .

أما ترى الغيم مجموعاً ومفترقاً
كعاشقي زار معشوقاً يودّعه
وقوله [من البسيط]:

قلت : أراك خضبت الشيب قلت لها :
فاستضحكت ثم قالت من تعجبها :
وقوله [من الخفيف]:

عيرتني بالنوم جوراً وظلماً
اسمعي حجّتي وإن كنت أدري
لم أنم لذة ولا نمت إلا
وقوله [من الطويل]:

خليلي ، إني للثريا لحاسد
أبقى جميعاً شملها وهي سبعة
كذلك من لم تخترمه منية
وقوله [من الطويل]:

وقوله ، وهو مما يتغنى به [من البسيط] :
قلت لطيف خيال زارني ومضى :
فقال : أبصرته لومات من ظمياً
صف لي هواه ولا تنقص ولا تزيد^(٤)
وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

(١) ألى : أقسم .

(٢) أن يلماً : أن يحلّ .

(٣) اخترمته المنية : قضت عليه .

(٤) تنسب هذه الأبيات لجماعة من الشعراء منهم يزيد بن معاوية مع اختلاف طفيف في الرواية .

قالت : صدقت الوفا في الحبّ عادتهُ
يا برد ذاك الذي قالت على كبدي
وقوله [من المتقارب] :

سأعتها حقّ ما استعبتُ
وإن لم تكن أبداً مُعتَبَهُ
وسوف أجربها بالصدود
ومن يشرب السّمّ للتجربه ؟ !

* * *

٤٩ - ولده أبو محمد القاسم بن أحمد الرّسيّ

أنشدني له ابن وهب [من الوافر] :

إذا الكروان صاح على الرمال
وحلّ البدر في برج الكمال
وجعّد وجه بركتنا هبوباً
تمرّ به الجنوب مع الشمال^(١)
وحرّكت الغصون فشاببتها
قدودُ سقاتنا في كلّ حال
فهات الكأس مترعةً ودعني
أبادرُ لذّتي قبل ارتحالي^(٢)
فكلّ جماعةٍ لا شكّ يوماً
يفرّق بينهم صرفُ الليالي

وقوله [من المتقارب] :

إذا التحف الجوّ بالأدكن
وغنى الحمائم بالأعني^(٣)
وهبّ نسيم الصّبا سحرةً
بريح البنفسج والسوسن
وحنّ الى القصف الألفه
فبادر إلى شيخك المنحني^(٤)
فنفس من الحنق أوداجه
وسقّ الندامي ولا تنسني^(٥)

(١) جعدّ : ترك صفحة الماء متموجة ، والجنوب والشمال : كناية عن الريح ومهبها .

(٢) المترعة : المملوءة .

(٣) الأرغن : مكان بالبحرين ، وربما كانت الأرغن ، وهي آلة موسيقية .

(٤) القصف : المجون ، والآف : العشاق .

(٥) وسقّ : أي أسقي .

وقوله يهجو ابن كلس المتطبب [من الطويل]:

توقَّ معزَّ الدين شوِّم ابن كلِّس ولا تقبلنَّ منه مقال مدلسٍ
فإنَّنا أردناه لكافور شربةً فزاد على تقديرنا ألف مجلسٍ

* * *

٥٠ - أخوه أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الرسي

أنشدت له [من المتقارب]:

عرفتُ الديار على ما بها وأوقفتُ ركيبي على بابها
وناديت فيها بأعلى النداء مراراً بأسماء أربابها
فلم أر فيها سوى بومها تصيحُ جهاراً بأترابها
فأعلمني ذاك أن الزما ن أخني عليها وأودي بها^(١)

* * *

٥١ - ولده أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم

ابن أحمد رحمهما الله تعالى !

أنشدني له الزاهر [من المجتث]:

شُمَّ النسيم لذيذاً من قبل أن لا تشمَّه
واصرف عن القلب ما اسطعت بالمسرة همَّه
وغالط الدهر إن كنت لست تملك حُكمه
وقد نصحتك جهدي فلا تصمَّ وتكمه^(٢)

(١) أخني عليها : أهلكها ، وطال ، وأودي بها : أهلكها وذهب بها .

(٢) الأكمه : الأعمى .

وقوله [من مجزوء الرمل]:

صَدَفْتُ عَنَا نَوَارٌ ولقد كانت تزورُ^(١)
ثم قالت: كيف أودى ذلك الغضنُ النضيرُ؟
وشبابُ يتللا
قلت: إن أنصفتِ هذا لابنِ خمسين كثيرُ

* * *

٥٢ - أبو الحسن العقيلي رحمه الله

أنشدني الزاهر قوله [من السريع]:

لنا أخٌ يحسن أن يحسنا جناه للجانين عذب الجنى
قد عرفت روضة معروفه بأنها تنبت زهر الغنى
إذا تبدى وجه إحسانه تنزهت فيه عيون المنى

وقوله [من الكامل]:

الصبح ينشرُ فوق مسك الليل كافور الضياء
والبرق يُذهب ما تفضُّضه الغيوم من السماء
فاشربُ على ديباج نبتٍ قد أحاط بشرب ماءٍ
فالعيش في زمن الربيع رقيق حاشية الرداء

وقوله [من المتقارب]:

وراحٍ تتيهُ بأنفاسها على ما يفوح من العنبر^(٢)

(١) صدفت: امتنعت عن الزيارة، وهجرت.

(٢) تتيه: تتكبر وتفخر.

كَأَنَّ زَجَاجَاتِهَا دُرَّةٌ

تَشْفُ عَنْ الذَّهَبِ الأَحْمَرِ^(١)

وقوله [من البسيط]:

تاه الريح بأذريونه وزها
كَأَنَّ أغصانه فيروزجُ بهجُ

لما بدا منه نشرُ في الرُّبَا أريجُ^(٢)
من فوقه ذهبُ في وسطه سَبَجُ^(٣)

وقوله [من الكامل]:

اشربْ على زهر البنفسج قهوةً
فكأنه قرصٌ بخدِّ غريرةِ

تنفي الأسي عن كلِّ صبِّ مُكَمِّدِ
أو أعينُ زرقُ كحلنِ بأثمدِ

وقوله [من الطويل]:

ونارنجةِ بين الرياض نظرتها
إذا ميَّلتها الرِّيح مالت كأكرةِ

على غصنِ رطبِ كقامةِ أغيدِ
بدت ذهباً في صولجانِ زمردِ^(٤)

وقوله [من الكامل]:

ومدامةٍ يبدو إليك جينيتها
تحفى لفرطِ صفائها فكأنما

وعليه تاجٌ لم يصغهُ صائغُ
إبريقنا الملائن منها فارغُ

وقوله [من الكامل]:

إن كنت تعلم أن لي
فاعملْ بحسبِ وصيَّتي
ودع الصَّغير مكانه

علماً بأسرار السرورِ
لك في ملازمة البكورِ
واعدلْ إلى جهة الكبيرِ

(١) تشفُ : تنم وتظهر .

(٢) أذريون : فارسية الأصل « أزهاره » .

(٣) السبج : خرز أسود .

(٤) الأكرة : الكرة .

ما بين وردٍ كالخدو
وعليك بالذهب الذي
ما زال يسبك بالذي
حتى صفا فكأنه
د وأقحوانٍ كالشُّغور
أجراه روباس العصير^(١)
قد شبَّ من نار الهجير
دمع الطليق على الأسير

وقوله [من المنسرح] :

نحن أناسٌ نوالنا خَضِلُ
كلُّ فتىٍّ ليس في مودَّتِهِ
لو أبصر البحر فيض أنملنا
تسبق أموالنا مؤمِّلنا
يرتُعُ فينا الرجاء والأملُ^(٢)
مذقٌ . ولا في خلاله خَلَلُ^(٣)
فاض على وجه فيضه الخجلُ
لا يعترينا مطلٌ ولا بُخْلُ^(٤)
بخلاً على ماء وجه من يسْلُ^(٥)
تسمح قبل السؤال أنفسنا

* * *

٥٣ - أبو القاسم بن أبي العفير الأنصاري، رحمه الله !

أنشدت له [من الطويل] :

وروضٍ كحسن العُرفِ يسري وبهجةٍ
يريك عناق العاشقين عناقه
من الزَّهر فيها شاكلتُ بهجة الحميدِ
بشغراً على ثغراً وخدٌّ على خدِّ

(١) الروباس : الفضة .

(٢) الخضيل : النديّ الناعم .

(٣) المذق : المملل والكدر .

(٤) المطل : التسويف والمماطلة .

(٥) أي أننا نكفي الناس مذلة السؤال .

وعارضه المتنبى بحضرة كافور في قصيدته الميمية التي أولها [من لكامل] :

* نظرُ المحبِّ إلى الحبيبِ غرامُ *

فقال له : العرب لا تقول «إليه غرام» وإنما تقول «له» فقال له
الأنصاري : تقول : إليه ، ولديه ، وله ، وحروف الخفض ينوب بعضها عن
بعض . والوزير ابو بكر بن صالح الروزباري حاضر . والوزير ابو الفضل جعفر
بن الفرات حاضر . فقال الأنصاري [من الكامل] :

أما الثناء فصادرُ بك وارْدُ
لك يا أبا بكرٍ إليّ صنائعُ
أوليتني نعماً متى انكرتها
نعمٌ أقرُّ بها ، وكم من نعمةٍ
ولربِّ ليلٍ قد هجرت رقادهُ
أتحللُ الكلمَ العوانَ تحلُّلاً
وقصائدٍ لي فيك لولا انها
ولهنَّ في عين الوليِّ شواهدُ
لمَّا رعيت مودتي وخلطتني
ولقد علمت ، وأنت خير معلِّمٍ ،
لمَّا تعرَّض لي بمقتِ حاسدي
ما زال ينشد قائماً حتَّى إذا
في مجلسٍ أمَّا الوزير فمكبُّ
ولّى ولا انا شاكرٌ لسؤاله

بادٍ بما تسدي إليّ وعائدُ
أيقظن أحوالي وجدى راقدُ
شهدتُ عليّ مواهبٌ وفوائد
يخفى المقرُّ بها ويحظى الجاحد ؟
لك والردي مغفٍ وطرفي ساهدُ
فأغافص المعنى كأني صائد(١)
كلمٌ شهدت بأنهنَّ مشاهدُ
تتري ، وفي عين العدو جلامد
ببني أبيك ظننت أنك والدُ
أن الثناء على الليالي خالدُ
أبدى الملام ، وكيف يرضى الحاسد ؟(٢)
أنشدت عارضني لأنني قاعدُ
فيه يؤيدُهُ وأنت الساعدُ
فيه ، ولا هولاً لإجابة حامد

* * *

(٢) المقت : الكره .

(١) أغافص : أفاجيء وأعالج .

٥٤ - أحمد بن محمد الكحال

أنشدني له الزاهر وقد كتب إلى بعض إخوانه يستهديه جرة نبيذ [من
الكامل] :

لو قد سألتك حسب قد رك ما رضيت بألف جرّة
ولقلّ ذاك لقدر من لا تحصر الأوصاف قدرّة
فابعث إليّ بجرّة وكفاف ما أبغيه جرّة
وتوخّها كبر الجرا ر ، فربّ وافية كزكره^(١)
من رسم بسطام الذي أحيأ بحسن الرّسم ذكرّة
لا بوطساً يؤذي النديم ، ولا مذاقته بمرّه^(٢)
واعلم بأنّ محلّها عند الضرورة مثل صرّه^(٣)

وكتب إلى بعض إخوانه يستدعيه [من البسيط] :

لا تتركنّ لغدٍ مالاً ولا سبدا فلست تقتل علماً هل تعيش غدا^(٤)
خذ من زمانك ما جاد الزمان به فمن جنى بعض ما يهوى فقد سعدا
أنت ابن وقتك فاحذر أن تضيّعه فليس يرجع وقتٌ فائتٌ أبداً
وعند عبدك شيءٌ إن نشطت له وزرت زدت أياديك الكرام يدا
راي طريّ كقابِ الفتر تحسبه ذوباً من الفضة البيضاء او بردا^(٥)
كأنّ كفأ عليه جرّشت قطعاً من اللجين صغار النظم او زردا

(١) الزكرة : زقّ الخمر .

(٢) البوطس : إسم فارسي (نوع من الخمر) .

(٣) الصرّة : كيس الدراهم .

(٤) السبد : البقية من النبات والقليل من الشعر .

(٥) الراي : ضرب من السمك .

من الشقائق أثواباً له جددا
صبّ تقلّبه كفُّ الهوى كمدا
صواغها ذهباً للحسن متحددا
يكاد يسلم منه روحه الجسدا
مشمولةً أفنيت الأيام والمددا
من الرحيق يزيل الهمم والكمدا
عجزاً فتكتسب التويخ والنفدا^(١)

كأنّ قالیه بالقلبي البسه
كأنه في سعيير القلي منقلياً
كأنّ ياقوتة حمراء هلّ لها
كأنه كان في نهر الحياة فما
وقهوة تذكّر الأفلاك ساكنة
يديرها قمرٌ في كفه قمرٌ
فلا تضيع سروراً جاء عن كئيب

* * *

٥٥ - أبو الحسن محمد بن الوزير الحافظ

كتب إلى صديق يستدعيه الانجالاً [من الهزج] :

لنا مسمعة حلوه ولونٌ يفتق الشّهوه
فالبارع من مجدٍ ك إن لم تجب الدّعوه

وأهدى إلى بعض إخوانه مقطاً وكتب إليه [من البسيط] :

إنّي بعثت مقطاً غير محتشمٍ ولم أجل في الغنى فكري ولا العدم
ولو بعثت سواديّ ناظريّ لما كانا كفاءً لما تولي من النعم
فأقبله واجعله ممّا يستعان به فإنه خادم السّكين والقلم

وقوله يصف النرجس [من المجث] :

خواتمٌ من لجين فصوصها كارباء^(٢)
وليس تضحك إلا إذا بكتها السماء

(١) الفند : المعجز والباطل والكفر بالنعمة .

(٢) الكارباء : نوعٌ من الحجارة الكريمة يستعمل في صنع السبحة أيضاً .

وقوله [من الخفيف]:

منذ حلَّ السواد زاد البياضُ واعتداءاته طوالُ عراضُ
وإذا ما طغى المشيب فلا المند قاش يقوى به ولا المقراضُ
وكثيراً أرى جساماً صحاحاً لأناسٍ فيها قلوبٌ مراضُ

وأهدى الى الإخشيد خاتماً ، وكتب معه [من مجزوء المتقارب]:

وذى عنقٍ لم يطلُ عليه ولم يقصر
ومتنين قد حصرا على قدر الخنصر
وقد زاد في ضميره على الفرس المضمّر^(١)
وأسفله فضةً وأعلاه من جوهر
بعثت به معسراً إلى ملكٍ موسر
ولا غرو أن يهدي المقلُّ إلى المكثّر

وقوله [من الكامل]:

قد قلت إذ سار السفين بهم والسوقُ ينهب مهجتي نهبا^(٢)
لو أن لي عزاً أصول به لأخذت كل سفينة غصبا

٥٦ - أحمد بن محمد بن عبد الكريم اليتيم النحوي

أنشدت قوله^(٣) [من الوافر]:

إذا ما نلت من دنياك حظاً فأحسن للغني وللفقير

(١) الضمر : الهزال والنحول .

(٢) السفين : القافلة .

(٣) قد أنشدهما قبيل ما اختاره لعبد المحسن الصوري منسوبين إلى أحمد بن عبد الرحيم النحوي

ولا تمسك يديك على قليلٍ فإنَّ الله يأتي بالكثير

وقوله [من المنسرح]:

خاطبت شمس النهار إذ بدت وقلت ما أنت لي بمنصفه
إنَّ التي أشبهتك مائلةً من بعد ذاك الوصال قد جفت
فعاتبها فليس يقنعني يا شمس من شبهك الذي أتت
لما رأني على الوفاء لها صدت وما أنصفت ولا وفيت

* * *

٥٧ - أبو محمد بن أبي عمرو الطرازي

أنشدت له من [مجزوء الرجز]:

نارٌ جرت في غايةٍ ترمى العلا بالشهبِ
كأنها جيشٌ وغى فرسانه من ذهبِ

وقوله يصف الفستق [من مجزوء الرجز]:

وفستق رأيت منه طرفاً من الطرفِ
كأنه لما بدا والراح فينا تختلفُ
زمردٌ ضمَّنه من خالص العاج الصدفِ

٥٨ - أبو الحسن علي بن لؤلؤ الكاتب

أنشدت له [من الخفيف]:

ربِّ صبحٍ كطلعة الوصل جلى جنح ليلٍ كطلعة الهجران^(١)

(١) جلى : أضاء وأزاح .

زار في حلة البزاة فولى الليل عنه في حلة الغربان

وقوله [من الطويل]:

يومٌ كأنَّ الروضَ خاط لضوئه قراطقٌ من وشي غلائلها الغدرُ
كأنَّ صفاءَ الجوّ ناظر أزرقٍ له الغيمُ جفنٌ هُدْبُ أجفانه القطرُ
كأنَّ أعالي السرو بين رياضه مطارف لفت في مواكبها خضرٌ^(١)

* * *

٥٩ - أبو القاسم عبد الصمد بن فضالة الصفار

قال يصف الورد [من الكامل]:

لا تصحب الدنيا كثيراً مكمدا من ذا رأيت من البرية خالدا؟
قم فاغتم طيب الربيع وحسنه فلقد حباك به الغمام وأسعدا
وردٌ كأنَّ أصوله وفروعهُ سُقيت دماً حتى ارتوى فتوردا
وشقائق شقّ القلوب كأنه خدٌ مليح ضمّ صدغاً أسودا
والماء يجري في الرياض كأنه سيفٌ صقيل من قرابٍ جردا^(٢)
فاشرب عليه فإنه وقتٌ إذا ولّى تفاوت أن يُنال فيوجدا

وله [من المتقارب]:

فلو زين الحسن في وجهه بهجر الصدود ووصل الوصال
لتمَّ وإن كنت ما إن أرى بديع الجمال جميل الفعال

* * *

(١) المطارف : أردية من حرير ذات أعلام .

(٢) القراب : الغمد .

٦٠ - ابن الزيعي

قال يصف دير القصير من قصيدة يقول فيها [من الرجز]:

يا حسرةً في القلب ما أقتلها	كأنها في القلب اطرافُ الأسل
فكم وكم من ليلةٍ طيبةٍ	أحييتها في الدّير في خير محل
دير القصير الفرد في صفائه	يا من رأى الجنة من غير عمل
أشربها راحاً شمولاً قرقفاً	تدبُّ في الجسم فما تبقي عِلل
يديرها ذو غنجٍ بطرفه	يحيي إذا شاء وإن شاء قتل
كأنه غصنٌ من البانٍ وقد	زاد عليه بالقوام المعتدل
ألثغ حَتَفَ النفس في لثغته	تاه بها على الورى تيه مدل ^(١)
إن قال نارٌ قال ناغٍ أو يقل	نورٌ يقل نوعٌ بدلٌ وغزل
فاحث كؤوس الراح ياساقينا	واغتنم الدهر فللدهر دُول
من قبل أن يطرقتنا بين فلا	ينفع عند البين ليست ولعل

* * *

٦١ - محمد بن عباس البصري

المعروف بصاحب الراقوية

قال [من البسيط]:

لا تعذلوني فما مثلي بمعذول	جسمي سقيمٌ وأمري غير مجهول
إن ملّ مولاي وِصلي بعد ألفته	فإنّ مولاي عندي غير مملول
ملكيت قلبي ولم تعطف على دنفٍ	ما كلُّ ذاك على قلبي بمعزول ^(٢)

(١) الألتغ : هو الذي ينطق السين شيئاً أي يغيّر في نطق بعض الحروف وتاه : فخر ، ومدلّ : من الدلال .

(٢) المدنف : المريض المشرف على الهلاك .

وقوله [من الرجز]:

قد زعر الشوق فؤادي فاندعزُ
إذا تداعى الطير فيها وصفر
حسن مسير مائها إذا انحدرُ
نثر في تلك النواحي فانتثر

يا حاملَ الكأس أدرها واسقني
أما ترى البركة ما أحسنها
أما ترى نوارها أما ترى
كأنما الجواهر في ألوانه

وقوله [من مجزوء الكامل]:

والطَّرْفُ منه قد بغى
فتكأً وما شهد الوغى
في صدغه أن يلدغا
ومصنلاً ومصبَّغا

أما طغان فقد طغى
شهر السَّلاح بطرفه
لولا مخافة عقرب
لثمت منه ممسكاً

وقوله [من الوافر]:

عدوُّ لي يلقَّبُ بالحبيبِ^(١)
فقد أصبحت من زيِّ عجيبِ ؟
غريب اللون في شفق المغيبِ
قريبٌ من قريبٍ من قريبِ

أتاني في قميص اللاذ يسعى
فقلت له لم استحللت هذا
فقال الشمس أهدت لي قميصاً
فصوبي والمدام ولون خدي

وقوله [من السريع]:

تبيتُ تبكي وأبكيها
ومدمعي دمعُ مآقيها
فمثل ما فيه كذا فيها

وشمعةٍ ظلَّتْ أناجيها
كأنما صفرتها صفرتي
أعارها قلبي من ناره

* * *

(١) اللاذ : حريرٌ صينيٌّ أحمر .

٦٢ - أبو عبد الله الحسين المعروف بالجمل

له في طيب [من المنسرح] :

إذا سقامَ عراكُ نازلُهُ فاندبُ أبا جعفرٍ لِنازلِهِ
يعرف ما يشكِيه صاحبه كأنما جال في مفاصله

٦٣ - أبو عبد الله بن العرمم

قدم له صديق سمكا في يوم شديد البرد فقال ارتجالا [من مجزوء الرجز] :

شيخُ وبردُ وسمك لكلُّ ما يخشى شَرَكُ (١)
فهاثها صافيةً وضمنَ الكأسَ الدَّرَكُ (٢)
ولا تبالِ بعدها من لام فيها وترك

وقوله [من الكامل] :

ولِيَتِمَّ أمرَ الخراجِ محمّدا فغدا الخراجِ بغيرِ جيمٍ يكتبُ
إن كان من عدم الرجالِ دهيتُم فالكلبِ فيكم عن قليلٍ يخطبُ

وقوله في أبخر [من الوافر] :

أرَدْتُ لقاءه فلقيت منه كما يلقي الخلاء من الفقاح
وجالسيني فلم أشعر بأني ولم أبعث جليسَ المستراح (٣)

(١) الشرك : المصيدة .

(٢) الدَّرَك : الغاية والحاجة .

(٣) المستراح : الكنيف .

٦٤ - أحمد بن صدقة الكاتب

كتب إلى ابن رشيد يستدعيه [من السريع] :

بإله يا صالح قم مسرعاً إلى عقارٍ أدركت تبعا^(١)
وساعد الليلة في شربها وخذ من السكر بها مصرعا
وقد بذلنا لك أرواحنا لما رأيناك لها موضعاً

* * *

٦٥ - أبو الحسن بن أبي ياسر

قال يصف شمعة [من المتقارب] :

وهيفاء من ندماء الملوك تزيد فينقص من قدرها
إذا ضحكت جنح داجي الظلام بكت فجرى الدمع من نحرها
فإن نعست للكرى نعسة فإيقاظها القص من شعرها

* * *

٦٦ - محمد بن عاصم الموقفي

أنشدني له الزاهر في الفصادة [من المتقارب] :

ألا قل لعلوان كيف أجتزأت على الأسد الباسل الخادر^(٢)؟
وكيف أرقت دماً دونه يراق دم الجحفل الثائر؟
ترفت قليلاً على مرفق به مرفق البدو والحاضر
فليس الحديد على ساعد ولكن من الدهر في الناظر

(١) تبع : من ملوك الدولة الحميرية في اليمن ، كناية عن قدم عهدها .

(٢) الخادر : المقيم في أجمة .

وقوله [من الخفيف] :

باتت الخمر من رضابك سكرا
وأراها عليك لا تتجرأ

أسكر الخمر خمر ريقك حتى
فلهذا أراك تزداد صحواً

وقوله [من السريع] :

من قهوة صفراء كالورس^(١)
عيش الفتى في راحة النفس
من أكبر النزهة والأنس
تبيت تحت اللحد والرّمس^(٢)
يصبح في دنياه أو يمسي

أشرب على الجيزة والمقس
وروح النفس بها إنما
وأنس بإخوان الصفا إنهم
فلست تدري أيما ساعة
والمرء لا يعرف في يومه

وقوله [من السريع] :

والأنجم الزهر به ميل
فيك وصبح ماله أول

أقول والليل دجى مسبل
يا طول ليل ماله آخر

وقوله [من السريع] :

من قهوة قوصية المغرس
كشقة من درهم أطلس^(٣)

اشرب ستسى ويك مع من نسي
في قمرٍ للربيع من شهره

وقوله [من السريع] :

ويا مدير الكأس قم فاسقنا

يا حادي اللذات عرس بنا

(١) المقس : موضع على نيل مصر ، والورس : الزعفران .

(٢) الرمس واللحد : أي القبر .

(٣) أطلس : أغبر يعيل إلى السواد .

قد لبست مطرفها الأدكنا^(١)
أذهبها من بعد مالونا^(٢)

أما ترى شمس ضحى يومنا
والروض للوسميّ في حلّة

وقوله [من البسيط]:

هبت شمالاً ولاح الصبح فاتّضحا
تبدو فيخفي ضيا أنوارها القدحا
وافى بها أولها من خده اقتدحا

اشرب شمولاً على ريح الشمال فقد
كأنها جنّة في الكفّ مائلة
كأن حاملها من خمر ريقته

وقوله [من الوافر]:

نعمت بقربه بأتمّ سعد
على عجلٍ وحيّاني بورد
بقلي مثلها من أجل صدّ^(٣)
عليها أسطرّ باللازورد^(٤)

وظبي زارني من غير وعد
سقاني ثم نقلني بلثم
وشمرّ ساعداً فيه وشوم
فكان كفضّة سكّت عموداً

وقوله في دير القصير من قصيدة أولها [من الخفيف]:

لهوأيامي الحسان القصار
وشباباً مثل الرداء المعار
فعرفت الربوع بالإنكار
لشكّت جفوتي وبعد مزاري
كنت فيها سيرت من أشعاري
لم يكن من منازلٍ ودياري

إن دير القصير هاج أدكاري
وزماناً مضى حميداً سريعاً
عرفتني ربوعه بعد نكر
ولو أنّ الديار تشكو اشتياقاً
ولكادت نحوى تسير لما قد
وكأني إذ زرته بعد هجرٍ

(١) الأدكن : الذي يميل لونه إلى السواد .

(٢) الوسميّ : أول مطر الربيع .

(٣) الشوم : جمع وشم وهو العلامة .

(٤) سكّت : سبكت وصنعت وضربت .

إذْ صعودي على الجياد إليه
 بصقورٍ إلى الدماء سوارٍ
 منزلاً لست محصياً ما لقلبي
 منزلاً في علوه كسماءٍ
 وانحداري في المعقباتِ الجواري^(١)
 وكلابٍ على الوحوشِ ضواري^(٢)
 ولننفسِي فيه من الأوطار
 والمصاييحِ حوله كالدراري

ومنها :

غرَدتَ بينها الطيورِ فطارتُ
 كم خلعت العذار فيه ولم أر
 كم شربنا على التصاوير فيه
 صورةٌ من مصوِّرٍ فيه ظلَّت
 أطربتنا من غيرِ شِدوٍ فأغنتُ
 لا وحسن العينين والشفة اللـمـيـاء
 هي فيه ولونأى بي مزارِي
 ل فدير القصيرِ صوب العشارِ^(٤)
 بنعير الرهبانِ في الاسحارِ^(٥)
 حيّ يا نائماً على الابتكارِ
 ن بليلٍ معاقبٍ ونهارِ
 وعلى المستعيرِ ردُّ العواري^(٦)
 لا تخلّفت عن مزارِي ديراً
 فسقى الله أرض حلوان فالنخ
 كم تنبّهتُ من لذاذة نومي
 والنواقيسُ صائحاتُ تنادي
 قبل أن يبليَ الجديد الجديداً
 إنّما هذه الحياة عوارِ

(١) المعقبات : المتابعات السير .

(٢) سوارٍ : أي سائره .

(٣) اللّمي : سمرة تستعذب في الشفة .

(٤) العشار : الغزير من المطر .

(٥) نعير الرهبان : تراتيلهم ، مأخوذ من صوت الناعورة .

(٦) عوارٍ : أمانات ، وأشياء مستقرضة .

وقوله [من الوافر] :

أأيامي بشاطى البركتين
لقد أذكرتني طربي ولهوي
تُرى أيامنا فيك المواضي
سقى الله البقاع ملثَّ قطرٍ
ودار على المدار رهام مزِنٍ
فكم من بيعةٍ عقدت لقصفٍ
وكم من مدنفٍ قد حاز وصلًا
سقاك الله نوء المرزمين^(١)
ووكلت الفؤاد بلوعتين
يعود وصالها من بعد بين^(٢)
وأعطش منزلاً بالجلهتين^(٣)
تسير إلى جنان السروتين^(٤)
وعزفٍ في رياض البيعتين^(٥)
ونال مناه وسط المنيتين^(٦)

وقوله [من البسيط] :

إشربُ بطموة من صفراء صافيةٍ
على رياضٍ من النوار زاهرةٍ
منازلاً كنت مفتوناً بها يفعاً
كأنما النيل في مرِّ النسيم بها
تزرى بخمر قراهيتٍ وغايات^(٧)
تجري الجداول فيها بين جنات
وكنَّ قدماً مواخيرى وحاناتي^(٨)
مسيلمٌ في دروعِ سامرياتٍ

* * *

-
- (١) المرزمين : المطر المصحوب بالرعد .
 - (٢) البين : الفراق .
 - (٣) ملثَّ قطرٍ : أي المطر الدائم المقيم .
 - (٤) الرهام : المطر المتصبَّب برفق .
 - (٥) البيعة : مكان يُختلى به للشراب .
 - (٦) المدنف : المريض المشرف على الهلاك وهنا مريض العشق .
 - (٧) طموة وقراهيت : أسماء بلدان .
 - (٨) اليفع : الصبا والشباب ، مقتبل العمر .

٦٧ - أبو الفتح البستي الكاتب

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر يصف شمعة من أبيات [من البسيط] :

قد شابهتني في لونٍ وفي قصفٍ وفي نحولٍ وفي دمعٍ وفي سهر

هذا تشبيه خمسة بخمسة وقد أجاد غاية الجودة وقوله [من الكامل] :

صحّت السلاح لشدة الحرب والمستغاث لشدة الكرب
حتى إذا لبسوا سلاحهم وتشدّدوا لوقائع الحرب
ناولتهم قلبي وقلت لهم : هذا المسىء فقطّعوا قلبي

وقوله [من الطويل] :

لئن صدع الدهر المشتت شملنا وللنجم من بعد الرجوع استقامة
وإن نعمة زالت عن الحب وانقضت فكأن زوالاً بعد الرجوع
وكن واثقاً بالله واصبر لحكمه فإن زوال الشر عنك سريع

وقوله [من الكامل] :

وغزالت غاللتها في المقس من أولاد حام^(١)
نظرت بعيني ظبية ونظرت من عيني قطام^(٢)
وتبسّمت وكأنها برق تألّق في غمام
ثم انثنت مثل المهى وتبعها رتك النعام^(٤)

(١) صدع : فرق .

(٢) حام : من أبناء نوح ، وهو أبو الزنج .

(٣) قطام : امرأة من العرب يضرب المثل بصواب رأيها وحدة نظرها وفيها يقول الشاعر :
إذا قالت قطام فصدّقوها لأن القول ما قالت قطام

(٤) رتك النعام : مقاربة خطوة .

حتى دخلنا بيتها
فجعلت أفتح ميمها
وكأني إذ ذاك أو
ضدان لم يجمعهما
كانت لعمرى عاهة
فحصلت في البيت الحرام
لما جثوت لها بلامي
لجت الضياء على الظلام
إلا المحبّة للحرام
جمعت غراباً مع حمام

* * *

٦٨ - أبو سهل بن أسباط الكاتب

قال [من السريع]:

إن كنت يا قلب عزمت الهوى
ولا تكن يا قلب مثل الذي
حتى تلاقى في الهوى أهله
لا توردني مورداً كلما
فاستخر الله إذا قبلاً
قدم رجلاً وثني رجلاً
وقلما تلقى له أهلاً
قطعت وحلاً ألتقى وحلاً

* * *

٦٩ - عبد الله الصفري

قال يصف الشيب [من الطويل]:

بد الشيب في رأسي فقالت تعجباً:
فقلت لها: لا غرو إن وصالكم
لقد شبت من هجري وأنت صغير
يرد شباب المرء وهو كبير

٧٠ - أبو العباس الكندي

قال يصف الندى على البحر [من الطويل]:

كأن الندى في البحر بحران مائع
فهذا لجين سابع متفرق
على مائع هذا على ذاك مطبق
وذاك لجين في السماء معلق

إذا أبصرته الشمس بعد احتجابها
له ساعة أبصرته يتمزق
وقوله [من المتقارب]:

عذارك المنقطع المسبل
ووجهك المقبل إقبال من
لا عشت أن أعدمه فالذي
يقطع عذري عند من يعذل
أنت على طلعتة مقبل
يعدمه بعدم ما يأمل
وقوله يصف السحاب [من الرجز]:

سارية في غسق الظلام
جاءت مجيء الجحفل اللهام
كأنها والبرق ذا ابتسام
دنت من الأرض بلا احتشام
وانتشرت بسائغ الإنعام
دانية من قلل الآكام
فافرقت كالإبل السوامي^(١)
كتيبة مذهبة الأعلام
ثم بكت بكاء مستهام
وثروة تحكم في الإعدام

٧١ - أحمد بن بدر المعروف بالبلاط

قال في ولده وقد حم [من الكامل]:

أعزز عليّ بنيّ ما تلقى
قد كنت بالحمى أحقّ فليتنى
سدّت عليّ شكاتك الطرّقا^(٢)
ألقي من الحمى الذي تلقى

٧٢ - أبو العباس الزوفي

أنشدت له في الشيب [من المنسرح]:

قد رابني من شببتي ريب
وفلّ من غرب صبوتي الشيب

(١) الجحفل : الجيش الكثير العدد ، واللهام : العظيم ، والسوامي : المرسله لترعى .

(٢) شكاتك : ألمك وما تشتكي منه .

وكان ثوب الشباب أحسن ملبوساً بهاءً فأخلق الثوب^(١)
من عابني بالمشيب قلت له : صدقت فالشيب كله عيبٌ
طلائع الشيب كلما طلعت شقَّ على ميت الصبا جيبٌ

عبد الوهاب بن جعفر الحاجب

أنشدت له [من الكامل] :

هاتر هتورٌ بكثرة الفرح واقدح زناد اللهو بالقدح^(٢)
وصل الغبوق إذا وصلت إلى الشمس ، وإن أصبحت فاصطح
أبردٌ إلى الندمان رسلك ما برَدَ النَّسيم وغنٌّ واقترح
أصلح فساد العيش مجتهداً ففساد عمرك غير منصلح

* * *

٧٤ - أبو بكر الموسوس المعروف بسبيويه

أبو بكر هذا من البصرة . وكان يشبهه - في حضور جوابه ، وبيان
خطابه . وحسن عبارته ، وكثرة درايته - بأبي العيناء ، وكان قد تناول البلاذر
فعرضت له منه لوثة ، وكان الناس يتبعونه ويكتبون عنه ما يقول . فقال يوماً
للمصريين « يا أهل مصر . أصحابنا البغداديون أحزم منكم ، لا يقولون باتخاذ
الولد حتى يقتنوا له العقد والعدد ، فهم أبداً يعزبون . ولا يقولون باتخاذ
العقار . خوفاً أن يملكهم شر الجار ، فهم أبداً يكنزون . ولا يقولون بإظهار
الغنى في موضع عرفوا فيه بالفقر ، فهم أبداً يسافرون » .

ووقف يوماً بالجامع - وقد أخذت الحلق مأخذها - فقال « يا أهل مصر ،

(١) أخلق الثوب : بلي ورث .

(٢) الهتور : الاستهتار والعبث .

حيطان المقابر أنفع منكم يُسْتَنَدُ إليها ويستدرى بها من الريح ، ويستظل بها من الشمس ، والبهاثم خير منكم ، تمتطى ظهورها ، وتؤكل لحومها ، وتحتذى جلودها .

وكان ابن خزابة الوزير ربما رفع أنفه تيهاً ، فقال له سيويه وقد رآه فعل ذلك : أيشم الوزير رائحة كريهة فيشمر أنفه ؟ فأطرق واستعمل النهوض ، فخرج سيويه فقال له رجل : من أين أقبلت ، فقال : من عند هذا الزاهي بنفسه ، المدل بعمرسه . المستطيل على أبناء جنسه . وكانت زوجته ابنة الإخشيد .

وأخلى الحمام لمفلح ، فجاء سيويه ليدخل فمنع ، وقيل له : الأمير مفلح داخل ، فقال : لا انقي الله مغسوله ، ولا بلغه رسوله ، ولا وقاه من العذاب مهوله . وجلس حتى خرج من الحمام ، فقال له : إن الحمام لا يخلى إلا لأحد ثلاث مبتلي في قبله ، أو مبتلي في دبره ، أو سلطان يخاف من شره ، فأبي الثلاثة أنت ؟ . ومن شعره [من الكامل] :

اعذرْ أخاك على رداءه خطُّه	واغفرْ رداءته لجودة ضبطه
فالخطّ ليس يراد من تحسينه	وبيانه إلا إبانة سمطه ^(١)
فإذا أبان عن المعاني سمطه	كانت ملاحظته زيادة شرطه

* * *

أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن يونس المنجم

أنشدت له [من الكامل] :

غَنَّتْ فأخفت صوتها في عودها	فكأنما الصوتان صوت العود
غيداء تأمر عودها فيطيعها	أبدأً ويتبعها اتباع ودود

(١) السمط : ترتيبه ونظمه .

أندى من النوار صباحاً صوتها
فكأنما الصوتان حين تمازجا

وقوله [من الطويل]:

سقى الله أحياء اللوى كلما سقى
إذا نثرت ربحُ جمانٌ سحابةً
به خفق برقي ليس بين جوانحٍ
إذا كاد درّ البرق يلمس نبتة

وقوله [من الكامل]:

يجري النسيم على غلالة خدّه
ناولته المرآة ينظر وجهه

وقوله [من الوافر]:

صديقٌ قد ندمت على اختباري
ينمُّ بسرٌّ مستوعيه سرّاً
أنمُّ من النصول على مشيبٍ

وقوله [من الوافر]:

وذو حرصٍ تراه يلّم وفراً
ككلب الصّيد يمسك وهو طاوٍ

وقوله [من السريع]:

لكل شيء في السورى آفةٌ

وأرقّ من نشر الشنا المعهود
ماء الغمامة وابنة العنقود

بضربٍ من المزن الكتهور هامل^(١)
غدا وهو حلبي للرياض العواطل
ووسواس رعدٍ ليس بين مفاصل
قلقاهُ درّ النور بين الخمائل^(٢)

وأرقّ منه ما يمرُّ عليه
فعمست فتنة ناظريه إليه

له لَمّا تأملّه اختباري
كما نمّ الظلام بسرّاً نار^(٣)
ومن صافى الزّجاج على عقارٍ

لوارثه ويدفع عن حماه
فريسته ليأكلها سواه

وآفةُ المرء من الكبرِ

(١) الكتهور : المتراكم من السحاب ، أو هو قطع منه كالجبال .

(٢) النّور : الأزهار .

(٣) ينمُّ : يدلّ ويشير .

يحسب أن الكِبْرَ فخر له وليس غير العلم من فخرٍ

* * *

٧٦ - أبو القاسم عبد الغفار المصري

أنشدت له [من مجزوء الخفيف]:

إنما الفضل غرّة في وجوه المدائح
أريحي رياحه عبقات الروائح
كعبة الجود كفه بين غادٍ ورائح
إنما تصلح الأمور برأي ابن صالح

* * *

٧٧ - أبو العباس أحمد بن مروان بن حماد النحوي

أنشدني ابن وهب له [من مجزوء الرمل]:

لم يطلّ ليلى ولكن سهري كان طويلا
وكذا ليس يلدّ ال نوم من كان عليلا
يا غزالاً لم أجدُ عند ه إلى الصبر سبيلا
هب لعينٍ سهرت فيك من الغمض قليلا

* * *

٧٨ - محمد بن جعفر الأنصاري الكاتب المعروف بالقصير

من شعره [من السريع]:

قد طال منك المظل في الوعد لي وأنت في مطلق لا تخطي^(١)

(١) ورد عجز البيت في بعض النسخ هكذا : « وأنت في مطلق لي تخطي » .

لو كنت تعطي مال مصر وما حوت من الدور على الشطّ
وما لدار الضرب من عسجدٍ لكان كفراً بالذي تعطي

* * *

٧٩ - أبو علي تميم بن معد صاحب مصر

أنشدني له علي بن مأمون المصيصي [من الكامل]:

يا دهر ما أقساك من متلونٍ في حالتك وما أقلك منصفاً
أتروح للنكس الجهول ممهداً وعلى اللبيب الحرّ سيفاً مرهفاً؟
فإذا صفوت كدرت شيمة باخلٍ وإذا وفيت نقضت أسباب الوفا
لا أرتضيك وإن صفوت لأنني أدري بأنك لا تدوم على الصفا
زمنٌ إذا أعطى استردّ عطاءه وإذا استقام بدا له فتحرفاً
ما قام خيرك يا زمان بشره أولى بنا ما قلّ منك وما كفى

وقوله [من الطويل]:

أيا دير مرخنا سقتك رعود من الغيم تهمي مزنها وتجوّد
فكم واصلتنا من رباك أو انسُ يظفن علينا بالمدامة غيّد
وكم ناب عن نور الضحى فيك مبسّم وناب عن الورد الجني خدودُ
وماست على الكئبان قضبان فضّة فأثقلها من حملهنّ نهودُ^(١)
ليالي أغدو بين ثوبي صباية ولهو، وأيام الزمان هجود^(٢)
وإذّ لمتي لم يوقظ الشيب ليلها

(١) ماست : تمايلت بفتح ودلال ، والكئبان : جمع كئيب وهو التلّ من الرمل .

(٢) هجود : راقدة .

وقوله [من البسيط] :

يا منتهى ألمي لا تدن لي أجلي
إن كان وجهك وجهاً صيغ من قمرٍ
ولا تعذبُ ظنوني فيك بالظنِ
فإنَّ قدَّك قد قدَّ من عُصنِ
وأنشدني له من قصيدة أولها [من الطويل] :

* سرى البرق فارتاع الفؤاد المعذبُ *

يقول فيها :

وبات ضجيعي منه أهيف ناعمُ
كأنَّ الدجى في لون صدغيه طالعُ
وأدعجُ نشوانُ والعسُ أشنبُ^(١)
وإني لألقي كلَّ خطبٍ بمهجةٍ
وشمس الضحى في صحن خديه تغربُ
وأستصحب الأهوال في كلِّ موطنٍ
يهون عليها منه ما يتصعبُ
فما الحرَّ إلا من تدرع عزمه
ويمزج لي السمَّ الذعاف فأشربُ^(٢)
وما لي أخاف الحادثات كأنني
ولم يك إلا بالقنا يتنكبُ^(٣)
خليلي ما في أكؤس الراح راحتي
جهولٌ بأنَّ الموت ما منه مهرُبُ
ولكنني للمدح أرتاح والعلا
ولا في المثاني لذتي حين تضربُ
ومن بين جنبيه كنفسي وهمتي
ولللجود والإعطاء أصبو وأطربُ
يروح له فوق الكواكب موكبُ !

وقوله [من الطويل] :

إذا حان من شمس النهار غروبُ
تذكرُ مشتاقاً وحنَّ حبيبُ

(١) الأدهج : من الدعج وهو سعة العين مع شلَّة سوادها وشدَّة بياضها ، والألمس : الذي في شفته سمرة ، والأشنب : البارد الرضاب .

(٢) الذعاف : القاتل .

(٣) تدرع : جعله درعا ، ويتنكب : يتكل ويتكى .

تُرى عندهم علمٌ وإن شطت النوى
لهم كبدي دوني وقلبي ومهجتي
فأية حزني لوعةً وصبابةً
وما بلد الإنسان إلا الذي له
إلى الله أشكو وشك بين وفرقة
وقوله [من الطويل]:

بأن لهم قلبي عليّ رقيبٌ
ونفسي التي أدعى بها وأجيبُ
وعنوان شيني زفرة ونحيب
به سكن يشتاقه وحبيب
لها بين أحشاء المحبّ ديبُ

أما والذي لا يملك الأمر غيره
لئن كان كتمان المصائب مؤلماً
وبي كل ما تشكو العيون أقله
وقوله ، وهو مما يتغنى به [من البسيط]:

ومن هو بالسّر المكمّم أعلم
لإعلانها عندي أشدّ وآلم
وإن كنت منه دائماً أتبسّم

قالت وقد نالها للبين أوجعه
اجعل يديك على قلبي فقد ضعفتُ
واعطف عليّ المطايا ساعةً فعسى
كأنتني يوم ولّت حسرةً وأسى
وقوله [من الطويل]:

والبين صعبٌ على الأحباب موقعه
قواه عن حمل ما فيه وأضلعه
من شتّ شمل الهوى بالبين يجمعه
غريق بحرٍ يرى الشاطي ويمنعه

وغضبي من الإدلال والتّيه والهوى
كأنّ على لباتها رونق الضحى
ترى البدر مثل البدر في صحن خدّها
وقوله [من السريع]:

بلا غضبٍ سكرى الجفون بلا سكرٍ
وفي حيث يهوى القرط منها سنا الفجر^(١)
وتفتّر عن مثل الجمان من الثغر

أما ترى الرعد بكى فاشتكى
والبرق قد أومض فاستضحكا

(١) اللبة : موضع القلاد من الصدر ، والسنا : الضياء .

أضحك وجه الأرض لما بكى
كأنه صُنْدِلٌ أو مُسْكَا

فاشرب على غيمٍ كصبغ الدجا
وانظر لماء النيل في مدّه

وقوله [من المنسرح]:

آخرها مشبه لأولاها
وألثم الشمس من محياها^(١)
بأكؤس السكر وهي عيناها
بآخر اللحظ في فمي فاها
وليس إلا الخدود ماواها
ونقلها اللثم حين أسقاها^(٢)
بدار حزوى ما كان أحلاها
أعلى رباها الى مصلاها
والعز من فجرها ومغداها^(٣)
أو صعبت خطة حوبناها

وليلةً بتها على طرب
أقبل البرق من ترائبها
سقتني الراح وهي خذاها
إذا أرادت مزاحها جعلت
فيالها قهوةً معتقةً
حباها الثغر حين يمزج لي
لله أيامنا التي سلفت
فالقصر من حيرة الملوك إلى
إذ نجتني اللهو من أصائلها
إن عرضت لذةً ملكناها

وقوله [من الطويل]:

على وجه معشوق السجا يا مقرطق^(٤)
وإشراقها من خده المتألق

وصفراء لم تطبخ بناٍ شربتها
كأن حباب الكأس من نظم ثغره

وقوله [من المنسرح]:

ما قدرته كمثل ما قدرا

لو صوّرت خلقها إرادتها

(١) الترائب : جمع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر .

(٢) الحجاب : فقاع الخمر ، والنقل : ما يؤكل معها .

(٣) مغداها : أي وقت الغدو صباحاً .

(٤) المقرطق : الذي يلبس القرطق وهو نوع من الثياب .

كاسمك نشرأ ، والبرق مبتسماً
وقوله [من السريع] :

شبهتها بالبدر فاستضحكت
وسفّحت قولي وقالت : متى
والبدر لا يرنو بعينٍ كما
ولا يميّط المرط عن ناهِدٍ
من قاس بالبدر صفاتي فلا
وقوله [من البسيط] :

ناولتها شبه خديها مشعشةً
فقبلتها وقالت وهي ضاحكةً
أليس خدّاي ذابا إذ لمستهما
قلت : اشربي إنّها دمعي وحمرتها
قالت : إذا كنت من حبي بكيت دماً
يا ليلةً بات فيها البدر معتنقي
وبتٌ مستغنياً بالثغر عن قدحي
وقوله [من الطويل] :

وما أمّ خشفٍ ظلّ يوماً وليلةً

والغصن قدأ ، والحقف مؤتزرا^(١)

وقابلت قولي بالنكّر
سمجتُ حتّى صرت كالبدر؟^(٢)
أرنو ، ولا يبسم عن ثغر
ولا يشدّ العقد في نحر^(٣)
زال أسيراً في يدي هجري

صرفاً كأنّ سناها ضوء مقباس^(٤)
وكيف تسقى خدود الناس للناس
فاستنبطاً قهوة حمراء في الكاس
دمي وطابخها في الكأس أنفاسي
فسقّنيها على العينين والراس
وباتت الشمس فيها بعض جلاسي
وبالخدود عن التفاح والأس

بيلقعة بيداء ظمآن صاديا^(٥)

(١) الحقف : المعوج من الرمل .

(٢) سمجت : أصبحت ثقيلة .

(٣) يميّط : يزيح ، والمرط : الثوب .

(٤) المقباس : الضوء والسراج .

(٥) البلقع : الأرض الخالية التي لا شيء فيها .

مولهةً حيرى تجوب الفيافيا
لغلتهما من بارد الماء شافيا
فألفته ملهوفاً إلى الجوع ظاميا
ونادى منادى الحي أن لا تلاقيا

ويقلُّ إقدامي شبا الحدثان^(١)
للموت حين يفرّ كلَّ جبان^(٢)
وتسلطُّ الأيام عزَّ مكان
ذرعاً بأيامي وعر زمان
فكذا ملالته من الحرمان
فكذا يكرّ لمعشرٍ بهوان
فلسوف يأتي بعدها بليان
وسلَّ الحوادث عن ثبات جناني
بين العزائم واهن الأركان
إلفاً ولا أهوى سوى الإحسان
قطع السيوف القاطعات لساني

تهيم فلا تدري إلى أين تنتهي
أضرَّ بها حرَّ الهجير فلم تجد
إذا بعدت عن خشفها انعطفت له
بأوجع مني يوم شدوا رحالهم
وقوله مفتخراً [من الكامل]:

ألقي الكميّ فلا أخاف لقاءه
وأكرّ في صدر الخميس معانقاً
ويزيدني كلَّ الخطوب تعظماً
وعلمت أخلاق الزمان فلم أضق
وكما يملّ الدهر من إعطائه
وكما يكرّ لمعشرٍ بسعادةٍ
فإذا رماك بشدةٍ فاصبر لها
وسلَّ الليالي عن نفاذ عزيمتي
يخبرك عني أنني لم ألقها
اصبحت لا أشتاق إلا للندى
وإذا السيوف قطعن كلَّ ضريبة
وقوله [من الخفيف]:

اسقياني فلست أصغي لعذلي
أطيع العذول في ضدّ ما أهوى كأتّي اتهمت رأبي وعقلي
عللاني بها فقد أقبل الليل كلون الصدود من بعد وصل

(١) الشبا : حدّ السيف والسهم والنصل والحدثان : الليل والنهار .

(٢) أكرّ : أقدم وأهجم ، والخميس : الجيش .

وانجلى الغيم بعدما أضحك الروض بكاء السحاب فيه بوبل
عن هلال كصولجان نضارٍ في سماء كأنها جامٌ ذبل^(١)

أحسن في هذا التشبيه ما شاء ! وقوله [من الطويل] :

إذا هبَّ سلطان المريسي نافحاً سُحيراً وحلَّ القرُّ كلَّ نقاب^(٢)
ومدَّ على الأفق الغمام ثيابه فقم فالفقه في عدّة وحراب
بكنّ وكانونٍ وكأس مدامية وكيسٍ وكسٍ وافرٍ وكباب^(٣)

وقوله [من الكامل] :

ورد الخدود أرقُّ من ورد الرياض وأنعم
هذا تنشُّقهُ الأنوف وذا يقبله الفم
فإذا علت فأفضل الوردين وردٌ يُلثم
هذا يُشم ولا يضمُّ وذا يضمُّ ويشم

وأنشدني المصيبي له [من المنسرح] :

وجنة من شفني هواه ومن أفنيت فيه دموع آماقي
كأنما الصيرفي دُر ما يحمر منها ودرهم الباقي

وأنشدني له أبو الحسن علي بن مأمون المصيبي من قصيدة مخمسة

اولها [من الهزج] :

دمُ العشاق مطلول ودَيْنُ الحبِّ ممطول^(٤)

(١) الجام : الإناء ، وذبل : مصنوع من عظام بحرية .

(٢) سُحيراً : وقت السحر ، والقرُّ : البرد .

(٣) الكنّ : البيت والستر .

(٤) مطلول : مسفوك ، والمطل : التسويف وعدم الوفاء بالوعد .

وسيف اللحظ مسلول ومبدا العيب معزول
وإن لم يصغ للآثم

إذا لم يظهر الحب ولم ينهتك الصب
ويفشي سره القلب فجملة ما ادعى كذب
فبئح يا أيها الكاتم^(١)

وأحور ساهر الطرف يفوق جوامع الوصف
مليح الدل والظرف جنت الحاظه حتفي
فمن يعدي على الظالم

أطاع جفونه السحر وذل لوجهه البدر
وماد بردفه الخصر وأشبه ثغره الدر
فقلب مجبه هائم؟

يعتفني على حبي ويهجرتي بلا ذنب
كأنني لست بالصَّب لقهوة ريقه العذب^(٢)

أما في الحب من راحم؟

غزال لحظه شركه وبدر ثوبه فلكه
لو أني كنت أمتلكه فأنهب ما حوت تكه^(٣)

نهاب الظافر الغانم

خذوا بدمي قنا القد وحسن تورّد الخد

(١) باح : أعلن .

(٢) الصب : العاشق .

(٣) التكة : حبل يربط به السروال .

وليل الشعر الجعد وثقل الكفل النهد
وسقم الأعين الدائم

متى يظفر بالوصل وينفي الجور بالعدل
محبٌ دائم الخبل سليب الصبر والعقل
كثيبٌ مدنفٌ هائم

بحسن الأعين النجل وعضُّ الوقف والحجل^(١)
وذاك القصب الجدل وريقٌ كجنا النحل
وثغرٍ يطمع الشائم^(٢)

سلوا الشمس التي طلعت علينا ثم ما أفلتت
عسى ترثي لمن قتلت بعينها وما علمت

فقد يستعطف العالم

أما والخرد الصفر شبيهات سنا البدر
وألوان صفا الخمر لقد أضر من في صدري^(٣)

غراماً ليس بالنائم

وراح تبعث الطربا وتحسي الظرف والأدبا
يثير مزاجها حبا تخال به عيون دبي^(٤)

(١) النجل : الواسعة ، والوقف : السوار في يد المرأة .

(٢) الشائم : الناظر والمتطلع .

(٣) أضر من : أوقدن النار .

(٤) الدبي : الجراد .

ودراً صفه الناظم

أما والجمرة الكبرى وزمزم والصفاء ومنى
ومن لبي بها ودعا وطاف البيت ثم سعى
خميصاً مخبتاً صائم^(١)

لقد أضحى لنا خلفاً نزاراً وابتنى شرفاً
وأصبح خامس الخلفاء وأحيا سعيه السلفاً
وأضحى بالهدى قائم

نمى في المجد عنصره وطال النجم مفخره
وفاق البدر منظره فصرف الدهر يحذره

أبي لئن صارم

وقوله في الراي [من الوافر]:

كأن الراي حين أتى طرياً بأذناي كمجمرة العقيق^(٢)
بإسقيات بلورٍ لطافٍ بأسفلها بقايا من رحيق

٨٠ - محمد بن أبي مروان بن أخي المستنصر بالله

المدعو الخليفة بالأندلس ، وهو الحكم بن عبد الرحمن المرواني من

شعره [من الطويل]:

وما كان من عطفٍ عليّ حديثها ولكن لتعذيب الفؤاد المعذب
حديثٌ لو استسقت به الصخر جادها بأعذب من صوب الغمام وأطيب

(١) الخميص : الجائع ، والمخبت .

(٢) الراي : نوع من السمك .

وقوله [من مخلع البسيط] :

راجعه شوقه فحننا
وسال من دمه مصون
فعاد فيه الهوى يقيناً
لو كان يلقي الذي تلاقي

وشقه شجوه فأنا^(١)
أظهر ما كان مستكناً
وكان عند الرقيب ظناً
أوسع رحمةً ومناً

وقوله [من الخفيف] :

بين أجفانها وبين ضلوعي
لست أدري أعن مدى طرفها الفا

نازعتني الحياة أيدي المنون
تن موتي أم طرفي المفتون

وقوله [من الخفيف] :

قد رضيت الهوى لنفسي خلاً
وتذلت للحبيب وعزّال
بأبي من أحلّ قتلي عمداً
سوف أجزي الحبيب بالصدود وداً
وإذا ما استزاد تيهاً وعجباً

ورأيت الممات في الحبّ سهلاً
صبّ في سنة الهوى ان يذلاً
وهنيئاً لسيدى ما استحلاً
مستجداً وبالقطيعة وصلاً
زدت نفسي له خضوعاً وذلاً

وقوله [من الخفيف] :

غير مستنكر همول دموعي
ليسن عزّي إلا فناء عزائي
وبحسبي أني ألاقي عدولي

في التصابي وغير بدع خشوعي
وسنائي إلا بقاء خضوعي
باصطبارٍ عاصٍ ودمع مطيع

وقوله [من الطويل] :

أعدّ نظراً واستوقف الطرف منعماً
تجدّ كلفاً صبّاً بحبك مغرماً

(١) أنا : من الأنين ويكون وقت المرض .

وعلمه احكامه فتعلما
حذاراً من التقبيل إلا توهما
وإن لم تجد لاقى الحمام مقدها

وقوله [من الطويل]:

يجاحدني وعدي وينكرني حقي
وأبلغه ما جاء بالرعد والبرق
فإن الحيا الممنوع أشهى الى الخلق
إذا لم يكن في نيل موعدها رزقي

وقوله [من الخفيف]:

ت علينا كما يجود الربيع
وهو سهلٌ به وأنت ممنوع
د فمالي غير الخضوع شفيح

واصطباحٍ وصلته باغتباق
جل أن يعتريه نقص المحاق
لم يشنها تساقط الأوراق
كنت أبكيه من دم الأحداق

مجالسةً والليل حيران مطرُق^(١)
بوجدي يسرى أو بقلبي يخفق

سرى الحب في أخلاقه فأرقها
ولست تراه سائلاً منك عطفة
فإن جدت لاقته الحياة كريمة

لئن وعدتني وصلها وعد عاتب
فأفضل ثوب الغيث في الأرض دافق
فإن ما نعتني فضل إنجاز موعدي
فلا كان لي في الأرض رزق أناله

يارببعي ما كان ضرك لوجد
ورده ذاهبٌ ووردك باق
كن شفيعي إليك ياجنة الخلد

وقوله [من الخفيف]:

كم تصاب أردفته بتصاب
وكؤوسٍ عاطيتها بدر تم
وغصونٍ جنيت منها ثماراً
زمنٌ بكيته حسب وجددي

وقوله [من الطويل]:

ومختطفٍ للعين بت أشيمه
سرى يخبط الظلماء حتى كأنه

(١) أشيمه : أتبعه وأنظر إليه .

وقوله [من الطويل]:

تبدت بأكناف الحجاز ديارها
كأن بأنفاسي استمدّ ضرامها
يحنّ إليها القلب حتى كأنما
فأوقد نار الوجد في القلب نارها
وعن كبدي الحرى تلظّي استعارها^(١)
إليه تناهيها ومنه انتشارها

وقوله [من الطويل]:

ولما حمى الشوق المبرح ناظري
شربت عقاراً أذكرتني بريقه
فهل هي إلا نعمةً مسترقةً
كراه حذاراً أن يريني مثاله
وأهدت كرىً اهدى إليّ خياله
أنالت يدي ما لم أومل نواله

* * *

٨١ - حبيب بن أحمد الأندلسي

قال [من الخفيف]:

ودعتني بزفرةٍ واعتناقٍ
وتصدت فأشرق الصُّبح منها
يا سقيم الجفون من غير سقمٍ
إنّ يوم الفراق أفضعُ يومٍ
ثم نادى متى يكون التلاقي؟
بين تلك الجيوب والأطواقِ
بين عينيك مصرعُ العشاقِ
ليتني متُّ قبل يوم الفراقِ

وله [من الرمل]:

هيّج البين دواعي سقمي
أيها البين أقلني مرّةً
يا خليّ الروع نمّ في غبطةٍ
وكسا جسمي ثوبَ الألمِ
فإذا عدت فقد حلّ دمي
إنّ من فارقته لم ينمِ

(١) تلظّي استعارها : أي وهج اتقادها .

ولقد هاج لقلبي سقماً حُبُّ من لو شاء داوى سقمي
وقوله [من الخفيف] :

وجنة كالريبع جاد عليها من حياءٍ لا من حياءٍ وسمي
ووجوه قلبتها كالذنانير ومثلي لمثلها صيرفي
تتهادى الرياح منها نسيماً شابه عنبرٌ ومسكٌ ذكي^(١)

وقوله [من الطويل] :

ألا بأبي من قلبه غير مشفق عليّ ، ولي قلبٌ عليه شفيقٌ
وإني لأبدي للوشاة تبسُّماً وإنسان عيني في الدموع غريق^(٢)
وكم شافهتني للصبأ أريحيةً ومازج ريقِي للأحبة ريقُ

* * *

تم - بحمد الله تعالى وحسن توفيقه - مراجعة الجزء الأول من كتاب
يتيمة الدهر ، في محاسن اهل العصر « لأبي منصور الثعالبي . ويليهِ - إن شاء
الله تعالى - الجزء الثاني ، مفتتحاً بترجمة « الوزير أبي مروان عبد الملك بن
جهور » نسأل الله المعونة والتوفيق إلى إكماله .

(١) شابه : خالطه ومازجه .

(٢) إنسان عيني : بؤبؤ ناظرها .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الجديدة	٣
فهرس بأهم آثار المؤلف	٩
مقدمة الناشر	١١
مقدمة المؤلف	٢٥

الباب الأول

من فضل شعراء الشام على سائر البلدان	٣٧
---	----

الباب الثاني

في ذكر سيف الدولة	٣٧
فصل في انفجار ينابيع جودة على الشعراء	٤٢
ملح شعر سيف الدولة	٥٣

الباب الثالث

في ذكر أبي فراس وأشعاره	٥٧
قطعة من أخباره مع سيف الدولة	٥٨

الصفحة	الموضوع
٧٦	الشكوى والعتاب سوى الروميات
٨١	أوصافه وتشبيهاته
٨٣	الحكمة والموعظة
٨٥	الروميات من غرر أبي فراس
١٠٨	من طرديات أبي فراس
١١٢	فصل في آخر أيامه

الباب الرابع

١١٥	في ملح شعر آل حمدان وغيرهم
١١٩	منصور وأحمد ابنا كيغلغ
١٢٢	أبو محمد جعفر وأبو أحمد عبدالله ابنا ورقاء الشيباني
١٢٦	أبو حصين علي بن عبد الملك الرقي القاضي بحلب
١٢٩	أبو الفرج سلامة بن بحر أحد قضاة سيف الدولة
١٣٠	أبو محمد عبد الله بن عمرو
١٣٢	أبو القاسم الشيطمي وأبو ذر أستاذ سيف الدولة
١٣٣	أبو الفتح البكتمري
١٣٥	أبو الفرج العجلي
١٣٦	أبو عبدالله الحسين ابن خالويه
١٣٧	أبو الفتح عثمان بن جني النحوي
١٣٨	الشمشاطي

الباب الخامس

١٣٩	في ذكر أبي الطيب المتنبي
١٤١	ذكر ابتداء أمره
١٤٦	نبذ من أخباره
١٥٣	الاستعانة بألقاظه ومعانيه
١٥٩	سرقات الشعراء منه

الموضوع	الصفحة
من سرقاته	١٦٤
بعض ما تكرر في شعره من معانيه	١٧١
قبح مطالعه	١٨١
اتباع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء	١٨٤
استكراه اللفظ وتعقيد المعنى	١٩١
عسف اللغة والإعراب	١٩٣
الخروج عن الوزن	١٩٥
استعمال الغريب	١٩٦
الركاكة والسفسفة	١٩٩
الخروج عن حد الاستعارة	٢٠١
الاستكثار من قول « ذا »	٢٠٢
الإفراط في المبالغة	٢٠٤
تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين	٢٠٥
إساءة الأدب بالأدب	٢٠٨
ضعف العقيدة ورقة الدين	٢١٠
الغلط بوضع الكلام في غير موضعه	٢١١
امثال ألفاظ المنصوفة	٢١٣
الخروج عن طريق الشعر إلى طريق الفلسفة	٢١٤
استكراه التخلص	٢١٥
قبح المقاطع	٢١٦
حسن المطالع	٢١٧
حسن الخروج والتخلص	٢١٨
النسيب بالاعرايبات	٢١٩
حسن التصرف في سائر الغزل	٢٢٢
حسن التشبيه بغير أداة التشبيه	٢٢٤
الإبداع في سائر التشبيهات والتمثيلات	٢٢٥
التمثيل بما هو من جنس صناعته	٢٢٧
المدح الموجه	٢٢٩
حسن التصرف في مدح سيف الدولة بجنس السيفية	٢٣٠

الصفحة	الموضوع
٢٣٢	الإبداع في سائر مدائحه
٢٣٧	مخاطبة الملوك بمثل مخاطبة المحبوب والصديق
٢٣٩	استعمال ألفاظ الغزل في أوصاف الحرب
٢٤١	حسن التقسيم
٢٤٣	حسن سياقة الأعداد
٢٤٥	إرسال المثل في أنصاف الأبيات
٢٥٠	إرسال المثالين في مصراع البيت الواحد
	إرسال المثل والاستملاء والموعظة وشكوى الدهر
٢٥١	والدنيا والناس
٢٦٣	افتضاضة أبحار المعاني في المراثي والتعازي
٢٦٦	الإيجاع في الهجاء
٢٦٧	إبراز المعاني اللطيفة في معارض الألفاظ الشريفة
٢٧٤	حسن المقطع

الباب السادس

٢٧٩	في ذكر النامي والناشي والزاهي وإخراج غرر أشعارهم
٢٨٩	أبو القاسم الزاهي

الباب السابع

٢٩٣	في ذكر أبي الفرج عبد الواحد البيغاء وغرر نثره وشعره
٣٠٢	في بيان غرر من رسائله الموصولة بمحاسن شعره
٣٠٩	ذكر ما دار بينه وبين أبي اسحاق الصابي
٣١٦	ما أخرج من شعره يتغنى به
٣١٩	من غرر شعره في الغزل والخمر
٣٢٥	غرر شعره في سائر الفنون

الباب الثامن

٣٣٣	في ذكر الخليل الشامي والوأواء الدمشقي أبي طالب الرقي
-----	--

٣٣٤	أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني الملقب بالوأواء
٣٤٦	أبو طالب الرقي

الباب التاسع

٣٤٩	في ملح أهل الشام ومصر والمغرب
٣٦٣	عبد المحسن بن محمد الصوري
٣٧٩	أحمد بن سليمان الفجري
٣٧٩	أبو حامد بن محمد الانطاكي المعروف بالرقعمق
٤٠٨	أبو القاسم الحسين المعروف بالواساني
٤٣٣	أحمد بن محمد الطائي الدمشقي
٤٣٣	أبو محمد الموصلبي
٤٣٤	أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع النيسي
٤٦٦	اسحاق بن أحمد المارديني
٤٦٦	القاضي أبو عبدالله محمد بن النعمان
٤٧٥	محمد بن هارون ابن الأكمي
٤٧٧	عبيد الله بن محمد أبي الجوع
٤٨٠	الحسن بن محمد الشهباجي
٤٨٢	أبو علي صالح بن رشدين الكاتب
٤٨٤	أحمد بن محمد العوفي
٤٨٥	القائد أبو تميم سليمان بن جعفر
٤٩٢	الحسن بن خلاد
٤٩٣	أبو الحسن اللطيم
٤٩٣	سليمان بن حسان النصبي
٤٩٦	الحسن بن علي الأسدي
٤٩٧	ابن طباطبا الحسني الرسي
٤٩٩	ولده أبو محمد القاسم
٥٠٠	أخوه أبو اسماعيل
٥٠١	أبو الحسن العقيلي

الصفحة

الموضوع

٥٠٣ أبو محمد بن أبي العفيرة الأنصاري
٥٠٤ أحمد بن محمد الكحال
٥٠٦ أبو الحسن محمد بن الوزير الحافظ
٥٠٨ أبو محمد بن أبي عمرو الطرازي
٥٠٨ أبو الحسن علي بن لؤلؤ الكاتب
٥٠٩ أبو القاسم عبد الصمد بن فضاله الصفار
٥١٠ ابن الزيعي
٥١٠ محمد بن عباس البصري
٥١٢ أبو عبدالله الحسين المعروف بالجمل
٥١٣ أحمد بن صدقة الكاتب
٥١٣ أبو الحسن بن أبي ياسر
٥١٣ محمد بن عاصم الموقفي
٥١٨ أبو الفتح البستي
٥١٩ أبو سهل بن أسباط
٥١٩ أبو العباس الكندي
٥٢٠ أحمد بن بدر المعروف بالبلاط
٥٢٠ أبو العباس الزوفي
٥٢١ عبد الوهاب بن جعفر
٥٢١ أبو البكر الموسوس
٥٢٢ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن يونس
٥٢٤ أبو القاسم عبد الغفار المصري
٥٢٤ أبو العباس أحمد بن مروان بن حماد النحوي
٥٢٤ محمد بن جعفر الأنصاري الكاتب
٥٢٥ أبو علي تميم بن معد صاحب مصر
٥٣٤ محمد بن أبي مروان
٥٣٧ حبيب بن أحمد الأندلسي
٥٤٠ فهرس الكتاب